جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

MESDIME

مخبر دراسات الإعلام
والوسائط الرقمية

١١ أكتوبر 2023

أعمال الملتقى الوطني
متعدد التخصصات

تنظيم فرقة البحث: الخطاب الإعلامي وتمثلات قيم التسامح والحوار

أمن المجتمعات بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح

بمشاركة:
مجموعة من الأساتذة الباحثين
وطلبة الدكتوراه

إعداد وتنسيق:
د. نوال بومشطة

MESDIME

منشورات مخبر الدراسات والوسائط الرقمية

أعمال الملتقى الوطني متعدد التخصصات

أمن المجتمعات بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح

ردمك: 978-9931-9970-1-6

الإيداع القانوني: فيفري 2024

منشورات مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية

Email : Labo.MESDIME@univ-oeb.dz

طبع في: مركز الطبع والسمعي البصري / جامعة أم البواقي

العنوان: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أم البواقي

جميع حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

All rights reserved,
No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher

مخبر دراسات الإعلام

والوسائط الرقمية

أعمال الملتقى الوطني متعدد التخصصات

أمن المجتمعات بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح

11 أكتوبر 2023

الرئيس الشرفي

أ.د.ديبي زهير، مدير جامعة أم البواقي

المشرف العام

أ.د.جغلول زغدود:

عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

رئيسة الملتقى

د.نوال بومشطة

رئيس اللجنة العلمية

د. خلالفة زينب

الديباجة

يعد الأمن حاجة أساسية للمجتمع الإنساني ومؤشرا على الاستقرار والازدهار والتقدم، فالمجتمع الذي يتوافر فيه الأمن والأمان ينعكس ذلك على سلوكياته ومنجزاته، حيث إن ذلك يبعث الطمأنينة في النفوس ويشكل حافزا للعمل والإبداع والاستقرار والحفاظ على الهوية الوطنية ، ولطالما كان أمن المجتمعات مطلبا أساسيا في حياة الشعوب على مر العصور، لأنه يعد من الحاجات الأساسية لضمان العيش في استقرار وسلام، وتتعدد أبعاد الأمن بين الأمن الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي والفكري وغيرها من الأبعاد التي تتداخل وتتكامل لتحقق الأمن الشامل في المجتمعات.

وفي ظل انتشار وسائل الإعلام و مواقع التواصل الاجتماعي أصبح العالم قرية كونية تتكون من مدن متداخلة المصالح ومترابطة العلاقات، وبرزت العديد من التحديات والتهديدات التي قد تؤثر على أمن المجتمع الفكري والأخلاقي والعقائدي والثقافي وغيرها ، ويزداد الأمر خطورة مع تطور التكنولوجيا وتقنيات الاتصال وانتشارها بشكل كبير في أوساط مختلف فئات المجتمع.

ومن الظواهر السلبية التي تعيشها المجتمعات اليوم انتشار الكراهية بين الأفراد والجماعات بفعل طغيان الشبكات الاجتماعية وتطور تقنيات الاتصال، مما أدى إلى انتشار التطرف والعنصرية والطائفية والعرقية، ونجمت عنها أزمات وحروب وصراعات فكرية، سياسية وحتى عسكرية أصبحت تهدد حياة الشعوب في العالم.

وعليه يطرح المنتدى مقاربة متعددة التخصصات لتقديم رؤية شاملة عن مختلف التهديدات التي تواجه المجتمعات بسبب الكراهية وإيجاد الآليات الكفيلة بنشر قيم التسامح والحوار والتعايش بين الأديان والحضارات.

أهداف الملتقى

- تحديد مفهوم أمن المجتمعات في ظل المتغيرات الراهنة.
- تأصيل المفاهيم المرتبطة بأمن المجتمعات من الناحية التاريخية، الدينية، الثقافية، الفكرية .

- التعرف على نشأة وتطور مفهوم الكراهية عبر العصور والأزمنة.
- وضع الحلول الكفيلة بحماية المجتمعات من خطر الكراهية.
- وضع الحلول والآليات الكفيلة بنشر السلم وقيم التسامح في المجتمعات.

المحاور العامة

المحور1: الدراسات التاريخية والدينية

- تأثير الكراهية على الأمن في المجتمعات القديمة والحديثة.
- تجارب الشعوب في مختلف الحضارات لنشر التسامح.
- الإسلام وقيم التسامح والحوار.

المحور2: الدراسات النفسية والاجتماعية

- تأثير الكراهية على العلاقات الاجتماعية.
- الكراهية والمنظومة القيمية في المجتمع.
- التأثير النفسي للكراهية على الفرد والجماعة.

المحور3: الدراسات الإعلامية والثقافية

- التقارب بين الثقافات، وثقافة الحوار مع الآخر .
- خطاب الكراهية عبر وسائل الإعلام التقليدية والحديثة.
- دور وسائل الإعلام في نشر قيم التسامح والحوار.

المحور4: الدراسات القانونية والأمنية

- أمن المجتمعات ونبذ الكراهية في القوانين الدولية.
- تأثير الكراهية على المجتمعات من منظور حقوق الإنسان.
- الجهود الأمنية في مواجهة خطاب الكراهية وتحقيق الأمن المجتمعي.

الهيئات المشرفة

الرئيس الشرفي: أ.د.ديبي زهير، مدير جامعة أم البواقي

المشرف العام : أ.د.جغلول زغدود: عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

رئيسة الملتقى: د.نوال بومشطة

رئيس اللجنة العلمية: د. خلالفة زينب

رئيس اللجنة التنظيمية: د.قوجيل نورالعابدين

اللجنة العلمية

أ.د نفيسة نايلي.	جامعة أم البواقي
أ .دحنون نزهة	جامعة أم البواقي
أ.د.حجام الجمعي	جامعة أم البواقي
أ.د فضيل دليو	جامعة قسنطينة 3
أ.د عبدلي أحمد	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د مراد ميلود	جامعة باتنة 1
د أمينة علاق	جامعة أم البواقي
د.رحموني لبنى	جامعة أم البواقي
د.نبيلة جعفري	جامعة أم البواقي
أ د نوال وسار	جامعة أم البواقي
د.بن عبد المومن إبراهيم	جامعة تلمسان

اللجنة التنظيمية

د. حسين نايلي	د.ثنيو سمية
أ.مليك محمد	أ.مجة وهيبة
أ.د.عادل صيد	د.الوافي صليحة
د.بولعام بلال	طلبة الدكتوراه

تقرير عام حول الملتقى

في يوم الأربعاء الحادي عشر أكتوبر ألفان وثلاثة وعشرون، انعقدت أشغال الملتقى الدولي متعدد التخصصات حول **أمن المجتمعات، بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح** بقاعة المحاضرات "ظافري آسيا" بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

افتتحت أشغال الملتقى بإلقاء كلمة لكل من مديرة مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية، نائب عميد الكلية المكلف بالبيداغوجيا، ونائب مدير الجامعة الذي قدم كلمة المدير بالنيابة وأعلن عن افتتاح الملتقى.

تضمن الملتقى 21 مداخلة في عديد التخصصات الإعلامية، الثقافية، الفلسفية، التاريخية، والدينية، وتنوع المشاركون من أساتذة وطلبة دكتوراه من 12 جامعة وطنية، قدموا مداخلات في أربع مجاور كبرى، توزعت بين جلستين علميتين وورشتين، وتتمثل المحاور في ما يلي:

- **الجلسة 1: المحور الأول: خطاب الكراهية وقيم التسامح ، رؤية متعددة التخصصات**
- **الجلسة 2: خطاب الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي**
- **الورشة 1: وسائل الإعلام وخطاب الكراهية**
- **الورشة 2: أمن المجتمعات، الرؤية الدينية و التاريخية**

عرف الملتقى مناقشات وتدخلات الأساتذة والحضور في مختلف النقاط التي أثارها المتدخلون، لتختتم بجملة من التوصيات التي صاغها الأساتذة استنادا إلى المحاور المدرجة في الملتقى، وهي موجودة (ضمن المرفقات)، لترفع أشغال الندوة في الساعة 15.00 مساء.

التوصيـــــات

1. تعزيز ثقافة الاختلاف وقبول الآخر في المناهج الدراسية والبرامج الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي.
2. تأسيس منتديات شبابية نموذجية تعزز قيم الحوار والاحترام وقبول الاختلاف.

3. نشر الثقافة التعددية الفكرية في المدارس والدامعات من خلال المناظرات والندوات المفتوحة.
4. تعزيز دور المؤسسات التربوية والمساجد ومختلف الجهات الوصية في بث رسائل السلم والتعايش وروح التعاون والتسامح بين أفراد المجتمع.
5. تكوين وتدريب الإعلاميين في التعامل الأمثل مع قضايا الثقافات المتعددة والالتزام بأخلاقيات المهنة والحفاظ على الموضوعية في الطرح الإعلامي.
6. الاستفادة تشريعيا من قواعد الفقه التي تؤصل لحماية أمن المجتمع.
7. ضرورة تفعيل دور المرصد الوطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية وإعطائه سلطات تقديرية في مجال الضبط الإداري.
8. العمل على تشديد الرقابة على ما ينشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي وما تحمله من أفكار هدامة تمس السلم والأمن الوطني.

الفهرس

العنوان	الصفحة
خطاب الكراهية وقيم التسامح ، رؤية متعددة التخصصات	
التأسيس لثقافة الاختلاف وقبول الأخر مدخل معرفي لمعالجة خطاب الكراهية في مجتمعاتنا الإسلامية. أ.د. خالد عبد السلام جامعة سطيف2 د. معمري ويزة جامعة بجاية	42 - 10
تدفق خطاب الكراهية عبر الوسائط الاتصالية الرقمية وتفاقم مخاطرها على الأمن الثقافي للمجتمعات النامية أ د حجام الجمعي جامعة أم البواقي	94 - 43
إعلامية الحوار: استراتيجيات تعزيز التفاهم بين مجتمعات متعددة الثقافات د. لبنى رحموني ط.د بن مدور نبيل جامعة أم البواقي	109 - 95
الحوار الإنساني بين الحتمية التّقنية والثّقافة الرّقمية د. رحماني مباركة د. داودي وداد، جامعة أم البواقي	134 - 110
قيم التسامح لدى علماء المغرب الأوسط ق7هـ/13م قراءة من خلال كتاب: "عنوان الدراية للغبريني" د.فهيمة حناش جامعة أم البواقي	156 - 135
تجريم التمييز وخطاب الكراهية كآلية لتعزيز قيم التسامح ودعم الوحدة الوطنية على ضوء القانون رقم 20-05. د. بلغيث سمية ط. د. بلغيث لبنى جامعة أم البواقي	175 - 157
خطاب الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي	
خطاب الكراهية عبر الوسائط الاتصالية الجديدة: سبل المواجهة د/نور الهدى عبادة ط.د/عبد الرحيم مداسي، جامعة الجزائر3	196 - 177

خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي. -قراءة في المفهوم، دوافع الانتشار ، وأليات التصدي له. ط. د. دنيا بن سهلة جامعة: باجي مختار عنابة	210 - 197
دور منصات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة التسامح و الحوار د. محمد علاوة ط د بن مهوب عبد المجيد جامعة أم البواقي	229 - 211
خطابات الكراهية الرقمية وتأثيرها على النسيج الاجتماعي - دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي – د. فهيمة قابوش جامعة أم البواقي د. برش بشرى جامعة سطيف 2	151 - 230
Celebrities' struggle with cyberbullying on social media Realistic models د. هناء عاشور جامعة أم البواقي	173 - 152
وسائل الإعلام وخطاب الكراهية	
وسائل الإعلام وإسهاماتها في تنمية قيم التسامح د.نسيغاوي لطيفة جامعة خنشلة ط.د.وفاء نصري جامعة باتنة1	192 - 175
الصراع الفرنسي الألماني حول الثقافة ودوره في التأسيس للتعددية الثقافية والتسامح الثقافي. د.كرام ياسين جامعة سطيف 2.	222 - 193
النقاش الإعلامي لملف المهاجرين في فرنسا بين تكريس الكراهية والدعوة للاندماج -دراسة تحليلية نقدية لعينة من مقالات الجزيرة الإخبارية د. وشفون سارة جامعة قسنطينة 3 د. ماضوي مريم جامعة أم البواقي	245 - 223
الآليات القانونية لمجابهة الكراهية في الجزائر - دراسة تحليلية للقانون 05/20 من التشريع الجزائري – أ.د.نايلي نفيسة ط.د. لطيفة حاجي جامعة أم البواقي	159 - 246

المعالجة الإعلامية لانتشار خطاب الكراهية في الغرب من خلال البرامج الحوارية في قناة الجزيرة الفضائية -برنامج للقصة بقية نموذجا- د.نوال بومشطة جامعة أم البواقي	186 – 170
أمن المجتمعات، الرؤية الدينية و التاريخية	
المنهج الإسلامي في معاملة المخالف وتعزيز قيم المواطنة وتجدده في فقه العلامة بن بيه - حلف الفضول ودستور المدينة نموذجا د. دنفير مصطفى جامعة سطيف 1	218 - 188
أمن المجتمع في الإسلام دراسة تأصيلية في قواعد الفقه ومقاصد الشريعة د/ إبراهيم ريغي جامعة محمد بوضياف/ المسيلة	239 - 219
الحوار بين الأديان من التسامح إلى العيش المشترك من أجل الأمن المجتمعي ط. د. فاضلي إيمان جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة-	271 - 240
دور الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمعات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية. د. سمير دحيري جامعة محمد بوضياف/ المسيلة	295 - 272
العنف والتسامح في واقع القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية خلال القرن التاسع عشر (معطياته وتجسيداته) د. كوثر العايب جامعة أم البواقي	316 - 296

خطاب الكراهية وقيم التسامح

رؤية متعددة التخصصات

التأسيس لثقافة الاختلاف وقبول الاخر مدخل معرفي لمعالجة خطاب الكراهية في مجتمعاتنا الاسلامية.

أ.د/ **خالد عبد السلام** قسم علم النفس جامعة محمد لمين دباغين سطيف2.

د/ **معمري ويزة** أستاذة بقسم العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة بجاية

1. مقدمة:

يبدو أن الكثير من أفراد مجتمعاتنا الاسلامية مازالوا يعانون من بعض العقد النفسية اتجاه الآخرين الذين يختلفون معهم. ومازالت العصبيات الايديولوجية والحزبية والمذهبية تسيطر على تفكيرهم وتوجه عقولهم ونظرتهم إلى الحياة اتجاه كل مخالف لهم. حيث مازلنا اليوم نجد من مازال يرى العالم بلون واحد وتوجه أحادي في كل شيء ويرفض كل تنوع او تعدد لغوي او ثقافي او ديني او سياسي أو مذهبي متخفين في ذلك وراء غطاء ديني مزيف والدين منهم بريء. ومبررين ذلك لاعتبارات ظاهرها اخلاقي لكن باطنها النفسي حساسية اتجاه كل له علاقة بالآخر، أو عصبية ايديولوجية.

رغم أن الله سبحانه وتعالى خلق الحياة متنوعة ومتعددة في جميع مجالات الحياتية، الطبيعية والبشرية وتعدد الالوان والاذواق والمياه والاحجار والاشجار والنباتات والحشرات والحيوانات والثقافات واللغات والاديان والأجناس، إلا ان هناك الكثير من الجماعات البشرية تتبنى خطابات الكراهية والعنصرية، وتشن هجومات راديكالية اتجاه كل من يختلف معها تارة بلغة التكفير والتفسيق، وتارة بلغة التخوين والعمالة، وتارة أخرى بلغة الاقصاء والتدمير. وهو ما حدث في الكثير من البلدان العربية والإسلامية بصفة وعامة والجزائر بصفة خاصة. لا سيما خلال السنوات الأخيرة أين ظهرت اتجاهات عنصرية وتمييزية بين الجزائريين تدعو الى رفض الاخر بكل الأشكال. رغم أن الحياة لا تضيق بأحد، بل تسع الجميع وخلقت للجميع. انما تتضايق القلوب والنفوس المريضة والعقول القاصرة. وبناء على ذلك أصبح من الضروري التفكير في كيفية ترسيخ ثقافة الاختلاف وقبول الاخر. فماذا نقصد بالتعصب؟ وماذا نقصد بخطاب الكراهية؟ ماذا نقصد بثقافة قبول الآخر؟ وماذا نقصد بالتسامح من منظور نفسي اجتماعي ومعرفي؟ ما هي مبررات معالجة

ثقافة قبول الاختلاف والتنوع في مجتمعاتنا؟ ما هي أهمية ثقافة الاختلاف وقبول الآخر للصحة النفسية والامن الاجتماعي؟

ما هي أهم جذور خطاب الكراهية والتعصب الإنساني؟ كيف ننمي ثقافة الاختلاف وقبول الاخر من المنظور الاستراتيجي على مستوى كل مؤسسات المجتمع؟

2. اهداف الدراسة: تهدف الدراسة الى:

التعريف بماهية ثقافة الاختلاف وقبول الاخر.

التعريف بماهية خطاب الكراهية والتعصب.

التعريف بطبيعة النفس البشرية ولماذا يختلف الناس.

التعريف بأهمية ثقافة قبول الاخر وثقافة قبول الاختلاف والتنوع في الحياة الاجتماعية.

التعريف بمبررات معالجة ثقافة قبول الاختلاف وخطاب الكراهية في مجتمعاتنا.

التعريف بكيفية تنمية وتكريس ثقافة قبول الاختلاف والتنوع عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

3. أهمية الدراسة:

. تفيد هذه الدراسة في لف انتباه الباحثين الى ضرورة اجراء دراسات معمقة حول الجذور التاريخية، النفسية، الثقافية والاجتماعية والسياسية لخطاب الكراهية والتعصب في مجتمعاتنا.

. ويفيد أيضا الباحثين من مختلف المقاربات المعرفية (النفسية، المعرفية، الاجتماعية والفلسفية) لإجراء دراسات معمقة حول أبعاد وخلفيات قابلية تفشي خطاب الكراهية في مجتمعاتنا أكثر من غيرها.

. تفيد في لفت انتباه الباحثين الى ضرورة التفكير في اعداد برامج تدريبية حول ثقافة قبول الاخر والاختلاف والتنوع لمعالجة ثقافة التعصب التأسيس لثقافة التعايش والتسامح بين الناس المختلفين.

. وتفيد ميدانيا وعمليا المربين والمفكرين والسياسيين ورجال الاعلام في تبني استراتيجيات عملية شاملة على مستوى البرامج التربوي، الخطاب الإعلامي والسياسي لتعزيز ثقافة الاختلاف وقبول الاخر.

. ويفيد مؤسسات المجتمع التشريعية في سن منظومة قانونية في مختلف المجالات والميادين تحد من خطاب الكراهية والتعصب والاستبداد في الرأي. تحصن المجتمع من الانحرافات والنزاعات والصراعات العرقية او الاثنية، الدينية والثقافية والاجتماعية.

4. تحديد المفاهيم:

4-1. تعريف الكراهية:

مفهوم الكراهية له عدة تعاريف في عدة استعمالات لا سيما في الجانب الحقوقي والقانوني وفي الجانب النفسي المعرفي والاجتماعي. إلا أنها تتشابه وتتقاسم الكثير من الأبعاد المحددة لمعنى الكراهية. لذلك يجدر بنا تقدير تعريفا لغويا ثم تعريفات اصطلاحية.

التعريف اللغوي: جاء في معجم المعاني أن كلمة كراهية جاءت من: كره يكره، كُرها وكَرها، وكراهة وكراهية، فهو كاره، المفعول مكروه وكريه. كره الشيء: مقته ولم يحبه، أبغضه، نفر منه. كما في قوله تعالى: (والله متما نوره ولو كره الكافرون" (الصف/8).

التعريف الاصطلاحي للكراهية:

جاء في معجم لاروس الفرنسي ان الكراهية (La Haine) تعني ذلك الإحساس الذي ينتاب فرد معين فيجعله يرغب أو لعمل على الحاق الأذى ضد شخص آخر، او الابتهاج بما يحدث له للأسف..... (Larousse, 2022)

وجاء في مبادئ كامدن تعريفا الكراهية وفق ما يأتي: (الهواري، 2017):

أن كلمة الكراهية أو العداء تشير إلى مشاعر قوية وغير عقلانية من الإزدراء، العداوة، أو البغض تجاه المجموعة المستهدفة؛ إن كلمة دعوة تعني وجود نية لترويج البغض للفئة المستهدفة وبطريقة علنية؛ وإن كلمة تحريض تشير إلى التصريحات حول المجموعات القومية أو العرقية أو الدينية والتي تؤدي إلى خطر وشيك لوقوع التمييز أو العدائية أو العنف ضد أشخاص ينتمون إلى هذه المجموعات...

ونستخلص من هذه التعاريف أن الكراهية هي مجموعة من المشاعر السلبية التي تتولد لدى شخص او مجموعة اشخاص انطلاقا من تصورات واحكام مسبقة لاعتبارات عرقية، دينية، مذهبية، جغرافية، ثقافية ولغوية او سياسية وايديولوجية

أو اقتصادية فتجعلهم يبغضونهم، يحتقرونهم أو يستهزؤون بهم ويقللون من قيمتهم ومكانتهم أو يحرضون غيرهم على الاعتداء عليهم او اقصائهم او حتى قتلهم وتدميرهم.

اما اليونسكو فقد عرفت الكراهية وفق ما يأتي: " خطاب الكراهية: هو حالة هجاءٍ للآخر، وهو بالتعريف كل كلامٍ يثير مشاعر الكره نحو مكوّ نٍ أو أكثر من مكوّ نات المجتمع، وينادي ضمناً بإقصاء أفراده بالطرد أو الإفناء أو بتقليص الحقوق، ومعاملتهم كمواطنين من درجة أقل، كما يحوي هذا الخطاب، ضمناً أو علناً (اليونسكو، 2015)

2-4. تعريف مفهوم التعصب:

لغويا: جاء في كتاب لسان العرب لابن منظور أن التعصب:

" جاء من العصبية: والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتآلب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا..

والعصبة هم: الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم.

[و]العصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعه يعني: نصرناه" .

اصطلاحا: التعصب هو: التشدد وأخذ الأمر بشدة وعنف وعدم قبول المخالف ورفضه والأنفة من أن يتبع غيره ولو كان على صواب.

يعرّف "ولمان" التعصّب بأنّه: اتجاه يهيّء الفرد مسبقاً، ودون تقييم موضوعي، لتكوين أحكام موجبة أو سالبة بصدد جماعات أو أشياء أو مفاهيم". (Brewer، 1985)

ويعرّفه "بارون وزملائه:" بأنّه اتجاه سلبي أو إيجابي إزاء جماعة ما، يقوم فقط على أساس عضويتهم في هذه الجماعة، بمعنى أنّ المتعصّب يميل لتقييم أعضاء الجماعة (موضوع التعصّب) بطريقة محدّدة (سلبية كانت أو إيجابية) فقط لمجرّد أنّهم ينتمون لهذه الجماعة وليس وفقاً لسلوكياتهم وخصائصهم الشخصية- إنهم مكروهون أو محبوبون لمجرّد أنّهم ينتسبون إلى جماعة اجتماعية محدّدة ليس إلاّ".

(Baron, Byrne, & & Johnson, 1998)

وأيضا يمكن القول ان التعصب جاء من العصبية، وهو الانتصار للعصبة او الجماعة او المذهب او الدين او الايديولوجية أو الحزب او القبيلة او العرق أو الجهة.

فإذا كان مفهوم التعصب يعني لغة النصرة والمحاماة، ويعني اصطلاحا، مجموعة من المشاعر التي تنتاب الفرد فتجعله يعتقد أن كل ما يراه ويفهمه ويدركه بمستوى عقله صحيحا او هو الأصح دون أي دليل ولا برهان ولا منطق، وكل ما يراه غيره خاطئا، بل لا يعترف بصواب غيره مهما كانت حججه وبراهينه قوية ودامغة او منطقية وواقعية. فإننا نرى ان بعض الناس سواء كانوا متدينين، او متمذهبين او ايديولوجيين او سياسيين أو عرقيين يريدون من خلال تعصبهم وتزمتهم ورفضهم لكل من يخالفهم يسلمون بفكرة مبدئية: إن كل ما يتوافق مع عقولهم يعتبرونه صحيحا وكل ما لا يتوافق مع مستوى فهمهم وادراكهم ونظرتهم يعتبرونه خاطئا مهما بلغ من مستوى الصحة والصواب النسبي.

فالمتعصبون كأنهم يقولون للناس: " **إن مستوى ذكائنا وذكاء وفهم وأدراك مفكرينا وعلمائنا وقادتنا وسياسيين وزعمائنا للدين وكل أمور الحياة هو سقف لعقولكم جميعا فلا يحق لكم التفكير ولا التدبير ولا النظر ولا الاجتهاد ولا الفهم ولا استخدام عقولكم في أي امر ديني او دنيوي إلا بما نقره ونسلم به نحن وما عليكم إلا التسليم والايمان والعمل به وإلآ نلتم غضبنا وسخطنا عليكم** "

ويمكن القول أيضا أن التعصب والتزمت للدين والمذهب والايديولوجيا والسياسة والعرق واللغة والثقافة والجماعة والحزب إنما يعتبر إرهابا فكريا يعمل أصحابه على **تسقيف عقول الناس** وتسقيف مستوى الفهم والادراك [توقيف **حركية التفكير والابداع والتطور**] في الوقت الذي تُعرف الحياة بالحركية والتراكمية المعرفية والتفاوت في الذكاء والتنوع في الفهم والادراك التي بواسطتها يتحقق التدافع الفكري والتطور العلمي والمعرفي في كل مجالات الحياة. وفي هذا المجال يقول احد الحكماء [**إن حقائق اليوم هي اخطاء للغد**] أي ما يدركه الانسان اليوم كحقيقة يعتبر غدا خطأ معرفيا يجب تصحيحه كما يقول كلود برنار....

3-4. تعريف التسامح:

ان مفهوم التسامح له عدة دلالات في اللغة العربية من الناحية الاصطلاحية نظرا لخلفيته الثقافية والاجتماعية، لذلك سنبين اهم التعاريف اللغوية والاصطلاحية ثم نبين تعريفنا الاجرائي في هذه الدراسة.

4-3-1: التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور ان كلمة التسامح جاءت من سمح السماح والسماحة، والتي تعني الجود، والمسامحة المساهلة. وسمح واسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء " وبنفس المعنى يظهر في مختار الصحاح حيث يعني: سمح السماح والسماحة، الجود وسمح به يسمح سماحا، وسماحة جاد، والمسامحة المساهلة، وتسامحوا معناها تساهلوا." (يونس، 2013).

4-3-2. التعريف الاصطلاحي للتسامح:

هناك عدة تعاريف أيضا اصطلاحية للتسامح تختلف باختلاف زوايا المعالجة للموضوع معرفيا وفكريا ثقافيا، سياسيا واجتماعيا. من بينها:

يعرف التسامح على انه: " مكون معرفي وجداني سلوكي نحو الذات والآخر والمواقف متمثلا في مجموعة من المعارف والمعتقدات والمبادئ والمشاعر والسلوكيات التي تدفع صاحبها للتصالح مع ذاته ومع الآخر وتجعله متصفا بالتسامح في مواقف الحياة المختلفة " (بكر، 2017).

كما يعرف التسامح على انه: "موقف من الآخر سواء كان إنساناً أو فكراً أو رأياً، إنه الموقف الذي ينم عن سعة صدر واستعداد لفهم وتفهم الآخرين، كما يعرف على أنه موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر عن الغير سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا (محمود.، 2013)

نلاحظ من خلال هاذين التعريفين ان التسامح لا يعني الصفح والتساهل مع الآخرين عند المقدرة من منطلق المنتصر اتجاه المهزوم او القوي اتجاه الضعيف او الأغلبية اتجاه الأقلية بقدر ما يعني قناعات فكرية راسخة ومشاعر عاطفية إيجابية اتجاه الآخرين الذين يختلفون معنا عرقيا، لغويا وثقافيا دينيا ومذهبيا سياسيا وايديولوجيا وجغرافيا مع الاعتراف بوجودهم وحقهم في ان يكونوا كما هم والتعايش والتعاون معهم على تكريس هذا التنوع والتعدد الذي يجعل الجميع يشعر بالأمن والسلام والطمأنينة.

3-3-4: التعريف الاجرائي: نقصد بالتسامح في مداخلتنا هذه قدرة وقناعة الفرد على قبول الاختلاف والتنوع في العرق والثقافة واللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم وطرق التفكير والفهم باعتباره ميزة للوجود الإنساني الطبيعي الذي يفيد البشرية، ومن خلاله يعمل الفرد على تجنب الإساءة، الاستهتار، الاحتقار ، التمييز، التهجم، الاقصاء وممارسة كل اشكال العنف النفسي المعنوي والمادي اتجاه أي مكون بشري متميز بل يسعى جاهدا الى التعاون والتضامن والتعاطف مع كل الناس بغض النظر عن كل الاختلافات التي تميزهم عنه ايمانا منه أنهم بشر مثله وأن الحياة خلقت للجميع وتسع الجميع علا بقوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" (الحجرات،13). ومنه نستنتج ان مفهوم التسامح يتناسب ويتطابق مع مفهوم ثقافة الاختلاف وقبول الاخر.

3-4.تعريف ثقافة الاختلاف وقبول الآخر:

هناك عدة تعاريف لمفهوم ثقافة الاختلاف وقبول الاخر، حيث كل مهتم وباحث في الموضوع يحاول تفكيكه من الزاوية المعرفية التي يعالج بها الموضوع. حيث تعدد التعاريف بتعدد المقاربات المعرفية ابتداء من المقاربة الفلسفية، إلى المقاربات النفسية والاجتماعية والثقافية. فمن بينها ما يأتي:

يعرفه مشيل (Michael , 2013) على انه عبارة عن: " اتجاه الفرد نحو الغيرية وعدم اصدار الاحكام وعدم التهديد والسعي الدائم الى الاعتبار الإيجابي غير المشروط للآخر أي السماح للآخرين بقبول فعل ما يريدونه" (Michael, 2013)

كما يعرف على انه احترام إنسانية الآخر بغض النظر عن جنسه، دينه، عرقه، لونه، عمره، وظيفته، المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والتعامل معه كما هو بدون، شروط، رفض، انتقاد، اصدار احكام" (آمال زكرياء، 2016).

من خلال هذين التعريفين نفهم أن ثقافة الاختلاف وقبول الاخر، هي مجموعة من القناعات والأفكار التي توجه تفكير الفرد نحو الاعتراف بحق الاخرين في الوجود بالخصوصية التي تميزهم عن غيرهم وبالتالي الاعتراف بحقهم في التنوع والاختلاف في طريقة التفكير والفهم والتصرف وفي العادات والتقاليد دون اصدار أي احكام

مسبقة او قيمية عليهم او رفضهم او التهجم عليهم لإخضاعهم او الزامهم ليكون غير ما هم عليه.

ومنه نستخلص ان مفهوم ثقافة الاختلاف وقبول الآخر في مداخلتنا نقصد بها، مجموعة من القناعات الفكرية والتصورات الذهنية الايجابية التي نكونها عن الاخرين باعتبارهم بشر مثلنا وخلقنا من نفس واحدة، حيث نعترف من خلالها بوجودهم ونحترم اختلافاتهم وتنوعهم الطبيعي في العرق، الدين، اللغة، الثقافة والعادات مع قبول التعايش والتعاون معهم دون تحقير ولا استهزاء ولا ذم ولا استهجان أو تهديد او تهجم او نقد ذميم لهم ودون اصدار احكام قيمية او مسبقة سلبية حول قيمهم، قناعاتهم وكل ما يميزهم عنا، فهم منا ونحن منهم بل نعتبر ذلك تكاملا وثراء وجوديا،

4-4 ماذا نقصد بالخيار الاستراتيجي: نقصد به الحل الأمثل والجذري لكل أشكال التعصب والتزمت الذي ينبني على مراحل وخطوات نفسو - بيداغوجية مدروسة. لآن ثقافة الاختلاف وقبول الآخر تعمل على إعادة تشكيل البنية المعرفية للناس، وبناء هوية معرفية جديدة عن طريق تفكيك القوالب الجاهزة والاحكام المسبقة والتصورات الخاطئة اتجاه الذات واتجاه الآخرين التي تشكلت عبر مراحل النمو بمختلف آليات التنشئة الاجتماعية على مستوى الآسرة، المدرسة، الاعلام والمساجد والجمعيات وغيرها...

5. دراسات سابقة حول برامج ثقافة الاختلاف وقبول الاخر في الحد من التعصب:

5-1. دراسة: وليد السيد أحمد محمد الخليفة، وماجد عثمان عيسى، (2019). موسومة، فعالية برنامج تدريبي قائم علي التسامح في الوقاية من الإرهاب الفكر لدى طلاب جامعة الطائف، حيث هدفت الدراسة الى التحقق من فعالية برنامج تدريبي قائم على التسامح فى الوقاية من الإرهاب الفكري لدى طلاب جامعة الطائف، واختيرت لذلك عينة من (51 طالبا)، وتم تقسيم العينة إلى مجموعتين، الأولى سميت بالمجموعة التجريبية عددها ثمانية (8) طلاب، والثانية سميت بالمجموعة الضابطة والتي تكونت من سبعة طلبة واستعمل في ذلك المنهج شبه التجريبي, واستعمل الباحثون مجموعة من أدوات جمع البيانات لا سيما: مقياس الإرهاب الفكري، البرنامج التدريبي القائم على قيم التسامح، مقياس التقييم الذاتي

للمعالجة التجريبية حيث تم تعريض المجموعة التجريبية للبرنامج التدريبي القائم على قيم التسامح لمجموع اثنان وعشرون جلسة أي بمعدل جلستين أسبوعيا، وبعدها تم تطبيق مقياس الإرهاب الفكري، كما تم إعادة تطبيقه للمرة الثانية بعد مرور شهر من التطبيق الأول، فتوصلت نتائج البحث إلى خفض درجة الإرهاب الفكري لدى طلاب المجموعة التجريبية خلال القياس البعدي بعد مقارنتهم بطلاب المجموعة الضابطة، مع تأكيد استمرارية الأثر الإيجابي للبرنامج خلال القياس التتبعي للمجموعة التجريبية بعد مرور شهر من القياس البعدي. يعني ان تدريب أفراد المجموعة على قيم التسامح او تقبل أفكار الآخرين يساهم في التقليل من درجة التعصب والإرهاب الفكري لديهم. (كيشار، 2019)

2-5. دراسة ندى فتاح العباجي رنا كمال جياد (2019). من جامعة الموصل بالعراق حول أثر برنامج تربوي في تنمية تقبل الأخر لدى طلبة المرحلة المتوسطة في مدارس مدينة الموصل. حيث اختيرت لها عينة مكونة من ستين طالبا من كلال الجنسين مقسمة إلى أربعة مجاميع مجموعتين تجريبيتين ومجموعتين ضابطتين، عملا بالتصميم التجريبي لعدة مجموعات، وبعدها طبق عليهم مقياس تقبل القوميات والديانات قبليا لا سيما (الاكراد، التركمان، المسيحيين، الأزيدية، العرب والشبك) ثم تم تطبيق برنامج تقبل الآخر لمدة خمسة أسابيع كاملة وبعد الانتهاء تم مرة أخرى تطبيق بعديا نفس مقياس تقبل القوميات والديانات، وبعد تحليل النتائج توصلت الدراسة الى النتائج الآتية: ان 70% من الطلبة من كلال الجنسين يتقبلون الأفراد من قومياتهم فقط. وان 15 % يتقبلون الديانات الأخرى. و14% يتقبلون الجميع من القوميات والديانات الأخرى.

ومن الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من نتائج هاتين الدراستين الى أهمية البرامج التدريبية في التقليل من ثقافة التعصب والرفض للأخر، وفي تنمية ثقافة قبول الآخر ولو نسبيا في ظل ظروف محددة. وانه يمكن التأثير في قناعات الناس وتصوراتهم للآخر من خلال تعديل الكثير من الأفكار السلبية والوالب الفكرية الجاهزة والاحكام المسبقة التي يحملها كل طرف اتجاه الآخر إذا اتخذت البرامج أبعاد عديدة كالديمومة، التنويع في الأنشطة وتجند كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية. فهذه برامج تجريبية وتدريبية في زمان ومكان محددين، مفعولها محدود جدا من

حيث درجة التأثير ومن حيث الديمومة ومن حيث القدرة على احداث تغيير جذري في التصورات والقناعات. وعموما اغلب الدراسات في حدود علمي والتي تمكنت من الحصول عليها أجريت في مجتمع العراق الذي مر على فتن عرقية ومذهبية وسياسية متعددة خلال العقدين الماضيين خاصة.

لذلك نحن نسعى الى جعل ثقافة الاختلاف وقبول الاخر ليست مجرد برنامج تدريبي او تدريبي بقدر ما نحاول جعله مشروعا مجتمعيا استراتيجيا تتبناه كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وتنشر بمختلف الوسائل الأساليب النفسو - بيداغوجية الممكنة عبر البرامج التربوية في المدرسة والإعلامية والمسجدية والمؤسسات الثقافية عبر كل الفنون والآداب وعبر مؤسسات المجتمع المدني والسياسي حتى تتعمم الى كل شرائح المجتمع لتصبح جزء لا يتجزأ من المنظومة القيمية لمجتمعاتنا لعلها تستطيع تكريس التعايش و تعزيز السلم والامن الاجتماعي وتحصيننا من كل الفتن التي يفتعلها تجار الحروب والنزاعات المسلحة في بلداننا.

الخلفية النظرية للموضوع:

. مبررات تناول موضوع ثقافة الاختلاف وقبول الآخر لمعالجة خطاب الكراهية والتعصب:

ان معالجة هذا الموضوع أصبح أكثر من ضرورة، بل واجب ومسؤولية أخلاقية، اجتماعية دينية وعلمية لدى كل مواطن ومثقف، باحث أكاديمي، رجل اعلام، إمام أو رجل دين وفنان وغيرهم للاعتبارات الاتية:

1. أن مجتمعاتنا بلغت درجات خطيرة من التعصب والتطرف والرفض للآخر بكل أشكاله وأبعاده منذ قرون من الزمن ولم تستطع الخروج منه رغم انتشار التعليم والثقافة لدى شرائح عريضة من المجتمع.

2 . تفشي ظاهرة التكفير الديني وما ترتب عنه من زهق للأرواح وهدم للعمران وتشريد للإنسان وتحطيم للاقتصاد والتنمية في الكثير من بلداننا العربية والإسلامية والدول المتخلفة.

3 . تفشي ظاهرة التخوين والشيطنة للآخر لمجرد انه يختلف مع الاخر عرقيا، أو جهويا او فكريا وايديولوجيا او سياسيا او ثقافيا ولغويا أو دينيا أو مذهبيا.

4 . تنامي لغة العنف والسب والشتم والاحتقار والتنابز بالألقاب والانتماءات بين مكونات شعوبنا في كل المناسبات الثقافية، الدينية وحتى في الظروف السياسية الحساسة والمفصلية.

5. تفشي ثقافة الاقصاء والتهميش للآخر لا لشيء إلا لأنه يختلف معه في التفكير والفهم وفي الرؤية وطريقة التدبير والتسيير للشؤون الحياة العامة والخاصة.

6. لأن مجتمعاتنا عُولبت عقولها في قوالب وأنماط فكرية جاهزة ومتصلبة تستنسخها وتتوارثها بلا وعي عبر الأجيال المختلفة.

7. أن مجتمعاتنا مازالت تتغذى من ثقافة الكراهية عبر كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية بطرق مباشرة وغير مباشرة. تتجلى عبر تسويق الصور النمطية والاحكام المسبقة اتجاه الآخرين سواء كانوا مختلفين عنهم جغرافيا (أصحاب الشرق، أصحاب الغرب، أصحاب الشمال وأصحاب الجنوب)، أو مختلفين عنهم عرقيا وثقافيا مثل (العرب، الامازيغ، التركمان، الكرد، القبائل الشاوية، النمامشة، بني ميزاب، التوارق...) أو مختلفين عنهم لغويا (المعربين والمفرنسين، الأمازيغية والعربية، العامية والفصحى ...)، او مختلفين عنهم أيديولوجيا (العلمانيين والإسلاميين، اليسار واليمين، الوطنيين واليساريين ....)

8. أن مجتمعاتنا الإسلامية من أكثر المجتمعات التي مازالت تستثمر في احقاد الماضي التاريخية، الدينية، المذهبية والطائفية، العرقية والثقافية واللغوية وحتى الأيديولوجية والسياسية لتصفية حساباتها مع المخالفين والمختلفين معها. كما شاهدنا ذلك في الصراعات الطائفية، الدينية والمذهبية في لبنان، العراق وسوريا (الدروز، الشيعة، السنة، المسيحيين)، وفي الصراعات الثقافية والهوياتية والعرقية كما هو بالنسبة لـ(الاكراد، التركمان، العرب، الفرس، الأمازيغ..) في تركيا العراق، لبنان سوريا الجزائر المغرب وليبيا.

9. ان مجتمعاتنا مازالت تتحمس وتتلذذ للحروب الوهمية التي تصنع لها مؤسسات إعلامية متخصصة في الدعاية والحروب النفسية، ويفبركها ها السياسيون المحترفون في اللعب على أوتار الاختلافات وخطاب الكراهية لتمرير سياساتهم ومصالحهم على حساب امن واستقرار شعوبها. كما عشنا وما زلنا نعيش ذلك من تبعات منذ سنة 2011 في كل من العراق وسوريا، ليبيا واليمن.

10. أن مجتمعاتنا والكثير من المجتمعات المتخلفة مازالت تدار في بلدانها صراعات وحروب تدميرية نتيجة لخطابات الكراهية التي تستثمر فيها القوى الاستعمارية، بكل ادواتها الإعلامية، السياسية داخليا، الدبلوماسية والاستخباراتية من أجل الهاء تلك الشعوب المتناحرة ببعضها وبسط السيطرة على كل خيراتها وثرواتها المتعددة.

11. كما ان الآليات العلاجية لمشكلات التعصب والكراهية التي تتجلى في الإرهاب والحروب بالوكالة والنزاعات المسلحة التي خطط ويخطط لها السياسيون منذ عقود من تلزمن لم تجد نفعا بحيث تعالج اعراض المشكلات ولا تعالج أسبابها الجوهرية. مما يستعدي منا جميعا كل في مجال اختصاصه واهتماماته التفكير في كيفية تفكيك ألغاز التعصب وخطاب الكراهية والتعمق في فهم جذوره على المستوى الفكري المعرفي والعاطفي والثقافي، عن طريق عمليات التفكيك والتشريح الدقيقة لكل العناصر التي تقف وراء هذه الظاهرة المرضية في الانسان سواء كانت عقلية ومعرفية، او نفسية ووجدانية، او اجتماعية وثقافية او تاريخية وسياسية، ومن خلال ذلك يتم العمل على إعادة تشكيل العقول وتعديل المسلمات، والتي يترتب عنها تبديد المخاوف وطمأنة النفوس، وبالتالي تذويب وتهوين مخزون الخلفيات، التصورات، الاحكام المسبقة والنظرة النمطية المكدسة على مستوى المشاعر الفردية والجماعية والكتب والمراجع ووسائل الاعلام وعبر الفنون والآداب المختلفة. ومن ثمة التأسيس لمنطلقات فكرية جديدة ومشاعر نفسية إيجابية اتجاه الاخرين، تسلم وتعترف بحق الآخرين في التعبير عن وجودهم بمختلف الطرق التي تميزهم، وحق وجودهم ككيان مستقل، متكامل بل ومتناغم مع الكيانات الأخرى في إطار التنوع الطبيعي الذي يجعل الانسان يشعر بأهمية الاخر بالنسبة اليه وأهمته هو بالنسبة للآخرين ليس من أجل التنافس، التعارك، الاقصاء والتقاتل بل من اجل التعارف والتعاون والتضامن، عمل بقوله تعالى في سورة الحجرات الآية 13: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾. فالحياة خلقت للجميع ولا تضيق بأحد، انما تضيق قلوب الناس المريضة وعقولهم ضيقة الأفق والفهم بنظرة سوية للحياة والوجود.

إشكالية الآخر في المخيال الفردي والجمعي لمجتمعاتنا:

يبدو ان الطبيعة البشرية تميل الى الانطواء على الذات أكثر من انفتاحها على الآخرين. من منطلق الانانية الزائدة والنرجسية المتنامية لدى الكثير من الناس. والتي كثيرا ما تتحول عدواها من الفرد الى الجماعة عبر خطابات خماسية ونارية تصور الانا الخارقة المتسامية والراقية والذكية مقابل الاحتقار والاستهجان والتقليل من شأن الآخرين الذين يوصفون بأوصاف قبيحة وحقيرة تشمئز من النفس.

وعلى هذا الأساس قد يتجاهل هذا النوع من الناس المتعصبين لحقيقة من هي أناهم الفردية وأناهم الجَماعية، كما يتجاهلون حقيقة من هو الآخر؟ بل يحاول دائما الاعتقاد في قرارات نفسه ومقتنعا بذلك بأنه كيان متميز، أرقى وأفضل واذكى واخير دائما من الآخر الذي يصورها دائما في مرتبة أدنى وأقل شأنا منه.

لكن ماذا لو سألنا هذا الانسان المتعصب لنفسه والكاره لغيره المختلف عنه ونقول له: أنت الآن في موقع الانا تتحدث عن نفسك وعن مزاياك وفضائلك وتصور الاخر دائما بسلبياته وعيوبه ونقائصه. ألا تفكر في الآخر بأنه يرى نفسه متميز وخارق للعادة وأفضل وأحسن منك أيضا؟ فأنت الاخر في مواقف ومواقع أخرى.

ألا ترى بأنك تتجاهل حقيقة منطقية في تفكيرك وهي أنك تتواجد في موقع الانا والآخر معا. ألا ترى بأنك أحيانا عندما تكون انن المتحدث تكون في موقع ضمير المتكلم أنا والآخر كضمير غائب او الهو كمستقبل وأحيانا ذلك الاخر الذي تشير اليه بعبارات او إشارات هو الانا بالنسبة لنفسه عندما يكون متحدثا وانت تحتل موقع الآخر بضمير الغائب عنده؟

اذن انت الآخر سواء من جميع الجوانب، وظلا يمكن لأي أحد منكما أن يتواجد ويحس بقيمته او بوجده إلا مع الاخر. لآن الحياة خلقت لكما معا، وقيمتها تكمن بتعاونكما على متاعبها معا. فلا شيء في الوجود خلق لذاته، لا الشمس خلقت لتستنير من ضوئها بل لغيرها، ولا الأزهار خلقت لتستفيد من عبق رحيقها بل لغيرها، ولا الأنهار خلقت لتشرب من مائها بل لغيرها فكذلك البشر لم يخلقوا لأنفسهم بل خلقوا ليعيشوا لبعضهم البعض، كما تبينه طبيعة الحياة. فالإنسان اجتماعي بالطبع كما يقول ابن خلدون، واجتماعيته تقتضي، التعرف على الاخر والتعامل والتعاون معه لمواجهة متطلبات وتحديات الحياة المعقدة. فالإنسان ضعيف بنفسه

وقوي بإخوانه ليس من بني جنسه فقط، بل بكل الاجناس القوميات والديانات والأعراق.

فجدلية الانا والأخر تنبثق من الصور النمطية والاحكام المسبقة التي نكونها عن أنفسنا وعن هويتنا الفردية والجماعية من خلال عمليات التنميط الاجتماعي عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تحاول دائما تصوير الانا في المخيال الفردي والجمعي ككيان خارق ومتميز ومتفوق بينما الاخر وضيع، بلا معنى ولا قيمة ولا ذكاء. من هنا تبدأ تنمو الأفكار التعصبية والمشاعر السلبية الكره والعدائية للآخر. وانتفاخ الانا والنحن كمعيار للقوة والشهامة، والخير والذكاء والجدارة. ومن خلال ذلك تتسرب أفكار الاستهتار والاحتقار والتقليل من شان الاخر ومن ثمة مشاعر الغضب، الحسد والرغبة في الاقصاء للآخر والهُم كلما ظهرت لديهم او فيهم المنافسة أو التفوق في بعض الأمور والخصال التي يفتقدها أصحاب الانا والنحن.

وعليه تتحول تلك المشاعر السلبية بمرور الزمن الى خطاب او سلوك عدواني ايذائي للآخر باعتبارها مصدر ازعاج وقلق وتهديد للآنا والنحن، وبالتالي تبدأ تنشأ النزاعات والحروب الاقصائية والتدميرية تحت غطاء الدفاع عن الذات او الدفاع عن الهوية او الدين او الآصل او القومية أو الجمهورية او لتماسك الاجتماعي وغير ذلك. كما حدث في الحروب الدينية بين المسيحيين والمسلمين، والحروب المذهبية في أوروبا بين البروتستانت الكاثوليك ولدى المسلمين بين الشيعة والسنة وغيرها من المذاهب، وفي الحروب التصفية العرقية في أمريكا وجنوب افريقيا بين البيض والسود او بين البيض والهنود الحمر، وفي الحروب الأيديولوجية كما حدث بين الشيوعية والرأسمالية في مختلف دول العالم وغيرها من الحروب الهوياتية التي حدثت في كل دول العالم وخاصة في الدول العربية والإسلامية. وكل هذا ينتج عن التفاعل بين الفرد وجماعته لتشكل ما سماه فرويد الأنا المثالية، وهو ما نراه في التيارات والايديولوجيات القومية، الدينية، المذهبية، والعرقية والسياسية لفي مختلف دول العالم مثل: (شعب الله المختار لدى اليهود، او تفوق الجنس الآرى لدى النازية، أو تفوق العرق البيض لدى الفكر الاستعماري والامبريالي الغربي أو خير أمة لدى المسلمين ...غيرها.). وجذور هذا الانتفاخ للآنا الفردي او الجمعي هو سيطرة فكرة أنا او النحن خير منه او منهم.

جذور التعصب والكراهية ورفض الآخر.

إن أصل التعصب للذات ورفض الاخر لم يكن وليد اليوم ولم يظهر في المجتمعات المعاصرة او القديمة. انه يعود جذوره الى بداية الخلق. فقد **بدأت** قصة رفض الآخر مع ابليس عندما حاوره الله سبحانه وتعالى

وطلب منه السجود لآدم عليه السلام فرفض ذلك متكبرا على ذلك مدعيا انه هو خير له خلق من نار وآدم خلق من طين. بمعنى أن معيار الخيرية هو أصل الخلق كما في قوله تعالى: " وقال يا إبليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي، استكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (سورة: ص 75 و76).

فالخيرية هنا مبنية على أصل الخلق. أنا خلق من نار وهو خلق من طين. وكان النار أفضل من الطين. كما نجد معيار الخيرية لدى البعض مبني على أساس العرق، او الدين او المنطقة الجغرافية [(المدينة والريف) دول الشمال ودول الجنوب] او الأيديولوجية، او الحزب، او الجماعة والتنظيم او الفئة او الطبقة الاجتماعية..... فكل امة او جماعة او فئة تدعي لنفسها الأفضلية والخيرية والتفوق على غيرها.

الجذور النفسية للتعصب والكراهية للآخر: هناك عدة أسباب وعامل تساهم كثيرا في تغذية الاتجاهات التعصبية والكراهية مع الرفض للاختلاف والتنوع من أهمها:

انتفاخ الانا والنرجسية: حيث يتوهم الكثير من الناس أنهم يملكون خصائص، صفات او قدرات او ذكاء او مهارات خارقة لا يملكها غيرها لذلك يعتقدون انهم الاحسن والأفضل من كل الناس. وفي المقابل يستصغرون غيرهم ويحتقرونهم ويصفونهم بأقبح الاوصاف وينزلونهم أدني المراتب. ومن خلال ذلك تتسرب مشاعر الكراهية للآخر وفي بالتالي تتعاظم القناعات التعصبية بالاعتقاد انهم دائما على صواب وغيرهم دائما على خطأ..

. الغرور، التعالي والتكبر وهي الصفة التي تلازم عموما الانسان النرجسي، فتجعله يستعر نفسها انسان غير عادي، وأفضل من غيره. فما من شخص أصيب بالغرور بنفسه او جماعة او أمة انتابها الغرور بالذات الجمعية بانه أو انها الأفضل والاحسن والأخير بمعيار العرق، الدين، المذهب، الأيديولوجية، أو غيرها إلا وجعلت صاحبه يحتقر الآخرين، ويتهجم عليهم ويقلل من شأنهم، بل قد يعمل على ايذاءهم وابادتهم. وهو ما حدث بالنسبة لإبليس لما رفض السجود لآدم في قوله تعالى: " وقال يا إبليس

ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي، استكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (سورة: ص 75 و76).

ونفس الشيء وجدناه لدى الأيديولوجية الامبريالية الاستعمارية العالمية التي عملت على استعباد الشعوب الفقيرة وتدميرها وايذائها بل اجراء التجارب العلمية والعسكرية عليها كما تجرى على الفئران. كما فعل الاستعمار الفرنسي ضد الجزائريين في منطقة رقان بوضع المساجين في منطقة التجارب النووية لمعرفة تأثيراتها على الانسان. وكذلك ما حدث من حروب اقصائية مدمرة وحروب باردة بين المعسكر الشرقي الشيوعي والمعسكر الغربي الليبرالي. يضف الى ذلك الحروب الدينية بين المسلمين والمسيحيين والحروب المذهبية في أوروبا التي ذهب ضحيتها ملايين البشر بين البروتيستانت الكاثوليك مثل الحرب المائة سنة بين الانجليز والفرنسيين، ولدى المسلمين بين السنة والشيعة. الى جانب الحروب القوميات في أوروبا والتي نتجت عنها الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ويتجلى في وقتنا المعاصر بين الجزائريين في الصراع الأيديولوجي بين من يسمون انفسهم بالتقدميين والعصرانيين من الأيديولوجيات الشيوعية والعلمانية اتجاه الرجعيين والمتخلفين من الإسلاميين والوطنيين. او العكس بخطب الكراهية المبني على التكفير والتفسيق من الإسلاميين ضد غيرهم او التخوين والعمالة ممن يسمون أنفسهم بالوطنيين ضد كل من يخالفهم او ينتقدهم او يختلف معهم في التفكير والخيارات والمقاربات والحلول لمشكلات المجتمع.

. الجذور المعرفية:

ان الكراهية والتعصب في الآصل قناعات وتصورات فكرية للأنا الفردي او الأنا الجماعي مصحوبة بمشاعر سلبية عدائية اتجاه الاخر. لذلك أهم ما يميز الجانب المعرفي للتعصب هو:

. اعتقاد الشخص او الجماعة او المنظمة المتعصبة بامتلاكها للحقيقة المطلقة مما يجعلها تستهتر بالاخر وتقلل من شانها او تتهجم عليها بأقبح الأوصاف كالتخلف الرجعية، البدائية، الغباء والهمجية وغيرها من الاوصاف. وهو ما تجسد في ممارسات الاستعمار الفرنسي ضد الجزائريين من خلال تصنيفهم كموطنين من الدرجة الثانية او الأهالي les indigènes

باعتبارهم سكان أقل أهمية وأقل شانا من الأوروبيين. ولذلك يعاملون معاملة تمييزية. حيث الاحتقار وعدم تلبية الحقوق الآدمية غلا بالقدر الذي يضمن استمرار الحياة فقط.

. الاعتقاد بالذكاء والموهبة والتفوق العقلي لجنس او عرق على حساب باقي الاعراق: وهو ما تسوقه بعض النظريات المعرفية لا سيما النظرية الفروقات العرقية، التي تقر بان الأعراق تتمايز فيما بينها " بمؤشرات تشريحية هرمية تراتبية وانتماء مناطقي. أين يعتقد أصحاب هذا الرأي ان الأعراق مجتمعات أصلية تتباين على قاعدة وجود او انتفاء محددات بجينية بعينها. (بريك، 2010). حيث يتجلى ذلك في مظاهر العنصرية وخطاب الكراهية الذي مارسه البيض ضد السود في أمريكا وجنوب افريقيا، ومن الغرب ضد بقية الشعوب فيما سماها هننغتن في كتابه صدام الحضارات بدول المركز ودول الهامش.

. **أن** الكثير من الناس لا يتحملون الاختلاف والتنوع نتيجة شدة الانغلاق على الذات والتمركز حولها: ويتجلى ذلك كثيرا لدى المتدينين من مختلف الديانات السماوية والأرضية التي يعتقد أصحابها ان فهمهم ونظرتهم وتصوراتهم للمفاهيم الدينية وللحياة هي الصحيحة والوحيدة التي يجب المحافظة عليها ومحاربة بل التخلص واقصاء كل من يقول عكس ذلك او يطرحا أفكار أخرى مختلفة. ويتجسد أكثر في التزمت المذهبي بين المسلمين واعتماد كل دولة لمذهب معين ورفضها للمذاهب الأخرى بدعوى الخوف على عقيدة المجتمع والحفاظ على الانسجام الاجتماعي وغيرها من التبريرات التي تبطن في داخلها التعصب والرفض للآخر ولكل اجتهاد او فهم جديد او مختلف عما هو مألوف. وهو ما ساهم في ظوهر التطرف والإرهاب وفكر التكفير والتفسيق والاتهام بالضلال والانحراف عن الدين لكل من يفهم بطريقة جديدة.

الجذور الاجتماعية لخطاب الكراهية: تتشكل شخصية الفرد ونظامه الفكري داخل الآسرة والمجتمع عبر عمليات التنشئة الاجتماعية من خلال نقل أنماط وقوالب فكرية جاهزة سلبية او إيجابية اتجاه الآخرين، فتتوارث الأجيال الناشئة أفرادا وجماعات تصنيفات خاصة بالإدراك الجمعي للأشخاص، الجماعات، الأشياء، الأفكار والهيئات وحتى الدول. وعليه تنمو مفاهيم جديدة داخل الجماعات البشرية كمفهوم الانتماء والولاء للنحن فقد يكون قبلي وعشائري، ديني او مذهبي،

عائلي، ايديولوجي وسياسي او جغرافي. مما يغذي الاتجاهات التعصبية والتي تتسرب منها خطابات الكراهية لكل ما لا يشابه الفرد او الجماعات لتي يتنمون اليها.

الجذور السياسية والاقتصادية لخطاب الكراهية: ينمو خطاب الكراهية كثيرا في المجتمعات التي يسود فيها الاستبداد، الظلم، الاقصاء والتهميش لشرائح اجتماعية، ثقافية وسياسية او اثنية او جغرافية معينة لاعتبارات لها علاقة باحتكار السلطة والثروة وغياب القانون والعدالة. حيث يظهر التعصب والتطرف والعنف وحتى الارهاب كوسيلة للتعبير ع الذات والرفض للآخر بل التفكير في تدمير واقصاء الآخر.

مظاهر خطاب الكراهية في المجتمع الجزائري:

تتجلى مظاهر التعصب وخطاب الكراهية لدى الجزائريين في عدة اشكال نحاول رصد بعض منها من خلال الكتابات الصحفية، والتعليقات والمنشورات عبر شبكات التواصل الاجتماعي ومن خلال بعض المقولات والقصص الشعبية.

جغرافيا: تتجلى في الصور النمطية التي يتم تداولها بين الجزائريين حول سكان الريف والمدينة من خلال تلك المقولات التي يتداولها الجزائريون فيما بينهم لا سيما: مقولات مثل : "البري" المتداول لدى سكان المدن بالشرق الجزائري لتوصيف سكان الأرياف والقرى كنوع من الاحتقار والاستهزاء بهم. و"الكافية les cavés" الذي يستعمله سكان العاصمة لكل الوافدين من خارجها أو ما يسميه سكان مدينة بجاية لوصف كل من هم خارج المدينة ب " إموحوشن Imouhouchens" وهي اوصاف استكبارية لمن هو في المدينة لاعتقاه انه متحضر وتقدمي ومن هم خارجها متخلفين وهمج للتقليل من شانهم.

يضاف الى ذلك بعض الاوصاف الأخرى التي يتم تداولها في ألسنة المثقفين والسياسيين مثل عقلية الجبل ، او العقلية البدوية وغيرها.

عرقيا: يتجلى هذا الخطاب في المفردات والاوصاف التحقيرية التي يتداولها الناطقون بالعربية ضد الناطقين بالأمازيغية او القبائلية والشاوية او الميزابية مثل "لغة الشناوة"، "الفرشيطة" أو الاتهامات بالخيانة كالزواف وغيرها من المفردات للازدراء والاحتقار والتقليل من شأنهم. وفي المقابل نجد بعض الناطقين بالقبائلية أو الشاوية او الميزابية يستهزؤون بالعرب مثل قولهم " العرب اخترعوا الصفر فقبوا فيه" العرب أهل الجاهلية" وغيرها من العبارات التي يتبادلها الجزائريون عن بعضهم البعض.

لغويا وثقافيا: نما خطاب الكراهية بين الجزائريين لغويا وثقافيا منذ العهد الاستعماري وامتد الى ما بعد الاستقلال. حيث ظهر خلال الحقبة الاستعماري على شكل نكت وقصص وروايات عن كل ما هو عربي(جزائري) مقابل كل ما هو أوروبي فرنسي او قاوري Gaouri بنعت كل ما هو قبيح، ضعيف، رديء للعرب وكل ما هو جميل للروميي او الفرنسيس ابتداء الثمار، الحشرات، الأحياء الأسواق وغيرها. ثم امتد ذلك بعد الاستقلال على شكل ايديولوجيات متصارعة تبادل خطاب الكراهية بين المفرنسين الذين يدعون انهم متحضرين ومتفوقين مقابل المعربين المتخلفين والمنغلقين، وبعدها ظهر في قالب آخر بين العامية الجزائرية والعربية الفصحى على شكل ايديولوجيات لغوية تتبادل الشتائم والسب والتهجم على الاخر لا لشيء إلا لاختلافات في الرؤى والفهم. كما ظهر في الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي وحتى بداية القرن العشرين بين الامازيغية والعربية.

أيديولوجيا: تجلى خطاب الكراهية في المجتمع الجزائري أيديولوجيا بعد الاستقلال الى يونا الحالي بين ما يسمون أنفسهم باليساريين مقابل الإسلاميين ثم العلمانيين، الوطنيين، البربريين او الديمقراطيين الذين يصفون أنفسهم بالتقدميين والعصرانيين مقابل وصفهم للتيارات المحافظة من الإسلاميين بالرجعيين، المتعصبين والمتخلفين. كما يصف هؤلاء الاخرين من سبقوهم بالفاسقين أو بأعداء ثوابت الامة، والمنحلين وغير ذلك من الاوصاف والخطابات التحقيرية او الاستهزائية بالاخر ..... وهكذا.

تاريخيا: ظهر خطاب الكراهية في بعده التاريخي من خلال توظيف الخلافات التاريخية بين قادة الثورة لتبادل التهم بالخيانة والعمالة بين ما يسمون بالمصاليين والمركزيين ثم بين قادة مناطق الثورة وبعدها بين النوفمبريين والصوماميين وتجلى ذلك كثيرا فيما حدث مذكرات المجاهدين وقادة الثورة الذين وظفوا إعلاميا في مناسبات سياسية لزرع الكراهية بين الجزائريين في مختلف مناطق الوطن بعصبية تاريخية وجهوية قيتة لحسابات سياسوية لا تخدم لا مصلحة الوطن ولا الشعب.

هذه مجرد عرض تحليلي موجز لبعض أبعاد خطاب الكراهية السائد بين الجزائريين والذي يحتاج الى دراسات معمقة بمقاربات معرفية مختلفة، أنثروبولوجية اجتماعية ونفسية وتاريخية للتعمق فيها وفهم المخيال الشعبي للآخر خاصة من خلال تحليل

الخطاب الشعبي، القصص الامثال المقولات الروايات، السكاتشات، الأغاني، التاريخ الثقافي بكل ابعاده مع تحليل محتوى الخطاب الإعلامي، السياسي ومنشورات الشباب والمثقفين عبر كل شبكات التواصل الاجتماعي. انما عرضناه هنا من باب الاستدلال لفهم أهمية التأسيس لثقافة الاختلاف وقبول الآخر من اجل تحصين المجتمع من كل اشكال التعصب والانحراف والتطرف او الإرهاب الفكري والاجرامي.

أهمية التسامح وثقافة الاختلاف وقبول الاخر للصحة النفسية والامن الاجتماعي:

ان قيم التسامح او ثقافة قبول الاختلاف يفترض ان تكون جزء لا يتجزأ من الخطاب اليومي الرسمي والشعبي عبر كل مؤسساته الثقافية التربوية والدينية لآنها تحق فوايد كثيرة للفرد على مستوى صحته النفسية والعقلية وللمجتمع في أمنه واستقراره وتماسكه، بل وتعايشه وتتجلى تلك الفوائد فيما يلي:

. أن ثقافة الاختلاف وقبول الآخر يعتبر حق من حقوق الانسان الذي نصت عليه كل المواثيق الدولية والاعلان العالمي لحقوق الانسان

. انها تساهم كثيرا في رفع قيمة وكرامة الانسان من خلال تعزيز حقه في الوجود بتميز.

. انها كثيرا ما تكرس مشاعر الامن النفسي والسعادة لدى الأفراد في حياتهم اليومية من خلال تلك الراحة والاطمئنان التي تدخلها في قلوب الناس في قبولهم نتيجة تقبلهم واحترامهم للتنوع والاختلاف باعتبارهما ثراء وثروة مجتمعية لا تضاهيها ثروة أخرى. أي أن ثقافة الاختلاف وقبول الاخر تعتبر أحد مقومات الصحة النفسية ومؤشراتها على مستوى الفرد والمجتمع معا. كما يشير الى ذلك (Beliki ;K et al,2004 و عبد العال ومظلوم في ان :" التسامح يساهم في بناء بيئة آمنة وانهاء العدائية بين الأفراد بعضهم البعض، ويزيد من رفاهية لمتسامح بتدعيم الرغبة لديه في الايثار بهدف تدعيم الآمن والسلام والبعد عن الخصومة والمجافاة بينه وبين من أساء اليه".

. انها تساهم في ترسيخ قناعات فكرية ومشاعر إيجابية لدى الناس بكون الاختلاف والتنوع أحد أهم قوانين الطبيعة وآية من آيات الله في خلقه. فلا أحد من الناس اختار لنفسه أبواه ولا عرقه ولا بلده ولا دينه ولا موقعه الجغرافي.

. انها تفيد في تحصين الفرد والمجتمع من كل مشاعر الكراهية اتجاه الاخر المختلف والمتميز، وبالتالي تحصينها من كل أشكل العنف والاجرام والنزاعات المسلحة.

. انها تفيد في تنمية قناعات فكرية بحق الآخرين في التعبير عن هويتهم وكيانهم بكل الأشكال والوسائل دون اكراه ولا قيود او شروط مسبقة.

. انها تساهم في تغذية تماسك المجتمع والسلم الاجتماعي داخل الدولة الواحدة، كما تعزز السلام العالمي بين الدول والمجتمعات المتباعدة.

. انها تساهم في توطيد علاقات إيجابية كالتعاون والتضامن بين مختلف مكونات المجتمع الواحد وبين المجتمعات المتباعدة خلال الشدائد والمحن كالكوارث الطبيعية والاوبئة والجوائح لا سيما جائحة كوفيد 19 أنموذجا.

التأسيس لثقافة الاختلاف وقبول الآخر:

يبدأ التأسيس لثقافة الاختلاف وقبول الآخر من فهم طبيعة التنوع والتعدد على مستوى الطبيعية المادية والطبيعة البشرية، ومن خلال ذلك فهم لماذا يختلف الناس عن بعضهم البعض في التفكير والفهم والاستعدادات والميول والاهتمامات..

الأساس الأول:

أ. الاقتناع بالتنوع والتعدد كقانون في الطبيعة الكونية والبشرية:

المعروف في قوانين الطبيعة ان الوجود والكون خلق متنوعا ومتعددا في كل شيء: في الكواكب، الجبال، الانهار، النباتات، الحيوانات، المعادن، الألوان، الاذواق، الفواكه، الحشرات حيث من كل صنف أنواع مختلفة. كل ذلك يعتبر تنوعا بيولوجيا في الحياة. وكذلك بالنسبة للتنوع البشري، حيث نجد تنوع في الأعراق، الألوان، الاشكال، والتي تتنوع من خلالها المجموعات البشرية حسب اللغات، العادات والتقاليد، الثقافات والاديان والفلسفات. حيث نجد أن إرادة الله تعالى في خلقه اقتضت وجود التنوع والتعدد في كل شيء مما يتطلب الانفتاح على الاخرين بدل الانغلاق والانطواء أو التعصب للهوية الذاتية او الجماعية. ومن بين أشكال التنوع والتعدد الذي ذكر في القرآن الكريم ونسلم به كمسلمين ما يأتي:

1- التنوع الجنسي : في قوله تعالى:(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الذاريات/ 49

2- التنوع القومي والإجتماعي: في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات:13.

3- التنوع اللغوي والعرقي : والتي تتجلى في وله تعالى : (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم :22.

4- التنوع الديني : والذي يظهر في قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله على كل شئ شهيد) الحج : 17.

وفي قوله تعالى: "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد..... لكم دينكم ولي ديني"(الكافرون/6/1).

وقال تعالى:" ولو شاء الله لجعل الناس امة واحدة"(هود 118) .

فالقرآن الكريم على لسان ربنا عز وجل حدد طبيعة الحياة وجعل من التنوع والتعدد آية ورحمة للعالمين وليس للعرب والمسلمين فقط. لكن عقول بعض العرب والمسلمين المصابين بالنرجسية الخيرية تريد ان تجعل عقولها المحدودة الأفق وقلوبها الضيقة ونفوسها المريضة بالحساسية اتجاه الآخر هي المرجع في فهم الحياة والدين، حتى أصبحت تستثمر في هذا التنوع ليس لتطوير ثقافة التعايش والتعاون بل تغذية الكراهية والبغضاء بين الناس ضد كل من يختلف معهم .

إن إرادة الله تقول وتؤكد في قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلكم شعوبا وقبائل **لتعارفوا**" . لكن عقول بعض البشر المرضى بنرجسياتهم والمهوسين بحساسياتهم وحساباتهم المصلحية والسياسية يسوقون عكس ذلك للناس محرضين اياهم **ليتعاركوا.**

وفي هذا الإطار يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي وفي كتابه مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي: "أن العالم الاسلامي مازال يعيش في مرحلة ما قبل الاجتماعية" (يعني مرحلة التمركز حول الذات) وهي مرحلة الطفولة الأولى التي لا يرى ولا يدرك فيها الطفل إلا عالمه الخاص.

الأساس الثاني:

ب . ضرورة فهم لماذا يختلف الناس في التفكير المشاعر والتصرفات؟

لفهم لماذا يختلف الناس فيما بينهم يجدر بنا محاولة فهم البنية الفكرية والمعرفية للإنسان وكيفي تتشكل. فالمعروف في دراسات علم النفس المعرفي ان التفكير الإنساني باعتباره عملية تنشيط للعقل من خلال عمليات التفاعل بين العناصر

الذاتية والعناصر الخارجية. حيث يعتبر سلوكا ناميا، تطوريا وهادفا بحيث يتغير كما وكيف تبعا لنمو الفرد وتراكم خبراته ومعارفه وتجاربه المختلفة. يتشكل التفكير من تداخل العناصر البيئية التي يجري فيها التفكير والموقف والخبرة التي يملكها الفرد عنها. كما ان التفكير الانساني نسبي ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان يصل إلى درجة الكمال مهما بلغت درجة ذكاء الانسان. (العتوم، 2012).

العوامل المؤثرة في تصميم التفكير الإنساني:

يتشكل التفكير الإنساني من عدة عوامل بعضها بيولوجي وذاتي وبعضها الاخر خارجي اجتماعي وثقافي. ومن أهم العوامل ما يأتي:

1 . البناء الجسمي أو التركيب الفيزيولوجي: فكل فرد يختلف عن غيره في الحواس والطاقة الجسمية وصحته العامة و في نشاط الأعضاء وسلامته.

2. البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الفرد: فسكان المناطق الجبلية أو الريفية تختلف تصوراتهم وأفكارهم حول العالم عن سكان المناطق الحضرية. كما يختلف الأفراد بسب انتماءاته وطبقاتهم وأدوارهم الاجتماعية

وبسبب الجنس والسن وطبيعة الأصدقاء والزملاء والجيران .....وغيرهم. وبما ان البيئة لمادية تختلف من منطقة إلى أخرى فمن الطبيعي ان تتولد طرف تفاعل واستجابات سلوكية مختلفة طبقا لذلك وهو ما يفسر اختلاف العادات والتقاليد وطرف التفكير بين الناس من منطقة جغرافية لأخرى. وهو ما يشير اليه حنا Héna في كتابه قبول الاخر: "أن الطبيعة والمناخ تؤثران في التركيبة النفسية للجماعات الإنسانية. حيث سكان الوديان والحضارات الزراعية أميل الى الهدوء النفسي ولتعاون بين الاهل والجيران والاطمئنان للآخر، بينما الصحراء وامتداداتها اللانهائي يدفع لانطلاق الخيال والخوف من الغريب القادم من بعيد..." (حنا، 1998).

3 . الحاجات والرغبات الفردية: فكل فرد يرغب في شيء يختلف عما يرغب فيه الآخرين ويميل إلى أشياء قد تبدو للغير أنها غير مهمة أو تافهة.

4. خبرات الفرد وتجاربه الماضية أو التاريخ النفسي له: الجميع يسلم بأن كل فرد يمر على تجارب حياتية قد لا تصادف أي شخص آخر، ويعيش مشاكل وصعوبات تختلف من حيث النوعية والدرجة عما يمكن أن يعيشه أفراد آخرون، لذلك من

الطبيعي والمنطقي ان تختلف امزجة الأشخاص وطرق تفكيرهم تصوراتهم وعواطفهم عن بعضه البعض اتجاها قضايا، احداث، أشياء وجماعات معينة.

طبيعة الإدراك المعرفي للفرد (خصائص عملية إدراك الإنسان للعالم المحيط به):

هناك مجموعة من الخصائص التي يتصف بها عقل الإنسان في إدراكه للأشياء والأشخاص ومنها:

1 . أن الإدراك يتم بصورة كلية منظمة، يعني إدراكه للأشياء والأشخاص مترابط ومنظم وليس مجزأ وبعثر.

كإدراكنا للسبورة، أو السيارة او العمارة او غير ذلك يتم بشكل كلي ثم يأتي بعد ذلك تفاصيلها يعني مكوناتها الجزئية (فيها أجزاء من حديد وأجزاء من خشب وهكذا ....). كلما دخلنا في التفاصيل كلما ظهرت الاختلافات بين الانسان لأنها ترتبط

2 . أن هناك أشياء معينة من بين الكثير من الأشياء المحيطة بالفرد هي التي تدخل عالمه المعرفي (يعني التي تلفت انتباهه) فقد يشاهد شخص ما حادثة معينة أو جريمة ما فنجده يتذكر أشياء لفتت انتباهه أكثر من الأشياء الأخرى وشخص آخر قد يكون إدراكه لأشياء عكس الأول .....

3 . أن خصائص معينة من بين الخصائص الكثيرة للأشياء أو الأشخاص هي التي تدخل ضمن عالمه المعرفي (يعني أننا ندرك ونتذكر بعض الخصائص التي تثير اهتمامنا وتلفت انتباهنا أكثر من الخصائص والصفات الأخرى للأشياء والأشخاص المحيطين بنا .... وهذا النظام المعرفي يتكون من مختلف العمليات العقلية تتم بطريقة ذاتية وبأسلوب شخصي بحت.

وتفيد هذ الخصائص الادراكية للفرد في فهم طبيعة الاختلاف بين شهادات الأفراد لواقعة أو حادثة معينة، حيث أن كل شخص يعطي روايته الخاصة وفق انطباعه ودرجة تأثره وطبيعة المثيرات التي لفتت انتباهه أكثر من الأخرى.

. العوامل المؤثرة في المكونات المعرفية للفرد:

لفهم كيف تتكون معارف الفرد والعوامل المساهمة فيها، هناك مجموعتان من العوامل تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر، وتتمثل فيما يأتي:

1. العوامل الموضوعية:

1 . عامل المثير: ويسمى أيضا العامل الموضوعي الذي يرتبط بخصائص مثيرات العالم الخارجي من حيث الشدة والبروز أو الكثرة والتي تلفت انتباه الفرد أكثر من الأخرى. وتتمثل في : (كحلة، 2012، صفحة 105)

أ . **التباين (أو البروز):** يعني أن الشيء الملفت للانتباه والبارز يدرك بسرعة ويثبت في ذاكرة الفرد أكثر من الشيء غير البارز أو العابر. **مثل: البقعة السوداء في أرضية بيضاء أو كالشمعة في وسط الظلام أو ضوء السيارة في جنح الليل.**

ب . **الحدة أو الشدة:** يعني أن كلما كان الشيء حادا أو شديدا كلما لفت الانتباه واسترعى اهتمام الفرد بدرجة أكبر من غيرها. **كدوي انفجار مفاجئ أو ضجيج السيارات خارج البيت أو المدرسة يلفت الانتباه ويثبت في ذاكرة الإنسان أكثر من أصوات الآلات أو الشاحنات أو غيرها .**

ج . **التكرار:** يعني كلما تكرر الشيء أمام الإنسان كلما زاد ثباته في ذهن الفرد واستوعبه مثل ما يستعمل في **في شعارات الدعاية السياسية أو الإشهار.**

د . **الكثرة والتعدد:** ويقصد به تجمعات أو كثرة الأشخاص أو الأشياء في مكان ما تثير الانتباه وتستثير اهتمام الفرد أكثر من انفرادها. مثل ازدحام السيارات أو تجمع أشخاص في زاوية أو في فناء البيت تستثير فضول الناس واهتمامهم أكثر من انفرادها بالنسبة للسيارات أو انفرادهم بالنسبة للأشخاص.

هـ . **الحركة والتغير: إن** الأشياء المتحركة والمتغيرة تلفت الانتباه أكثر من الثابتة، لذلك تستعمل هذه القاعدة الادراكية في إشارات المرور لوحات الإعلانات ذات الأضواء المتحركة. حتى تلفت الانتباه وتثبت محتوياتها لدى الأفراد. والشخص الذي يتحرك كثيرا يلفت الانتباه أكثر من الذي يتحرك قليلا.

وتستعمل مثل هذه القواعد في نشر الأفكار والدعايات السياسية والثقافية والدينية، وبالنسبة للدرك الوطني يمكن استعمالها في نشر أفكار الوقاية من الحوادث والجرائم، ونشر أفكار الحس المدني وثقافة المواطنة. فكل هذه العوامل الموضوعية التي قد يسترك فيها كل الناس الا ان تفسيرها وفهمها وإعطاء تفاصيل عنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الذاتية. معنى ذلك ان عملية الفهم والتفسير ليست ميكانيكية او آلية كما قد يتصورها البعض. (كحلة، 2012),

2 . العوامل الشخصية (الذاتية): ويقصد بها الأمور المتعلق بذاتية الفرد وخصائصه النفسية وقدراته العقلية التي تختلف بين الأفراد ويتضمن عدة عوامل.

أ. سعة الإدراك: ويقصد بها أن كل الشخص يستطيع إدراك عدة أشياء في لحظة واحدة ومتوسط عدد الأشياء المدركة تختلف من فرد إلى آخر، وهو السبب الذي يفسر الاختلاف أو التناقض بين عدة أفراد عند الإدلاء بشهادة تتعلق برؤيتهم لموقف، جريمة أو حادث معين.

ب . الحساسية الانتقائية: ويقصد بها أن الخبرات السابقة التي تلقاها الفرد أو الأفراد تثير حساسية إدراكية وقتية مختلفة لديهم في بيئة معينة نحو بعض الأشياء أو الأشخاص أو الموضوعات. (كحلة، 2012). **مثل حساسية بعض الأفراد للحركات أو الجماعات الإسلامية، وحساسية أفراد هذه الجماعات أو الحركات لموضوعات الاشتراكية أو للتيارات اللائكية أو الشيوعية، نتيجة ذلك يكون التفاعل بينهم ضعيف جدا. وحساسية بعض الأفراد لأفراد آخرين من مناطق أخرى كسكان المدينة بالنسبة لسكان الريف وغيرها.**

وتفيد مثل هذه الأفكار في فهم بعض الحساسيات وجذور خطابات الكراهية اتجاه جماعات، او أشخاص او هيئات او منظمات.

ج . التهيؤ العقلي أو الحس الانتقائي :ويقصد به تأثر معارف و ادراكات الأفراد بميولهم واستعداداتهم ورغباتهم .بمعنى آخر أن هناك من الأفراد من يكونوا مهيئين لإدراك أشياء أو جوانب ترتبط أكثر بمجال عملهم أو تخصصهم أكثر من الأشياء الأخرى التي لا تدخل ضمن مجال اهتماماتهم وانشغالاتهم (العتوم، 2012، صفحة 117) مثل :**حينما يشاهد مجموعة من الأشخاص فليكونوا مثلا: فنانين ،خياطين ودركيين او رجال الأمن ومؤرخين لفيلم معين في التلفزيون فسنجدهم عندما يحكون لبعضهم البعض أن كل واحد منهم تسيطر على إدراكاته أو لفتت انتباهه الأشياء التي تدخل في مجال اختصاصه أكثر من الأشياء الأخرى** .ولذلك يختلف الأفراد في فهم وتفسير الكثير من الظواهر والأمور التي تحدث في المجتمع أو في الطبيعة.

د . التشويه الانتقائي او التحيزات الشخصية: ويقصد بها أن معارف الفرد وادراكه للأمور تتأثر بالحالة النفسية التي يكون عليها سواء كانت انفعالات (فرح،

قلق، خوف وغيرها..) ، حاجات مصالح أو رغبات .فكلها دوافع عندما تكون قوية تجعل ادراك الفرد للأشياء أو الموضوعات والمعارف مشوهة (الزغلول، د.س) **مثل :الخائف تحت تأثير الخوف أو المحب تحت تأثر الحب يكون ادراكه مشوها .كالإنسان الذي يحقق في جريمة له علاقة مباشرة بها فدرجة تأثره وانفعاله تجعل معارفه وادراكه للموقف مشوها عكس الذي ليست له علاقة أو محايد في القضية. وهو ما يؤثر سلبا على موضوعية التحقيق. وعلى عدالة الحكم.**

.**عوامل نمو معرفة الفرد:** بعدما تطرقنا إلي الكيفية التي يدرك بها الفرد العالم الخارجي وأثر ذلك على مواقفه وأحكامه سنبين في هذا المحور العوامل التي تساعد على نمو معارف لدى فرد بكيفية تختلف عن الفرد أو الأفراد الآخرين بحيث تجعله يفسر الأحداث والمثيرات ويستنتج حقائق ويتخذ مواقف بكيفية متميزة عن الآخرين وهي:

1 . **طريقة تنظيم المثيرات:** تنمو معارف الفرد وفقا للكيفية التي ينظم بها المثيرات والمدركات والربط بينها . فتتم عموما بسبب التجاور والتشابه سواء في الأشكال أو الأشياء المحسوسة أو في المبادئ والأفكار السياسية والمذهبية والدينية والاقتصادية، حيث التجاور الزماني والمكاني بين الأحداث أو تشابهها قد يؤدي إلى استنتاجات ومواقف متشابهة لدى الفرد.

2 . **الخبرة والتعلم: إن** الخبرة المعرفية والعلمية المكتسبة سابقا تؤثر كثرا في تفسير المعارف **وال**خبرات التي يكونها الفرد وفي كيفية تصنيفه للأشياء، حيث أن المتخصص في مجال معين يختلف إدراكه عن إدراك العامي للعلاقات والخصائص بين الأشياء والأحداث .... كالطبيب في إدراكه للأمراض مقارنة عن الفلاح أو الإنسان العامي.

3 . **الثقافة الاجتماعية السائدة:** تلعب الثقافة الاجتماعية بما تحويه من معتقدات وعادات وتقاليد، دورا كبيرا في تشكيل إدراكات ومعارف الفرد وتفسيراته لمختلف الأشياء والظواهر أو المواقف. فالنظرة إلي الموسيقى أو عمل المرأة في المجتمع الإسلامي تختلف عن المجتمعات الغربية. وينظر إليها سكان الريف بنظرة تختلف عن سكان المدن لاعتبارات ثقافية حتى في نمط اللباس والعادات الغذائية. لذلك ما

يعتبر ممنوع في بيئة قد يعتبر مباح في بيئة أخرى بسبب اختلاف المعايير الثقافية والاجتماعية.

4 . السبب والمسبب: وهي من القواعد الهامة في تنمية معارف وادراكات الفرد، حيث يتم الربط بين الأشياء والأحداث والمواقف ومسبباتها، وهذا الربط يستعين في غالب الحيان بمبدئي التجاور والتشابه: (العتوم، 2012، صفحة 114)

أ . التجاور وإدراك السبب والمسبب: يقول دنكر DUNKER 1945 في تحليله لعملية الادراك أن المجاورة قد تحدد إدراكنا للسببية، فإذا حدث لأمران في لحظة واحدة ولم يدرك الشخص الذي لاحظ وقوع الحدثين سببا لهذا التجاور المكاني والزماني في وقوعهما فقد يظن أن هناك علاقة سببية بينهما. يعني ان استنتاج الشخص قد يكون خاطئا. مثال إذا دخل رجل منزله وقبل أن يستدير لإغلاق بابه هبت ريح قوية فأوصدته في وجهه بشدة وفي نفس الوقت لاحظ النور قد أضئ في حجرة داخلية فقد يظن أن هناك علاقة سببية بين غلق الباب والضوء.

ويفيد هذا كثرا فهم الاختلافات بين الناس لتفسيرهم واستنتاجاتهم لبعض الموافق او الاحداث التي تمر عليهم حيث كثيرا ما يؤدي ذلك إما إلى استنتاجات صحيحة أو خاطئة.

ب . التشابه وإدراك السبب والمسبب: يقول هيدر 1944 أن اتهام فرد معين بفعل جريمة ما قد يكون مبنيا على أساس نظام السبب والمسبب ومبدأ التشابه (الذي يكون إما جسمي، أو خلقي أو تشابه الجريمة أخلاقيا وسلوكيا مع مبادئ ذلك الشخص). يعني أننا نربط الجريمة بشخص ما أو جماعة ما نتيجة تشابهها مع الأفكار التي يتبنونها أو مع تصرفاتهم المعروفة. (العتوم، 2012).

ج . تأثير الكل على الجزء: يعني أن إدراك الإنسان للأشياء كلي أكثر ما هو جزئي، حيث حينما يعرض له شكل أو أشكال متماثلة مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة غير لافتة للانتباه فإنه يدركها كلية ويصدر حكما على أنها متشابهة ولا يوجد أي اختلاف بينهما.

تعتبر أنظمتنا المعرفية عبارة عن تجميعات كلية لمعارف جزئية وهذا ما يفسر لنا أسباب التحيز والمحاباة في أحكامنا على الأفراد أو الأشياء من حولنا، كالأحكام والتصورات التي نصدرها أو نتبناها عن اليهود على انهم مصدر البلاء والشر أو

الأمريكان على انهم كلهم امبرياليين أو اليابانيين على أنهم أذكياء .....وهكذا بالنسبة لسكان الحي أو مناطق البلاد ...

يعني أن إدراكنا للأشياء ترجع إلى المبدأ الذي يقرر أن خواص الجزء محددة إلى حد ما بخواص الكل الذي ينتمي إليه ذلك الجزء.

د . الإطار المرجعي (الأحكام الاجتماعية أو قرارات وتقاليد الجماعة): يعني الإطار المرجعي المحك الذي تدرك به أو يحكم به على الأشياء. فالإدراك الاجتماعي يتم عن طريق الأحكام الاجتماعية أو المعايير والقيم الاجتماعية. كالحكم على الفرد حينما يمون في جماعة الأشرار، وحينما يكون في جماعة الأخيار. والأحكام على الجماعات السياسية والثقافية وحينما تكون في السلطة أو خارجها.

هـ. فهم العوامل الشخصية التي تؤثر في التغير المعرفي للفرد:

1 . القدرة الذكائية والتغير المعرفي: من الحقائق المؤكدة في دراسات علم النفس الاجتماعي أن سهولة التغير المعرفي أو صعوبته تعكس إلى حد ما القدرة الذكائية للفرد، فمن ناحية يعتبر الشخص الأكثر ذكاء أقدر على العمل المعرفي وعلى إعادة تنظيم عالمه المعرفي، وعلى تجميع وتفسير الحقائق المعلومات الجديدة، وهذا يعني سهولة التغير المعرفي.

ومن ناحية أخرى يعتبر الأشخاص الأقل ذكاء أكثر تقبلا للحقائق اللفظية من غير تمحيص دقيق، فهم يغيرون آرائهم ومعتقداتهم بسذاجة وسهولة.

2 . مدى تقبل الغموض وكيفية مواجهة التناقض: يقول برونكسويك (1949) أن بعض الناس يجدون صعوبة في التعامل مع الغموض المعرفي، وهؤلاء يميلون إلى التقسيم الثنائي في نظرتهم إلى الأشخاص والأشياء، بحيث يرونها إما خير أو شر إما حق وإما باطل، هذا النوع من الناس موجود في مجتمعنا، حيث ينظرون إلى الأمور بعقلية يجوز أو لا يجوز، إما معي أو ضدي وغيرها.

وهناك نوع آخر من الناس يتميزون بالتفكير المحدد، يرفضون التعامل مع الأشياء الغامضة، يريدون ان تكون الأمور دائما واضحة ومؤكدة. كعقلية بعض المواطنين الذين يرفضون مثلا بعض المواقف السياسية المعتدلة والتصريحات التوفيقية اتجاه القضايا الاقتصادية أو السياسية، فيتجاوبون أكثر مع المواقف

والتصريحات الصريحة والراديكالية وهؤلاء عموما من عامة الناس ومتوسطي الذكاء.

3 . طرق مواجهة العقبات والتغير المعرفي: نتيجة للتكوين البيولوجي والعوامل الوراثية المختلفة وللخبرات الماضية وللبيئة والتربية القاعدية يتكون لدى الفرد نمطا سلوكيا معينا في مواجهة العوائق والمشكلات التي تواجهه في حياته، حيث هناك من يتبع الأسلوب العدواني، وهناك من يتبع الأسلوب الانسحابي، كما أن هناك من يتبع الأسلوب الموضوعي الواقعي . وكل من هؤلاء تتجسد سلوكياته وردود أفعاله بكيفية متميزة بسبب العوامل السالفة الذكر.

كل هذه العوامل تبين لنا أهمية فهم أسباب وعوامل الاختلاف والتباين في طريقة التفكير والمعالجة للمعلومات حول بعض القضايا المواقف الحياتية بين الناس جميعا.

فلكل فرد عالمه المعرفي الخاص به، والذي يشتمل على . وجهة نظره عن الأشياء والأشخاص، تصنيفاته المختلفة لكل منهما وتقييماته ومواقفه المسبقة اتجاه كل منهما. كما ان لكل مجموعة بشرية أفكار تصورات ومشاعر خاصة تتولد في ظروف زمانية ومكانية خاصة اتجاه الأشياء والأشخاص والحياة. فمن الطبيعي اذن أن " تختلف المشاعر الإنسانية باختلاف الزمان، فما كان قائما منذ قرون وفي العصور الوسطى يختلف كثيرا عما هو عليه الان وفي كل منطقة وإقليم أي وفق المكان تتولد أحاسيس جماعية نتيجة عوامل جماعية... (حنا، 1998، صفحة 21).

ضرورة فهم لماذا نخطئ في إدراك الآخرين على حقيقتهم؟

ألى جانب كل ما سبق علينا أيضا بفهم لماذا يخطئ الكثير من الناس في ادراك الاخرين على حقيقتهم. فالامر هنا يرتبط كثيرا بتأثير العوامل الذاتية. لا سيما:

1 . لأننا نميل إلى وصف العالم المعرفي للآخر حسب ادراكنا نحن أو من وجهة نظرنا الخاصة وليس كما يرى الآخر نفسه.

2 . أننا نخطئ في الاستنتاجات التي نقوم بها على اثر ملاحظاتنا للأحداث والوقائع من حولنا في حدود المعلومات التي نملكها.

3. لأننا معجبون دائما بتصوراتنا للعالم على أنه التصور الوحيد الممكن، وان وجهة نظرنا هي وجهة النظر الحقيقية.

.وانه على الآخرين أن يروا ويدركوا العالم كما ندركه نحن.

فعندما نفهم طبيعة الانسان وطبيعة الاختلافات ومصادرها نستطيع التأسيس لثقافة قبول الاختلاف باعتماد مجموعة من المبادئ على مستوى كل مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية لا سيما:

مبادئ ثقافة الاختلاف وقبول الاخر:

1. مبدأ التعايش والتعاون بين مختلف مكونات المجتمع، ومحاربة ثقافة الاقصاء والتهميش بكل أشكالها. عملا بقوله تعالى: **" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليكم خبير" (الحجرات،13).**

2. مبدأ التعدد والتنوع في الفهم لأمور الدين والحياة عملا بقوله تعالى: **" قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (الكهف 109).**

3. مبدأ عدم تزكية النفس بمختلف الادعاءات المثالية. عملا يقوله تعالى: **"ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى" (النجم،36).**

4. مبدأ حق الحياة للجميع، فالحياة لا تضيق بأحد: فليس من حق أي انسان الادعاء ان له الحق في احتكار الحياة باستعمال القوة والقهر لتدمير غيره الذي يختلف عنه.

5. مبدأ رأي صحيح يحتمل الخطأ ورأي الآخر خاطئ ويحتمل الصواب.

6. مبدأ الحوار والجدال بالحسنى وبالحجة والدليل كأساليب للإقناع لمراجعة الأفكار والآراء فيما بين الناس لوصول الى قواسم مشتركة.

كيفية تجسيد ثقافة الاختلاف وقبول الاخر؟

وتتجسد هذه المبادئ والقيم عبر عمليات التنشئة والتربية والتوجيه الاجتماعية المختلفة. تتبناها الدولة كاستراتيجية وسياسة في نفس الوقت عن طريق:

.البرامج التربوية في كل المدارس والجامعات.

. الحصص التلفزيونية والاذاعية المحلية والوطنية ينشطها مثقفون وجامعيون وباحثون.

. النشاطات الثقافية المتنوعة عبر كل مناطق الوطن: من خلال الأناشيد والاغاني، الشعر . القصص والروايات . الدراما والأفلام الوثائقية . المسرح والسكاتشات . الرسم والكاريكاتير. المهرجانات والقوافل الثقافية المتنوعة والمتنلقة عبر الولايات ومن خلال عقد شراكة أو توأمة بين الجمعيات والمنظمات والبلديات والهيئات، المسابقات والاعمال الثقافية المشتركة بين مختلف المناطق. . الدورات الرياضية. . الاعمال التطوعية والخيرية.

. الدورات التدريبية والتكوينية للشباب والناشطين في العمل الجمعوي والسياسي والإعلامي على مستوى دور الشباب والمراكز الثقافية والجمعيات.

. الإعلانات واللافتات والمطويات والأدلة التوجيهية.

. توظيف شبكات التواصل الاجتماعي عن طريق فتح منتديات، مواقع وصفحات للحوار والنقاش والتعارف تبادل الخبرات والتجارب بين مختلف شرائح المجتمع.

الخاتمة:

ان نشر ثقافة الاختلاف وقبول الآخر أصبح خيارا استراتيجيا على مستوى الوطني والدولي لآنه المدخل النفسي المعرفي الأساسي لمحاربة كل أشكال التعصب والتطرف والإرهاب والاقصاء للآخر. ذلك انها تكرس قيم جديدة مبنية على الانفتاح على الاخر والاعتراف بحقه في الوجود والتعبير بكل الأشكال والأساليب التي تميزه. غير ان ذلك لا يتحقق بمجرد تنظيم دروات تدريبية او برامج ارشادية طارئة بل يتحقق ضمن تصور شامل لمشروع المجتمع وتتبناه كل مؤسساته في اطار خطط تنموية مدروسة وهادفة تسعى الى الرقى بمستوى تكوين وتفكير الفرد والمجتمع معا.

علما اننا مجتمعات متدينة بالإسلام نملك قاعدة بيانات معرفية واتجاهات عاطفية إيجابية ستساهم كثيرا في نشر قيم التسامح وقبول الاختلاف والتنوع بين كل البشر استنادا الى نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تعزز تلك التصورات والاتجاهات الداعية الى التعارف ولتعاون والتضامن الإنساني عملا بقوله تعالى لرسوله الكريم (ص): "وما أرسلناك الا رحمة للعالمين"(الأنبياء 107). وبذلك نكون قد وضعنا البشرية في الطريق الذي يوصلها الى الامن والسلم الاجتماعي والسلام العالمي.

المراجع:

Baron, R., Byrne, D., & & Johnson, B. (1998). *Exploring Social Psychology* (Vol. 127). (4. ed, Éd.) Boston: Allyn & Bacon.

Brewer, M. &. (1985). The Psychology of Intergroup Attitudes and Behavior". *Ann. Rev. Psychol*(36), 219-243.

Larousse. (2022, Janvier 20). *Larousse* . Récupéré sur Dictionaire de Fraiçais Larousse : https://www.larousse.fr

Michael, E. (2013). *The Strength of Self-Acceptance Theory practice & research.* Springer.

الزغلول, ر. ا) .د.س .(*علم النفس المعرفي* . دار الشروق.

العتوم, ع. ي .(2012) .*علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق* .عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر.

الهواري, ش .(2017). خطاب الكراهية في الشرعية الدولية .*المركز الديمقراطي العربي* .1 , Récupéré sur https://democraticac.de/

اليونسكو .(2015) .*مكافحة خطاب الكراهية في الانترنت* .باريس: اصدارات مكتب اليونسكون باللغة العربية.

آمال زكرياء, ا ,2016) .أفريل .(تقبل الذات وعلاقته بكل من تقل الاخرين وأساليب التعلق لدى طلبة الجامعات .*مجلة العلوم التربوية*.65 - 2 pp. ,

بريك, ص .(2010) .*الكره او التسامح مع الاخر ـ منظور نفسي ـ اجتماعي* . دمشق: خطوات للنشر والتوزيع.

بكر, أ. ص .(2017) .برنامج مقترح من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتنمية التسامح الاجتماعي للمراهقين .*الجمعية المصرية للاخصائيين الاجتماعيين* ,(57)*03* , pp. 383- 442.

حنا, م .(1998) .*قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة* .Vol)الطبعة الأولى .(دار الشروق.

كحلة, أ. ح .(2012) .*علم النفس العصبي* .مكتبة الانجول مصرية.

كيشار, و. ا ,2019) .ماي 25 .(فعالية برنامج تدريبي قائم علي التسامح في الوقاية من الارهاب الفكري لدى طلاب جامعة الطائف .*المجلة التربوية*.272 -240 .pp ,

محمود., ر. م). .(2013) .التحديات التي تواجه تحقيق التسامح الديني بين الشباب الجامعي) .ج. حلوان (.Éd ,*الخدمة الاجتماعية وتطوير العشوائيات* ,د.م.(12)

يونس, ا. م .(2013) .الدراما التلفزيونية ودورها في الدعوة الى التسامح والتعايش السلمي .*مجلة الدراسات التاريخية والحضارية* .p ,(17)*05* ,د. ص.

تدفق خطاب الكراهية عبر الوسائط الاتصالية الرقمية وتفاقم مخاطرها على الأمن الثقافي للمجتمعات النامية

أ.د.حجام الجمعي

جامعة أم البواقي

ملخص:

تبحث هذه المداخلة، في تمظهرات تدفق خطابات الكراهية عبر مختلف الوسائط والفضاءات الاتصالية الرقمية، بالتركيز على شبكة الفايسبوك، مع رصد مختلف الأشكال والأساليب الاستعراضية التي تمارس من خلالها الكراهية في بيئة الاتصال الرقمية بالتركيز على الكراهية التي يمارسها مستخدمو شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك، وذلك بتحليل كيفي لمحتويات بعض الصفحات الكبرى، وكذا تحليل البنى النصية المتفاعلة مع خطابات الكراهية المتداولة عبرها .

كما تبحث المداخلة في خلفيات تسارع تدفقات خطابات الكراهية، وتفاقم تداعياتها وانعكاساتها على الأمن الثقافي للمجتمعات الانتقالية والنامية، بالإشارة للحالة الجزائرية. فلقد فاقمت الأنترنت بمختلف فضاءات التعبيرية، سيما عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ومختلف المنصات الرقمية ظاهرة خطاب الكراهية، وسمحت بالتصنيع التشاركي، والتداول المكثف واللامحدود، لهذه الظاهرة القديمة والمتجددة ونقلتها من أطرها الضيقة والمحدودة، لممارستها في فضاءات اتصالية مرئية مفتوحة، وبأشكال استعراضية. وستطرح المداخلة ضمن أفق الحلول مجموعة من الأفكار والاستراتيجيات لكبح هذه الظاهرة الوبائية، والتصدي لمخاطرها عبر بناء الوعي النقدي الفردي والجماعي، الذي يسمح ببناء العقل التعارفي المؤسس لثقافة التسامح ونشر قيم العيش المشترك ضمن الأفق الإنساني .

مقدمة :

ساهمت الثورات الاتصالية بأجيالها المتعاقبة، في توليد ما يسميه الفيلسوف الألماني "هارتموت روزا" أزمنة التسارع وأنتج هذا التسارع بأبعاده التقنية والاجتماعية ووتيرة الحياة ككل ؛ تحولا عميقا في مختلف مظاهر الحياة المعاصرة بسبب ضيق فضاء العيش . وانكماش الحاضر وانخفاض الوقت وندرته. ولاشك أن هذا التحول التكنواتصالي المتسارع ، وتمظهرات البيئة الاتصالية الرقمية بوسائطها المتعددة، وأفضيتها الافتراضية، كانت لها تأثيرات عميقة ، في بلورة أشكال وممارسات اتصالية دائمة التجديد، سواء في الاستخدام أو التلقي، للمحتويات وتطبيقات شبكات التواصل الاجتماعي ومخرجاتها.

فالمحتويات الرقمية، التي أصبحت تتدفق بسلاسة وبسرعة وآنية لاتزامنية، فاقمت من حدة القلق الفردي والجماعي، وانحرفت عن مساراتها ويتم استخدامها بممارسات سلبية، وأحيانا عدائية مشحونة بالكراهية اتجاه الآخر، سواء كان أفرادا أو جماعات أو هيئات أو أفكار ومعتقدات، أو بنى ثقافية رمزية ومادية.

هذه الممارسات الاتصالية، والتي تعيد إنتاج الوضع السوسيوثقافي، والمتجدد عبر أوعية وأفضية تكنواتصالية جديدة تنعت بالوسائط أو الفضاءات الاتصالية الرقمية، فاقمت من المخاطر والتهديدات المحدقة بالأمن الثقافي للمجتمعات عامة، وبشكل أكبر المجتمعات المتخلفة، أو التي تنعت بالنامية، لإعطاء الأمل لشعوبها للخروج من التخلف والالتحاق بركب التقدم .

ويطلعنا تاريخ الاتصال الانساني عامة، وتاريخ وسائل الاتصال الجماهيرية خاصة، على انخراط وتورط الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة في صناعة خطابات الكراهية، عبر الانتاج المكثف والنشر والترويج الموسع لمضامينها، وفي مختلف المجتمعات، وعبر مختلف المراحل والسياقات. فتاريخ الممارسة الصحفية، حافل

بالدعاية والتضليل والعنف الرمزي ضد والشعوب والجماهير والأفراد والأفكار والأشياء، وضد الموروث الثقافي والحضاري الانساني.

لكن تتباين فترات وسياقات ممارسة هذه الكراهية، وتتباين قوة مساهمة الوسائل الإعلامية المختلفة في إذكاء هذا الوباء العالمي، حسب طبيعة قوة السلطة المهيمنة والمالكة للترسانة الإعلامية.

والملاحظ أن التطور العلمي والتقني والفني لمختلف وسائل الاعلام، لم يوازيه ويواكبه تطور مهني نوعي، يرتكز على معايير الممارسة المهنية، كالدقة والصدق والموضوعية والحياد والمسؤولية والانضباط الذاتي والتطوير الذاتي. وتكرس مع الوقت التخلي عن الاسترشاد بأبجديات أخلاقيات المهنة الصحفية والإعلامية.

وكنتيجة لتفاقم الممارسات الإعلامية غير المهنية والممارسات الاتصالية غير الأخلاقية، وتعاظم النزعة التسلطية لوسائل الإعلام على الرأي العام، واستمرارها على نهجها التضليلي والمتلاعب بالعقول، والتوظيف السياسي والتجاري لخطابات الكراهية . ستظهر ثقافة عدائية لدى الجماهير، وتصبح الجماهير تمارس كراهية مضادة معاكسة لكراهية الإعلام، ورغم الإقرار أنها في بداياتها كانت ضعيفة، لكن التحول الثوري في الفضاء الاتصالي بظهور الأجيال الجديدة للأنترنت، وظهور سلطة المستخدم الرقمي، كمنتج لمختلف الخطابات والبنى النصية وبمستويات عالية من الحرية، عبر مختلف الفضاءات الرقمية والشبكات التواصلية الاجتماعية، سيفاقم من تدفق خطابات الكراهية ووسيفاقم مخاطرها على الأمن الثقافي، لأنه سيعطيها أبعادا كثيرة ومتنوعة ويولد من خضمها معان مكثفة مشحونة بالأمراض المغذية للرواسب والأوبئة الثقافية المتراكمة، والكابحة لأي نمو أو تطور لهذه المجتمعات النامية .

وبالتالي أصبحت وسائط الاتصال الجديدة، ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي، منصات لبث خطابات الكراهية ونشر مشتقاتها الدلالية كالحقد

والبغضاء والتطرف والعصبية الدينية والعرقية والهوياتية. الشيئ الذي فاقم مجموعة من الأوبئة الالكترونية، والتي تتغذى من المستويات العالية للحرية الفردية والجماعية، والمستندة بدورها لأحقية الثقافات الفرعية المهمشة في تخوم المجتمع، والمحرومة من الظهور والتواصل في ظل الأنساق الاعلامية والثقافية التقليدية.

وهذا التطور في بنى الاتصال الهيكلية والخطابية، سواء النصية المكتوبة والسمعية البصرية، والتي تغرق الفضاءات المدوناتية الرقمية بكم هائل ولامتناهي، من التفاعلات الرمزية غير المؤطرة، وغير المهيكلة في أنساق واضحة وبمعالم معروفة وبأهداف محددة، الشيئ الذي فاقم فوضى اتصالية ثورية، غيرت من تراتبية عناصر المركب الاتصالي ؛ ونقلت المتلقي البسيط، إلى موقع المرسل والمنتج للرسائل الاتصالية المدمجة، التي تشمل معظم الأشكال الاتصالية القديمة والجديدة، كالتدوين عبر الفيديو، والبث الحي من مواقع الأحداث ونقل تفاصيل الحياة الخاصة كنمط إعلامي واقعي جديد، في إطار ما يسمى الاتصال الجماهيري الذاتي .

فهذه التأثيرات وبتداعياتها المختلفة، تستدعي جهودا لترشيد الاستخدام وتأمين التلقي، وتدخلا للضبط التشريعي لتنظيم وتأطير كل المستجدات هذه الممارسات، في المجال الإعلامي والاتصالي، فعملية التشريع عملية ضرورية للحفاظ على النظام، وتوجيه الجهود الفكرية والسلوكية في مساراتها الصحيحة، والاستمرار في دعم جهود التطوير ودمقرطة الحياة وصناعة ظروف الأنسنة، والعيش المشترك ؛ ضمن فضاء عمومي، أكثر استيعابا للتعددية الفكرية والتنوع الثقافي والاختلاف العقائدي والديني.

ويمكن استحضار هنا، الجدل العلمي حول الضوابط القانونية، والمعايير الممارساتية للحق في الاتصال في البيئة الاتصالية الرقمية عامة، والتنظيم القانوني للصحافة والإعلام الإلكتروني خاصة، إذ تثير قضية التنظيم والتأطير القانوني

للممارسة الإعلامية، في الصحافة الإلكترونية والإعلام الجديد، إشكالية جوهرية وهواجس معرفية عميقة سيما في ظل التطور المذهل والمستمر للفضاء السيبراني .

ترتبط هذه الإشكاليات، والهواجس المعرفية بمستويات وأبعاد كثيرة منها ما يرتبط، بالتكنولوجيا الإعلامية والاتصالية في حد ذاتها، من حيث مستويات التوطين والانتشار والابتكار والاستخدامات، ومنها ما يرتبط بالأنظمة السياسية ومستويات الحرية والانفتاح فيها، ومنها ما يرتبط بالبيئة الثقافية، ومدي قابليتها لاستيعاب التعددية الثقافية ولانفتاح على الآخر والتثاقف العبر وطني.

وانسجاما مع أطروحات القانون الدولي الإنساني، حاول صناع القرار في الجزائر، إحداث مواكبة تقنية وفنية وتشريعية للفضاء الاتصالي السيبراني العالمي، وتواصل الدولة جهودها لاستكمال البناء التنظيمي، للتصدي للفوضى الاتصالية، ومخرجاتها المتمثلة في مجموعة من الأوبئة الالكترونية، كالتدفقات المستمرة للمحتويات التضليلية والأخبار الكاذبة والمعلومات الملفقة، علاوة على نشر سموم التطرف والعنصرية والعصبية، وخطابات الكراهية والتمييز في الفضاء الاتصالي الالكتروني.

وهذا الإجراء يهدف إلى التحكم في ظاهرة انتشار الكراهية، ومشتقاتها كالتعصب في الفضاء الافتراضي والذي تروج له مواقع إلكترونية، وصفحات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وأحيانا تأخذ مسارات خطيرة تهدد النشيج الاجتماعي والأمن الثقافي في الجزائر.

تبحث هذه المداخلة عن الاجابة على الإشكالية التي تنطلق من السؤال الأساسي والتساؤلات التالية :

كيف ساهمت الفضاءات الاتصالية الرقمية في الإنتاج المكثف والنشر المتسارع لخطاب الكراهية ؟ وكيف يمكن التحكم في تفاقم مخاطر خطاب الكراهية عبر الوسائط الاتصالية الرقمية على الأمن الثقافي للمجتمعات النامية ؟

كيف فاقمت الفضاءات الاتصالية الرقمية مخاطر وتهديدات الكراهية على الأمن الثقافي للمجتمعات النامية على غرار الحالة الجزائرية، بنقلها من المخيال للممارسة ومن التمثل للتجسيد؟

كيف يمكن الاستثمار في استراتيجيات التمكين المجتمعي والتحصين الثقافي والتشريعي ،انشر ثقافة التسامح وأنسنة العيش المشترك، بالتصدي لوباء الكراهية الرقمية الفتاك والعابر للأوطان ؟

1-الكراهية مفهومها وتجليات ممارستها في بيئة الاتصال الرقمية :

يصعب في هذا المقام استحضار المعاني والدلالات، المفهومية السياقية للكراهية وخطاب الكراهية، سواء من حيث تباين السياقات السوسيوثقافية لظهوره وتحولاته، وتعدد أشكال وأساليب ممارسته، أو من حيث الوسائل والوسائط الاتصالية لنقله وتداوله، علاوة على صعوبة استقراء أبعاد خطاب الكراهية الفلسفية والمعرفية، وتفكيك بنياته الفكرية والنفسية، وتفسير وتأويل تأثيراته في البنى العقلية الفردية والسوسيوثقافية .

لكن يمكن القول أن الكراهية نمت وتفاقمت، وانتشر خطاب الكراهية بشكل واسع ومكثف، تزامنا وتماشيا مع تحول الوسيط الاتصالي لهذا يرى بعض الباحثين أن خطابات الكراهية عبر الشبكات السوسيورقمية تقع في قلب المعتركات المفاهيمية.(Monier, 2021, p. 9)

لكن التتبع الأركيولوجي أو الحفر المعرفي -إذا صح لنا استعارة واحد من المفاهيم الأساسية للمنهج الأركيولوجي لميشيل فوكو، في مقاربته لتحليل الخطاب بشكل عام . يحيلنا إلى أن نشأة خطاب الكراهية، يرجع إلى تراكمات المظالم الاجتماعية، وتضارب المصالح الفردية والجماعية أفقيا وعموديا، وتبعات الصراع من أجل السلطة والنفوذ وانتزاع الاعتراف السوسيوثقافي . وتعددت الجهود الأكاديمية، لبلورة مفهوم علمي للكراهية بالشكل الذي يواكب سياقات ظهوره،

وأشكال ممارسته وتحولات دلالاته، تزامنا مع مختلف الفضاءات الاتصالية لتمرير وتداول هذا الخطاب .

ولقد لاحظ المفكر زكي الميلاد، أن المجال التداولي لمفهوم الكراهية في الدراسات النفسية والفكرية والسياسية

والتاريخية بصورة عامة، يعد حديثا ويرجع الاهتمام الواسع به، على الأغلب إلى العقد الأخير من القرن العشرين مؤكدا أنه حين حاول البحث عن تعريف علمي واصطلاحي لمفهوم الكراهية، في المعاجم والكتب لم يجد ذكرا له واعتبره نقص بحاجة لاستدراك.

ويؤكد الميلاد أن هذا المفهوم، يوصف في الأساس أنه ينتمي لعلم النفس لكن وبعد البحث، تأكد أنه لم تدرج الكراهية كمفهوم مستقل، ضمن قائمة التعريفات المتصلة بهذا الحقل، والقريبة منه كالعدائية، العدوانية والغضب والعنف...إلخ. مضيفا أنه "حين حاولت البحث عن تعريف لغوي لمفهوم الكراهية، وجدت ان معاجم اللغة القديمة على ثرائها وغناها اللغوي والاشتقاقي، كلسان العرب لابن منظور، أو معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن زكريا، وأساس البلاغة للزمخشري.. وجدت أنها لا تسعفنا بشيئ، ولا تقدم لنا إضافة مهمة . حيث عرفت المصدر كره باشتقاقات عديدة لا تكاد تقترب من مفهوم الكراهية إلا بقدر بسيط للغاية. وتكتفي بالإحالة على الاشتقاق من الفعل كره والكره عكس الرضا والحب . يضيف أما المفاجأة المدهشة فكانت في النقص الفادح للدراسات والمؤلفات التي تناولت فكرة الكراهية في المجال العربي. (الميلاد، 2008)

وكان الأكاديمي بوجمعة رضوان، أصل بشكل معرفي عميق لمستويات فهم وتجلي خطابات الكراهية، وتعمق في البحث عن المفهوم في الفكر القديم والحديث، مع ربط نموه وتفاقمه بالأساس بالأدوار المأساوية للإعلام. إذ أنتج الفلاسفة – حسبه_ تعاريف كثيرة للكراهية، على غرار ديكارت، الذي يرى بأن الكراهية هي إدراك

أن هناك شيئا سيئا في مجتمع ما، مع الرغبة في الانسحاب بعيدا عنه. إلى أرسطو الذي قال بأن الكراهية، هي الرغبة في إبادة الكائن المكروه. إلى دافيد هيوم الذي يعتبر الكراهية شعور غير القابل للاختزال ولا يمكن تحديد سبب الكراهية على الاطلاق، وغالبا ما يؤدي إلى تدمير الكاره والمكروه معا. (رضوان، 2020، صفحة 7)

وتحيل الجهود العلمية، التي حاولت دراسة ظاهرة خطابات الكراهية، إلى مختلف أشكال العنف المادي والرمزي والاحتقار والتحقير والاذلال، والحقد والبغض، بغرض الحاق الضرر المادي أو المعنوي ضد الآخر المختلف . فيتمظهر في أشكال متعددة ومتنوعة، من الأقوال والأفعال، والسلوكيات المعادية والعنصرية الرافضة، والمنفرة من الآخر سواء كان هذا الآخر فردا أو جماعة، أو مؤسسة أو دولة، أو فكرة، أو معتقد أو ديانة أو ثقافة أو سلوك أو عادات وتقاليد .

وخطاب الكراهية عامة، قد يشمل مجموع الممارسات، والأحاسيس والانطباعات والسلوكيات، التي يفصح عنها شخص أو مؤسسة أو هيئة عبر أي وسيط اتصالي، ليمارس به العنف المادي أو الرمزي أو الاثنين معا، ضد شخص أو مؤسسة أو هيئة، وقد يطال خطاب الكراهية الأحياء والأموات، وحتى الأشياء المادية ذات الرمزية الثقافية والحضارية كالتماثيل والآثار المادية للحضارات السابقة. لهذا يقال بأن خطاب الكراهية يحيا رغم موت ممارس الكراهية

ويخلص الأكاديمي بوجمعة رضوان، للقول على لسان الفيلسوف خوسيه أورتيغا "أن الكره هو القتل الافتراضي والرمزي ..وهو الرغبة في إزالة الكاره للمكروه بشكل راديكالي ". مؤكدا أنه وبناء على الكثير من المنطلقات النظرية والفلسفية والأخلاقية، يتفق المنظرون على ضم اللاتسامح، والاقصاء والتشدد والتطرف والتكفير والاغتصاب والتعذيب والقتل ودعوى القتل ،، كله ضمن أشكال التعبير عن الكراهية. (بوجمعة رضوان، ص13).

أما الكراهية الرقمية فهي مجموع البنى النصية التعبيرية والتفاعلية، المجسدة كلاميا (شفويا) أو لغويا (نصوص مكتوبة) أو سمعيا بصريا (فيديوهات) عبر مختلف الحوامل والوسائط الاتصالية الرقمية، والتي تكون مشحونة بأفكار ومعاني ودلالات وإيحاءات، عنيفة أو أو حتقارية أو عنصرية أو تمييزية، وتمارس مظالم اجتماعية وثقافية اتجاه الأفراد أو الجماعات أو الهيئات والمؤسسات أو الدول. ويحيل مفهوم الكراهية الرقمية أو خطاب الكراهية في الشبكات السوسيورقمية إلى كل اشكال التعبير التي تنشر أو تبرر الكراهية العرقية أو كراهية الأجانب، معادة السامية وكل أشكال الكراهية المؤسسة على عدم التسامح. (Monier, 2021, p. 12)

وتعرف هيئة الأمم المتحدة خطاب الكراهية، في وثيقتها المسماة استراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشان خطاب الكراهية، بعد التأكيد على عدم وجود تعريف له في القانون الدولي : "أي نوع من التواصل الشفهي أو الكتابي أو السلوكي، الذي يهاجم أو يستخدم لغة ازدرائية أو تمييزية، بالإشارة إلى شخص أو مجموعة على أساس الهوية .

وبعبارة أخرى على أساس الدين، أو الانتماء الاثني، أو الجنسية أو العرق أو اللون أو الأصل أو نوع الجنس أو أحد العوامل الأخرى المحددة للهوية. وهذا الخطاب كثيرا ما يستمد جذوره من مشاعر التعصب، والكراهية التي يغذيها في الوقت نفسه، ويمكن في بعض السياقات أن ينطوي على الاذلال ويؤدي إلى الانقسامات". (المتحدة، 2019، صفحة 2) في الحقيقة هذا التعريف ضيق ولم يواكب الفضاءات الاتصالية الرقمية المفتوحة، التحولات العميقة في الوسائط الناقلة لخطابات الكراهية والبيانات الضخمة التي تتضمنها أو تشير إليها.

ولقد اقترح مجلس أوروبا تعريف خطاب الكراهية بأنه "جميع أشكال التعبير، التي تنشر أو تحرض أو تشجع أو تبرر الكراهية العرقية أو كره الأجانب، أو معاداة

السامية أو التعصب، أو غير ذلك من اشكال الكراهية المبنية على التعصب بما فيها التعصب المعبر عنه، بالنزعة القومية . والاعتداد بالانتماء الإثني، والتمييز، والعداء للأقليات والمهاجرين والسكان من أصل مهاجر. (للدراسات، 2021، صفحة 6)

وتعتبر كل أشكال التمييز ، من أهم الروافد المغذية للكراهية، لهذا حرص القانون الدولي الانساني، في تنصيصه على مكافحة هذه الأوبئة، على إيرادهما معا وتباعا، باعتبار التمييز باب من الأبواب الواسعة التي يتدفق عبرها الكراهية.

وتعرف لجنة الحقوق المدنية والسياسية بهيئة الأمم المتحدة في دورتها 37 المنعقدة سنة 1989 التمييز بانه "أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد، أو تفضيل يقوم على أساس أي سبب، كالعرق أو اللون أو الجنس او اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو غير السياسي أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو النسب أو غير ذلك، مما يستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف لجميع الاشخاص، على قدم المساواة، بجميع الحقوق والحريات، أو التمتع بها أو ممارستها. (للدراسات، 2021، صفحة 6)

ويعرف التمييز بأنه المصطلح القانوني، المستخدم في المواثيق والعهود الدولية، لتعريف أي حالة يجري فيها استثناء أو تقييد أو تمييز لشخص أو لجماعة على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني. بما يؤدي إلى الانقاص من تمتع هؤلاء بحقوق الانسان أو يقيد لهم الاعتراف بها". وفي السياق الصحفي يمكن أن يتم ذلك عبر تأطير الأشخاص أو المجموعات بصورة سلبية بناء على هويتهم، وبغرض نشر الكراهية تجاههم أو التحريض عليهم. وقد لا يمارس التمييز في القصص الصحفية دائما بشكل متعمد، لكن على الصحفي أن يكون على التزام عال بالمعايير المهنية في إعداد المادة الصحفية من أجل تجنب الوقوع في التمييز أو الحض على الكراهية".

وخطاب الكراهية في الإعلام يكون كذلك يجب أن يكون متعمدا وموجها لغاية نشر أو ترويج أو حتى تبرير الكراهية تجاه جماعة عرقية أو قومية أو أي شكل من أشكال الكراهية المبنية على التعصب. لذا فإن خطاب الكراهية يختلف عن خطاب التمييز، فالأول يستلزم وجود نية مبيتة بالكراهية اتجاه جماعة محددة، بعكس خطاب التمييز الذي يمكن أن يرد في القصص الصحفية دون إدراك من الصحفي أو المؤسسة الاعلامية لأسباب عدة كقلة الخبرة في المعايير المهنية الضامنة للموضوعية الصحفية أو عدم فهم الصحفي لسياق القصة **التي يعمل عليها.** (للدراسات، 2021، صفحة 5)

لكن بالمقابل، هناك من يرى في هذه الاجراءات التي في ظاهرها تشريعية تنظيمية وفي باطنها عقابية، أنها في الواقع تدابير سياسية لاحتواء الفضاء الاتصالي والسيطرة على مكوناته الفاعلة خاصة وأن هذا الفضاء يشكل البديل الحر للتعبير التعددي، والمناقشة الديموقراطية لقضايا الشأن العام خاصة مع الانغلاق الاعلامي والعودة القوية للرقابة السلطوية على وسائل الاعلام المختلفة. ولقد حذرت الأمم المتحدة من نزعة الأنظمة الشمولية لكبح حرية التعبير وتكميم الأفواه باسم محاربة الكراهية. فالأمم المتحدة تقود جهودا لمكافحة التمييز وخطاب الكراهية، وتولي ضمن إستراتيجيتها الجديدة اهتماما، بالإعلام التقليدي ووسائل التواصل الاجتماعي، وهنا تأتي دور المؤسسات الاعلامية في تطوير مدونات السلوك المهني والمبادئ التي تحث الصحفيين على تجنب التمييز والحض على الكراهية اثناء ممارسة عملهم. لكن ما تخشاه هذه المؤسسات أن تستغل بعض الحكومات مكافحة التمييز وخطاب الكراهية ذريعة للحد من حرية التعبير والتدفق الحر للمعلومات عبر قوانين غايتها المعلنة تنظيم العمل الإعلامي. فوجود قوانين فضفاضة ودون تعريف واضح للتمييز أو لخطاب الكراهية، قد يجعل أي عمل صحفي عرضة للاستهداف والمساءلة من السلطات ولا سيما في الدول غير الديموقراطية.

وفي هذا الإطار أكد الأمين العام للأمم المتحدة أن "التصدي لخطاب الكراهية لا يعني تقييد حرية التعبير أو حظرها. بل يعني منع تصعيد خطاب الكراهية، بحيث يتحول إلى ما هو أشد خطورة خاصة إذا بلغ مستوى التحريض على التمييز والعدوانية والعنف وهو أمر يحظره القانون الدولي.

2-الكراهية السائلة وتدفقاتها عبر الوسائط الاتصالية الرقمية:

الكراهية ظاهرة بشرية، وممارسة سلوكية أنتجتها تضارب المصالح الفردية والجماعية، يمكن استحضارها في أشكالها البسيطة، ضمن جماعات الأفراد، أو ضمن العلاقات البين فردية أو المتعدية لمجموعة الأفراد. كما يمكن استحضارها في أشكالها المركبة والمعقدة، وتمارس على مستويات عليا. والتي تبرز في أشكال أنساق تواصلية ممنهجة التدبير والتخطيط، ومحكمة التنفيذ ومحددة الأهداف والغايات.

وقد يتورط في ممارسة الكراهية، كيانات سياسية، أو مؤسسات سياسية واقتصادية بهدف الربح، أو قد تمارس الكراهية كيانات وجماعات اجتماعية، لتحقيق مجموعة من الأغراض الاجتماعية، أو تمارسها تشكيلات سياسية بغرض التموقع وتجيشش الحشود، للمرور على سذاجتها إلى التموقع وتحصيل النفوذ، وللوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

لكن أخطر أشكال هذه الكراهية، هي التي تفتعلها الجماعات والعصب المتنازعة على السلطة، على مستوى مختلف البنى الهيكلية للدولة، وتسخر لها مؤسسات الدولة وأجهزتها الادارية وهياكلها العلمية والاعلامية . وقد تكون صناعة هذه الكراهية موجهة للداخل للسطرة على الرأي العام داخليا، وتوجيه اهتماماته لقضايا ثانوية وصرف انتباهه عن بعض القضايا الجوهرية ذات المصلحة العامة والمشتركة.

وقد توجه بعض الدول تصنيعها للكراهية، لمنافس أو عدو خارجي، فتتبلور في أشكال حروب سيبرانية، تجهز لها فرق متخصصة ومتعددة الاختصاصات، تقنية

وفنية ونفسية واجتماعية وسياسية. ويطلق البعض على هذا الفرق التي تقود الحروب السيبرانية، الكوموندوس الرقمي، وبعضها ينعتها بالذباب الالكتروني، كتحقير لهذه الممارسات، التي تخلق تشوهات مزمنة في العقل الجمعي وتلوث فضاء التعايش الانساني، بخلق ثقافة الصراع وتأجيجه، ليتحول إلى كراهية رقمية، تطال الأفراد خاصة الشخصيات العامة، كما تطال البنى المؤسساتية المختلفة، خاصة المؤسسات السيادية ومؤسسات إنتاج الوعي التحرري في أبعاده الوطنية والانسانية.

ولقد وجدت ظاهرة الكراهية في البيئة الاتصالية الرقمية، البيئة الخصبة لنموها وانتشارها المذهل خاصة في أوقات الأزمات، فتلاشي مفهوم الرقابة ببعديها السلطوي والاجتماعي، في الفضاءات الاتصالية المفتوحة، وارتفاع مستوى الحريات الفردية والجماعية، على نحو يوحي بدمقرطة الاتصال، وحالات التماهي الفردي والجماعي مع استحضار الذات والتعبير عنها كشكل وجودي جديد، يعوض عن التغييب القسري للوجود وللذات الثقافية والفكرية، خلال سيادة الفضاءات الاتصالية التقليدية، التي هيمنت عليها الدولة وهياكلها المؤسساتية، وأخضعتها لترساناتها القانونية .

هذا الفضاء الاتصالي الجديد، يحفز الأفراد والجماعات، لرفع مفعول الكبت والإفصاح دون رقابة ولا تفكير عقلاني في الكثير من الأحيان، عن أفكارهم وأرائهم وتصوراتهم ومعتقداهم .

لكن هذا الانفجار في الحريات والعشوائية التعبيرية سينتج عنها، سوق اتصالية فوضوية، وتخلق ضجيج كلامي يغرق العقل والحكمة في ركامات التعصب والدوغمائية ويخنق الأصوات الثقافية الداعية والداعمة لقيم العيش المشترك والأنسنة.

ومن الصعب التحقيب لأركيولوجيا الكراهية في السياق الجزائري، لكن بذورها السامة، زرعتها مختلف الحركات الاستعمارية، وغذاها الاستدمار الفرنسي بشكل

رهيب ومزمن . فالسياسات العنصرية المركزة والممنهجة والمظالم الاجتماعية والثقافية المدمرة، التي خلفتها العقيدة الكولونيالية القائمة على التمييز والتفريق بشعارات فرق تسد، ستخلق تشوهات ثقافية في بنية التفكير الفردي والجماعي. هذه التشوهات ستغذي ظهور وتشكل كيانات اجتماعية وسياسية بمنطلقات جهوية ومناطقية، وبخلفيات عرقية وهوياتية تتغذى وتنمو من الفكر العنصري والتمييزي، كوقود للكراهية لكبح أي مشروع مجتمعي، وإضعاف العقل الجمعي خاصة العلمي والاعلامي من تحقيق اي توافق سياسي يفضي، لبناء دولة الحق والقانون ومأسسة الدولة وترشيد نهجها في البناء والتحديث.

وتتعدد أساليب ممارسة الكراهية، وتتنوع أشكال ممارسة السيطرة عبرها خاصة في استقطاب الرأي العام والتأثير فيه وتوجيه اهتماماته. وتتفاقم هذه الظاهرة المرضية والخطيرة في المجتمعات المغلقة، التي يسود فيها أنظمة سياسية غير ديموقراطية وتزيد حدة ممارسة الكراهية في أوقات الأزمات والاضطرابات السياسية .

كما تنمو وتزدهر هذه الممارسات المستندة للقبلية والعروشية والانتماءات الحزبية الضيقة خلال الحملات الانتخابية، كشكل من أشكال تماهي الأنظمة مع ما تصوره كتحول ديموقراطي، من خلال رفع مستويات الحريات العمومية والاعلامية، فتظهر التشكيلات السياسية سواء كأفراد أو جماعات بنيوية استثمارها البشع في كل اشكال الإثارة السياسوية لتحريك الكتل الناخبة الصامتة أو خلاياها الفكرية النائمة في تخوم وهوامش المجتمع. فيتحمس الخطاب السياسي في استحضار، مفاهيم المشحونة بطاقة ظاهرها تنويري يستحث على اليقظة، والنهوض من غفلة فوات قطار التنمية المحلية. بتوظيف مفاهيم ومصطلحات ذات شحنات انفعالية تنتهي بانتهاء الموعد الانتخابي. على شاكلة، يجب وضع للتهميش، منطقتنا محقورة، مهمشة، ورجالاتها مقصيين...إلخ. ويمارس هذا

الخطاب نوع من السطوة الثقافية على الأفراد والجماعات، ويحرك فيهم دوافع انفعالية ضيقة الأفق.

كما تمارس الكراهية حتى في أوقات العادية وفي الفضاءات الثقافية والعلمية، بسبب تضارب المصالح وطغيان الأنانية والانتهازية، للحفاظ على المناصب والمكاسب . فيتم افتعال صراعات فارغة ولأسباب واهية، لاستبعاد الكفاءة واستقطاب الجميع للانضمام لفلك الولاءات الانتفاعية لإسكات كل الأصوات المقاومة ثقافيا لكل اشكال الرداءة والتسيير اللاداري الحداثي وفقا لمقاربات علمية تستثمر بقوة في العقل المبدع والكفاءات النزيهة.

ويمكن استحضار بعض مؤشرات هذه الكراهية في الفضاء الجامعي، كتشكيل تكتلات براجماتية بتحالفات ظرفية، تنتهي بنهاية المصلحة، وتتجدد بمباشرة تكتلات جديدة بمصالح جديدة . هذه التراكمات ستوسع من دوائر الانتهازية، ويستحيل الحياد في ظلها، فهذه الممارسات تضطر بالجميع للبحث عن تموقعات ضمن هذه التكتلات التي ستقبل بالتضحية بكل شيئ بما في ذلك قيم العلم والأخلاق والشرف من أجل استمرار مصالح ضيقة

وستتسبب هذه الممارسات في انكماش العقل العلمي، مقابل تنامي وتضخم واتساع جغرافية الجهل الأكاديمي، وما يترتب عنه من اساليب متعددة لممارسة الكراهية، ومشتقاتها من التآمر والخداع والتلون الموقفي والنفاق . ومع مرور الوقت سيتشكل هذه التوجه كنزعة علموية ثقافوية . بينما تبقى فئة قليلة تقاوم عدم الانجراف الانصهار ضمن موجات هذه التيارات الجارفة، وتمانع الانصهار في بوتقة اللاعقل والعدمية العلمية.

ساهمت مجموعة من العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية في مفاقمة خطابات الكراهية في السياق السوسيوثقافي الجزائري . ولقد لعبت القوى الكولونيالية، وخاصة الاستدمار الفرنسي على حد قول مولود قاسم

نايت بلقاسم، أدورا كبيرة في هذا التفكيك الاقتصادي والاجتماعي على حد تأكيد الهواري عدي للبنى الذهنية للعقل الجزائري في جميع أبعاده، كشكل من أشكال تمهيد الأجواء وتهيئة المناخ لأحكام السيطرة وذلك باستدامة التشوهات الثقافية المختلفة، سيما تلك المبنية على الجهوية والعرقية الهوياتية. ويمكن استحضار العديد من الشواهد والمؤشرات، عن ممارسة الكراهية في تاريخ الدولة الوطنية، ... قبل استعراض نماذج من ممارسات الكراهية في الفضاء الاتصالي الجديد وعبر مختلف وسائط التواصل الاجتماعي التي تقفز على المعايير القيمية والأخلاقية وتقفز على الضوابط التقليدية في الممارسة الاتصالية، سيما تجاوز إكراهات الزمان والمكان والثقافة الاجتماعية.

ولم تضع الجزائر المستقلة ضمن أولوياتها، التصدي واجتثاث هذه الأوبئة الثقافية، التي ظلت كقنابل موقوتة وظلت كرواسب ثقافية تكبح أي انطلاقة لتجسيد مشروع المجتمع وبناء الدولة الوطنية المنشودة، خارج قفص ألغام الاحتلال التقليدي وخارج أطر الصراع السياسي، التي ترهن القوى الوطنية، وتقصيها وتستبعدها إلى خارج دوائر الصراع، مما أفرغ الصراع من الأنساق الثقافية والفكرية التي تطعمه وتغذي الاتجاهات العقلانية فيه، فيسمح بالانتقال من التسييج الدوغمائي للعقل الفردي والجماعي لتحرير ثوري للوعي الفردي والجماعي، وبالتالي الانتقال من حالات الجمود والانحباس لحالات التطور والديناميكيات الخلاقة . وهذه الوثبة سيساهم في تحقيقها التحول الثوري من تسييس الثقافة وأدلجتها، إلى تثقيف السياسة وعقلنتها.

3-الفضاء الاتصالي الرقمي وتفاقم الكراهية بالإعلام وضد الإعلام التقليدي :

ظلت وسائل الاعلام المختلفة وعبر مختلف مراحل تطورها مسرحا للممارسة كل أشكال الدعاية والتضليل والتلاعب بالعقول. كما ظلت وفية لمصالح القوى

المهيمنة من أصحاب المصالح السياسية والاقتصادية، فمارست كل اشكال العنف الرمزي ضد الجماهير . كما مارست صنوفا متعددة من الكراهية ضد الجماعات الهامشية، من خلال حرمانها من حقها في التعبير عن أفكارها وانشغالاتها، واقصائها من اسماع صوتها، بالانحياز الدائم للقوى المسيطرة، لدرجة تحولت إلى واحدة من أهم أدوات استدامة الحكم بيد أقليات إنتفاعية مدمنة التعطش للسلطة.

ولقد ساهمت وسائل الاعلام وعبر مختلف مراحل تحولها، في الصناعة والنقل والتداول المكثف لخطابات الكراهية وأخرجتها من الحدود الضيقة لممارستها إلى عوالمها الواسعة، كما نقلتها من أشكالها البسيطة البين فردية، لتصبح أكثر تعقيدا وأكثر تشابكا وتهديدا لمختلف البنى المجتمعية والمؤسساتية، مما فاقم من خطورتها وضاعف من تهديداتها . ولقد ناقش العقل العلمي وشخص مجموعة من الخصائص الكثيرة والمتعددة لوسائل الاعلام التي تمارس الكراهية، كالدعاية والتضليل، العنصرية والتطرف ونشر الأكاذيب، واختلاق الخلافات وتضخيم الاختلافات . وتبين مختلف تقارير الرصد الإعلامي حول الممارسة الإعلامية في المنطقة العربية، استمرار وسائل الإعلام في إيقاظ أو إنتاج مشاعر العنصرية والقبلية والجهوية والتطرف الديني والسياسي، لدى فئات واسعة من الجماهير وهو وضع يعرف تعقيدا أكبر، خاصة مع الأزمات السياسية الناجمة عن الأحادية الفكرية الرافضة للتنوع الاجتماعي والثقافي والديني واللغوي الني تعرفه مختلف المجتمعات. (رضوان، 2020، صفحة 15)

فوسائل الاعلام المختلفة، والتي شكلت وعبر مختلف المراحل والتحولات، الفضاء الرحب للتبادلات الثقافية والتفاعلات الرمزية، ونقلت هذه التفاعلات الثقافية من الحدود الضيقة للجماعات الاجتماعية، إلى الفضاءات المجتمعية فتحولت مع مرور الوقت، لتجاوز نطاق المنطقة والجهة لتعطي لها بعدها الوطني، وبعده تطورت وسائل الاعلام لتعطي هذه التفاعلات الثقافية، بعدها الانساني عبر

الوطني. لكن هذا التحول لم يكون بريئا بل انتقل من الخضوع للقوى المجتمعية المحلية، ليصبح في يد القوى والأنساق الوطنية المهيمنة سياسيا واجتماعيا وثقافيا قبل أن ينتقل للقوى العبر الوطنية، التي تنزع للنفوذ والهيمنة والسيطرة خارج الأطر الاستعمارية التقليدية. فتحولت وسائل الاعلام لوسائل للغزو الثقافي والاحتلال الناعم للعقول وأدوات للإكراه والسيطرة على الشعوب.

فعلى مستوى الدولة القطرية، أدى الاستحواذ على وسائل الإعلام واحتكار تملكها وتوظيفها الأداتي، لدعم السلطة المركزية الحاكمة بمؤسساتها وأنساقها المهيمنة، سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا . أدى إلى إقصاء فئات وشرائح واسعة من المجتمع، وحرمانها من التعبير عن ذاتها، والتواصل والتفاعل مع مكوناتها الثقافية .

وأدى هذا الاقصاء إلى تنامي الشعور بالتهميش والدونية، مما خلق صراعات ثقافية، بين ثقافة المركز وثقافات الأطراف أو كما تسميها مدرسة الدراسات الثقافية الثقافات الفرعية. فاحتدم الصراع، بين من يمتلك ويتحكم في المنظومة الإعلامية، وبين من لا يمتلك ويتعرض لمضامين ومحتويات لا يرى فيها صورته ولا تجسد تمثلاته وتصوراته للوجود بل ويعتبر في منظور السلطة الحاكمة متلقي سلبي، يتم إفراغ فيه كم هائل من الرسائل السياسية والثقافية التي تتركه خاضعا، ممتثلا للرسائل والأوامر والنواهي التي تريدها السلطات عبر شيفراتها التي تطبع بها الخطابات الاتصالية والمحتويات الاعلامية المختلفة.

لكن وبالمقابل، تنامي الوعي الفردي والجماعي، وتزايد الرصيد الثقافي والفكري والمعرفي، للأفراد والجماعات ساهم في انزياح هذه النظرة الستاتيكية، والأداتية الاستغلالية للجماهير، التي اكتسبت صفة الجمهور النشط ثم المبدع على حد توصيف إيمانويل كاستلز، جمهور يفهم الرسائل الاعلامية والخطابات الاتصالية، انطلاقا من خلفيته الثقافية وخبراته في الحياة، وهذا الطرح سبق وأن نبه غليه رواد

مدرسة برمنغهام، سيما ريتشارد هوغارت وبعده ستيوارث هول في نظريته الثورية التشفير وفك التشفير، وبعده ريموند وليامز في دراسته الاثنوغرافية على السياق المنزلي في تلقي الخطاب الاعلامي.

إذن التحول العميق للوعي النقدي الفردي والجماعي، مقابل استمرار أنظمة الهيمنة في ممارسة التضليل الاعلامي عبر ما يسميه بيير بورديو العنف الرمزي، ولد وبالمقابل عنفا رمزيا مضادا من الجماهير، التي انتقلت من التهكم وتكذيب وسائل الإعلام، إلى التهجم عليها وممارسة العداء ضدها، عبر مختلف الفضاءات التعبيرية المتاحة لها سيما الفضاءات العمومية التقليدية .

إذ تبين أنها تستثمر كل التجمعات الصغيرة والكبيرة، والمناسبات الاحتجاجية، لتفرغ شحناتها الانفعالية، وتصب غضبها على وسائل الإعلام التي تريد التلاعب بعقولها وتضليلها عن معرفة الحقيقة. ويمكن استحضار العديد من الشواهد، من مسيرات الحراك الشعبي في الجزائر، التي بعثت برسائل واضحة وشديدة الدلالة وعميقة الطرح وكثيفة المعاني، لرفض الدعاية والتضليل الذي يمارسه الصحافة ووسائل الاعلام الاذاعية والتلفزيونية العمومية والخاصة. لكن جنحت الجموع البشرية الضخمة للتهجم على بعض الوسائل الإعلامية، ووظفت تعابير عنيفة وشعارات مشحونة بالغضب والألم، كشعارات، صحافة وإعلام العار، وشعارات مدوية في المسيرات صدحت بها حناجر مختلف الفئات، وعبر مختلف المسيرات.. وطال هذا العنف اللفظي وخطابات الكراهية الصحافة والصحفيين ، ورفعت ضدهم شعارات مشحونة بالعنف "يا الصحافة يا الشياتين، يا الصحافة يا المذلولين"

ووجدت الكراهية المضادة اتجاه الصحافة ووسائل الاعلام والصحفيين، في البيئة الاتصالية وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، وسائط اتصالية وأدوات، لإطلاق الهجمات المضادة اتجاه كل من يتعاطف أو تنسجم طروحاته مع خيارات

النظام السياسي، فتحولت صفحات الكثير من مستخدمي الفايسبوك سواء حسابات فردية أو مجموعات، إلى فضاء اتصالي شعبوي مفتوح، تتدفق عبره المحتويات التضليلية والأخبار الكاذبة والمحتويات الملفقة، وخطابات الكراهية، وتحولت منصات شبكات التواصل الاجتماعي إلى منصات لإطلاق هجمات عنيفة وعبرات مشحونة بالغضب اتجاه كل ما يرمز للسلطة، وطال هذا العنف والكراهية الرقمية كل من تنسجم أطروحاته، افكاره مع خيارات السلطة كحلول للخروج بالبلاد من مأزق الأزمة السياسية الخانقة. وبالمقابل لجأ المتعاطفون والمقتنعون بخيارات السلطة، لممارسة الكراهية والعنف ضد من يتهجمون على خيارات السلطة .

والخطير في الأمر أن الكراهية انتقلت من ممارستها العمودية عبر وسائل الاعلام التقليدية، إلى ممارسة أفقية وعمودية في ظل شبكات التواصل الاجتماعي، وهذه الكراهية الرقمية ستغذي تراكم هوة الثقة بين المواطن ومؤسسات الدولة، كما ستراكم تغذية الصراعات والنزاعات بمنطلقات جهوية وعرقية وعنصرية، وبالتالي تحمل تهديدات صريحة وخطيرة للنسيج الاجتماعي وتغذي الهشاشة المؤسساتية القائمة .

4-المستخدم الرقمي والإنتاج المكثف للكراهية ضد الإعلام التقليدي :

يحيل تحليل البنى النصية التفاعلية للأنساق الرقمية، لمختلف الصفحات الفايسبوكية عامة والصفحات وسائل الإعلام التقليدية ، وكذا مختلف المواقع الإلكترونية والمنصات الرقمية، إلى ممارسة صنوف من الكراهية، تشمل مختلف عناصر المركب الاتصالي، وتتوزع بين الكراهية الأفقية، والكراهية العمودية. والكراهية النخبوية والكراهية الغوغائية.

ويمكن استحضار مجموعة من المؤشرات الدالة على تصاعد العداء، ضد وسائل الإعلام وتصاعد خطاب الكراهية ضد المؤسسات الصحفية، والإعلامية وضد الصحفيين والإعلاميين، وفي مختلف البيئات والسياقات، بما فيها البيئات الغربية.

كما توثق لذلك العديد من التقارير الصادرة عن المنظمات الحقوقية الدولية، سيما المنظمات والجمعيات المهنية للصحفيين وناشري المؤسسات الاعلامية.

ولقد لاحظت من خلال تحليل البنى النصية التفاعلية للأنساق الافتراضية الرقمية، شمول الكراهية الرقمية وبأشكال متفاوتة لكل عناصر العملية الاتصالية، من مرسل ورسالة ووسيلة ومستقبل، وحتى رجع الصدى أي التفاعل مع التفاعل، إضافة إلى الشخصيات والفاعلين في الخطاب الاعلامي.

وتعج شبكات التواصل الاجتماعي، بتعليقات مشحونة بالعنف تجسد مختلف أشكال الكراهية، ضد الصحافة ووسائل الإعلام، وتفاقمت حدة غضب المجموعات الافتراضية ضد القنوات التلفزيونية الخاصة، التي تغرق في الإثارة، والتهريج وتمارس الإعلام الفضائحي لتحقيق نسب مشاهدة عالية، سيما وأن مختلف هذه القنوات في بداية تجربتها، وهذا يعكس حالة صدمة الجماهير الجزائرية، التي ترقبت مطولا الانفتاح السمعي البصري، وتطلعت مطولا لإعلام يكعس حقيقة الوطن والمواطن، ويعطي ولو جزء من الإهتمام لانشغالاته الكثيرة .

لكن قراءة التعليقات، أو البنى النصية التفاعلية أو المنشورات التي تستهدف الوسائل الاعلامية في حد ذاتها فهي في تزايد وتراكمية كبيرة، بل أحيانا تتحول لحملات مركزة متكررة ومستمرة ضد القنوات التلفزيونية الخاصة، ونعتها بأبشع الأوصاف، كإعلام العار، والإعلام الدعاري، وقنوات الاستحمار وقنوات الصرف الصحي...وغيرها من التعابير العنيفة. ولقد تعرضت معظم القنوات التلفزيونية الخاصة لحملات عنيفة بسبب، رفضها تغطية أحداث الحراك الشعبي، وإدارة ظهره للحراك الشعبي ومطالبه المشروعة في بناء دولة الحق والقانون.

وينتقد أكاديميون بشدة القنوات التلفزيونية الخاصة، اذ كتب أحمد فلاق في صفحته على الفايسبوك بتاريخ 03 فيفري 2022 منشورا مرفقا بصور لنفس الاشخاص يظهرون في عدة قنوات ويمارسون نفس التهريج والاثارة وعلق على الصور

قائلا: "قنوات البهتان تلتقي دوما بنفس المواطنين". ولقد صاحب المنشور بنى نصية تفاعلية أي تعليقات عنيفة ومشحونة بالغضب، ناقمة على هذه القنوات، وتنعتها بقنوات التبرديع والاستحمار، وقنوات "الصراف الصحي" . وتحسر غلال يوسف، الذي ألقى كل اللوم على الشعب المتابع لهم معلقا "أصبح أرذل القوم يؤثرون في الناس" وعلق عطاء الله بلال "متيجة نيوز ملتقى المهابل ومرتع المختلين عقليا".

وبعيدا عن التهجم وبنبرة ساخرة من التصنيع المكثف للرداءة والنجومية الزائفة، علقت صابر لامية قائلة : "هذه الفتاة (المستجوبة) بعد أيام ستتحول الي مؤثرة على الميديا الاجتماعية، وسوف تقدم لنا المواعظ وطرق بناء الاسرة وطرق الاصلاح بين الازواج وتربية الاطفال.. ومع الوقت يتحولون الى مجال بحث في تخصصنا الاعلام والاتصال ويدمجون في بحوث القائم بالاتصال. ونفس الطرح، كتبت "ثيللي" "زمن التفاهة، وهذه تضاف للفواحش الاعلامية . للأسف بعد اشهر أو أيام نجد هؤلاء التافهون صنعوا منهم شخصيات مشهورة طبعا بمعاييرهم".

كما يتعرض التلفزيون الجزائري العمومي، لموجة من الانتقادات الغاضبة على نمطية الأداء وروتينية المعالجة الاعلامية، التي تهتم بالنشاط الحكومي، على حساب انشغالات واهتمامات المواطنين، مما جعل مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي، ينعتونها بتلفزيون الحكومي وليس التلفزيون العمومي . بينما بلغ مستوى تذمر البعض بنعتها باليتيمة، والقنوات التلفزيونية الخاصة بدار الأيتام.

أما على الصعيد الدولي، فتعتبر قناة فرانس24 من القنوات التي تواجه طوفان من الانتقادات من طرف الجزائريين في تفاعلهم مع تغطياتها للشأن الجزائري، حيث يتهمها مستخدموا شبكات التواصل الاجتماعي من خلال التعليقات بالتحيز وخدمة المصالح الاستدمارية التقليدية، عبر خداع ناعم، تحت غطاء حرية الصحافة والإعلام والمهنية والاحترافية.

كما لاحظنا تنامي خطاب الكراهية ضد قناة الجزيرة، التي ينعتها رواد شبكات التواصل الاجتماعي المناوئين لبرامجها وسياساتها التحريرية بقناة الخنزيرة . رغم ما تسوق له من التزام بقيم مهنية والتزام بالحرية المسؤولة، تحت شعار الرأي والرأي الآخر. بل وطال حملات الكراهية القنوات المتخصصة في الرياضة على غرار قنوات بين سبورت خلال مونديال العرب بقطر. حيث انتقد رواد شبكات التواصل الاجتماعي، ما أسموه التحيز للفريق القطري خاصة عندما واجه المنتخب الجزائري.

ومن الملاحظات الجديرة بالإهتمام، تسببت شبكات التواصل الاجتماعي في إزاحة غطاء القداسة على القائم بالاتصال عامة وعلى الصحفيين خاصة وتنامت ظاهرة الكراهية ضد الصحفيين، بشكل غير مسبرق في بيئة الاتصال الرقمية . وتشمل خطابات الكراهية بشكل أساسي الصحفيين، سيما مقدمو البرامج الاخبارية، ومنشطي الحصص البرامجية المختلفة.

ولقد تعرض صحفيين كبار لهجمات عدائية، تجاوزت في الكثير من الأحيان الأطر المهنية لتطال الحياة الخاصة . كما حدث للمعلق الجزائري حفيظ دراجي، والمعلق التونسي عشام الشوالي، الذي استقطب انتقادات غوغائية من عامة جماهير كرة القدم، علاوة على استقطاب انتقادات مشحونة بالتذمر قام بها منتسبون للنخب المثقفة والأكاديمية، بالرد على ما اعتبره استفادة الجزائر من الكثير من العلماء العرب والمصريين خلال الثورة وغداة الاستقلال حيث ساهموا في بناء الدولة الوطنية في قطاعات التربية والتعليم والصحة. ورغم موضوعية الطرح باعتباره حقيقة تاريخية، إلا أن المعلق الشوالي لم يسلم من هجمات عدائية مشحونة بعبارات عنيفة تحمل الكراهية لشخصه ولبلده، وبنبرات انفعلية تفتقد للنقاش العقلاني والحوار الهادئ، الذي يعلي من قيم التسامح وقبول الرأي الآخر في اطار من التعايش والاختلاف الثقافي وثقافة الاعتراف التي ينشدها العقل التعارفي.

ولم يسلم الكثير من الصحفيين الجزائريين في التلفزيون العمومي، سيما مقدموا نشرات الاخبار وكذا الصحفيين من مختلف القنوات التلفزيونية الخاصة، سيما منشطو البرامج الاجتماعية على غرار الصحفي يوسف نكاع، حين استضاف أستاذ العلوم الاسلامية، الذي طرد من منصبه بسبب طلبه من التلميذة الالتزام باللباس المحتشم. حيث تم التهجم على الصحفي وتعرض لحملات تشويه مكثفة ومركزة، تتهمه بالعداء للأخلاقيات العامة والمبادئ الأساسية لمقومات المجتمع الجزائري.

كما يمكن تسجيل ملاحظة مهمة أيضا، تتعلق بانتفاضة المستخدم للفضاءات الاتصالية، ضد محتويات ومضامين وسائل الإعلام التقليدية، والتي تحمل طابع دعائي وتضليلي، أو تتلاعب بشكل أو بآخر بعقل المستخدمين لمختلف الوسائط الاتصالية والمنصات الرقمية .

حيث تفترض الممارسة المهنية للمهنة الصحفية والإعلامية، تقديم محتويات إعلامية رسالية، أي أنها تتضمن رسائل هادفة في مختلف المجالات، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . لكن الاستخدام غير العقلاني لمختلف وسائل الإعلام، بسبب قوى السوق والقوى المهيمنة، حولت وسائل الإعلام إلى أدوات لسحق الجماهير وإخضاعها والتلاعب بعقولها . ولكن التفاعلية التي يتيحها الإعلام الشبكب وإمكانات التعبير والنقد وحتى الاحتجاج التي يمنحها الفضاء الاتصالي الرقمي المفتوح، أنتج هجمات مضادة، وبالتالي سلطة مضادة لسلطة الإعلام الدعائي والتضليلي.

ويمتد خطاب الكراهية ضد المحتويات التي تبثها مختلف وسائل الإعلام، ليشمل مختلف البرامج والمحتويات المثيرة للجدل القيمي والأخلاقي، اذ هناك حملات مكثفة ضد البرامج التي تعتمد على الاثارة والترفيه، باعتبارها برامج تسيئ للذوق

العام وتتنافى مع الأخلاق العامة. إذ يتجلى هنا الانخراط الجماعي في مصادرة الحق في الاختلاف، وهناك نوع من الوصاية الثقافية لتنميط الذوق ومحاربة التنوع.

5-الكراهية النخبوية ضد أنظمة الهيمنة الثقافية القائمة

يجنح الخطاب النخبوي الميدياوي، نحو ممارسات اتصالية عنيفة وأحيانا متطرفة، كثيرا ما تكون محملة بخطابات كراهية تحت مبررات ممارسة النقد المشروع أكاديميا . ويتعرض العارفون لخبايا المنظومة الثقافية والاعلامية، وصناع القرار فيها من أصحاب النفوذ السياسي والمالي، بالنقد العلمي الجريئ للاختلالات الهيكلية والوظيفية، التي تعاني منها المنظمة الاعلامية والثقافية بشكل عام. فينتقدون الادارة السلطوية للحياة الثقافية والفضاء الإعلامي، ويطالبونها بتحرير الاعلام من كل اشكال الوصاية والرقابة، وتحرير الملكية لفائدة الصحفيين المهنيين، بدل التحول من الاحتكار الحكومي الى احتكار أخطر ، يقوده رجال المال وأصحاب النفوذ في مفاصل السلطة السياسية.

ويمثل هذا الاتجاه أقلية من نخبة جامعية متنورة مدركة للأدوار الحاسمة للإعلام في بناء دولة الحق والقانون والمؤسسات ودور الاعلام الحقيقي والمهني في بناء المجتمع المفتوح المتسامح مع ثقافة التعددية والاختلاف، خارج الوصاية التي تمارسها المركزيات الثقافية على العقل الفردي والجمعي.

كما تفيد القراءة التحليلية والتأويلية، للبنى النصية التفاعلية بهجمات مركزة، تحمل عداء وكراهية مركزين على الشخصيات الفاعلة في الخطاب الاتصالي، خاصة حين يتم تناقل تصريحات للمسؤولين السامين في الدولة سواء على المستوى المركزي او المحلي، حيث يتعرضون لانتقادات لادعة . بل هناك اتجاه عام قوي لاستعداء المسؤول وتحميله الفشل والبؤس العام للدولة والوطن والمواطن. ولاحظت تغافل مناقشة الفكرة أو الافكار المثارة والأطروحات المقدمة، مقابل الهجوم المكثف على الشخص وحياته الخاصة.

وبالتالي فرواد شبكات التواصل لا تهمهم الافكار وانما ينهمكون في انتاج خطابات وتعاليق مشحونة بالرفض والشيطنة والتهجم والاتهامات بخيانة الأمانة وخدمة المصالح الشخصية ومصالح المنتفعين ضمن البناء الهرمي للسلطة الحاكمة، بمعنى يخدمون من عينهم وليس من انتخبهم ولاهم أمرهم.

كما تجدر الاشارة إلى حالات الاستقطاب، والنقاشات ذات الحمولة المشحونة بالعنف، وهنا يمكن تسميتها بالكراهية الأفقية، حيث يتنازع المستخدمون لشبكات التواصل الاجتماعي، أشكال وأنواع من النقاشات البيزنطية التي تلغي الآخر وتنزع عنه صفة الوعي والعقلانية ويتم تبادل الاتهامات، بالتعصب والجهل والتخلف.

ويبقى الأمل معقودا، على بناء الإنسان صاحب العقل التعارفي، كمرتكز للتثاقف الرقمي وتكريس التسامح والأنسنة وتكريس ثقافة التسامح، من خلال النشر الموسع والقاعدي والتنشئة على العقل التعارفي، الذي ينتقل من الاحكام والانطباعات المسبقة، المبنية بشكل عبثي وعشوائي مشوه للآخر ، للمعرفة الشاملة للآخر.

6-تدفق الكراهية عبر الفضاءات الرقمية وتفاقم مخاطرها على الأمن الثقافي للمجتمعات النامية :

تتدفق خطابات الكراهية في البيئة الاتصالية الرقمية وعبر مختلف وسائطها المتعددة، عبر ممارسات أكثر تحررا وبأشكال سلسة سريعة ولامتناهية، ومن مصادر متعددة، أفرادا وجماعات، ومن داخل الوطن ومن خارجه .

ولقد نقلت وسائط الاتصال الجديدة خطابات الكراهية من حالاتها الكامنة في تخوم وهوامش المجتمع، ومن شكلها الأحادي المعروف المصدر والواضح الاتجاه، لتنقله لأشكاله الظاهرة والتعبير الاستعراضي عنه، وبالتالي نقله من الصوت الواحد للتعددية أو لأصواته المتعددة، ومن التمثلات في المخيال الفردي والجماعي للتعرض والممارسة في البيئة الرقمية.

ولقد ساهمت مجموعة من العوامل النفسية والسوسيوثقافية في تغذية روافد هذه التدفقات الاتصالية الرقمية ويمكن هنا استحضار مقاربة زيغموند باومان حول الكراهية السائلة . فبعدما كانت الكراهية تمارس عبر الإكراه المادي، كالتجويع، أو التعذيب الجسدي والفيزيولوجي، والاقصاء الاجتماعي، والتهميش الثقافي، أصبحت الكراهية تمارس عبر فضاءات اتصالية رقمية.

وحسب الملاحظات التأملية لبعض الأكاديميين، فمع انتشار الوسائط الجديدة للإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي ازدادت فضاءات نشر الكراهية اتساعا، ومعها أصبح العمل الإعلامي، يتأثر بها بشكل أو بآخر، خاصة مع سيطرة نزعتي الإثارة والدعاية، في معظم الوسائل الإعلامية، ومعها أصبحنا أكثر من أي وقت مضى، مطالبين بالتذكير وبالدعوة للتمسك، بالقيم المهنية للصحافة، كالتمسك بالحقائق، والروح الانسانية واحترام الآخرين والشفافية والإقرار بالأخطاء، وهي مبادئ أساسية ينبغي أن يلتزم بها الصحفيين والفاعلين السياسيين والاجتماعيين، بما في ذلك مستخدمي الوسائط الاجتماعية، لكن هذا السلوك لابد أن يكون نتاج تنشئة على الأخلاقيات، وعلى الالتزام بالأخلاقيات السياسية والإعلامية العمومية. (رضوان، 2020، صفحة 27)

ولقد سمحت الفضاءات الاتصالية الرقمية المفتوحة، من استقطاب القوى المهمشة في نطاق الفضاءات المجتمعية والمؤسساتية التقليدية، وحفزها الفضاء الاتصالي المفتوح، على الظهور والتعبير ونقل الأفكار والآراء وتداولها في الفضاء الاتصالي الرقمي، وبالتالي رفع تراكمات مفعول الكبت . هذه التدفقات الاتصالية، خلقت الكثير من الصدمات الثقافية، سيما وأن الأفراد والجماعات، نشأوا على الوصاية الأبوية داخل أنظمة اجتماعية مغلقة وقمعية وتربت داخل منظومات تربوية بأنساق ثقافية مغلقة ومسدودة الأفق العقلي، وداخل أنظمة

سياسية دكتاتورية لا تسمع إلا لصوتها ولا ترى إلا صورتها وتمثلاتها الميتاسوسيوثقافية.

وإذا كان بعض الصحفيون والكثير من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، يختفون وراء أقنعة الوطنية تارة أو وراء التصدي لظاهرة الظلامية الدينية المتطرفة أو التصدي لظاهرة العلمانية الاستئصالية المتطرفة، كمبررات للوقوع في المحظور، وممارسة الكراهية، فهذا كما يؤكده الأكاديمي رضوان بوجمعة، مبررات إيديولوجية وليست مهنية، ولا تجد أي تأسيس أخلاقي ولا حقوقي ولا مهني، فلا يمكننا مواجهة الفاشية بأساليب فاشية، لأن القيام بذلك هو إنتاج لفاشية جديدة . (رضوان، 2020، صفحة 32) واستدامة عن قصد أو غير قصد لخطاب الكراهية.

7-استراتيجيات التحكم في خطاب الكراهية عبر أنسنة الاتصال ونشر ثقافة التسامح في البيئة الاتصالية الرقمية

تحول خطاب الكراهية عامة والكراهية الرقمية، وانبعاثاته السامة والمدمرة عبر مختلف الفضاءات الاتصالية الرقمية، إلى ظاهرة مقلقة وهاجس كبير، بات يؤرق المجتمع الدولي ويهدد بتقويض جهود التعايش الإنساني . ولقد لفتت هيئة الأمم المتحدة، وعبر مختلف مؤسساتها إلى تنامي مخاطر ظاهرة الكراهية عبر وسائط الإعلام الجديد والشبكات التواصلية والمنصات الالكترونية الرقمية.

حيث حمل تصدير استراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشأن خطاب الكراهية، "تعصف بالعالم موجة عارمة مثيرة للقلق من كراهية الأجانب والعنصرية والتعصب، بما في ذلك تزايد معاداة السامية، وكراهية المسلمين واضطهاد المسيحيين، وأصبحت وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من اشكال الاتصال تستغل، كمنابر لنشر التعصب، وما فتئ يتنامى زحف حركات النازيين الجدد ومؤيدي أيديولوجية تفوق العرق الأبيض، أما الخطاب العام، فبات يستخدم

كسلاح لتحقيق مآرب سياسية في شكل خطب تؤجج المشاعر وتتسبب في وصم الأقليات والمهاجرين واللاجئين والنساء وكل ما يسمى الآخر، وتجريدهم من إنسانيتهم. .. والكراهية ليست ظاهرة معزولة، أو مجرد أصوات مدوية لعدد قليل من الناس يعيشون على هامش المجتمع، فتيار الكراهية بصدد التحول إلى ظاهرة عامة تسود في الديموقراطيات الليبرالية كما تتفشى في الأنظمة الاستبدادية على حد سواء، ومع انهيار كل قاعدة من قواعدنا الأساسية تهتز أركان إنسانيتنا المشتركة. (المتحدة، 2019، صفحة 1)

وتضمنت هذه الوثيقة الأممية رؤية استراتيجية للتصدي ومواجهة خطاب الكراهية، وبلورت خطة عمل بأهداف اجرائية تتمثل في : أولا، تعزيز جهود الأمم المتحدة في التصدي للأسباب الجذرية والعوامل المحركة لخطاب الكراهية ثانيا: تمكين الأمم المتحدة من صوغ استجابات فعالة لأثر خطاب الكراهية على المجتمعات.

مع التأكيد على أن التدابير المتخذة، تتماشى مع القواعد والمعايير الدولية لحقوق الانسان، سيما الحق في حرية الرأي والتعبير . وتسترشد هذه الاستراتيجية بالمبادئ التالية : (المتحدة، 2019، صفحة 3)

1-مراعاة الاستراتيجية وأساليب تنفيذها للحق في حرية الرأي والتعبير، فالأمم المتحدة تدعم تعزيز التواصل لا تقييده، باعتبار ذلك الوسيلة الأساسية لمواجهة خطاب الكراهية

2-وضع مسؤولية التصدي لخطاب الكراهية على عاتق الجميع –الحكومات والمجتمعات والقطاع الخاص-

3-اضطلاع هيئة الأمم المتحدة ومواكبة للتحول الرقمي، بدعم جيل جديد من مواطني التكنولوجيات الرقمية بهدف تمكينهم من التعرف على خطاب الكراهية ونبذه والتصدي له .

4-الاجتهاد في تحصيل المعرفة للعمل بفعالية، ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر تنسيق جمع المعلومات وإجراء البحوث بشأن الأسباب الجذرية الكامنة وراء خطاب الكراهية ودوافعه والظروف المنتجة له.

ويتطلب حسب نفس الوثيقة، تحقيق هذه الأهداف، التزامات رئيسية، كرصد خطاب الكراهية وتحليله، ومعالجة الأسباب الجذرية الكامنة وراء خطاب الكراهية والوقوف على عوامله المحركة له والجهات الفاعلة فيه. مع إشراك ودعم ضحايا خطابات الكراهية، مع العمل على تعزيز الشراكات مع وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية، من أجل التصدي للسرد الذي يقوم عليه خطاب الكراهية، وتعزيز قيم التسامح وعدم التمييز والتعددية وحرية الرأي والتعبير، إضافة إلى الحرص على مواكبة الابتكارات التكنولوجية، وتشجيع المزيد من البحوث بشأن العلاقة بين إساءة استخدام شبكة الأنترنت ، ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر خطاب الكراهية.

إضافة إلى لفت الإهتمام إلى قضية جوهرية، وهي استخدام التعليم كأداة في مواجهة والتصدي لخطاب الكراهية وذلك باتخاذ الاجراءات اللازمة في قطاعي التعليم النظامي وغير النظامي، لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وتشجيع القيم والمهارات التي تصب في إطار التعليم من أجل المواطنة العالمية وتعزيز الدراية الإعلامية والمعلوماتية، أي تشكيل وعي نقدي في تلقي محتويات المتدفقة عبر الفضاءات الاتصالية الرقمية، واكتساب كفاءات مهارية في الاستخدام الآمن لها. مع التشجيع على غقامة مجتمعات مسالمة، وشاملة للجميع وعادلة من أجل معالجة الأسباب الجذرية لخطابات الكراهية، وهذا يستدعي إذكاء الوعي بشأن احترام حقوق الإنسان وعدم التمييز والتسامح والتفاهم إزاء الثقافات والأديان الأخرى، فضلا عن المساواة بين الجنسين، في سياقات العالم الرقمي والتشجيع على الحوار والتفاهم بين

الثقافات والعقائد والأديان. فضلا عن الاستخدام الاستراتيجي للفضاءات الاتصالية لمعالجة خطاب الكراهية والتخفيف من حدته (المتحدة، 2019، الصفحات 3-4)

وتحاول الجزائر على غرار المجتمع الدولي، مساوقة هذه الاستراتيجية لتنظيم الفضاءات الاتصالية الرقمية سيما ممارسة الحق في الاتصال عبر شبكات الإعلام الجديد، والاعلام الالكتروني، في الاتجاه الذي يدعم جهود التصدي للكراهية في بيئة الأنترنت. ويمكن قراءة نزعة الدولة الجزائرية في مناهضة خطاب الكراهية والتمييز ضمن بعدين أساسين، بعد داخلي وبعد خارجي.

فالبعد الخارجي يتساوق مع القانون الدولي الإنساني، الرامي في بنيته المضامينية الشكلية إلى إحلال السلام العالمي وتعزيز آليات الأمن الانساني والعيش المشترك، وعرف القانون الدولي الإنساني تطورا تشريعيا مهما في اتجاه تجريم وردع خطاب الكراهية والخطاب التحريضي. وهذا التطور استند على روح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وتنص المادة 2 من الجزء الثاني من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية "تتعهد كل دولة طرف في هذا العهد باحترام الحقوق المعترف بها فيه، وبكفالة هذه الحقوق لجميع الأفراد الموجودين في إقليمها والداخلين في ولايتها، دون تمييز بسبب العرق، أو اللون أو الجنس أو اللغة، أو الدين أو الرأي سياسيا أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو النسب أو غير ذلك من الاسباب. وتنص المادة 20 "تحظر بالقانون آية دعاية للحرب، تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضا على التمييز او العداوة او العنف. (المتحدة، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 16 ديسمبر 1966.، 1966) تجدر الإشارة إلى تعدد وتنوع الجهود التشريعية والآليات الدولية لمناهضة كل أشكال العنف والكراهية والتمييز، كالاتفاقية الدولية للقضاء على كل أشكال التمييز العنصري، اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة 1979،

كاتفاقية مناهضة التعذيب، اتفاقية منع الإبادة الجماعية، إلخ. لكن تبقى هذه الآليات عاجزة، ورهينة توفر الإرادة لدى الدول الكبرى لتجسيدها.

وهذا الطرح ينسجم مع العقيدة الجزائرية الرافضة لكل أشكال الاستعمار والعنف المادي والرمزي ضد الشعوب فهي ترفض التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وتدعو للحوار والحل السلمي لمختلف النزاعات والصراعات السياسية. وهي عقيدة تأسست عليها الدولة الجزائرية، واستمدتها من كفاحها الثوري وضالها المرير، لنيل الاستقلال من المستدمر الفرنسي. أما البعد الثاني والمتعلق بالجهود الوطنية لتكريس منظومة الحقوق والحريات الأساسية للمواطن، ومواجهة خطاب الكراهية والتمييز . فيمكن القول، أن هناك نظريا مواكبة تشريعية، مع محاولات وجهود ونضالات لافتكاك الحقوق وتكريسها تدريجيا، مع الإقرار ببعض العقبات، التي تراكمت بسبب الاتجاه الأحادي والسلطة الأبوية التي فرضها النظام السياسي، في بدايات الدولة الوطنية، التي أنتجت ثقافة مجتمعية رجعية متغلقة ومنكفية على ذاتها، وحرمت تحرير العقول الفردية والجماعية، للانخراط الثقافي في مشروع المجتمع المفتوح والملاحظ استمرار النظام السياسي الحاكم، في مقاربته التقليدية ذات الطابع الوصائي على الأنساق المجتمعية رغم التحولات العميقة التي تفرضها الفضاءات الاتصالية الرقمية، التي حررت الأفراد والجماعات، وفتحت أفاقا لا محدودة للإطلاع والمعرفة العميقة للحريات السياسية والمدنية والثقافية، والتعطش لممارستها بحرية.

وبالتالي فالمقاربة السلطوية الاستعلائية، في التعامل مع الكراهية السائلة والمتدفقة عبر مختلف وسائط الاتصال الرقمية والمتعددة المصادر الداخلية والخارجية، قد لا تحقق الأهداف الكبرى والاستراتيجية في تأمين الفضاء الثقافي الجزائري، واستدامة التعايش الانساني المشترك لمختلف فئات الشعب مع مختلف عناصر البنى الثقافية الوطنية ضمن أفق جغرافي غير قابل للتفكيك والمفاضلة.

فالسلطة السياسية، لا تزال تتعامل مع السوفت وارد بالهارد وار، أي أن الدولة الجزائرية وصناع قرارها، لا يزالون يتعاملون مع الغزو الناعم بآليات التصدي الصلبة كسن القوانين وتسخير مؤسسات الدولة وأجهزتها الردعية لقمع الجرائم الالكترونية والأوبئة الثقافية المختلفة.

ورغم ضرورة التأكيد على أهمية هذه الخطوات في تحقيق الأمن السيبراني الوطني والتضييق على تدفقات خطابات الكراهية، وحماية الوطن والمواطن من هذه الهجمات المستهدفة لإضعاف القوى العقلية والفعاليات الفكرية وتفكيك البنى الثقافية الصلبة.

إلا أنه يجب لفت الانتباه إلى أن هذه الآليات، ستبقى لوحدها عاجزة، إلذا لم نقارب الأمن الثقافي من منظوره الشامل، عبر خلق تنمية شاملة واستدامة الحوكمة المؤسساتية للدولة.

تدارك المخاطر السيبرانية في البيئة الرقمية، مرهون بتجاوز خطابات الكراهية، وهذا لن يكون إلا ببناء الانسان وتهيئة كل الظروف والشروط ليس ليمارس حياته فقط ولكن ليعيش إنسانيته الكاملة وغير المنقوصة.

ويجب هنا التأكيد على رسم استراتيجية واضحة المعالم ومحددة الأهداف للتحول الرقمي كمواكبة فعلية وتجديد مدروس لخرائط التفكير الفردية والجماعية وانعاش اليقظة المؤسساتية الفكرية والمعلوماتية. وتهيئة شروط هذا التحول، كتكريس ثقافة التربية الاعلامية والتربية الرقمية كروافد ثقافية لبناء الوعي النقدي في التلقي للمضامين الرقمية والمحتويات المتدفقة عبر مختلف الوسائط الالكترونية المتعددة.

ولقد أفرجت الدولة الجزائرية على مجموعة مؤشرات، توحي بالوعي بالمخاطر المحدقة بالنسيج الاجتماعي وبتوفر الإرادة السياسية لمواكبة التحولات العميقة في الوعي المجتمعي، وتحيق التعاون عبر تجسير الهوات الموجودة بين مختلف فئات

الشعب، سيما نخبه العلمية المتنورة رغم قلتها وتشتتها وتشظي أفكارها، وكذا البنى المؤسساتية المختلفة. لمضاعفة الجهود أولا لإعادة بناء الثقة كأرضية للعمل المشترك، والذهاب نحو ترشيد نهج دمقرطة الدولة بتحقيق التوافقات السياسية الممكنة كأرضية لتعزيز الحريات العمومية وتكريس الحقوق الاجتماعية المسلوبة وتحقيق العدالة الاجتماعية المغيبة

ويمكن استحضار بعض مؤشرات هذه الجهود على المستوى المادي سيما ما تعلق بمراجعة الترسانة القانونية وتحيينها لمواكبة الطفرة الاتصالية، وذلك بتنظيم الاعلام الالكتروني، وتجريم خطابات الكراهية عبر الأنترنت.

إذ ورغم أن السلطة السياسية في الجزائر، ظلت تسترشد بالقانون 09-04 المؤرخ في 05 غشت 2009. والمتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الاعلام والاتصال ومكافحتها. في التعامل مع التجاوزات المرتكبة بوسائل الاتصال الالكترونية خاصة وسائط التواصل الاجتماعي وتأخرت عن سن قانون الاعلام الالكتروني، كما نص عليه القانون العضوي المتعلق بالإعلام 2012. ورغم أن مواد هذا القانون تحيلنا لمختلف صنوف الجرائم الالكترونية، التي تستغل الوسيط الاتصالي الرقمي لارتكابها، كجرائم التحريض والقذف والسب والتجريح والقرصنة الالكترونية، والارهاب الالكتروني.

لكن يبقى هذا القانون قاصرا في المواكبة الاجرائية والجزائية لمختلف المخالفات أو الجرائم التعبيرية المرتكبة في الفضاء الاتصالي الرقمي، عبر شبكات التواصل الاجتماعي أو مختلف المنصات والمواقع الالكترونية الرقمية، سواء الاخبارية أو العامة أو حتى الصفحات الفايسبوكية والوسائط المتعددة.

ويعتبر القانون 20-05 المتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتهما، الصادر في الجريدة الرسمية العدد 25 بتاريخ 29 افريل 2020. خطوة كبيرة والأولى من نوعها، كرد فعل من المشرع الجزائري، للتحرك للتصدي لمكافحة

الكراهية والأخبار الكاذبة. ولقد عرف المشرع الجزائري التمييز في هذا القانون بأنه "كل سلوك يقوم على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي وينص على أن العناصر المكونة لتجريم خطاب الكراهية تتعلق بجميع "أشكال التعبير التي تنشر التمييز أو تحرض عليه أو تشجعه أو تبرره أو تلك التي تعبر عن الاحتقار أو الإذلال أو العداوة أو الكراهية أو العنف".

ولقد صادق مجلس الوزراء على هذا القانون في 23 فيفري 2020. "واعتبرت وكالة الأنباء الجزائرية قانون الوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتها سندا تشريعيا قويا للتصدي لهذه الظاهرة التي أخذت أبعادا مقلقة، دفعت بالسلطات العليا للبلاد وعلى رأسهم رئيس الجمهورية، إلى السعي لمعالجتها وصيانة الوحدة الوطنية بكل مكوناتها. وأن سن هذا القانون يعد أحد أبرز المكاسب التي اجتهدت السلطات في تحقيقها في ظل تفشي هذه الظاهرة لا سيما مع تحول بعض منصات التواصل الاجتماعي إلى فضاءات لنشر مقالات مسيئة لأسس ومقومات الوحدة الوطنية والانسجام المجتمعي. وأضحت بعض مواقع التواصل الاجتماعي تنشر مضامين وخطابات الكراهية والازدراء والنعوت المشينة اتجاه شخص أو فئة من المجتمع وذلك لاعتبارات جهوية واثنية ودينية و شخصية. ونقلت وكالة الأنباء الجزائرية تأكيد رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون، أن هذا القانون جاء ردا على محاولات تفتيت عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وأن حرية التعبير لا تعني حرية السب والشتم والقذف وزرع الكراهية". وهو الطرح الذي أكده وزير العدل حافظ الأختام بلقاسم زغماتي، بأن هذا القانون سيكون له "الأثر المباشر في الحد من تفشي مختلف ظواهر وأشكال التمييز وخطاب الكراهية في بلادنا وسيكون له دور كبير في أخلقة الحياة العامة، والحد من جرائم الكراهية والتمييز التي ترتكب يوميا عبر مختلف منصات التواصل الاجتماعي. (واج، 2020)

كما تم استحداث بموجب هذا القانون، مرصد وطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية، وهي هيئة وطنية تتمتع بالاستقلال المالي والإداري، توضع لدى رئاسة الجمهورية، تتمثل مهامه في رصد كل أشكال التمييز وخطاب الكراهية، ووضع الإستراتيجية الوطنية للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية كإجراء وممارسة وقائية. سيما في الفضاء الاتصالي الرقمي المفتوح، الذي يسمح بتدفقات الأخبار الكاذبة والتضليل سواء من الداخل أو الخارج، وما تحمله هذه الممارسات من تهديدات ومخاطر على الأمن الثقافي للمجتمع والدولة.

ويضطلع المرصد حسب القانون بمهام تتمثل أيضا في التقييم الدوري للأدوات القانونية والإجراءات الإدارية في مجال الوقاية و مدى فاعليتها و إنجاز الدراسات و البحوث في مجال الوقاية فضلا عن تطوير التعاون وتبادل المعلومات مع مختلف المؤسسات الوطنية والأجنبية العاملة في هذا المجال. ويتشكل هذا المرصد من كفاءات وطنية يختارها رئيس الجمهورية، وممثلي المجلس الوطني لحقوق الإنسان و المجلس الأعلى للغة العربية و المحافظة السامية للأمازيغية والهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة والمجلس الأعلى للأشخاص المعوقين وغيرها من الهيئات.

كما تضمن القانون وضمن أفق أخلقة الحياة العامة، وضع استراتيجية وطنية لنشر ثقافة التسامح والحوار ونبذ كل أشكال العنف في المجتمع، وكذا اعتماد آليات لليقظة و الإنذار المبكر عن أسباب مختلف الأمراض الثقافية والأوبئة الالكترونية، يمر إعدادها و تنفيذها عبر إشراك المجتمع المدني والقطاع الخاص. وتضمن القانون مقاربة عقابية بإجراءات ردعية، يمكن أن تصل لتسليط عقوبات على مرتكبي هذا النوع من الجرائم التعبيرية (خطاب التمييز والكراهية) في الفضاءات الاتصالية الرقمية، تتراوح بين ستة أشهر وعشر سنوات سجنا حسب الحالة.

لكن يجب التأكيد في هذا السياق، أن هناك العديد من التحديات، التشريعية والتنظيمية الفنية والتقنية تواجه أخلقة الإعلام بشقيه التقليدي والجديد، وعقبات كثيرة تواجه تشريعات الاعلام الالكتروني وتجويد مخرجاته في بيئة الأنترنت، وبالتالي فالكراهية الرقمية والتي تمارس بشكل مكثف في بيئة الاتصال الرقمية لا يمكن وقفها بالتجريم القانوني فقط، سيما مع تنامي رعبها الناعم وتفاقم مخاطرها على الدولة والمجتمع. فالفضاء الاتصالي الرقمي في الجزائر، يواجه تحديات كبيرة ومتعددة، ترتبط أساسا بكيفية الاستخدام العقلاني لمختلف الوسائط الاتصالية في المقام الأول، والتلقي النقدي للتدفقات اللامتناهية للمحتويات الاتصالية التي ترفدها هذه الشبكات التواصلية .

ولعل من بين هذه التحديات المواكبة التشريعية، حيث شهدت السنوات العشر الأخيرة تركيز الجهود العمومية لإحداث مراجعات عميقة في البنى التشريعية، بالشكل الذي يؤهلها، لمسايرة نبض الفضاء الاتصالي الجديد تقنيا ووظيفيا . لأن مكمن القصور في هذه المنظومة التشريعية، في الاحالة للنصوص التنظيمية والابقاء على الغموض الكبير حول هذا النشاط الإعلامي عبر الأنترنت، الذي يستدعي قانونا تفصيليا للضبط والتنظيم والتسيير والتأطير سيما في ظل تحول المواطن من متلقي إلى منتج للمضمون الإعلامي الاتصالي عبر الأنترنت . ولقد سارع المشرع لتنظيم ممارسة المهنة عبر الأنترنت، لكن أبقى على الكثير من نقاط الظل لم يوضحها . ويتمثل في المرسوم التنفيذي20-332 المنظم للممارسة الاعلامية الالكترونية عبر الأنترنت، الصادر في الجريدة الرسمية في عددها 70، الصادرة في 25 نوفمبر 2020. يحدد كيفيات ممارسة النشاط الإعلام عبر الأنترنت، ونشر الرد أو التصحيح عبر الموقع الالكتروني .

ويعتبر ضعف تدفق الأنترنت من أهم العوائق الفنية والتقنية التي ستواجه إنشاء وتوطين الإعلام الالكتروني في الفضاء الاتصالي الرقمي ضمن النطاق الجزائري.

فالاحتكار العمومي لخدمات الأنترنت من خلال المتعامل العمومي، اتصالات الجزائر، وضعف البنية المادية والهيكلية للمتعاملين الخواص سيشكل أهم عقبات تطوير الاعلام الالكتروني، الذي يتطلب تدفقا عال للأنترنت، بما يستجيب لتطلعات المستخدمين والمتصفحين، الذين ينزعون نحو التلقي الاستعجالي للمحتويات الالكترونية ويرفضون الانتظار والتريث وهذا ما يترجمه الشكاوي الكثيرة من مستعملي الأنترنت في الجزائر. كما يتعبر أخلقة الفضاء الاتصالي ومن خلاله المحتويات المتدفقة عبره من أكبر التحديات، سيما وأن هذا الفضاء الاتصالي الرقمي، أصبح يعج بالكثير من الأوبئة الالكترونية، كالتضليل والمضامين والملفقة والأخبار الكاذبة، إضافة إلى حالات الاستقطاب التي تشحن هذا الفضاء بمجموعة من الظواهر والأوبئة الالكترونية، كتنامي خطابات التميز والكراهية، والتعصب الافتراضي، بخلفيات دينية أو جهوية أو لغوية أو عرقية . مما يجعل من أخلقة الاعلام الالكتروني رهان صعب، خاصة في ظل غياب الارادة السياسية، للانتقال من تحصين سلطة الحكم لتحصين البناء الاجتماعي والمؤسساتي للدولة.

أما الرهان الأكبر فيتمثل في الاستثمار الأمثل في الفضاء الاتصالي، بتغليب الطابع الثقافي عليه، ونشر المحتويات الرقمية الفكرية والعلمية، التي من شأنها الموازنة بين تدفق المعلومات ذات الطابع الاستهلاكي الجماهيري المكثف وبشكل عبثي وسلبي، إلى التدفق التحكمي والذكي للمعلومات والأفكار والأخبار ذات القيمة، مع الحرص على تحويلها لمعرفة مشتركة متداولة في الفضاء التواصلي، والحرص على الانتقال من النقاشات العصبية البيزنطية، لإعمال العقل العلمي والثقافي في المطارحة والمجادلة ضمن توجه منتج للوعي المستنير، ومنتج لقيم التعايش المشترك والأنسنة.

وعبر هذه الاستراتيجية التي تستثمر في بناء الوعي النقدي لدى المتلقين ومستخدمي شبكات التواصل والوسائط المتعددة والمواقع والمنصات الالكترونية،

يكون الفضاء الاتصالي الرقمي يستجيب لمقتضيات القوانين والتشريعات التي تنظمه بما يتوافق مع القانون الدولي الإنساني، بالشكل الذي يؤهله ليصبح فضاء للتعاون والتعايش ونشر قيم السلام والتسامح، وبالتالي يمكن تحويل الاعلام الالكتروني في البيئة الاتصالية الرقمية، من سلاح للهدم لماكنات عملاقة للبناء، والمساهمة الفعالة في التثقيف الجماعي والتأسيس للمقاربات التشاركية في السياسات العامة وصناعة القرارات الاستراتيجية ضمن نزعة ديموقراطية تفاعلية متجددة.

8-تعزيز الأمن الثقافي في الجزائر في ظل الفضاء الاتصالي الرقمي الآفاق والتحديات

أتاح الفضاء التواصلي الكوني المفتوح بوسائطه المتعددة ومنصاته الرقمية، فرصا لا متناهية ومستويات عالية وأحيانا لا محدودة من الحريات؛ خاصة حرية الاتصال والتعبير عن الذات والتفاعل الثقافي مع الآخر الحقيقي والافتراضي. والاندماج في فضاء لا محدود من الرموز والدلالات المتاحة في الفضاء التواصلي سواء التي في تماس وتشابك مع التراث الإنساني المحلي أو الكوني، أو المواكبة لديناميات التحول التكنولوجي المندفعة نحو الأفق المستقبلي. ويحيلنا الطرح العلمي المرافع لتجليات مخاطر وتهديدات الإعلام الجديد ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي للأمن الثقافي، إلى الدفع بالمتتبع لتطورات الإعلام الجديد والمتصفح لمضامينه خاصة ذات الطابع الاجتماعي والسياسي اتجاه تجاوز حدود النقد الموضوعي، وتجاوز حدود النقد الإعلامي الساخر. إلى الاستعمال الإنتقامي الماكر الذي يهدف إلى تدمير الآخر بدل إصلاح أخطائه وعيوبه، وهو الغرض الأسمى من الكتابة النقدية وبالتالي يكون الإعلام الجديد ينحوا منحى الهدم أكثر مما ينحوا منحى البناء.

وهذا ما ذهب إليه نصرالدين العياضي في نقده المركز للجهود البحثية العربية حول الإعلام الجديد قائلا:" إن قائمة السلبيات تبدو أطول من قائمة الإيجابيات، إذ تتضمن الكذب المفرط أثناء التفاعل والتواصل مع الآخرين، الإدمان على استخدام الشبكة وظهور نمط من التفكير غير المنطقي وعدم الالتزام بالدين والقانون والأخلاق. وعدم المبالات التي تؤدي إلى إهمال العلاقات الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء وتجاهل الدراسة وانخفاض المستوى التعليمي، وظهور المشاعر السلبية كعدم الرضا عن الذات والغزو الفكري؛ خاصة لأصحاب الفكر السطحي، والإدمان على الاتصال بالجنس الآخر، والعزلة الاجتماعية وبث الأفكار الهدامة وعرض المواد الفاضحة وهتك الحياة الخاصة والابتزاز والغش والسرقة. أما قائمة الإيجابيات فهي قصيرة وتتمثل في حرية الرأي والتعبير والتفاعل والمعرفة " (العياضي، 2015: 236).

قد يكون لتراكم مفعول الكبت المصحوب بالمصادرة المقننة لحرية التعبير والتفكير، دورا بارزا في تشجيع هذه الممارسات غير الأخلاقية. والتي تلقى رواجا كبيرا وتتخذ أبعادا جماهيرية غير مسبوقة، بفعل الإقبال الكبير على التفاعل مع تلك الانتقادات الممتدة إلى التجريح والقذف والشيطنة لكل مسؤول، سواء في شكل أفعال أو ردود أفعال أحيانا ذات طابع احتجاجي، رافضة للآخر وأحيانا متهجمة عليه ومشوهة لشخصيته الطبيعية والاعتبارية.

هذه النزعة الحماسية لممارسة الحرية في هذا الفضاء الاتصالي الجديد، تحيلنا إلى منطق ممارسة هذه الحرية؛ التي يجب أن تقترن بالمسؤولية لكي تساهم في البناء بدلا من المساهمة في الهدم. وهنا يثار الجدل، فبالعودة للبيئة الثقافية الجزائرية بأزمتها المتعددة والمتواترة في استمرارية جدلية وتراكمية. يطرح البعض تساؤلات هل ستساهم الحرية في هذا الفضاء في تعزيز الأمن الثقافي بتوفير أطر تنظيمية للحوار والتعايش والأنسنة أم أنها ستعزز من سلطة الأنا المتعصبة

والمستفردة بالرأي واللاغية للآخر المختلف. مما يجعل هذه الحريات اللامحدودة قريبة من الهدم منه للبناء، وتدفع الى البحث النقدي عن جدوى هذه الحرية وتدفقاتها عبر الميديا الجديدة وتأثيراتها على الأمن الثقافي. بين من يرى في الظاهرة التكامل وبين من يرى فيها الصراع وبين من يتحمس لفكرة التعزيز وبين من يرى في الفضاء الاتصالي الجديد المخاطر والتهديد.

تطلعنا مختلف النصوص التشريعية بأن حرية أي إنسان تنتهي حين تبدأ حرية الأخرين، ولكن يبدو أن هذه القاعدة القانونية، التي تأسست عليها حقوق الإنسان والحريات الأساسية وتعارفت عليها مختلف ثقافات الشعوب التشريعية. قد تواجه أكبر تحدي في ظل موجات التحرر الجديدة التي حملتها التكنولوجيات الحديثة. وجسدها ظهور الإعلام الجديد سيما في المجتمعات التي لم تتربى على الحرية وعاشت في ظل أنظمة استبدادية، تناصب العداء لكل الأفكار التحررية وتعتبر أحيانا التفكير تكفير؛ خاصة الذي لا يسري في الاتجاه الذي تهواه السلطة الحاكمة وبالخصوص الملوك والرؤساء.

لكن هذه المقاربة الاحتوائية المبنية على الخوف الاجتماعي والرهبة من السلطات، وتسليط مختلف العقوبات يبدو أنها في طرقها للتلاشي؛ بل ربما تتجه نحو المزيد من الانفلات. ولا شك أن عبقرية الشبكات الاجتماعية على الانترنت، غدت عدسة ثالثة لا ترحم المقصر أو المخطئ ولقد أطلعتنا أحداث كثيرة وطنيا ودوليا، كيف كانت شبكات التواصل الاجتماعي والمدونات خاصة السمعية البصرية عن طريق الفيديو، أداة من ادوات التفاعل والتواصل والحفز وأحيانا التحريض ونشر الكراهية أيضا". (خالد، 2011: 119).

ويبدوا أن هذه الموجة سوف تكسر مختلف الضوابط الاجتماعية، وتخرق مختلف القواعد القانونية وتعزز فكرة التمرد على المقدس، والاعتماد إلى النشر الموسع للمدنس وتداوله المكثف. في شكل ردود أفعال انفعالية سواء هزلية أو

انتقامية، مما يفقد الدولة هيمنتها وهيبتها. وبالتالي يزيد من تعميق أغوار الشروخ الاجتماعية، ويزيد من تدمير ما تبقى من البنية القيمية والرصيد الأخلاقي الوطني، ويهدر ما بقي للمجتمع من رأسمال رمزي فكري وثقافي، ويدفع نحو مراكمة الاستلاب والاغتراب والاستكانة والاستسلام والقابلية للإستغباء ضمن ما يعرف بالغوغاء الذكية؛ التي يمكن أن تؤثر وتتأثر بتكنولوجيات الاتصال وتطبيقاتها بشكل إيجابي ومفيد وبناء أو بشكل سلبي ومدمر، بحيث يمكن استخدامها مثلا لدعم الديموقراطية بينما قد يستخدمها آخرون لتنسيق أفعال إرهابية. (حسنين، 2018: 359)

ويمكن أن تدعم تراكم الرواسب الثقافية السابقة، التي تكبح الحركة الإبداعية في المجتمع وبالتالي قد تساهم في تعزيز منطق لكل مواطن دولة في رأسه، كحصاد منطقي لفكرة الكل أمني والإفراط في المقاربات العقابية.

ولقد عاش الفضاء التواصلي الجزائري هيمنة سلطوية مزمنة، تخللها انبعاث الكثير من أشكال الصراع التي انحرفت لتشكل حالات استقطاب خطيرة، جنحت نحو العنف اللفظي والتخوين وممارسة دعاية الكراهية بتوظيف رموز وعناصر الهوية الوطنية والجهوية العرقية وليس من الغريب أن تظهر بعض مؤشرات منطق العبث بهيبة الدولة، والدفع بالكثير من مؤشرات التهديد للأمن الثقافي للظهور وبأشكال استعراضية في الفضاء الاتصالي الرقمي المفتوح، متجلية في سلوكيات وتصرفات الكثير من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

رغم تفاؤل البعض بعض الأكاديميين بإسهامات بيئة الاتصالات الرقمية في تعظيم الرأسمال الاجتماعي، وتقديم فرصا جديدة للمواطنين للتشاركية ومراقبة مراكز القوى الاقتصادية والسياسية. (بن يزة، سغيري، 2019: 259).

ويمكن استحضار الكثير من مؤشرات الفوضى الاتصالية، التي تشكل تهديدات خطيرة للأمن الثقافي وللنسيج المجتمعي الجزائري. وتشمل إثارة نقاشات

صدامية بأشكال بيزنطية عقيمة خاصة حول عناصر الهوية الوطنية، اللغة والدين والتاريخ والانتماء الجغرافي. وتنحرف النقاشات بنزعة انفعالية نحو التمييع، وتدنيس المقدس وتقديس المدنس بشكل يفكك بنية القيم والرأسمال الرمزي الوطني. فقد أطلعتنا العديد من مواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي، سيما صفحات الفايسبوك على حالات كثيرة للتهجم على الدولة وكل رموزها، ولجأ البعض إلى العنف اللفظي في التعبير عن أفكاره وآرائه ومواقفه اتجاه بعض القضايا الوطنية

ويتفاقم الوضع المضطرب ثقافيا وتزداد حالات الاستقطاب حد الاحتقان، خاصة في المناسبات الانتخابية؛ والتي تشهد كثافة في التدفقات الاتصالية، وما يرافقها من انحرافات كلامية. فقد تميزت مرحلة التحضير للانتخابات الرئاسية، التي أراد الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة الترشح فيها لعهدة خامسة، لحالات من الاحتقان والاتصال الاحتجاجي الميدياوي المتطرف، طفت فيه مختلف أشكال وأنواع التعبير الساخط بحمولة مشحونة بالعنف اللفظي السب والشتم والقذف، انتقلت من شخص الرئيس والموالين له خاصة من أحزاب السلطة ليطال هذا العنف الرمزي، مختلف مؤسسات الدولة.

لكن ومع اندلاع الحراك الشعبي في 22 فيفري 2019 تراجعت حالات التهييج الإلكتروني وظهرت بوادر توافق شعبي وطني، تجاوزت كل عوامل التفرقة والتمييز. حيث ظهر الشعب الجزائري كتلة واحدة متماسكة يجمعهم هدف واحد هو بناء الجزائر الجديدة، دولة الحق والقانون والمؤسسات يتساوى فيها جميع الجزائريين. لكن تعثر هذا المسار، وتجددت الفوضى الاتصالية وحالات الاستقطاب الانفعالي في الفضاء الالكتروني، بعد إقرار السلطات العليا في البلاد وصناع القرار في المؤسسة العسكرية، اللجوء للخيار الدستوري في التجاوب مع مطالب الحراك الشعبي، والذي يفضي إلى تنظيم انتخابات رئاسية بتاريخ 12 ديسمبر 2019.

وفي هذا السياق انبعث الصراع بين مؤيد ومعارض لهذا المسار، فمن أيده رأى فيه الحل الأمثل لتجنيب البلاد حالات الفوضى التي قد يتسبب فيها الفراغ الدستوري. بينما رأى المعارضون لهذا الخيار خيارا سلطويا متنكرا للإرادة الشعبية في التغيير الجذري للنظام واعتبروه مراوغة سياسية لإعادة إنتاج وتجديد شرعية النظام السياسي.

ولقد وصل الصراع إلى ذروته، وجنح لإنتاج وتداول مكثف لعبارات التخوين والتجريم بخطابات عنصرية وجهوية مشحونة بالعداء والكراهية، تم إقحام في هذه الصراعات العصبية الالكترونية، عناصر الهوية الوطنية والأبعاد التاريخية والجهوية. ولم يسلم من هذه المعارك الوهمية الخاطئة، لا الأشخاص الطبيعيين ولا المعنويين، بل ولم تسلم منها حتى المؤسسات السيادية على غرار المؤسسة العسكرية.

قد يجد البعض تبريرا لهذه الأساليب التعبيرية غير الديموقراطية، في حالة الصدمة الجماعية التي أصابت الجزائريين، بسبب ترشيح رئيس مريض ومغيب سياسيا لفترة طويلة وحالة الانحباس التي عرفتها الجزائر على جميع المستويات، علاوة على الانتشار المكثف للفساد وتغول المفسدين، وتواصل سياسات التنكر والاحتقار للإرادة الشعبية. لكن في الحقيقة هذه الظاهرة تعبر عن باثولوجيات سوسيوثقافية، تعرف منحى تصاعديا وباتت تمثل تهديدات حقيقية للنسيج الاجتماعي ولمسار البناء المؤسساتي للدولة.

ويمكن بشكل عام إيجاز بعض هذه التهديدات للأمن الثقافي الوطني كما يلي:

-الطعن في هبة الدولة والتعدي على المقدس: يتجلى التعدي وتدنيس المقدس في محاولات قليلة لكنها تعرف تزايدا كبيرا وانتشارا موسعا، على غرار الطعن في الرموز الثورية بطابع انتقامي وكذلك التشكيك أحيانا في نضال وكفاح بعض صناع مجد الثورة الجزائرية والسخرية من تاريخ بعضهم، عبر نقل بعض التصريحات

الإعلامية وتأويلها وتطعيمها بطابع انتقامي لدرجة التخوين في بعض الأحيان. إضافة إلى التطاول على المعلوم من الدين رغم تجريمه من الناحية القانونية. إلا أن الفضاء التواصلي خاصة شبكات التواصل الاجتماعي تشهد حالات من الصراع والتعصب الديني والمذهبي، توحي بخطر داهم في الأفق فالاستغلال السياسوي للدين وتوظيفه الشعبوي، أدى إلى إفراز مفارقات كبيره في توظيف الدين في المشروع المجتمعي، بحيث لا يزال المشهد السياسي الجزائري يتسم بالتجاذب بين الأفكار التي تدعوا إلى ضرورة ربط الصلة بين الدين والسياسة، أي بين الدين والدولة والتي تذهب إلى حد المطالبة بوجوب إقامة الدولة الإسلامية، في مقابل الأفكار التي تدعوا إلى وضع الحدود بين الدين والسياسة إذ ينادي أصحابها إلى وجوب علمنة الدولة وذلك بإخراج السياسي من الديني وتصفية أي مظهر من مظاهر ازدواجهما (زياني، حجيج،2011. ص79)

وفي الوقت الذي يتفاءل البعض بما يسمى التدين الرقمي رغم سطحيته، لتصحيح النظرة الخاطئة عن الإسلام. (نومار، 2018: 365). وتقلص حدة الإسلاموفوبيا. يلاحظ مؤخرا أنه انتقل الصدام من تيارات فكرية وعقائدية متنافسة سياسيا بخلفيات إيديولوجية، خاصة بين العلمانيين والإسلاميين. إلى تنافس مذهبي بين تيارات دينية خاصة بين التيار الإخواني والتيار السني الوهابي، إذ يصل الاستقطاب إلى توصيف كل تيار للآخر بالأجنبي. فيصف التيار الإخواني التيار السني الوهابي بالجالية السعودية بالجزائر، وبالمقابل يصف التيار السني الوهابي الإخوان بالجالية التركية في الجزائر. ويتجه هذا التصعيد نحو المزيد من الاحتدام مما يمثل خطرا حقيقيا على النسيج الاجتماعي، خاصة مع مستويات الحرية التي تعرضها الفضاء الاتصالي المفتوح.

-العنف اللفظي: تزايدت وتيرة العنف اللفظي المغذي للتوتر الثقافي. واصطبغت بالطابع الجماهيري بفعل الإعلام الجديد وتطبيقات وسائطه الاتصالية

المتعددة، وانتقل من عوالمه الذاتية وأحيانا الجماعات الأولية المصغرة كجماعات الرفاق بالخصوص، إلى العالم الإلكتروني والفضاء الاتصالي المفتوح، ليشمل أحيانا نقاشات صدامية تعمق من الأزمة متعددة الأبعاد للفضاء السياسي المفلس فكريا وأخلاقيا، والذي يغرق في العدمية.

-الفوضى الاتصالية: تتجلى هذه الفوضى الاتصالية بقلب موازين القيم والدفع نحو التنازل على رساميل المجتمع ومبادئه، ومحاصرة سلطة الثقافة مقابل تشجيع ودعم سطوة السخافة والمتاهة. بالدفع بمجموعة من الممارسات الشاذة للتداول المكثف في البيئة الاتصالية الرقمية؛ كالطعن في شرعية الأبطال والرموز الثورية وهدم القدوات بالتهجم على العلماء والحط من قيمتهم وافتراس رمزيتهم. مقابل صناعة القدوات المزيفة والأبطال الوهميين والنشر الموسع للفضائح والتجاوزات والتلذذ الإنتقامي في استعراضها وتداولها.

إضافة إلى الاعتداء على رموز الدولة، والطعن في مصداقية كل ما ينتج من خطابات أو قرارات عن السلطة السياسية وشيطنة كل مسؤول. مؤشرات خطيرة تدفع نحو هدم جسور التواصل وتوسيع الهوة بين الحاكم والمحكوم والسلطة والشعب. فتغييب حاسة النقد الموضوعي والجنوح نحو تصفية الحسابات، والانسياق وراء ردود فعل انتقامية بدوافع شخصية ومنطلقات انتفاعية ضيقة، والترويج المكثف للمواطنة الانتفاعية مقابل انكماش وتراجع المواطنة النفعية، والاضطراب التناقضي لمنطق الحق والواجب في سلوك المواطنة.

لكن القراءة العلمية لهذه المؤشرات، تحيلنا لتراكمات ماضوية أنتجت هذا الوضع باختلالاته واعتلالاته الباثولوجية. حيث يتمظهر التوتر الثقافي في البيئة الثقافية والفكرية الجزائرية في مجموعة من التوترات والاضطرابات، التي مست وتمس الحياة في مختلف مجالاتها وأبعادها ويتجلى أساسا في الفشل المستمر في بناء الانسان، على حساب الهوس بالعمران والعجز المزمن عن وقف الهدر والاستنزاف

للطاقات الفكرية الوطنية، ونقص الاستثمار في الرأسمال البشري والرمزي لعقود طويلة، والاستمرار في هدر العقل والكفاءة كأهم ركن في ثلاثية الهدر الأخطر أي هدر الفكر والوعي والطاقات. لأنها تصيب نماء وحيوية المجتمع في الصميم لأنها تتركه في حالة الانكشاف وفقدان المناعة تجاه الضغوط الخارجية المتنامية. (حجازي، 2013: 163). هذا الاضطراب الذي جعل البناء هشا، وتكتنفه نقائص كثيرة وثغرات كبيرة أصبحت مع مرور الوقت أكثر خطورة. فبقدر ما يعتبره البعض ظاهرة طبيعية وهو انعكاس للتحول المنطقي للتطور الذي شهده المجتمع الجزائري، عبر مختلف المراحل التي مر بها إضافة إلى تأثيرات تجليات التحول العام للنظام العالمي وفقا لمحددات النسق الاتصالي العالمي، الشيء الذي يضع إشكالية الأمن الثقافي الجزائري ضمن أهم الإشكاليات على الإطلاق. ويدفع بجهود الباحثين والمهتمين من الفاعلين الثقافيين والسلطات السياسية، إلى تجديد التفكير وبعمق في هذا المكون الأساسي للدولة وللهوية الوطنية؛ من خلال تشخيص الظاهرة وعرض التحديات الراهنة للعولمة الثقافية وللعولمة المعلوماتية. سيما في ظل ما بات يعرف بالإعلام الجديد أو الإعلام البديل والمساحات التعبيرية الهائلة، التي يعرضها لجميع المستخدمين وتداعياتها على الأمن الثقافي الجزائري.

ويرى البعض أن نجاح وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، في كسب رهان "الحصانة الثقافية" وبالسرعة المطلوبة مقرون بتحرير الفضاء الاتصالي، لتدارك ما تم تضييعه غداة الاستقلال، بسبب تفعيل الأداء الرقابي الحكومي على الوسائل الإعلامية. وبالتالي تحويلها عن مسارها الطبيعي وتقزيم أدوارها الريادية في البناء المادي والروحي للدولة الوطنية؛ من خلال هدر فرص بناء الإنسان الجزائري خارج أطر الاستقطاب الهوياتي، هذه الظاهرة التي أطالت من عمر الرواسب الثقافية الإستدمارية الكابحة لأية نهضة مجتمعية.

ويذهب البعض أبعد من وصف مشكلة الهوية بالمشكلة أو الأزمة الثقافية، ويعتبرها تهديد للأمن الثقافي الوطني، "فالتهديدات الداخلية التي تواجه الأمن القومي الثقافي والاجتماعي في الجزائر، تترسخ في أعماق ما يسمى بأزمة عناصر الهوية في المشروع السياسي الجزائري، خاصة وأن مشروع تعريب المجتمع والإدارة لم يحقق أهدافه المرجوة بعد (زياني، حجيج، 2011: 76). هذا الاختلاف حول مكونات أو عناصر الهوية الوطنية لم يكن نعمة بل كان نقمة على البلاد والعباد، وأثر على النسيج الفكري الوطني، وتولد عنه انشطار في خلية التفكير الوطنية واضطراب في بنيتها القيمية في بيئة التواصل الرقمي المفتوحة، ولا تزال الهوة تتباعد حتى بين من يتباهون بانتمائهم للفئات المثقفة والنخب العلمية الوطنية.

وهنا يثير بعض الأكاديميين الطرح العقلاني المتمركز على الهوية متعددة الأبعاد، حيث يستوعب كل فرد في الواقع بصفة توليفية، تعدد المرجعيات الهوياتية المتصلة بتاريخه إذ تحيل الهوية الثقافية إلى مجموعات ثقافية ذات مرجعيات لا تتطابق حدودها، ويعي كل فرد أن له هوية ذات هندسة متغيرة، تبعا لأبعاد المجموعة التي يعتبرها مرجعا له في هذه أو تلك من الوضعيات العلائقية. هذه الهوية متعددة الأبعاد لا تطرح عادة إشكال بل تحظى بالقبول إلى حد كبير (لونيس، 2017. ص36).

لكن وفي ظل غياب الاعتراف والنكران للكفاءة، والإحجام على الاستثمار في العقل الإبداعي والابتكاري والإنتاج الموسع للرداءة مقابل إهمال وتهميش السلطة المعرفية والإستقطابات غير الأخلاقية، لمختلف الأجهزة البيروقراطية المتسمة بالرداءة في الداخل مقابل الاعتراف والإستقطابات التحفيزية من الخارج. فضل كثير من الطاقات الذكية الجزائرية تحت ضغط تردي الظروف الأمنية وتراجع مستويات القدرة الشرائية، الهجرة الشرعية وغير الشرعية إلى البلاد الغربية الأوروبية

والأمريكية والأسيوية؛ وهو شكل من أشكال استنزاف خزانات التفكير الاستراتيجية والرأسمال الرمزي الجزائري وإضعاف للفكر التنويري والمنتج.

هذا التمزق والانشطار في النسيج الفكري والقيمي، عرقل ظهور المشروع المجتمعي والبناء المؤسساتي للدولة، القائم على التصور العلمي والمنطق الثقافي الذي من شأنه بناء شخصية وطنية متوازنة تمتلك القابلية للحوار والتعايش، ومنتجة لقيم المواطنة والأنسنة مما زاد من عمق الهوة بين الدولة والمجتمع، وما يزيد من مفاقمة الخطر هو أن الإعلام الجديد لا يساهم في فك الارتباط بالزمان فحسب ولكن بالمكان أيضا.

ويمكن استحضار مجموعة من مؤشرات ومظاهر التهديد الذاتي والموضوعي للأمن الثقافي في الجزائر، كمخاطر الانغلاق ومصادرة الحقوق وكبح الحريات، والتعصب بمختلف أشكاله؛ فهو الوباء الأكثر فتكا بالبنية السوسيوثقافية والأشد تهديدا للأمن الثقافي. فرفض الآخر وافتراس قيمة الحوار، وانزياح القيم المهنية في التغطيات والمعالجات الإعلامية والاستمرار في حجب الحقيقة والاحتكار السلطوي لها، وإبرازها من منظور أحادي خارج أطر الوعي والفهم العقلاني، سيدفع نحو توليد المزيد من الشحنات الانفعالية، التي تغذي الاستبداد بين طرفي نقيض وتتضاءل فرص تجسير الهوة، وبالتالي بناء جسور الثقة والآمان لتوطين الأمن الثقافي كرافد لكل تطور ونهضة للجزائر.

وربما من أهم هذه المؤشرات التلوث المعلوماتي، والتدفقات المستمرة للأخبار الكاذبة والملفقة والمحتويات التضليلية. فالارتفاع المستمر في عدد المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي تزامن مع الارتفاع المستمر لتدفقات الأخبار الكاذبة، وتلوث الفضاء المعلوماتي فالطبيعة التراكمية والمعقدة لبناء المعلومات وصناعتها، كما أن علاقاتها التبادلية اللامحدودة مع القضايا التي ترتبط بها يفاقم من صعوبة تحديد مصدر تلوث المعلومة بدقة". (الحمزة، لعجال، 2020: 98).

ولقد أكد تقرير التنمية الانسانية العربية (2016) أن جميع 75 بالمائة من الشباب مرتبطين إلكترونيا في الجزائر، وتمثل نسبتهم أربعة اضعاف نسبة ارتباط والديهم. مما يعزز الصراع القائم بين الأجيال. ففي الوقت الذي يتشبث الأولياء بالسلطة الأبوية ينزع الأبناء نحو المزيد من التحرر منها. وهذا ما يفسر على الأقل أن النمو المذهل لشبكات التواصل الاجتماعي لم يساير من الناحية الكمية نموا في الاستخدام النوعي والآمن للفضاء التواصلي الرقمي. والظاهرة الملفتة للانتباه، انكماش حضور الفاعلين الثقافيين ومحدودية تأثيرهم وقلة توطين المادة الثقافية والمعرفية التي ينتجونها في الفضاء التداولي، مما يسمح بالتداول المكثف لمختلف المحتويات، التي تشكل مخاطر وتهديدات صريحة للأمن الثقافي الجزائري في مختلف أبعاده وتمس مختلف عناصره، سيما عناصر الهوية الوطنية.

ولقد سارع صناع القرار لبذل جهود لاحتواء الظاهرة وكبح مخاطرها، بسن قوانين تجريم الأخبار الكاذبة وكذا سن قوانين لمحاربة الكراهية. لكن البيئة الثقافية يبدو أنها غير جاهزة لاحتضان هذه القوانين، التي تتطلب معرفة مسبقة وإدراك عميق لمخاطر هذه التداول للمحتويات الملفقة والتضليلية؛ وبالتالي يمكن اعتبار هذا الاندفاع التشريعي لتبني مقاربات عقابية تجريمية سابق لأوانه، وغير مجدي في ظل الفشل في بناء الانساق الثقافية المؤسسة لثقافة دولة الحق والقانون واستمرار هدر فرص بناء الانسان المواطن.

خاتمة :

يمكن القول ختاما لهذه المداخلة، أن الخروج من سياج الكراهية، يتطلب بناء مجتمع، متحرر من كل الرواسب الثقافوية التي تكبح نزعته الإنسانية . وبالتالي فالمراجعة التشريعية وتكييف نصوصها لتواكب تحولات الفضاءات الاتصالية الرقمية المفتوحة، لا تكفي وحدها لجعل المجتمع والدولة والأفراد والجماعات تواكب مهاريا وتقنيا وفنيا وثقافيا هذه الطفرات الاتصالية، وتساهم في الجهد

الانساني، في التأثير في حركية هذه التدفقات بدل الاستسلام لتجاريفها المرعبة المستهدفة للعقل الفردي والجماعي، عبر النفخ الأعمى في خطابات الكراهية، بأجنداتها التدميرية الناعمة. وبالتالي بات من الضروري، تحقيق تنمية ثقافية شاملة، بالقبول بحتمية التغيير وبمركزية الإنسان وعبر عقله التعارفي كما طرحه المفكر طه عبر الرحمان، في بناء الأنساق الثقافية المتسامحة كأرضية لتجسيد مشروع المجتمع المفتوح، المتقبل للاختلاف والمنتج للبنى الفكرية الرافضة لكل أشكال الصدام، والصراع والاحتقار، وبالتالي تحقيق التعارف بين الشعوب والتآلف في تعايشها الثقافي، ضمن أفق إنساني تعددي، بعالم واحد وأصوات ثقافية متعددة. كما تجدر الاشارة في هذا المقام، إلى أن فلسفة التشريع الاعلامي، المرتكزة على المقاربة العقابية لم تنجح في احتواء الكثير من الظواهر المرضية، التي أنهكت المهنة الصحفية والإعلامية، وأفرغتها من مرتكزاتها المهنية ومعاييرها الأخلاقية، وجعلتها كما الصحفيين، محل عداء وكراهية، يمارسها بشكل كثيف مستخدموا شبكات التواصل الاجتماعي. فالردع القانوني قد يعطل مرحليا، تدفقات خطابات الكراهية عبر مختلف الفضاءات الاتصالية التقليدية والرقمية، لكن ستعيد الظهور، والانتشار الكثيف مجددا، وتعكر صفو العلاقات الاجتماعية، وتشحن حالات الاحتقان مجددا، تارة باثارة النعرات الجهوية، وتارة بالأدلجة للتاريخ أو الدين، أو بشن هجومات لفضية الكترونية بخلفيات مناطقية أو هوياتية، أو التهجم السيبراني على مؤسسات الدولة وكل ما يرمز للسلطة.

وهنا يطرح العقل الأكاديمي بديل التثقيف الاعلامي الرقمي أو التربية الرقمية كجيل جديد أكثر تطورا من التربية الاعلامية، لتشكيل السلطة النقدية الجماهيرية، وبناء العقل النقدي الرافض للانخراط في معارك الاستقطاب الهوياتي أو الايديولوجي ضمن الفضاءات الرقمية، وترجيح الدعوة للتعايش والتسامح ونشر القيم والمبادئ الداعية لروح الأنسنة والتعايش المشترك ضمن الجزائر الواحدة

والموحدة، بتعدديتها الثقافية والسياسية، والتفرغ للرهانات الكبرى التي ضمن أولوياتها، بناء دولة المؤسسات والحق والقانون، التي تضمن العيش الكريم وترسم أفقا تفاؤليا للجميع.

مداخلة علمية بعنوان:

إعلامية الحوار: استراتيجيات تعزيز التفاهم بين المجتمعات متعددة الثقافات

مقدّمة إلى الملتقى الوطني متعدّد التخصصات:

"أمن المجتمعات بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح"

يوم 11 أكتوبر 2023

إعداد:

د. لبنى رحموني

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية، جامعة أم البواقي

ط.د نبيل بن مدور

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية، جامعة أم البواقي

ملخص:

تناولنا في هذه المداخلة جوانب متعلقة بدور الإعلام في تعزيز ثقافة الحوار. في البداية، تم تعريف الحوار إلى جانب سماته الرئيسية مثل الاستماع الفعال، وتبادل وجهات النظر، واحترام الآراء المختلفة. كما تم شرح أهمية الحوار في تعزيز التفاهم، وحل النزاعات، وتقوية التماسك الاجتماعي .

علاوة على ذلك، تم توضيح مفهوم الحوار الإعلامي والمبادئ والأساليب التي يقوم عليها. وتم بيان كيف يمكن لوسائل الإعلام المساهمة في نشر ثقافة الحوار من خلال برامجها ومحتواها. كما تمت الإشارة إلى بعض الاستراتيجيات الإعلامية الفعالة لإدارة الحوار بين الثقافات والشعوب.

بالإضافة إلى ذلك، تم التأكيد على ضرورة التزام الإعلام بالموضوعية وتقدير التنوع في وجهات النظر دون تهميش أي رأي. كما تم التأكيد على أهمية مشاركة الإعلام للشباب وتدريبهم على ممارسة الحوار البناء، وخاصة من خلال منصات التواصل الاجتماعي. وباختصار، يستطيع الإعلام لعب دور محوري في تعزيز قيم التسامح وبناء مجتمعات أكثر معرفة وتماسكاً عند الالتزام بهذه المبادئ.

الكلمات المفتاحية: الحوار، إعلامية الحوار، تعزيز التسامح، مجتمعات متعددة الثقافات.

Abstract:

The key points discussed cover several aspects related to the role of media in promoting a culture of dialogue. To begin with, dialogue was defined along with its main features like active listening, exchange of views and respecting different opinions. The importance of dialogue in fostering understanding, resolving disputes and enhancing social harmony was also explained. Furthermore, the concept of media dialogue and its underlying principles and methods were elucidated. It was demonstrated how media can contribute to spreading a culture of dialogue through its programs and content. Some effective media strategies for managing dialogue between cultures and nations were mentioned as well.

Additionally, emphasis was placed on the need for media objectivity and appreciation for the diversity of perspectives without marginalizing any viewpoint. The importance of media engagement with youth and training them on practicing constructive dialogue, especially via social media, was underscored too. In summary, the media is capable of playing a pivotal part in furthering tolerance values and building more knowledgeable and cohesive societies when it adheres to these guidelines.

1. مقدّمة:

يعتبر الحوار من أهم سبل التواصل وتبادل الآراء بين الأشخاص والمجتمعات. وللحوار أهمية كبيرة لعدة أسباب، فهو يسمح بطرح الأسئلة والإجابة عنها مما يؤدي إلى زيادة المعرفة والفهم المتبادل بين الأطراف المتحاورة مما يوفر فرصة لتوضيح وجهات النظر وتبادل المعلومات والخبرات، كما يساعد الحوار على تقبل واحترام الآراء المختلفة من خلال الاستماع الجيد للآخرين، وهذا الأمر تحديدا من شأنه أن يعزز قيم التسامح وتقبل الاختلاف في الرأي دون إقصاء أو تهميش.

من جهة أخرى يتيح الحوار فرصة حل المشاكل والخلافات بين مختلف الأطراف بطرق سلمية وبناءة بعيداً عن العنف، وينمي مهارات التفكير النقدي والتواصل الفعال، كما يطور القدرة على الإقناع بالحجة والمنطق بدلاً من فرض الرأي، يعزز الحوار الثقة والتماسك الاجتماعي عندما يتم باحترام متبادل ونية بناءة، لذا فإن تشجيع ثقافة الحوار وتعلم مهاراته أمر حيوي لتطور المجتمعات ورقيها، مهما كان المستوى أو المجتمع أو الفئات المعنية به.

اهتمّ الفلاسفة في الحضارات القديمة بالحوار واعتبروه شرطا أساسيا للتعايش والتكامل داخل المجتمع وخارجه، فقد اعتمد أفلاطون أسلوب الحوار بكثرة في كتاباته، حيث قدم معظم آرائه وأفكاره الفلسفية من خلال حوارات دارت بين شخصيات وهمية، وهو يرى أنّ الحوار المنطقي وسيلة للوصول إلى الحقيقة عبر تبادل الأسئلة والأجوبة بين طرفي الحوار، كما ركز أرسطو على الجانب التطبيقي من الحوار، فوضع قواعد وأصول الخطابة الفعالة التي تهدف إلى إقناع المستمع واستمالته من خلال الحجة والبرهان. وقدم أرسطو إرشادات عملية حول كيفية بناء الحجج وعرضها بطريقة منطقية تؤثر في متلقي الخطاب.

ولا يختلف الأمر بالنسبة للمفكرين والفلاسفة المسلمين، فقد شدد ابن رشد على أهمية الحوار العقلاني بين أصحاب العقول المتفتحة من أجل التقارب بين

وجهات النظر المتباينة، كما حث على سعة الصدر وقبول الرأي الآخر ما دام مبنياً على المنطق السليم. ودعا إلى تجنب الجدل العقيم الذي يفضي إلى الصدام بدل التفاهم.

في العصر الحديث أيضا تعددت الكتابات والجدل حول الحوار وأهميته وضرورته وحتى كيفياته، إذ يركز هابرماس على الحوار باعتباره وسيلة تواصلية تهدف إلى التفاهم المتبادل وبناء توافق حول القضايا المثارة. ويؤكد على أهميته في تعزيز التعايش السلمي بين الثقافات ووجهات النظر المختلفة في المجتمع.

أما اليوم فيشهد العالم تطور وسائل الاتصال والتواصل، مما سهّل التفاعل والتواصل بين الناس عبر الحدود الجغرافية والثقافية، هذا التطور جعل العالم قرية صغيرة مترابطة، لكنه في الوقت ذاته تطلب مهارات حوارية وتواصلية قوية لفهم وجهات النظر المختلفة وإيجاد أرضية مشتركة للتفاهم.

كما أن العالم أصبح أكثر ترابطاً وتعقيداً، حيث أن قضايا مثل تغير المناخ والهجرة والإرهاب وانتشار الأوبئة أصبحت ذات طابع عالمي، وهذه القضايا المعقدة تتطلب حلولاً تعتمد على الحوار البنّاء والتعاون بين مختلف الدول والثقافات.

على المستوى المحلي، زادت حدة الحاجة للحوار بسبب التنوع المتزايد داخل المجتمعات، إذ أن الحوار أصبح ضرورياً لبناء جسور التفاهم وتجنب الصراعات. فمن المهم سماع واحترام جميع الأصوات في المجتمع مهما اختلفت.

لكنّ الملاحظ أنه مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، زادت فرص الحوار بين أفراد المجتمع، لكن في الوقت ذاته زادت مخاطر انتشار المعلومات المضللة وخطاب الكراهية، لذلك أصبح الاستثمار في مهارات الحوار النقدية والبناءة أولوية لخلق مجتمع أكثر وعياً وتسامحاً.

ولا يخفى على أحد اليوم تلازم هذين المصطلحين (الحوار/ خطاب الكراهية) كثنائية تميز العلاقات القائمة بين المجتمعات اليوم ، إذ ترتبط أهمية الحوار في العصر الحالي بانتشار خطاب الكراهية لعدّة أسباب:

- فانتشار وسائل التواصل الاجتماعي أتاح للأفراد حرية أكبر في التعبير عن آرائهم، لكن هذه الحرية أدت في بعض الأحيان إلى انتشار خطاب الكراهية والعنصرية بشكل أسرع، ونحتاج مواجهة هذه الظاهرة السلبية إلى تعزيز مهارات الحوار البناء وتقبل الاختلاف.

- كما أن زيادة التوترات بين المجموعات العرقية والدينية في مختلف أنحاء العالم أدى إلى مزيد من خطاب الكراهية. يمكن للحوار أن يساعد في خلق فهم أفضل بين هذه المجموعات وبناء جسور من التسامح.

- علاوة على ذلك، استغلال بعض السياسيين والقادة لمشاعر الغضب والإحباط لدى أتباعهم أدى إلى زرع بذور الكراهية. يمكن للحوار هنا أن يساعد في تبديد هذه المشاعر السلبية وبناء مجتمعات أكثر تسامحاً.

- وأخيراً، غياب الحوار بين أفراد المجتمع أدى إلى الجهل بثقافات ومعتقدات الآخرين مما يؤدي لنمو التحيزات. تعزيز مهارات الحوار والاستماع الفعال يساعد على مكافحة هذا الجهل وخطاب الكراهية المترتب عليه.

2. الحوار، مفهومه وأهميته:

يعرف الحوار، عمومًا، بأنه عملية تشاور متبادلة هدفها السعي وراء تحقيق التفاهم المشترك عبر بوابة الاستماع الفعال والعاطفي من أجل اكتشاف أوجه التشابه وفهم الاختلافات في وجهات النظر المتنوعة.

والحوار ليس مجرد مناظرة أو مناقشة عادية ولا يتعلق بتاتًا بإقناع الآخرين بالموافقة على وجهة نظر الآخر أو تغيير ما يؤمنون به، إنما يرمي الحوار إلى تخطي عقبات سوء الفهم وتبديد الصور النمطية من أجل تعزيز التفاهم المتبادل.

والعملية الحوارية متمحورة في الأساس حول تنمية الاحترام المتبادل بغية بناء علاقات مستدامة. لذلك، فأنت تراها تركز تركيزًا كبيرًا على توضيح كل من أوجه التشابه والاختلاف في أي موضوع بين شخصين أو مجموعتين من الناس، كما أنها تبني جسورًا من التفاهم بين أصحاب الآراء المختلفة سعيًا إلى تحويل العلاقات الإنسانية القائمة على الجهل والتعصب إلى حالة أعمق من الفهم والاحترام لما هو مشترك وما هو غير مشترك.

هو أيضا التخاطب اللفظي بين طرفين أو أكثر، يتم من خلاله تبادل وجهات النظر والآراء حول قضية ما بهدف التوصل إلى حلول أو تفاهم مشترك .

ويعرف أيضا على أنه محادثة لفظية تتم بين شخصين أو أكثر، ويتم خلالها تبادل الأفكار والآراء، وإجراء المناقشات أو المشاورات أو غيرها، ولا يشترط في الحوار أن يكون الأطراف متشابهين في الآراء فقد يختلفون فيه، ولكن بإمكانهم أن يتناقشوا ويستمعوا لبعضهم البعض حتى يصلوا إلى نقطة مشتركة، مع الإشارة إلى أن عدم وصولهم إلى رأي مشترك لا يعني تخليهم عن احترامهم لبعضهم البعض، وقد يشتمل الحوار على التوترات والمفارقات، وفي الحوار الصحيح يبعد الأطراف مخاوفهم وأفكارهم المسبقة ورغبتهم بالفوز؛ ويأخذون وقتًا لسماع أصواتٍ وإمكانياتٍ أخرى، ويحاولون تقبلها أو رفضها بأسلوبٍ جيد.

أهمية الحوار:

منذ بدايات الخليقة، والشعوب والمجتمعات القديمة تعتمد على الحوار كوسيلة لتبادل المعارف والتجارب والسلع وأنماط المعيشة، ولأن الإنسان كائن اجتماعي فقد كان يتواصل مع غيره باستمرار، ويعبّر من خلال كلماته عن ثقافته؛ فكل سلوكياته وأفكاره ومواقفه تنطوي في جوهرها على علاقات الثقافة وتطورها.

ويعتبر الحوارُ من ركائز التواصل الثقافي بين الشعوب والمجتمعات؛ وهو من ضروريات العصر الحديث، الذي لا يمكن فيه التعايش والتفاعل والتفاهم إلا

بقبول الآخَر، والانفتاحِ على الآراء وتبادل الأفكار. لذلك؛ فكرة حوار الثقافات من المفاهيم الأساسية التي أصبحت حاجةً ضرورية ومهمّة، وإنها تحتل الصدارة في قائمة الانشغالات لدى الشعوب والدول والحكومات، وشتى النخب السياسية والثقافية والاقتصادية، وعند مراكز البحوث المختلفة والمؤسسات الثقافية والدولية، لكونها الطريق الأسلم لتجاوز الأزمات والمشاكل بين المجتمعات والسلطة، وما بين المجتمعات المحلية أنفسها، وما بين الدول من جهة أخرى. وجاءت العولمة لتؤكد هذه النظرية، (نظرية ثقافة الحوار)، حيث إن اللقاءات الوطنية والإقليمية وحتى الدوليةَ لا تتمّ إلا اعتماداً على وجهات النظر التي يقدمها المختصون في كل المجالات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتاريخية والجغرافية، والفلسفية والإعلامية، وذلك للارتقاء بالحوار في تلك المجالات.

إن حاجة المجتمعات إلى ثقافة الحوار خلقتْ مفهوماً جديداً يسمّى حوارَ الثقافات، وهو مفهوم يشير إلى ضرورة تعزيز الحوار بين ثقافات الشعوب المختلفة؛ مما يساهم في بناء تبادل ثقافي بين الشعوب، وهو عبارة عن مشاركة الأفكار والآراء الثقافية المتنوعة بين فئات شعبية أو عرقية، ويؤدي إلى فهم الاختلافات بين الثقافات والعمل على تقريب وجهات النظر حول موضوعات شائكة؛ كاللغة والأخلاق والتاريخ والدين والهوية الثقافية، وغيرها، متفقين فيما بينهم على عدة شروط ومرتكزات لعملية الحوار المشترك، وهي: وجود الاحترام المتبادل، احترام الخصوصية الثقافية، تجنب إطلاق الأحكام المسبقة، فهم التأثر الثقافي الظاهر. وتكون نتيجة هذا الحوار أن المتحاورين يبنون جسور الثقة والتواصل فيما بينهم، منعاً لنشوب حروب ونزاعات إقليمية أو محلية أو عرقية، وتقديم الدعم الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي.

وتكمن أهمية الحوار فيما يلي:

-يساعد على فهم وجهات النظر المختلفة وإدراك الدوافع وراءها.

-يخلق جواً من التفاهم المتبادل بين الأفراد والجماعات .

-يقلل من حدة الخلافات ويجنب اللجوء إلى العنف.

-يفتح المجال أمام إيجاد حلول وسط وتقريب وجهات النظر.

-ينمي مهارات الاتصال والتواصل والاستماع الفعال.

-يساعد على بناء ثقة متبادلة وروح مجتمعية إيجابية.

-يعزز قيم التسامح وقبول الاختلافات.

-دور الحوار في تنمية الوعي العام ونشر المعرفة حول القضايا ذات الاهتمام المشترك.

-كونه وسيلة لتجنب الصراعات وحل الخلافات بالطرق السلمية على المستويين المحلي والدولي.

-قدرته على كسر الحواجز النفسية بين الشعوب وتقريب وجهات النظر بين الثقافات المختلفة.

-دوره في تعزيز مشاركة الشباب والمرأة وإسماع صوتهم في القضايا المصيرية.

-كونه أداة لمحاربة التطرف والإرهاب من خلال نشر ثقافة التسامح والاعتدال.

-أهميته في مواجهة موجات الكراهية والعنف عبر منصات التواصل الاجتماعي .

-قدرته على صياغة رؤى مستقبلية مشتركة تجمع بين مختلف أطياف المجتمع.

ومن أبرزسمات الحوار:

-الاستماع الجيد للطرف الآخر بدون مقاطعة.

-عرض الحجج والأدلة بطريقة منطقية مقنعة.

-طرح الأسئلة لتوضيح جوانب الغموض.

-تجنب الهجوم الشخصي أو الإساءة.

-إظهار الاحترام للرأي الآخر.

3. إعلامية الحوار:

إعلامية الحوار تعني استخدام وسائل الإعلام بفاعلية لنشر ثقافة الحوار وتعزيزها في المجتمع. ويمكن تلخيص أبرز ملامح إعلامية الحوار في النقاط التالية:

-اعتماد الإعلام على أسلوب الحوار والمناقشة الهادئة والموضوعية لتناول القضايا المثيرة للجدل بدلاً من أسلوب الخطابة والإلقاء.

-إتاحة الفرصة لطرح وجهات النظر المتباينة والمختلفة دون تهميش أو إقصاء لأي رأي.

-احترام آراء الآخرين وعدم محاولة فرض وجهة نظر واحدة كحقيقة مطلقة .

-الابتعاد عن خطاب التحريض وإثارة العواطف السلبية، والتركيز على الحجة المنطقية.

-تقديم الحقائق والمعلومات بدقة وموضوعية للوصول إلى فهم مشترك.

-طرح البدائل والحلول الممكنة للقضايا المطروحة بعيدًا عن التشنج .

-مراعاة السياقات الاجتماعية والثقافية للقضايا محل النقاش.

إعلامية الحوار هي ببساطة مجموعة المبادئ والأساليب الإعلامية التي تهدف إلى نشر وترسيخ ثقافة الحوار في المجتمع. ويمكن تفصيل ذلك في النقاط التالية:

أولاً: المبادئ الأساسية لإعلامية الحوار

-احترام حرية الرأي والتعبير وعدم محاولة فرض وجهة نظر معينة.

-الالتزام بالموضوعية وتجنب الانحياز أو التحيز لطرف ما.

-تقديم الحقائق بدقة مع ذكر مصادرها.

-عدم إقصاء أي فئة أو رأي من طاولة الحوار .

-احترام آراء الآخرين وعدم محاولة إسكاتها أو الاستخفاف بها.

-البحث عن القواسم المشتركة ونقاط الالتقاء بين الأطراف المختلفة.

ثانياً: أساليب إعلامية الحوار

-اعتماد الحوار المباشر بين ممثلي الآراء المختلفة عوضاً عن الخطابة.

-طرح الأسئلة المحورية بعمق لفهم جذور الخلافات .

-إتاحة الوقت الكافي لكل طرف لعرض وجهة نظره دون مقاطعة.

-تلخيص الحجج الرئيسية لكل طرف بأمانة وموضوعية.

-التركيز على النقاط المشتركة التي يمكن أن تخلق توافقاً.

-طرح بدائل وحلول وسط بين الآراء المتشددة .

-إشراك أوسع شريحة من المجتمع في مناقشة القضايا المطروحة.

-استخدام لغة حوارية هادئة بعيدة عن التجريح أو الاستفزاز.

وهكذا، تعتمد إعلامية الحوار على منهجية منظمة لخلق حوار بنّاء وفاعل يقود إلى مزيد من التفاهم بين مكونات المجتمع.

4. دوروسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار:

إن وسائل الإعلام بمختلف أنواعها لها تأثير كبير على صناعة الرأي العام، لذا فإن اعتماد خطاب إعلامي يقوم على نشر قيم التسامح والحوار سيساهم بلا شك في بناء مجتمع أكثر انفتاحاً وتماسكاً.

هناك عدة نقاط يمكن تناولها حول دور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار:

- يمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دوراً مهماً في نشر ثقافة الحوار من خلال استضافة الشخصيات والخبراء من وجهات نظر مختلفة وإتاحة الفرصة لتبادل وجهات النظر بطريقة منظمة ومحترمة. فعندما يجلس أشخاص من خلفيات وآراء مختلفة على طاولة الحوار في برنامج تلفزيوني أو إذاعي، فهذا يُعلّم الجمهور كيفية الاستماع للآخر والتعامل مع الاختلاف في وجهات النظر باحترام.

- كما يمكن للإعلام أن يساهم في نشر ثقافة الحوار من خلال إبراز القضايا المثيرة للجدل في المجتمع وتسليط الضوء على أهمية الحوار البنّاء حولها. فعلى سبيل المثال، الحوارات والمناظرات التي تتناول قضايا مثل حقوق المرأة أو الأقليات أو

الهجرة، تُظهر أن الاختلاف في الرأي لا ينبغي أن يُفضي إلى الصراع بل ينبغي مناقشته بطريقة بناءة.

- ويمكن لوسائل الإعلام أيضاً أن تقوم بتدريب وتأهيل العاملين في مجال الإعلام على مهارات الحوار وتقبل الاختلاف، بحيث يكونون قدوة للمشاهدين والمستمعين في كيفية إدارة الحوارات البناءة.

إضافة إلى ما سبق، يمكن القول إن وسائل الإعلام تستطيع أيضاً المساهمة في نشر ثقافة الحوار من خلال:

-التركيز على القصص والشخصيات التي تُعبّر عن قيم التسامح والحوار، وإبرازها كنماذج يحتذى بها في المجتمع.

-تنظيم المسابقات والجوائز التي تكرّم الأعمال الإبداعية والمبادرات التي تروّج لثقافة قبول الآخر.

-إقامة الندوات والمؤتمرات التي تجمع بين مختلف شرائح المجتمع لمناقشة القضايا بطريقة بناءة.

-الاهتمام بالبرامج والمحتوى الموجه للأطفال والناشئة، والذي يركز على غرس قيم التسامح وتقبل الاختلاف منذ الصغر.

-مراقبة الخطاب الإعلامي ومنع التطرف أو الكراهية أو الطعن في الآخرين بسبب آرائهم أو انتماءاتهم.

5. استراتيجيات وسائل الإعلام لنشر ثقافة الحوار بفاعلية:

يمكن للإعلام أن يقوم بدور فعّال في ترسيخ ثقافة الحوار وقبول الاختلاف في المجتمع.

-إنشاء برامج حوارية تجمع بين أطراف القضية المطروحة لتبادل وجهات النظر.

-تدريب الإعلاميين والمذيعين على مهارات الاتصال الفعال وإدارة الحوارات الجادة .

-استضافة شخصيات رمزية تمثل التنوع والاختلاف في المجتمع.

-تنظيم ندوات ومنتديات عامة تشجع الجمهور على المشاركة والتعبير عن آرائهم.

-إنتاج محتوى وبرامج ترفيهية تروج لقبول الآخر من خلال الدراما والكوميديا .

-إطلاق حملات توعية بأهمية الحوار عبر منصات التواصل الاجتماعي.

-إشراك الشباب والأطفال في الحوارات وتدريبهم على التعبير عن آرائهم.

-تغطية نماذج ناجحة للحوار وحل النزاعات بالطرق السلمية.

-إبراز القواسم المشتركة بين الشعوب من قيم ومصالح متقاربة.

-تسليط الضوء على التنوع الثقافي وإظهاره كثراء إنساني بدلاً من مصدر للصراع.

-مناقشة القضايا العالمية المشتركة مثل الفقر والمرض والبيئة لخلق تضامن إنساني.

-إتاحة منصات للحوار المباشر وتبادل الزيارات بين مفكري وشباب المجتمعات المختلفة.

-التركيز على الجوانب الإيجابية في كل ثقافة وما تقدمه من إضافات للحضارة الإنسانية.

-نشر الوعي بأهمية التعددية وقبول الاختلافات الثقافية واحترامها .

-مكافحة خطاب الكراهية وإبراز الآثار السلبية للتمييز العنصري أو الديني.

6. خاتمة:

في الختام، يتضح أن للإعلام دوراً حاسماً في نشر ثقافة الحوار وتعزيز التفاهم بين مكونات المجتمع المختلفة، وكذلك بين الشعوب والثقافات المتنوعة على المستوى العالمي.

ويتحقق ذلك من خلال الالتزام بمنهجية إعلامية موضوعية تركز على طرح القضايا بعمق، وإتاحة الفرصة لتبادل وجهات النظر بكل احترام وتفهم، والبحث عن أوجه الاتفاق ونقاط التقارب، بعيدًا عن التحريض أو إثارة العواطف السلبية.

وينبغي أن يولي الإعلام اهتماماً خاصاً بالأجيال الشابة من خلال تدريبهم وتشجيعهم على ممارسة الحوار، لاسيما من خلال منصات التواصل الاجتماعي، بما يسهم في بناء مستقبل أكثر سلاماً وتفاهماً بين شعوب العالم.

7. المصادروالمراجع المعتمدة:

- فيركلو، نورمان : الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية، ترجمة رشاد عبد القادر،في: الكرمل، مجلة فصلية ثقافية، تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية، العدد 64 ، 2000.

- .الشوبكي و قاسم : محمود يوسف الشوبكي ، و سامي عبد الله بن قاسم ، أهمية الحوار وآثره في الدعوة والتعليم ، الجامعة الإسلامية ، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ، 16-17 أبريل 2005 ،غزة ،فلسطين.

- سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار بين الأصالة والمعاصرة. ، منشورات عالم الكتب، 2013.

- عامر عبد الوائلي، جدلية الحوار بين الانا والاخر. الأردن, دار غيداء للنشر والتوزيع, 2020.

- جمال سند السويدي، وثيقة الأخوة الإنسانية نحو تعايش سلمي وعالم خالٍ من الصراعات، 2023.

- .بخيت : محمد حسن بخيت، أدب الحوار ، الجامعة الإسلامية ، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ، 16-17 أبريل 2005 ،غزة ،فلسطين.

- التراث العربي والحوار الثقافي: أعمال الندوة المنعقدة في إطار وحدة البحث حوار الثقافات ؛ من 23 إلى 25 نوفمبر 2007 بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وحدة البحث حوار الثقافات،, 2009.

https://www.kaiciid.org/ar

/https://mawdoo3.com

فرهـــاد ســـليمان ، عـــن ثقافـــة الحـــوار، متـــاح علـــى الـــرابط:

https://www.asocenter.org/ar/node/626

الحوار الإنساني بين الحتمية التّقنية والثّقافة الرّقمية

د. داودي وداد، جامعة أم البواقي(الجزائر)

د. رحماني مباركة، جامعة أم البواقي(الجزائر)

ملخص الدّراسة:

تهتم هذه الورقة البحثية بتسليط الضوء على أهمية الثقافة الرقمية في إرساء حوار إنساني فعال بعيدا عن كافة أشكال العنف والتطرف وخطابات الكراهية، خاصة في ظل التطور الرهيب والمتسارع في تكنولوجيات الاتصال والذي فرض واقعا مغايرا على مستوى العلاقات الإنسانية والبنى الاتصالية التقليدية، وأحدث ثورة شاملة في منظومة القيم والأخلاقيات، ممّا يستدعي ضرورة الإلمام بكافة أبعاد العالم الرقمي والتحكم الجيد في أدواته ومنصاته المختلفة على الصعيد التقني والأخلاقي والقانوني، لذا سنسعى من خلال الدراسة إلى التعرف على ماهية الثقافة الرقمية وأبعادها التكنولوجية والتربوية، وتبيان سبل الرقي بالحوار الإنساني في البيئة الرقمية، وتحقيق أمن المجتمعات مع الإشارة إلى أهمية التربية الإعلامية باعتبارها أنجع وسيلة تتحقق بها غاية التواصل البشري المبني على نشر قيم التعاون والتسامح وتبادل الخبرات والخيرات بالعدل.

الكلمات المفتاحية: حوار إنساني، حتمية تقنية، ثقافة رقمية، تربية إعلامية.

Abstract

This paper focuses on highlighting the importance of digital culture in establishing an effective human dialogue away from all forms of violence, extremism and hate speech. human relations ", especially in the light of the terrible and accelerated development of communication technologies, which has imposed a different reality on the level of human relations and traditional communication structures, It has revolutionized the system of values and ethics, requiring knowledge of all dimensions of the digital world and good control of its various tools and platforms at the technical, ethical and legal levels.

So through the study, we will seek to know what digital culture is and what its technological and educational dimensions are. And to demonstrate ways of improving human dialogue in the digital environment and achieving the security of societies, noting the importance of media education as the most effective means of achieving the goal of human communication based on the dissemination of the values of cooperation, tolerance and the sharing of experiences and benevolence with justice.
Key words: Humanitarian Dialogue - Technical Imperative - Digital Culture - Media Education.

مقدمة:

يشهد العصر الذي نعيشه ثورة حقيقية ومتسارعة في مجال تكنولوجيات الاتصال وتطبيقاتها المختلفة والتي أحدثت تغييرات جذرية في عملية التواصل الإنساني، وشهدت الأنماط الاتصالية التقليدية إعادة تشكيل في المعطيات والمفاهيم التي كانت سائدة من قبل، إذ لم تعد حكرا على الطبقة المثقفة بل أصبح الفضاء الاتصالي العام يتسع للجميع، ومع تعدّد المنصات الاتصالية المتاحة بالفضاء الرقمي تعددت تبعا لذلك أشكال الحوار الإنساني، وظهرت المجموعات والتكتلات التي تتبادل وتتشارك الأفكار والرؤى المتقاربة والموحدة وحتى المختلفة وساعدها في ذلك اتساع البيئة الافتراضية التي لا تحتكم للحدود الجغرافية ولا للقيود السياسية أو القانونية، لذلك أصبح من الصعب مراقبة الحوارات التي تحدث عبر الشبكة العنكبوتية، وظهرت بذلك جملة من الإشكاليات المتعلقة بالأمن السيبراني والخصوصية والجرائم الإلكترونية، إضافة لاستفحال خطاب الكراهية والعنف والذي بات هاجسا يؤرق الحكومات والمنظمات الإنسانية مما جعلها تدعو في الكثير من المناسبات إلى ضرورة إقامة حوار إنساني فعال بعيدا عن لغة التعصب والتحريض، مع تأكيدها على ضرورة نشر الثقافة الرقمية والتربية الإعلامية التي من شأنها الرقي بالمجتمع الإنساني وحفظ الصالح العام للبشرية.

ومن هنا يمكننا طرح التساؤل الآتي :

- كيف يمكن التوصل إلى إقامة حوار إنساني فعال وإيجابي في ظل البيئة الرقمية؟

1. الحواروسيلة للتفاعل الإنساني:

لا يعد الحوار ممارسة جديدة في السلوك البشري، بل هو لازمة متأصلة في الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض حيث يعود مصطلح الحوار إلى اللغة اللاتينية Dialogues والتي ظهرت في ق13، وحديثا برزت هذه الكلمة في الأعمال الكلاسيكية لمارتن بوبر Martin Boberالذّي يعتبر من قبل الكثيرين الأب للمفهوم الحديث للحوار، إذ يعرّف الحوار في كتابه "أنا وأنت" بأنه: " وجود سمات المعاملة بالمثل، والتّبادلية والمشاركة والانفتاح" [1]

كما نجد أنّ جوهانسن Johannsenواحدًا من أشهر المؤيدين الأوائل لاستخدام الحوار لبناء العلاقات، إذ أكد أنّ الحوار هو أساس أي علاقة أخلاقية، خاصة إذا كانت بيئتة تشتمل على: المناخ النفسي الداعم، روح المساواة المتبادلة، الاعتبار الإيجابي، الفهم و التعاطف[2]

ونجد أنّ مفهوم كينت وتايلور للحوار مفهومٌ متجذرٌ في الفلسفة والبلاغة وعلم النفس، وفي نظرية الاتصال العلاقاتي، وأن فحوى نظرية الحوار هو ما أشار إليه المؤلفان كتواصل حواري، والذي يعرف بكونه نوع خاص من التفاعل العلاقاتي والذي يحدث في سياق تكون العلاقة موجودة فيه بالفعل[3]، وقد حدّد Kent & Taylor الجوانب الثلاثة للعلاقة الحوارية الناجحة: **الفورية** التي تعني مناقشة الأطراف للقضايا ذات الصّلة بالوقت الحاضر ؛ **التدفق الزمني** الذي يشير إلى أن الحوار يتسم بالعلائقية ويهدف إلى حماية العلاقات المستقبلية ؛ **والمشاركة** التي تعني الاستعداد الدّائم للأطراف للمشاركة في الحوار[4]

وفي هذا الصّدد يؤكّد الدكتور " عمر عبيد حسنة" على أنّ الحوار يعتبر من لوازم الحياة وضمان لاستمراريتها، وإقامة العمران والاضطلاع بأعباء الاستخلاف البشري الذي يقتضي الاضطلاع به والتعارف والتعايش والتدافع[5]، وتبرز أهمية الحوار في النّقاط التالية[6]:

- يعتبر وسيلة من وسائل الاتصال الفعالة بين مختلف المجتمعات، العرقيات، الديانات والحضارات.
- السّير بطريق البحث والاستدلال الصّحيح من أجل الوصول إلى الحقيقة أو الكشف عنها.
- يعكس الواقع الحضاري والثقافي للأمم والشّعوب.
- يساعد على تخطي التعصب وبغض الآخر.
- معالجة القضايا والمشكلات التي تواجه الانسان المعاصر.

ولهذا يعدّ الحوار وسيلة حضارية لإدارة الإختلاف بين جميع الأطياف دون إقصاء لأي منها، أو التهميش الذي من شأنه زرع الكراهية والتّطرف، وبالتالي يخرج الحوار عن أطره الأخلاقية والتفاعلية، فالإسلام يقرّ بوجود الاختلاف كواحدة من الأبجديات التي تقوم عليها البشرية استنادا لقول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا} (سورة الحجرات، الآية 13)، هذا الاختلاف الذي يتجسد على عدة مستويات لغوية، ثقافية، عقائدية، اجتماعية وغيرها، وبالتالي لابد من الوعي بثقافة الحوار التي تؤمن بالاختلاف والتعددية، وتلتزم بمبادئ نقد الذات والتسامح ونبذ الكراهية.

فالحوار يقتضي الاختلاف، ويستلزم التسامح من أجل استمرار التعايش السّلمي، وليس هناك أخطر على الحوار في العصر الراهن من العنف والتّعصب، فالحوار يسعى إلى وضع حدّ لكلّ أشكال التطرف والتّعصب في الرّأي[7]، إذ أنّ العنف ليس الضرب باليد، والتراشق بالصواريخ، أو تفجير السّلاح النووي فقط، فهذا أقصى

جرعات العنف، ولكنه طيف متحرك من الامكانيات والسّلوك، يتأرجح من الفكرة إلى الفعل، فالحروب تبدأ في الرؤوس قبل سلّ السّيوف والكراهية تبرمج تعبير الوجه الحاقد، واللفظة السّامة، وهنا يتكون العنف من حيث طبيعته، من ثلاث تجليات: كراهية، تهميش وحذف للآخر[8]، على عكس التّسامح الذي يعتبر نوع من القدرات التي تحتّم على الإنسان العيش مع المتغيرات، والتّصرف السويّ مع كافة الاختلافات والتداخلات مع تعميم ثقافة احترام تلك الاختلافات، ممّا ينتج بيئة تكاملية من التّعاملات البشرية القائمة على مبادئ المساواة واحترام الآخر[9]، وبالتالي فالعلاقات الإنسانية ينبغي أن تتجاوز العنف وإلغاء الآخر بخصوصياته، لتبلغ مسعى ثقافة الحوار والوحدة الإنسانية.

ولضمان نجاح عملية الحوار و نجاعة التواصل الإنساني ينبغي أن تتوفر جملة من العوامل والشروط المتمثلة في :

أ- **إتاحة الحرية الكاملة للمتحاورين** :حيث يجب أن يمارس الحوار دون أي نوع من الضغط والإكراه، وأن يتمتع كافة الأطراف بشيء من الاستقلالية في المناقشة واتخاذ القرارات، وقد أكد الإسلام على حرية المتحاورين في طرح الأفكار المضادة دون أن تقابل باتهامات الكفر والزندقة والضلال وما إلى ذلك من الكلمات المثيرة التي تؤدي إلى الإساءة للمحاور

ب- **تحديد مضمون الحوار** : فلا يخرج الحوار عن مضمونه ومراده، ويكون النقاش منتجا ،فلا يمكن تأسيس الحوار عن جهل بالموضوع فيتحول إلى جدال مذموم " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " الحج الآية 8

ت- **سلمية الحوار وعدم التعصب** : فالأصل في الحوار أن يقوم على أساس المساواة والتكافؤ بين الأطراف المتحاورة مما يعني عدم أفضلية لطرف على آخر وعدم الحكم المسبق، إضافة لعدم التعصب للرأي وإلزام الطرف الآخر برأي معين، كما

أن الحوار لا يمكن أن يؤتي ثماره إذا تعارض مع السلمية والهدوء النفسي الملائم لاستجلاب الأفكار[10]

ومن أهم الأسس والمنطلقات الفكرية والفلسفية للحوار الإنساني:

- مدنية الانسان وانتظامه فكرا وفعلا مع جماعته
- حتمية الاختلاف والتعدد التي تنتج التمايز الذي يؤدي بدوره للإبداع والتطور
- وحدة الإنسانية والمشترك الإنساني في إطار نبذ دواعي التفرقة والعنصرية[11]

2. الحوار الإنساني والعولمة: تواصل تحكمه التقانة

إنّ العولمة ليست عملية اقتصادية وتكنولوجية فحسب، إنّما التفاعل المتزايد بين الناس، والتّدفق الحرّ للمعلومات، والتّرابط الثقافي هي أيضا عواقب لعالمنا الذي يتحوّل إلى العولمة، ويعد التواصل عبر الاختلافات الثقافية تحدّيا أساسيا للعالم المعاصر[12]، فالعولمة بقدر ما تشكل فرصة فريدة للتواصل والتفاهم بين مختلف البشر والثقافات بقدر ما تحمل في ذاتها جانبا مدّمرا يكمن في توحيد الهويات وإقصاء التنوع الثقافي وغلق باب الحوار الواسع، ولذلك انتعشت تيارات الانكفاء على الهوية والانغلاق القومي والديني، والمأزق اليوم كما يطرحه عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران هو :"كيف نتخلّص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات والواقع المتغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها"[13]

يرى بعض الباحثين أنّ النموذج الثقافي الجديد الذي طرحته حضارة التواصل الاجتماعي تتسم بمجموعة من السّمات الخصوصية الروحانية والمادية والفكرية والشعورية التي تميز مجتمعا، ويعتبرها ثقافة تمثّل خليطا ثقافيا وهي متسارعة لا تعرف حدّا للانقطاع، تنتجها قبائل أو عشائر من شركات عملاقة ذات طبيعة مادية استهلاكية[14]، إذ باتت الوسائل الاتصالية الرقمية الجديدة مصدرا لبناء وتشكّل الذات، فهي شكل للترميز الاجتماعي من خلال العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين، وكذلك من خلال الآثار التي يخلّفها الشخص عبر صفحات الويب مثل: التعليقات

والمشاركات والاهتمامات، فكلها تشكّل ملفا يعرض بعض الجوانب من الذات الافتراضية للشخص[15].

ورغم أن العالم استبشر بالتكنولوجيات الحديثة وانتقاله إلى البيئة الافتراضية التي لا تعرقلها لا حدود جغرافية ولا زمانية، أين يتفاعل الأفراد ويتشاركون ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم دون حاجز مهما كان نوعه أو طبيعته، وتتعزز بذلك أبجديات الحوار الإنساني بمزيد من الآليات والنظم الاجتماعية الحداثية، إلا أن الأمر بات يبعث على التخوف والتوجس لدى الكثير من المفكرين الذين توقعوا أن التطور المتسارع في تكنولوجيات الاتصال سيشكل تهديدا يمس جوانب كثيرة من الاتصال الإنساني ويغير شكله للأسوأ ومن جملة هاته التهديدات المحتملة التي يعزى أغلبها لغياب ثقافة الحوار يمكننا إدراج ما يلي :

- الخوف من المساس بمقومات الهوية الثقافية والعقائدية للشعوب بفعل تبني نموذج موحد للثقافة العالمية، واكتساب أنماط وعادات حديثة من السلوك تفرضه التكنولوجيا
- قد يجد الانسان نفسه محاصرا في صراعاته النفسية والشخصية بنسيج من وسائل التواصل والتنظيمات التي تسلبه حريته وتجرده من الحديث ويقع في دائرة اللاتواصل[16]
- خطر المساس بالمنظومة الأخلاقية للتواصل وبروز إشكاليات أخلاقية ترتبط بشكل أساسي بوسائل الفضاء الرقمي وعلى رأسها الجرائم الالكترونية، والتعدي على الخصوصية، ونشر التطرف والترويج لقيم الكراهية ،ونبذ ثقافة الحوار مع الآخر الأمر الذي يشكل خطرا على أمن المجتمعات من الأفكار العدائية للدين وللقيم،، وقد قيل الكثير عن دور تكنولوجيات مثل الإنترنت وشبكات الاتصالات العالمية في دعم الإرهاب العابر للأوطان، وانتشار أيديولوجيته، وأنشطة تجنيده. كما يعتقد الكثير من المختصين غير الإعلاميين أنّ تغطية الأعمال الإرهابية تؤدي

إلى تضخيم حجم الإرهابيين ومنحهم فرصة استغلال الإعلام لخدمة أغراضهم، في حين يرى أهل الاختصاص أنّ عدم التغطية الإعلامية للأعمال الإرهابية يسمح للسياسيين بالعمل بغير شفافية ويؤدي إلى ظهور الإشاعات والافتراضات والتشكيك في مصداقية عمل الصحافة مستقبلا[17]. كما قدمت ادعاءات كثيرة بشأن دور وسائط الإعلام، ولا سيما تكنولوجيات الاتصال الجديدة، في تعزيز عملية التطرف في الأزقة المظلمة للفضاء الإلكتروني[18]، بفعل التحولات الهيكلية التي مسّت البنى الاتصالية وجعلت البيئة الرقمية تعج بكم هائل من التفاعلات الرمزية العشوائية أين اصبح المتلقي البسيط يلعب دور المرسل والمنتج للرسائل وهذا ما تنبأ به المفكر وليام نوك مؤلف كتاب عالم جديد متغير حيث توقع أن السلوك العنيف الصادر عن الجماهير سيكون ردة فعل مقابل التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية الخطيرة، تعبيرا عن سخط الفئات المطحونة ،حيث سيستغل المستخدمون المتطرفون التقدم العلمي والتقني في تحويل الأموال والأفكار والتعليمات من مواقعهم من اقصى الأرض إلى أدناها بواسطة الأنظمة المصرفية العالمية وشبكات الأنترنت[19]

ردة الفعل هاته لم تنحصر فقط في اكتساب الأفراد للسلوكات العدوانية والافتقار للحوار بل نجد أن هذا الوضع ساهم في" إحداث تحول عميق للوعي النقدي الفردي والجماعي للجماهير، مقابل استمرار أنظمة الهيمنة في ممارسة التضليل العالمي عبر ما يسميه بيير بورديو العنف الرمزي، ولد بالمقابل عنفا رمزيا مضادا من الجماهير، التي انتقلت من التهكم وتكذيب وسائل الإعلام، إلى التهجم عليها وممارسة العداء ضدها عبر مختلف الفضاءات التعبيرية المتاحة لها سيما الفضاءات العمومية التقليدية[20].

- حدوث فجوة عميقة بين الشعوب بفعل الاستعمار التقني واللاعدل في توزيع التكنولوجيا مما يصعب من إمكانية التوصل إلى حوار عالمي عادل دون إقصاء لأي فئة أو جماعة .
- كما أن الاستخدام المفرط واللاواعي لتكنولوجيا المعلومات يطرح إشكالية انعزال الأفراد عن مجتمعاتهم والانسحاب من الحياة الاجتماعية الواقعية، وتوجههم لتكوين جماعات افتراضية تحكمها قواعد خاصة قد تنافي قيم المجتمع الأصلي، مما يخلق نوعا من العدائية والاغتراب وبالتالي يحدث الصدام والصراع وينتفي معه الحوار ويسود منطق العنف واللاتسامح، وذلك على حساب مواعيد التواصل العائلي المباشر والعمل وممارسة الهوايات الحركية والجماعية بالنسبة للبالغين.

وفي الجدول المدرج أدناه إحصائيات مستقاة من ثلاث مصادر هي داتا ريبورتال" (data reportal)، ستيتس برو (status brew)، برودباند سيرش (broadband search) وقد تم اجراؤها سنة 2021 تبين الحجم الآخذ في الازدياد لعدد المستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعي والفضاءات الرقمية المختلفة، حيث نلاحظ أن أكثر من نصف سكان العالم يقضون أغلب أوقاتهم في التواصل والحوار مع غيرهم عبر هذه المنصات الرقمية، ويمكن للفرد الواحد أن يمتلك أكثر من 9 او 10 حسابات عبر شبكات اجتماعية مختلفة ،و يقضي الشخص ما يفوق الثمان ساعات يوميا في استعمال الانترنيت وهي أرقام مثيرة للقلق فعلا لأنها تحيلنا إلى كثير من الممارسات التي تؤثر بشكل مباشر على طريقة التواصل والحوار بين الأفراد، كما يستقطع قسطا كبيرا من أوقات التواصل العائلي المباشر ،والعمل وممارسة مختلف الهوايات الفردية والجماعية.

الشكل(1):إحصائيات حول استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لسنة 2021

المصدر: موقع الجزيرة https://www.aljazeera.net/ تاريخ الزيارة: 14-08-2023 على 18:22.

وقد عددت الدكتورة هالة حسن بن سعد الجزار أستاذة في أصول التربية بجامعة حلوان مصر أنماط الحوار عبر الشبكات الاجتماعية بالفضاء الرقمي كالآتي:

- حوار عدمي تعجيزي، حوار المناورة، حوار مزدوج، حوار الطريق المسدود، الحوار السلطوي، السطحي، الإلغائي، حوار البرج العاجي، حوار المرافق الموافق، المعاكس، حوار العدوان السلبي، استطلاعي فضولي، جدلي عقيم، حوار التناصح والتشاور، حوار الإقناع، التفاوض، وحوار التعارف[21]، وما يمكن

ملاحظته من هذا التصنيف لأنماط الحوار أن أغلب الحوارات التي يتم إجراؤها عبر الشبكات الاجتماعية هي حوارات تتميز بالسلبية والاحتكام إلى العنف والصراع، والسعي لفرض الرأي وإلغاء آراء الطرف الآخر، وهو ما يقودنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات المشروعة حول هذا الواقع على سبيل المثال :

لماذا أصبحت معايير الأخلاق تخضع لسلطة المكان والزمان ؟ ومن أعطى الحق لفرد أو لمجموعة أفراد أن ينفردوا بالرأي ويتعصبون له دون مراعاة للأطراف الأخرى التي تحمل أفكارا مخالفة ؟ وهل انهارت المنظومة الأخلاقية التي تقتضي احترام الرأي الآخر وعدم الحث على الكراهية والعنف ؟ فالتساؤلات السالف ذكرها تقودنا حتما للحديث عن:

- **الأدوار الجوهرية للإعلام في إرساء ثقافة الحوار:**

فالحلّ يكمن بالدّرجة الأولى في إعادة الاعتبار للإعلام كرافد أساسي يرتقي من خلاله الحوار الإنساني سواء الإعلام التقليدي أو الإعلام الجديد، لأنّ هذا الأخير رغم اتخاذه منبرا من قبل الكثيرين للتأثير على الأفكار والمعتقدات، حتى أنه هناك من اعتبره حاضنة خصبة لنشر الكراهية والتّطرف والاغتراب الثقافي، فالنفسية المغتربة التي تجد في الشبكة الافتراضية معينا لغربتها، صيدا مغريا وسهلا للحركات والتنظيمات المتطرفة التي تنشط عبر "السوشيال ميديا" لنشر أفكارها وتجنيد الشّباب واستقطابهم[22]، إلّا أنه مزال متصديا من جانب آخر للأفكار المتطرفة إيمانا بمسؤوليته من جهة وبقوته التأثيرية في نشر قيم التّسامح ونبذ الكراهية من جهة أخرى، فالإعلام يكتسي أهمية في إيجاد حلول مدروسة للمشكلات التي تواجه المجتمعات، وإعادتها لحالة التوازن وحمايتها من الفرقة والصّراع، والعمل على التوافق بين هيئاته ومؤسساته المختلفة، فالمعالجة الإعلامية لقضايا التّطرف والعنف هي معالجة فكرية وقائية مضادة لمآرب التطرف والعنف حفاظا على المنظومة القيمية وتحقيقا لأمن المجتمعات وإشاعة ثقافة الحوار مع الآخر، وهذا ما

يشكل حصانة مجتمعية ضدّ أي أفكار أو جماعات متطرفة أو تحمل في ثناياها خططا عدائية تهدّد نسيج وترابط الأمم، ومن ثم فإنّ وسائل الإعلام لديها دور "وسيط" حقيقي في تشجيع الوعي العالمي، إذ يشمل توظيف وسائل الإعلام التقليدية والحديثة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية والإعلامية التالية[23]:

- بناء الرّأي العام الداعم لقيم التسامح نظريا وعمليا على مستوى الأفراد والجماعات.
- تشجيع التّواصل والحوار بين الشعوب وتعميم القيم التي تتعارض مع ممارسات الإرهاب والتّطرف.
- تشجيع المواهب الفكرية والإعلامية على إنتاج وسائل الإعلام من خلال القنوات التقليدية والحديثة التي تروّج لقيم التسامح والاعتراف بالآخر والتّعايش والسّلام كقيم إنسانية.
- التركيز على الوحدة وليس التقسيم، وعلى القواسم المشتركة بين الثقافات والحضارات والأديان.
- منع وسائل الإعلام من الوصول إلى الخطاب الديني المتطرف، وتجنب المساهمة غير المقصودة في نشره من ناحية أخرى، وتفسح المجال للخطاب الديني المعقول والمتسامح والمعتدل.

فالإعلام أصبح له دور محوري لا بسبب التقنيات التي يستخدمها فحسب، وإنما بسبب الرسالة الإعلامية عبر هذه التقنيات، ولهذا من الصعب أن تتم أي محاولة للحوار بين الثقافات بعيدا عن فضاءات التفاعل التي يولدا التلاقي بين وسائل الإعلام التقليدية والجديدة التي تشكل ذراعا من أذرع العملية الحوارية بين الشعوب والطوائف والأديان[24]، هذا الدور المحوري للإعلام في إرساء بواعث الحوار الإنساني الناجع أكد عليه إعلان جينيف الدولي لثقافة الحوار الإنساني لسنة 2015(في 21 مادة منه من أصل 30 مادة) والذي يعتبر أول وثيقة أممية شاملة تدعو الى ثقافة

الحوار من أجل التسامح والاخاء ونبذ العنف وبناء السلام، حيث أشار الإعلان إلى خطورة الشحن الإعلامي التعصبي الذي أدى إلى صناعة شخصية لا إنسانية مشحونة بالكراهية والعدوانية والعنف، وأصبح بذلك الحوار بين الشعوب اكثر صعوبة وتعقيدا بسبب تأثير عوامل جيوسياسية ذات صلة بظواهر العنف والارهاب والتطرف والفساد المنتشر بشكل متسارع، خاصة مع التطورات التكنولوجية الهائلة التي عرفتها المنظومة الاتصالية، فقد بات من الضروري وضع ميثاق يضبط حرية التعبير ويمنع الإعلام المحرّض على العنف والكراهية، كما يجب على وسائل الإعلام والاتصال بمختلف أنواعها سواء كانت تقليدية أو حديثة أن تضطلع بمهمة بناء الانسان وتعزيز انتمائه في ثقافة المواطنة والانصهار في روح الجماعة الوطنية، إلى جانب تعزيز قيم التعايش ومساعدة الأقليات لإيصال صوتها، كما دعا الإعلان إلى تنفيذ سياسة إعلامية تراكمية تترافق مع العملية التربوية لترسيخ ثقافة الحوار في البيت والمدرسة والمجتمع حتى يكتسب الأفراد ثقافة التواصل الحضاري، ونشر روح التعاون، وشدد في الكثير من مواده على ضرورة التزام وسائل الاعلام بنبذ كافة أشكال العنف والتطرف والقمع الذي يلغي ضمير المجتمعات الإنسانية بأبعاده الدينية والثقافية والأخلاقية[25].

وحتى تؤدي وسائل الإعلام دورها المفترض في دعم الحوار بين الثقافات وصناعة السّلام، وليكون سلاما ايجابيا ومستداما ويتم تغيير الثقافة المجتمعية إيجابا نحو السّلام يستلزم أن يمرّ بهذه الخطوات وبالتدريج[26] :

- حجز مساحات إعلامية في جميع وسائل إعلام جميع الأطراف تدعو للسّلام والتعايش والتّسامح مع الآخر.
- التوسيع التدريجي للمساحات الإعلامية التي تدعو للسلام.
- نشر وإظهار نقاط الالتقاء بين جميع الأطراف المتفق عليها وفي مقدمتها حب الوطن والمصلحة العامة.

- تخفيض مساحات نشر نقاط الاختلاف بين الأطراف بشكل تدريجي.
- نشر وتوضيح أضرار الحرب وايجابيات السلام.

3. الثقافة الرقمية مهاد لتحقيق أمن المجتمعات

الثّقافة الرّقمية "هي منظومة متفاعلة من الاسترتيجيات المهارات والمعارف والمعايير، القواعد والضوابط والأفكار والمبادئ المتبعة في الاستخدام الأمثل والقيم للتقنيات الرقمية واستثمارها بطريقة ذكية وآمنة من خلال التحكم في الوصول إلى المحتوى الرقمي عن طريق عمليات الإتاحة العادلة والتوجه نحو منافع التقنيات الحديثة والحماية من أخطارها وتعزيز المعرفة والممارسات المثلى"[27]، وأكد الكثيرون على مسألة كون مجتمع المعلومات مجتمع خطر، وهذا ما أدّى إلى فقدان الثقة بالعالم الرقمي وصعوبة انتشار الثقافة الرقمية[28]، ففي ظلّ التّطور الهائل لوسائل التواصل الحديثة، فإنّ الأمر يتطلب ثقافة بمعارف ومهارات حول استخدام الوسائل الالكترونية، وتكوين ضوابط ومهارات ذاتية تمكنه من التلقي والتفاعل مع الفيض الرقمي بما يساعد على حسن الانتقاء والتفاعل السليم والآمن.

ويقترح "فريدكن" نموذجا للثقافة الرقمية والإعلامية يتفق مع ما تتطلبه المواطنة الرقمية، حيث يركز على مفهوم التفاعلية وهي من أهم سمات وسائل الاتصال الحديثة ما يتيح للفرد الانغماس في بيئات تفاعلية كونية، ويضيف أن الفرد المثقف رقميا هو الذي يعترف بعمق التفاعل الكوني، لذلك يصبح الوعي الكوني مفتاح الثقافة الإعلامية، ويتكون من ثلاث مستويات[29] (الصعيدي، 2022، صفحة 264):

- مهارات استخدام تقنيات المعلومات وتصفح الشبكات الرقمية.
- مهارات التفكير الناقد لمحتوى الرسائل الإعلامية والرقمية
- تقدير التفاعلية الكونية.

ومن مؤشرات الثقافة الرقمية التمتع بمهارات التقنية والفنية؛ الإلمام بالإمكانيات التقنية والفنية والبراعة في تحديد شكل العرض للمادة الإعلامية،

والمهارة في استخدام الحاسوب والهاتف والكاميرا الرقمية وإجادة تحميل المادة والتعامل مع المواقع وغيرها، مع أهمية تحديد الهدف من النشر بدقة ويكون المستخدم واعياً تماماً بالهدف الذي يريده وتسعى إلى تحقيقه من خلال وسائل الإعلام مع الالتزام بالأخلاقيات الإعلامية المستندة على عدَّة مبادئ أهمها: المصداقية، الدقة، الشفافية، البحث عن الحقائق، الدفاع عن مصالح المجتمع، العمل على حماية المجتمع من الانحراف والفساد. (فخري، 2021)

وتجدر الإشارة إلى أن معالم مفهوم الثقافة الرقمية اتضحت أكثر وتجلت أبعادها في كل مناحي الحياة بعد حدوث أزمة كوفيد 19 أين أكدت الفعاليات الثقافية في العالم، من خلال الجلسات الافتراضية وغيرها من البدائل، أهمية كبيرة في مواجهة أزمة كورونا حيث أثبتت المواقع الإلكترونية فوائدها كوسائط اجتماعية بديلة عن اللقاءات المباشرة في الحوار وتبادل الآراء، وتجاوزت منصات الحوار والتبادل الثقافي في العالم كل التحديات بفضل المبدعين من كتاب وفنانين وقراء، الذين شكلوا خطوطًا خلفية فاعلة في المشهد الفكري والاجتماعي[30].

ومن هنا تبرز الحاجة الكبيرة إلى امتلاك الثقافة الرقمية واكتساب مهاراتها التقنية والفكرية من منطلق أنها :

- تساهم بشكل فعال في تسهيل التواصل بين الأفراد والشعوب دون قيود جغرافية او زمانية وفي وقت وجيز.
- تمكن من دعم التنوع الثقافي والحضاري بين الشعوب.
- تزود الفرد بالتقنيات والآليات اللازمة لفهم الرسائل والمواد الإعلامية المتنوعة التي يتلقاها وتسمح له بالتعامل معها على نحو أمثل.
- تجنب الفرد الوقوع كفريسة للرسائل المضللة والأفكار السلبية المنافية لقواعد الحوار السليم.

- تمنح فرصا متساوية للأفراد للمشاركة بالرأي والتعليق وممارسة كافة أشكال الحوار الإنساني المنتج.
- تمنح الأفراد مهارة التفكير الناقد وتكسبهم الأدوات والمهارات اللغوية والتقنية اللازمة للتعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم بشكل متوازن وايجابي.
- حماية الأفراد من الجرائم الالكترونية والخطابات العنصرية والمتطرفة، وتعليمهم كيفية الدفاع عن أنفسهم ضد هاته الآفات.

لكن ورغم أهمية الثقافة الرقمية في تقوية الحوار الإنساني ودعم أركانه لابد من التعريج على نقطة نراها مفصلية قد تحول دون تحقيق هذه المعادلة، وهي اتساع الهوة المعرفية والثقافية والتكنولوجية بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث ،فإذا كان المجتمع الرقمي في المجتمعات المتقدمة يتميز بالحداثة والتطور ويتعامل معه أفرادها بكل يسر وسهولة ، فإن هاته القفزة الرقمية في المجتمعات النامية التي ماتزال تئن تحت وطأة الأمية والفقر قد خلقت تناقضا واضحا في إدراك الواقع الثقافي للمواطن بين ثقافة تقليدية وثقافة حداثية، وظهرت معه الكثير من الممارسات السلبية التي تنعكس بالضرورة على مستوى الحوار الإنساني من الجانبين فالعالم المتقدم سيسعى لفرض أفكاره في جميع المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية وحتى العسكرية بفضل امتلاكه لأحدث تكنولوجيات الاتصال وبدافع شعوره بالتفوق والتميز وحتى العنصرية، بينما سيحس أفراد المجتمعات النامية بنوع من الاضطهاد والظلم وعدم القدرة على مجاراة الركب الحضاري فيلجؤون لخلق مجموعات متطرفة ويتخذون من العنف وسيلة لإيصال أفكارهم بدل الحوار المرتكز على قيم التعاون والتسامح.

4. ثقافة أم تربية رقمية ؟

سبق وأن ذكرنا بأن الثقافة الرقمية تعني الإلمام بكافة التقنيات الحديثة في التواصل والاتصال ومهارة استخدام الحاسوب و الهاتف وكافة الأجهزة الحديثة ذات التقنية المتطورة لكن هل يكفي الإلمام بهاته التكنولوجيات وآليات تشغيلها والتحكم فيها لمد جسور حوار انساني حقيقي مبني على احترام الآراء ونبذ مظاهر العنف والعنصرية والكراهية ؟

يبدو أن الأمر يتجاوز المعنى التقني للثقافة الرقمية ليمتد إلى معناها التربوي والتوعوي وهو ما يحيلنا إلى طرح مصطلح التربية الرقمية التي تعبر عن مجموع القواعد المنظمة للعلاقة بين الأفراد والشعوب في العالمين الافتراضي والواقعي، وتتطلب جملة من السلوكيات النابعة من قيم المجتمعات والثوابت الأخلاقية والإنسانية القائمة على احترام الاختلاف في الآراء، واحترام الخصوصية، إلى جانب التقيد بآداب التواصل الإنساني في إطار نبذ كافة أشكال التطرف مع العقلانية في استخدام وسائل التواصل الإنساني مهما كان نوعها أو درجة تطورها، وهنا نشير إلى ثقافة أخرى حملتها البيئة الرقمية في طياتها وبين ثنايا وسائلها، هي ثقافة الإلغاء Cancel Culture والتي وصفها Jonah Engel Bromwich وهو كاتب صحفي في صحيفة ***New York Times*** بأنها "سحب كامل للاستثمار في شيء ما"، إذ اعتبر أنّ الإلغاء هو تعبير عن الفاعلية، واختيار لسحب انتباه المرء من شخص أو شيء ما[31]، وبالتالي يمكن اعتبارها ثقافة رقمية من وسائل المقاومة البديلة للمحتويات الهابطة والمتطرفة، من خلال إلغاء الاشتراك ومقاطعة الأشخاص أو المؤسسات التي تنشر محتويات داعمة للعنف أو التّطرف وبالتالي لابد أن يعي كلّ فرد بكيفية التعامل مع المنشورات والمحتويات الإعلامية بعقلانية وانتقائية ليمارس ضغطا اجتماعيا وتكون بيده وسيلة قوية للتعبير عن رفضه وهكذا يكون له دور في تثبيط السلوكات العدوانية المنافية لقيم الحوار والتسامح.

خاتمة:

تعدّ ثقافة الحوار من الدعائم التي يقوم عليها أمن المجتمعات، هذه الثقافة التي تسعى البشرية إلى تحقيقها من خلال احترام الرأي الآخر والإيمان بحقيقة الاختلاف والتأقلم معها، لكن مع ظاهرة العولمة اتسعت الفجوة بين المجتمعات المتطورة والنامية، الأمر الذي أحرج العالم وأدخله في دوامة من الآراء المتعصبة المنادية للعنف والمنافية للتسامح، أين وجب تدخل قوى فاعلة لإرساء ثقافة الحوار الإنساني المبني على التفاعل الإيجابي في سبيل النهوض بالقيم التي قد تآكلت في المجتمعات اليوم، وهنا يتدخل دور الإعلام من خلال سعيه إلى إعلاء القيم الإنسانية والحوار وتعزيز شرعية الاختلاف ونبذ الخطاب المحرّض للكراهية والعنف والتطرف الذي يهدّد أواصر السّلم والأمن والاستقرار المجتمعي ويقوّض قيم السلام والتسامح.

فالإعلام له دور وازن في تحرير المجتمعات من الكوابح والقيود التي تفرضها الأفكار المتطرفة، رغم هناك من يعتبره مجالا رحبا تستغله جماعات في دسّ نواياها المسمومة في إقحام المجتمع الدّولي في دوامة العنف والتناحر بين الثقافات، إلا أنّ مسؤوليته المهنية والأخلاقية تجعله لايزال متصديا لمثل هذه التّصرفات، حفاظا على المنظومة القيمية وتحقيقا لأمن المجتمعات وإشاعة ثقافة الحوار مع الآخر.

ولكن لن يكون دور الإعلام ناجعا إلا إذا تشكلت لدى الأفراد ثقافة رقمية تمدّهم بمعارف ومهارات حول استخدام الوسائل الالكترونية وكذا ضوابط تمكنهم من الاستخدام الانتقائي والتفاعل الواعي الآمن مع فيض المعلومات التي تحيط به من كل حدب وصوب، وهذا ما يحقق المواطنة الرقمية التي تشجع الحوار البناء دون المساس بالهوية الوطنية والقيم الإنسانية.

- **توصيات الدّراسة:**

- العمل على بناء قواعد متينة لقيم التسامح والحوار تؤمن بها مختلف المجتمعات على اختلاف ثقافاتها وهوياتها، فتؤصل لها الشعوب نظريا وتطبقها عمليا.
- تعزيز دور الإعلام بوسائله التقليدية والحديثة في إنتاج رسائل إعلامية تروّج لقيم التسامح والتعايش والاعتراف بالآخر كقيم إنسانية لا يتحقق الأمن والاستقرار إلا من خلالها.
- تدريب الصحفيين على تجنب المساهمة المقصودة أو غير المقصودة في نشر الأفكار المتطرفة والمناهضة لثقافة الحوار إيمانا بمسؤولية الإعلام المهنية والأخلاقية في إرساء الخطاب المعتدل الداعم للتسامح والمنافي للعنف وخطاب الكراهية.
- الاهتمام بخلق الثقافة الرقمية في سبيل تكوين خلفية معرفية وأدائية في التعامل مع الوسائل الرقمية وما تحويه من رسائل ومحتويات وتشكيل أفراد مثقفين رقميا.
- الاهتمام بالجانب التربوي للثقافة الرقمية من خلال التربية الرقمية القائمة جملة من السلوكيات النابعة من قيم المجتمعات والثوابت الأخلاقية والإنسانية القائمة على احترام الاختلاف في الآراء، واحترام الخصوصية، إلى جانب التقيد بآداب التواصل الإنساني في إطار نبذ كافة أشكال التطرف مع العقلانية في استخدام وسائل التواصل الإنساني مهما كان نوعها أو درجة تطورها.

الهوامش:

[1] Russell, A. **An analysis of public Relations and Dialogic Communication Efforts of 501(C)(6) Organizations** ;"Master's Thesis in Journalism". Indiana: Ball State University, 2008, p4.

[2] Beverly, J. **Public Relations Models and Dialogic Communication in the Twitterverse" An Analysis of How Colleges and Universities are Engaging Their Publics through Twitter"**, Abstract of a Dissertation for the Degree of Doctor of Philosophy. U.S.A: University of Southern Mississippi, 2013, p30.

[3] M.L Kent and M Taylor .**Toward a dialogic theory of public relations** .public relations revue.(1)28 , 2002, p21.

[4] Beverly, J. op.cit.p33.

[5] بلال قريب. **الحوار دراسة مفاهيمية ونظرية**. مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 2(ع22).2022 . ص32، 33.

[6] المرجع نفسه، ص41.

[7] حورية بومدين. **الحوار الحضاري والتّعايش السّلمي من منظور إسلامي**. مجلة آفاق العلوم، ع11، مارس 2018، ص254.

[8] الحاج بن احمنه دواق. **التثاقف من مسلوبية الاحتواء إلى معقولية التعارف**. بحوث ودراسات إسلامية المعرفة، ع69، 2012، ص117.

[9] طه عبد العزيز طه ابراهيم. **دور الإعلام في تشجيع الحوار بين الثقافات**. مجلة كلية الآداب والعلوم النسانية لجامعة قناة السويس، المجلد 2(ع28)، 2019، ص225.

[10] على جابر العبد الشارود. **الحوار مفهوما وتأصيلا وو اقعا**. حولية كلية الدراسات الاسلامية والعربية، المجلد02 (ع35)، 2019، ص 481-483.

[11] المرجع نفسه، ص 485-488.

[12] طه عبد العزيز طه ابراهيم، مرجع سابق، ص 224.

[13] خديجة لزهر. **مقاربة أخلاقية انسانية عالمية للحوار والسّلام في ضوء "حوار الأديان"**. مجلة الشهاب، المجلد 3 (ع8)، 2022، ص536، 537.

[14] زهية عبد العزيز. **أطروحات الثقافة الرّقمية وو اقع الإعلام في حضارة التواصل الالكتروني**. مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 2021، المجلد9(ع2)، ص39.

[15] زهية عبد العزيز. المرجع نفسه، ص37.

[16] عبد الله الأحمد أحمد، و آخرون. **الأخلاقيات الرقمية والحداثة في التواصل الانساني**. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 10(ع2)، 2017، ص259.

[17] الخير عزوق. **الإعلام بين فلسفة القانون وقواعد الأخلاق**. مجلة المفكر، ع7، 2017، ص152.

[18] Cristina Archetti .**Terrorism, Communication and New Media**: Explaining Radicalization in the Digital Age. 2015. P 51-53: https://www.jstor.org/stable/26297326 .Consulté le: 12.8.2023.

[19] جميل أبو العباس، و زكير الريان. **المتطرفون :التطرف الفكري نشأته،أسبابه، آثاره وطرق علاجه** (الإصدار 02). برلين ألمانيا: المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية، 2020، ص138.

[20] الجمعي حجام. **الكراهية الرقمية وممارستها في الفضاءات الرقمية واستراتيجيات مواجهتها** . مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة. المجلد 2(ع4). 2021. ص 15.

[21] هالة حسن بن سعد الجزار. منتديات تكنولوجيات التعليم. من **أنماط الحوار على شبكات التواصل الاجتماعي**، 2023 : https://drgawdat.edutech-portal.net/archives/13935، تاريخ الاسترداد 15. 8. 2023.

[22] نادية سعد الدين. **الفلسفة والمشكلات المعاصرة (التطرف، الاغتراب الثقافي نموذجا)**. الأردن: وزارة الثقافة الأردنية.2021. ص126.

[23] طه عبد العزيز طه ابراهيم. مرجع سابق. ص230.

[24] محمد بن عبد الله عبد البقمي. **دور الإعلام في الدول العربية والإسلامية في تعزيز ثقافة الحوار**. مجلة البحوث الإعلامية، ع 42. 2014. ص431.

[25] **إعلان جينيف الدولي لثقافة الحوار الإنساني**. (25 10, 2015). تاريخ الاسترداد 17 08, 2023، من http://www.icesri.org/ar/documents/%D8%A7%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%86%20%D8%AC%D9%86%D9%8A%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%20%D9%84%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%202015.pdf

[26] لامية طالة . **دور الإعلام الرقمي في نشر ثقافة السلام في الفضاء الافتراضي "قراءة تحليلية"**. مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والاتصالية، المجلد 7(ع2)، 2020، ص55، 56.

[27] فطيمة رابحي. **العوامل المساهمة في إرساء الثقافة الرقمية "دراسة حالة"**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير. الجزائر : جامعة الجزائر3، 2021، ص30.

[28] المرجع نفسه، ص31.

[29] طارق محمد محمد الصعيدي. **الثقافة الرقمية عبر وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقتها بتنمية المواطنة الرقمية "دراسة ميدانية على طلاب المدارس الثانوية المصرية"**. مجلة اتحاد الجامعات العربية بحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، ع9، 2022، ص264.

[30] **تيار الإصلاح** . (24 05, 2022). تاريخ الاسترداد 17 08, 2023، من تيار الإصلاح : https://www.noslih.com/article/%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%A9

[31] D. Clark Meredith . **DRAG THEM: A brief etymology of so-called“ cancel culture ”**Sage Journals.(4-3)5 ، 2020. P89.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- إعلان جينيف الدولي لثقافة الحوار الإنساني. (25 10, 2015). تاريخ الاسترداد 17 08, 2023، من http://www.icesri.org/ar/documents/%D8%A7%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%86%20%D8%AC%D9%86%D9%8A%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%20%D9%84%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%202015.pdf
- الجمعي حجام. (30 12, 2021). الكراهية الرقمية وممارستها في الفضاءات الرقمية واستراتيجيات مواجهتها. مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة 2(4) .
- الحاج بن احمنه دواق. (2012). التثاقف من مسلوبية الاحتواء إلى معقولية التعارف. بحوث ودراسات إسلامية المعرفة(69).
- الخير عزوق. (2017). الإعلام بين فلسفة القانون وقواعد الأخلاق. مجلة المفكر(7).
- بلال قريب. (2022). الحوار دراسة مفاهيمية ونظرية. مجلة العلوم الإنسانية، 2(22).
- تيار الإصلاح . (24 05, 2022). تاريخ الاسترداد 17 08, 2023، من تيار الإصلاح : https://www.noslih.com/article/%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%A9

- جميل أبو العباس، و زكير الريان. (2020). المتطرفون :التطرف الفكري نشأته،أسبابه، آثاره وطرق علاجه (الإصدار 02). برلين ألمانيا: المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية.

- حورية بومدين. (مارس, 2018). الحوار الحضاري والتّعايش السّلمي من منظور إسلامي. مجلة آفاق العلوم، 11.

- خديجة لزهر. (2022). مقاربة أخلاقية انسانية عالمية للحوار والسّلام في ضوء "حوار الأديان". مجلة الشهاب، 3(8).

- زهية عبد العزيز. (2021). أطروحات الثقافة الرّقمية وواقع الإعلام في حضارة التواصل الالكتروني. مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 9(2).

- زينب فخري. (21 03, 2021). شبكة النبأ المعلوماتية. تاريخ الاسترداد 15 08, 2023، من الثقافة الرقمية وضرورتها مع مواقع التواصل الاجتماعي: https://m.annabaa.org/arabic/referenceshirazi/26532

- سفيان بوسالم. (2012). دور المواقع الالكترونية في تحسين أداء الاتصال التسويقي للمؤسسة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التسويق. قسنطينة: جامعة منتوري.

- طارق محمد محمد الصعيدي. (2022). الثقافة الرقمية عبر وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقتها بتنمية المواطنة الرقمية "دراسة ميدانية على طلاب المدارس الثانوية المصرية". مجلة اتحاد الجامعات العربية بحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال(9).

- طه عبد العزيز طه ابراهيم. (2019). دور الإعلام في تشجيع الحوار بين الثقافات. مجلة كلية الآداب والعلوم النسانية لجامعة قناة السويس، 2(28).

- عبد الله الأحمد أحمد، ماجدة أحمد عمر، و هديب أحمد أمجد. (2017). الأخلاقيات الرقمية والحداثة في التواصل الانساني. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، 10(02).

- على جابر العبد الشارود. (2019). الحوار مفهوما وتأصيلا وواقعا. حولية كلية الدراسات الاسلامية والعربية، 02(35).

- فطيمة رابحي. (2021). العوامل المساهمة في إرساء الثقافة الرقمية "دراسة حالة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير. الجزائر : جامعة الجزائر3.

- لامية طالة . (2020). دور الإعلام الرقمي في نشر ثقافة السلام في الفضاء الافتراضي "قراءة تحليلية". مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والاتصالية، 7(2).

- محمد بن عبد الله عيد البقمي. (2014). دور الإعلام في الدول العربية والإسلامية في تعزيز ثقافة الحوار. مجلة البحوث الإعلامية، 42(42).

- مديحة جيطاني . (2009-2010). استخدامات الشباب الجامعي للمو اقع الإسلامية، دراسة في العادات والأنماط والاتجاهات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. باتنة: جامعة الحاج لخضر.

- نادية سعد الدين. (2021). الفلسفة والمشكلات المعاصرة (التطرف، الاغتراب الثقافي نموذجا). الأردن: وزارة الثقافة الأردنية.

- هالة حسن بن سعد الجزار. (12 08, 2023). منتديات تكنولوجيات التعليم. تاريخ الاسترداد 15 08, 2023، من أنماط الحوار على شبكات التواصل الاجتماعي: https://drgawdat.edutech-portal.net/archives/13935

- Beverly , J. (2013). Public Relations Models and Dialogic Communication in the Twitterverse " An Analysis of How Colleges and Universities are Engaging Their Publics Through Twitter", Abstract of a Dissertation for the Degree of Doctor of Philosophy. U.S.A: University of Southern Mississippi.

- Cristina Archetti .(2015 ,02) .Terrorism, Communication and New Media: Explaining Radicalization in the Digital Age ,08 12 . تاريخ الاسترداد 2023https://www.jstor.org/stable/26297326، من

- D. Clark Meredith .(2020) . DRAG THEM: A brief etymology of so-called" cancel culture "Sage Journals.(4-3)5 ،

- https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/culture/tolerance/centers-for-countering-extremism?fbclid=IwAR0BcB3n9W79RdXB594Cjmop-4X5nloKpUgX2y-XnXzJmy0W9KUzSFrugy4 10 تاريخ الاسترداد .(10 08, 2023) . 08, 2023
- M.L Kent و ،M Taylor .(2002) .Toward a Dialogic theory of public relations .public relations review.(1)28 ،
- Russell, A. (2008). An analysis of public Relations and Dialogic Communication Efforts of 501(C)(6) Organizations ;"Master's Thesis in Journalism". Indiana: Ball State University.
- https://www.aljazeera.net/

قيم التسامح لدى علماء المغرب الأوسط ق7ه/13م قراءة من خلال كتاب: "عنوان الدراية للغبريني"

د/فهيمة حناش

جامعة العربي بن مهيدي"أم البواقي"-الجزائر-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

fahima.hannache@univ-oeb.dz

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع مظاهر قيم التسامح في سلوكيات علماء المغرب الأوسط خاصة منهم البجائيين من أهل البلد أو الوافدين عليه من المشرق والأندلس، ممن استقروا به وكان لهم تأثير فاعل في الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية بالمدينة خلال القرن7ه/13م، انطلاقا من قراءة وتحليل في كتاب: "عنوان الدراية للغبريني" باعتباره مصدر تراجم وسير هام، اهتم صاحبه بذكر وتتبع حياة هؤلاء الأعلام وصفاتهم والوظائف التي تقلدوها والمؤلفات التي صنفوها، وأبرز الأحداث التي مرت في حياتهم، وذلك بأسلوب عرض تاريخي متميّز، حيث أتاح لنا مجال قراءة تلك السير، الوقوف على أهم مظاهر قيم التسامح في سلوكياتهم وشخصياتهم العلميّة وما اتصفوا به وجسدوه في تعاملهم من قيم العفو والعدل والإخلاص والصبر على المحن، وحسن الرد عند الخلاف، والتسامح الديني مع غير المسلمين.

الكلمات المفتاحية:

القيم، التسامح، العدل، العلماء، المغرب الأوسط

Abstract :

This study deals with the issue of the manifestations of the values of tolerance in the behaviors of the scholars of the Middle Maghreb, especially among them the Bejaia'is from the people of the country or those who came to it from the East and Andalusia, who settled there and had an effective influence on the social, intellectual and religious life in the city during the 7th century AH /13th century AD, based on a reading and analysis in the book: "The Knowledge Title of Al-Ghabrini" as an important source of biographies and biographies, its author was interested in mentioning and tracing the lives of these notables, their characteristics, the jobs they assumed, and the books they compiled, And the most prominent events that passed in their lives, in a distinguished historical presentation style, as it allowed us to read those biographies, to stand on themost important manifestations of the values of tolerance in their behavior and scientific personalities, and what they characterized and embodied in their dealings of the values of forgiveness, justice, sincerity, patience in adversity, and good response when disagreement. and religious tolerance towards non-Muslims.

Keywords :

Values, tolerance, justice, scholars, the Middle Maghreb.

مقدمة:

لقد شهد المغرب الأوسط خلال القرن 7ه/13م نهضة فكرية متميّزة أسهم في إحداثها كوكبة من العلماء الذين برزوا في فنون ومجالات علميّة مختلفة، خاصة بحاضرة بجاية سواء كانوا من أهل البلد أو من الوافدين عليها من المشرق أو الأندلس؛ والذين أمكننا التعرف عليهم من خلال مصدر تاريخي هام ذو طابع ترجمي ألا وهو كتاب: "عنوان الدراية لأبي العباس أحمد الغبريني"، حيث سنحاول من خلال

هذه الورقة البحثية التعريف بشخصية الغبريني، وبكتابه وما انضوى عليه من سيرة عطرة لتراجم هؤلاء الأعلام الفاعلين، مع التركيز على تتبع مظاهر قيم التسامح في سلوكياتهم وتعاملاتهم مع مختلف فئات وطبقات المجتمع، من الفئة العالمة أو الطبقة الحاكمة أو العامة

انطلاقا من معالجة الإشكالية التالية: فيما تجلت مظاهر قيم التسامح لدى علماء المغرب الأوسط من خلال كتاب عنوان الدراية للغبريني؟ وماهي المواقف التي اعترضت حياتهم وأظهروا فيها جانب التسامح والتفهم والاحتواء في التعامل؟

ولدراسة هذا الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي؛ من خلال التعريف بأبرز الشخصيات ووصف وتحليل المواقف الهامّة في حياتهم والتي تجلت فيها قيم التسامح والعفوّ في سلوكاتهم وتعاملاتهم مع الآخرين.

كما تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالشخصيات الفكرية العالمة بالمغرب الأوسط خلال القرن7ه/13م، من خلال مصدر تاريخي جدّ هام ركز على أعلام حاضرة بجاية خلال العصر الإسلامي، من خلال تسليط الضوء على تتبع سيرهم وإيراد تراجم عنهم تكشف عن مدى الإسهام الحقيقي والتأثير الفاعل في سلوكياتهم على المجتمع بمختلف فئاته؛ ليس من الناحية الثقافية والعلميّة فحسب وإنّما في جوانب إنسانية وسلوكيّة هامة ترجمتها مواقفهم وتعاملاتهم من مظاهر العفوّ والتسامح، ورحابة الصدر، وحسن الرد أثناء الخلاف، والتسامح الديني مع غير المسلمين، وذلك انطلاقا من العناصر التالية:

أولا: التعريف بالغبريني:

أبو العباس الغبريني،ت704ه/1304م: هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، وكنيته: أبو العباس،أما شهرته الغبريني فنسبة إلى غبري بطن من قبائل الأمازيغ البربر في المغرب الأوسط، ولد في أواسط المائة السابعة سنة 644ه/1246م[1]، حيث نشأ ببجاية وتعلم بها مختلف العلوم وبخاصة العلوم

الدينية، حفظ القرآن الكريم واهتم بالقراءات والفقه وأصوله، والتفسير والحديث، إلى جانب اعتنائه باللغة والأدب والتاريخ والمنطق والتصوف[2].

أخذ العلم عن شيوخ كثر إذ" بلغ عدد الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم نحو السبعين شيخا من أعلام المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس"، فاستفاد مما أخذ عنهم من علوم حتى أنه أورد بمؤلفه برنامجا للمشيخة الذين تتلمذ عليهم، وترجم لهم في كتابه القيم عرفانا بصنيعهم، ومن أبرز شيوخه ذكر: محمد بن عبد الله بن عبادة، وأبي محمد عبد العزيز القيسي، حيث قرأ عليهما وسمع منهما وحضر مجلسهما ومن الكتب الفقهية والمذهبية التي قرأها عنهما: التهذيب،الرسالة،الجلاّب والتلقين ومختصر ابن أبي زيد وغيرها، كما أخذ أيضا عن العالم الجليل أبي محمد عبد الحق بن ربيع علم التصوف وبعضا من علوم الرواية؛ إذ كان لكل شيخ طريقته وأسلوبه في القراءة والشرح والتبسيط والمذاكرة والمباحثة[3].

ونتيجة تكوينه العلمي الرصين وتنوع المعارف والعلوم التي حصلها فقد تولى الغبريني عدة مناصب منها: خطة القضاء بمواضع كان آخرها بمدينة بجاية" فكان في حكمه شديدا مهيبا، ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ لفروعه، وقيام على النوازل وتحقيق للمسائل"[4]، إلى جانب قيامه بالتدريس حيث اجتمع حوله طلبة العلم للأخذ عنه والاستفادة منه وبخاصة في علم الفقه، وهو الأمر الذي شهد به بعض طلبته ممن ترجموا له، وأوردوا أخبارا عن سيرته العلمية والفكرية [5].

أمّا عن وفاة هذا العلاّمة فإنّ المصادر التي أرّخت لذلك قد تباينت رواياتها حول السبب والزمن وإن كانت تتفق حول مسألة أنّ أبي العباس الغبريني قد وُشيّ به عند حاكم بجاية من طرف الحاشية بتُهم باطلة فسجن على إثرها، وكان مرد هذه التُهم نوايا سيئة مضمرة من طرف البعض بغضا وحسدا في شخصه ومكانته العلميّة، كما أنّ مردها عائد أيضا إلى محاولة عرقلة مسار المصالحة الذي كان يُسعى له بين أبو البقاء مع ابن عمه"أبي عصيدة" لجمع واتحاد إمارة بجاية وتونس للوقوف

في وجه مدّ بني مرين [6]، حيث قُتل الغبريني على إثر ذلك سنة 704هـ/1304م[7]، وبذلك فقد راح ضحية هذا الفعل عالم جليل فذّ أفنى عمره في طلب العلم ونشره، مخلفا وراءه سيرة عطرة وعدد من المؤلفات كان من أبرزها كتابه: عنوان الدراية.

ثانيا: التعريف بكتابه" عنوان الدراية":

إنّ كتاب:"**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للغبريني** يدخل في صنف كتب التراجم، لكنّه يتميّز عنها بمعلوماته الثرّية والدقيقة التي تخُص علماء بجاية وتكوينهم المعرفي والخطط السياسية والدينيّة التي تقلدوها والدور الذي أدوه؛ بحكم أنّ صاحبه"**أبو العباس الغبريني**" قد عاش وتوفي ببجاية، فهو شاهد عيان على مختلف مظاهر الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية بها، كما أنّه وأثناء عرضه لتراجم العلماء قد أورد معلومات عن الخصائص العمرانية لمدينة بجاية وخططها وأهم مؤسساتها، إذ يمكن اعتباره واجهة مونوغرافية للمدينة[8].

وهذا الكتاب نشر لأول مرة في الجزائر سنة 1910، بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب، كما نشر في طبعة ثانية سنة 1979حققه وعلق عليه عادل نويهض من منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة؛ وقد وفق الغبريني من خلال كتابه في جمع التراجم وترتيبها، حيث ترجم ل109 شخصية علمية كما أنّه لم يقتصر على الترجمة لعلماء بجاية فحسب، بل تعداه إلى العلماء الوافدين عليها من الأندلسيين والمشارقة[9].

أمّا عن المنهج الذي اعتمده في كتابه فإنه يبدأ بذكر صاحب الترجمة اسمه وكنيته وصفته كما يذكر في بعض الأحيان نسبه بعد أن يتحقق من ذلك، وما إذا كان صاحب الترجمة من أهل بجاية أم من الوافدين عليها من المشارقة أو الأندلسيين ممن استقروا بها، ثمّ يورد حاله متعرضا لما اشتهر به من عناية بعلم أو أدب وأبرز مصنفاته؛إضافة إلى ما تقلده من مناصب ووظائف كالتدريس والإمامة وتقلد الكتابة

أو الوزارة أو تولي القضاء وغيرها، ويختم الترجمة بنبذة من شعر المترجم له إن كان شاعرا، أو نماذج من حكم أو أقوال له إن وجد ذلك، كما يورد في حالات عديدة تاريخ ومكان دفنه ووفاته[10].

كما أنّه لا يغفل عن تسجيل سائر الأحداث التاريخية المهمة في حياة هؤلاء الأعلام، معتمدا على السهولة في الألفاظ والبساطة في الأسلوب مع تقديم الاستشهادات والإثباتات التي تدعم أقواله، حتى يتمكن المتلقي من فهم المقصود ويصل إلى مبتغاه المنشود من تتبع تلك السير[11].

ولقد تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الغبريني في عرض ترجماته، كما تأثر بمنهج من تتلمذ على أيديهم من علماء الحديث، فساعده هذا على ذكر جميع مصادره في كل خبر سمعه أو نقله، إذ اعتمد في توثيق معلوماته على الكتب والمدونات والفهارس، فضلا عن الوثائق عن طريق الاطلاع على السجلات الرسمية كالدواوين، وأيضا عن طريق الاستعانة بالنقوش الأثرية كالكتابات على القبور ما يكشف عن ما تمتع به هذا المؤرخ من وعي وحس تاريخي عميق[12].

ثالثا: مظاهر قيم التسامح في سلوكيات علماء المغرب الأوسط من خلال كتاب:"عنوان الدراية":

إنّ مختلف القيم التي يتحلى بها السلوك البشري السويّ إنّما هي مستمدة من حسن الخلق، وقد أشاد الغبريني في كتابه بهذه القيمة لدى جلّة العلماء الذين ترجم لهم، حيث شهد بحسن أخلاقهم وبما تحلوا به من السماحة والعفو في تعاملاتهم مع النّاس، ما جعل أثرهم طيبا في الآخرين وفسح المجال أمامهم لاستقطاب أهل العلم الذين توافدوا للسماع منهم والأخذ عنهم، كما أتاح لهم ذلك فرصة تولي وظائف ومناصب هامة بدءا من مهمة التدريس والإمامة والقضاء وغيرها، ويستوقفنا في هذا المقام أمثلة عدة عنهم منها ما أورده عن العالم الجليل الفقيه المتصوف"**أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد**"،**ت675هـ/1285م**، من علماء

بجاية والذي كان متمكنا في فنون جمّة من العلم كالفقه والأصلان (أصول الدين وأصول الفقه) والمنطق والتصوف، والكتابتان الشرعيّة والأدبية، وصفه فقال:"كانت له رحمه الله أخلاق حسان لم تكن لغيره، وكان من أملح النّاس نادرة على طريقة أمثاله من فضلاء أهل العلم والتخلق، وكان إذا أثني عليه بحسن الخلق يستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم بأنّ "أول ما يوضع في الميزان الخُلق الحسن، ومن لم يكن عنده أول ما يوضع في الميزان لم يكن عنده غيره، لأنّ هذا إنّما يجري مجرى الأساس،...وكان له باطن سليم سمعته يقول:" والله ما بت قط وفي نفسي شر لمسلم"[13].

ومثله في ذلك أيضا ما أورده عن الفقيه الجليل القاضي المحدث "**أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف**"،**ت686هـ/1287م** ، والذي كان عاكفا على التدريس في الجامع الأعظم ببجاية، حيث درس عليه وانتفع بعلمه خلق كثير، وقد ولي القضاء بمدينة بسكرة ثمّ بمدينة قسنطينة، قال عنه الغبريني:"كان أكثر النّاس أصحابا وألينهم جنابا، وكان سليم الصدر لا يعرف شيئا من الشرّ" [14].

وكذلك الشأن في ما ذكره الغبريني عن سيرة العالم **"أبو العباس أحمد بن خالد"، ت نحو سنة 660هـ/1262م**، وأصله من أهل مالقة بالأندلس واستوطن بجاية وتوفي بها، كان عالما في الفقه وأصول الدين جلس للتدريس ببجاية وكان يُقرأ عليه في منزله، قال عنه: "كان أحسن النّاس خُلقا وأطيبهم نفسا"[15]، والأمر ذاته نجده مع العالم الأديب النحوي اللغوي**"أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري"**، من أعيان المائة السابعة كان له مجلس علم يحضره عدد كثير من الطلبة، حيث لم يكن له عمل إلاّ الاشتغال بالإقراء و"كانت له نفس طيّبة وأخلاق حسنة"[16].

ومثله في ذلك أيضا "**أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني،ت699هـ/1297م**"،الفقيه الخطيب المقرئ الصالح،من أهل شاطبة بالأندلس رحل واستوطن ببجاية، كان عالما بالقراءات متقنا فيها مُجيدا لها؛ على

معرفة بعلم العربية النحو واللّغة والأدب ورواية متسعة في الحديث، قال عنه:"له خلق حسن ونيّة صالحة وطوية سالمة ودعوة مباركة، من تعرض له بالإذاية يُجزى،.. جلس للوثيقة والشهادة، فكان سمحا سهلا ولم يقع له قط وقوع في ذلك لحسن نيّته وسلامة طويته"[17].

وعليه يتضح بأنّ حسن سلوك علماء بجاية من البلديين أو الوافدين المستقرين بها ممن ترجم لهم الغبريني قد انعكس بشكل إيجابي في علاقتهم مع من حولهم؛ ويكفي دليلا على ذلك هو إقبال طلبة العلم من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي للاستفادة من علومهم ومعارفهم عن طريق حضور مجالسهم العلمية، فضلا عن علاقات الصداقة التي أقاموها مع مختلف فئات المجتمع، كما أنّ حُسن الخُلق الذي تحلوا به قد أخذ مظاهر عدّة سواء في تعاملاتهم مع النّاس أو مع السلطة الحاكمة، وفيما يلي أمثلة ونماذج عن تلك القيم.

-/قبول الاعتذارورحابة الصدر:

إنّ العلاقات البشرية تتأسس وفق قاعدة أخلاقيّة هي"الحق في الاختلاف"، وهذا الحق يتطلب قدرا من التعددية والتعايش، وبالتالي فهو يحتاج إلى التسامح، الذي يُشكل هو الآخر فضيلة قيميّة أخلاقية، تُعد من أهم المطالب الكبرى التي تتولى الصدارة في تسيير علاقات الاختلاف بين النّاس[18]، وهذا المنطلق الأخلاقي سعى علماء بجاية إلى تجسيده في علاقتهم مع الآخرين سواء من فئات العامة أو من أطراف السلطة الحاكمة.

وقد تجلى ذلك في مواقف عدّة وقعت لهم من ذلك ما حصل للفقيه الفاضل**"أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي"،ت نحو580هـ/1185م** من أعلام نهاية المائة السادسة مع أحد ولاة حكام دولة بني عبد المؤمن الموحدين، حيث طلب هذا الأخير من أحد القضاة أن يوّجه إلى الفقيه أبي علي من يحدثه في أن يشتغل بشأنه ويقتصر على خاص أمره، فلما وصله رسوله وهو جالس بالجامع الأعظم محل تدريسه فيه وأخبره بالأمر، وكان من جملة من يقرأ بين يديه حفيد له،

فطلب منه أن يقرأ عليه ولم يخبره بما يقرأ فاستفتح متعوذا بالله من الشيطان الرجيم، ثمّ تلى **قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ)** سورة يونس الآية71، فرجع الرسول على إثر ذلك وقد تغير لونه من رد الشيخ عليه، وكان السيد الذي أرسله قد وقع له وجع كاد أن يقضي عليه، فلما وصله الرسول وأخبره بما شاهد من حال الفقيه وبما قاله له، أدرك السيد خطأه ورده إليه ليعتذر له منه ووجه معه بصلة، فلمّا وصل إليه الرسول وألقى إليه ما ألقى قبل عذره ورد الصلة[19]، وفي هذا موقف يكشف عن نبل أخلاق علماء المغرب الأوسط وعن شيم التسامح في سلوكاتهم وكيف كانوا يقدمون المثل والقدوة للنّاس في ذلك.

ومثله أيضا ما وقع مع الفقيه **"أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري،المشتهر بالأصولي،ت612هـ/1215م**، من أهل بجاية كان له علم بالفقه والأصلين والخلافيات والجدل، كما له تقييد على كتاب"المستصفى" لأبي حامد الغزالي؛ ذكر الغبريني بأنّه وقعت بينه وبين بعض أصحابه مخاشنة، فخاطبه صاحبه معاتبا عليه بقوله:"تُعاملني بهذا وأنا أسنّ منك وأسنى وأجلّ؟ فرد عليه مداعبا بروح الفكاهة التي يرمي من ورائها الصلح معه قائلا: نعم أسن بموسى وأسنى بسانية، وأجل في مربطك فتضاحكا واصطلحا[20]، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على ماكان يتمتع به علماء بجاية من رحابة الصدر وروح التسامح وحسن التعامل مع الأصدقاء والخلان بغض النظر عن المواقف والظروف.

-/ قيم العدل والإخلاص:

إنّ العقل هو الأداة التي يستطيع بها الإنسان إدراك الحق، ومعنى الحق يقتضي تطبيق العدل الذي يمكن أن يوجد في كل الأشياء، ذلك لأنّ العدل العقلي هو انسجام بين العدل الإلهي والعدل الطبيعي البشري الذي ينظبط به النظام الاجتماعي في الإسلام، فالعدل بناء على ملكة التميّز(الحكمة) من قبيل مسايرة

الدين لكنه يختلف عند التطبيق، والأعمال المنافية للعدل هي أعمال متطرفة إمّا أن تتجاوز العدل أو تقصر عنه[21].

ومن هذا المنطلق فقد حرص علماء بجاية على تطبيق العدل وإحقاق الحق في معاملاتهم، وخاصة في الوظائف والمهام التي أسندت لهم، ولعل من أصعبها تولي منصب القضاء، والذي يتطلب من صاحبه تجسيد قيم العدل والحق ورد الظلم وتطبيق الحدود، ولنا في ذلك أمثلة في سير تراجم عنوان الدراية ما تجلى في موقف العالم الفقيه **"أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي"،ت نحو580هـ/1185** من أعلام أواخر المائة السادسة مع أحد أحفاده حين استنابه على منصب القضاء في مدة ولايته على إثر مرض أصابه، فحدث أن تحاكمت عند حفيده امرأتان ادعت إحداهما على الأخرى أنّها أعارتها حليا ولم تُعده إليها، وأنكرت الأخرى ذلك فشدّد على المنكرة حتى اعترفت وأعادت الحلي، فلمّا عرض على جده المسألة أنكر عليه ذلك وجعل يعتب على نفسه تقديمه لذلك، مستشهدا له بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن قوله:" **البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر**"[22]، وأنّه صلى الله عليه وسلم لم يقل باستخدام أسلوب التهديد والتخويف على من أنكر، ثمّ استدعى شاهدين وأشهد بتأخيره، وكان ذلك "من ورعه ووقوفه مع ظاهر الشرع رحمه الله"[23].

كما أنّ قيم العدل وإحلال الحق والمساواة كانت مجسدة في مواقف عدة واجهتهم في حياتهم أو خلال توليهم لوظائفهم كحال الفقيه الفاضل"**أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن"،ت693هـ/1294م**، القاضي الشهير من أهل بلنسية والذي رحل إلى بجاية واستوطنها، وتخطط فيها بالعدالة حيث ولي بها القضاء وجلس للوثيقة، وكان ممن يُشار إليه بالنباهة والرياسة والسياسة، وقد أشاد الغبريني بمهارته في إدارة شؤون القضاء وعلمه بالأحكام ما جعل فترة توليه القضاء تكون مميّزة حيث قال عنه:"فظهر من نبله في القضاء ومعرفته بوجوه الردّ والإمضاء ما عجز عنه من تقدمه من القضاة، وكان مقدما في فصل الأحكام وعارفا بمواقعها على

التمام، وكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق...فقام بأمر النّاس ووقف خير موقف،...وظهر من عقله وفضله ونبله وجده واجتهاده ما حمد به أمره وجلّ به قدره"[24].

وعليه يتضح بأنّ تجسيد قيم العدل من خلال حفظ الحقوق ورد المظلمات وتطبيق الأحكام كان السِّمة البارزة في سلوكات علماء بجاية، وهي مظهر يعكس انتشار العدل والأمن الذي حرصوا على نشره بين فئات النّاس بالمجتمع البجائي خلال القرن 7هـ/13م، ما خلق جوّا من الرضى والتسامح والعيش بسلام.

-/ قيم الصبر على المحن والبلاء:

لقد أولى الله عز وجل عناية بالغة للصبر في القرآن الكريم، حيث ذُكر في نيف وسبعين موضعا، لما له من قيمة كبيرة دينيّة وخُلقيّة، فهو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى ماديّا ومعنويا ويسعد فرديا واجتماعيا، والصبر على قول الإمام الغزالي ضربان: أحدهما بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو إمّا بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات أو غيرها، وإمّا بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض المؤلم والجراحات[25].

وعليه فإنّ المحن ضرورة لأهل الإيمان لامتحان صبرهم، يقول تعالى في سورة آل عمران الآية142 **"أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ"**، وفي قيمة الصبر قال أبو طالب المكي في كتابه"قوت القلوب":"اعلم أنّ الصبر سبب دخول الجنّة وسبب النّجاة من النّار"، وقال أحدهم:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكلـــه لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبـــــرا

وبالصبر تتحقق الآمال وتنجح المقاصد، ولا يؤتى عمل أكله إلاّ بالصبر، فمن صبر ظفر[26]، ولقد كانت قيمة الصبر مجسدة في سلوكات علماء بجاية ممن أورد الغبريني أمثلة ونماذج عنهم، من خلال ما ساقه من روايات حول مواقف تعرضوا لها وامتحانات وابتلاءات اعترضت طريقهم، ومع ذلك أظهروا شجاعة ورباطة جأش وقوّة

على تحمل الصعاب والمحن، من غير أن يتعدوا على الآخرين أو يتسببوا في الأذية لأحد متحملين ومكابدين مشقة الصبر على أمل الرجاء في خير الله وفضله وفرجه، مظهرين التسامح والعفو حتى مع من كان سببا في محنهم، من ذلك ما وقع مع الفقيه الفاضل**"أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني"،ت بعد 585هـ/1189م**،وهو من علماء أواخر المائة السادسة، في محنة الأسر على يد بني غانية الميورقيين[27]؛ الذين اشتدت وطأتهم على أهل العلم واعتقلوا منهم أناسا كان من جملتهم الفقيه"أبو الطاهر عمارة الشريف" الذي بقي مع أصحابه معتقلا مدة من الزمن وهو مصفد في الحديد، وكان يريد أن يحتج عن الوضع لكنه لم يجد لذلك سبيلا إلى أن زال عن لسانه عُقاله فكتب بقصيدة إلى الوالي الذي تلقاها بالقبول، وشفع فيه وفي أصحابه جده النبي صلى الله عليه وسلم فكان ممانظمه فيها قوله:

سلام كعرف المندل الرطب في الجمر وإلاّ كما هب النسيم على الزهـــر

فلله درمقلتـــين بعبـــرة تعبّرفوق الخد من كامـن الســر

ونارباًكبادي أكابـــد حرهـــا وقلب سليم قلّب في لظى جمـــر

فلم أنس توديع البنيـن مصفـدا وأصغرهم يجري وأدمعه تجـــري

أبا زيد إني بالحسيـن وسيلـتي وجـدي شـفيع النّـاس فـي موقـف الحشـر[28]

وكذلك ما وقع مع الفقيه الجليل**"أبو عبد الله محمد بن علي الطائي"، الشهير بمحي الدين بن عربي،ت638هـ/1240م**، أصله من مرسيّة، قرأ القرآن على "أبي بكر بن خلف"بإشبيلية بالسبع، وهو فيلسوف من العلماء المهتمين بعلم الكلام، وكانت له عدة رحلات إلى الشام ومصر والعراق لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه"وله قدم في الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف، ووصف بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشأن بالشام والحجاز"وله أصحاب وأتباع[29].

وقد ألف تآليف في التصوف والتفسير وغير ذلك منها كتاب الجمع والتفصيل في معاني التنزيل، وكتاب كشف المعنا عن تبيين الأسماء الحسنا، وكتاب الإعلام بإشارة أهل الإلهام[30]، دخل بجاية سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وقد نقد عليه أهل الديار المصريّة بعض ما صدر عنه في علم الكلام وعملوا على إراقة دمه، فتدخل وشفع له في تلك القضيّة وكان المخلص له من تلك المحنة الشيخ العالم"أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي"،ت652هـ/1254م[31]، الذي بقي "ساعيا في أمره ومظهرا وجوه التأويل في شأنه ما اقتضى الإعراض عن زلته والمسامحة في هفوته"[32].

-/ حسن الرد أثناء الخلاف:

إنّ الاختلاف بين النّاس طبيعة بشرية وسنّة كونيّة، به تتحقق قاعدة التعدديّة والتعايش وبالتالي فهو يحتاج إلى مبدأ التسامح، إذ قد يؤدي الاختلاف إلى وقوع الجدل والخلاف، ما يجعل الشخص ينظر للمخالف له في الرأي أو الفكر أو المعتقد بمثابة خصم يلجأ معه إلى المحاججة قصد تصحيح كلامه أو رد شبهته أو تضعيف دليله بحجة[33].

في حين أنّ الحكمة عند الخلاف تقتضي حسن الرد وضبط النفس، وأن يتوقع كل من الآخر بعض الجهل واحتمال الخطأ، قال تعالى في سورة الأعراف، الآية199 **" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"**؛ فحسن الرد أثناء الخلاف يتطلب الاعتدال والتوسط في كل شيء في التعامل، في الحوار، في الأحكام والآراء والمواقف والسلوك، في العلاقة مع الآخرين بدون غلو أو تقصير[34].

وإذا بحثنا في سير تراجم الغبريني في عنوان الدراية لوجدنا أمثلة عدّة عن حياة هؤلاء الأعلام ومواقفهم وتصرفاتهم أثناء تعرضهم للاختلاف مع اللآخرين؛ سواء كانوا علماء مثلهم أو شخصيات من الطبقة الحاكمة أو من العامة، حيث برزت مظاهر حسن إدارتهم للحوار وما اتسموا به من الرصانة في الرد والاستدلال بالحجة والعلم وقوّة الاستدلال والبرهان، مثاله الموقف الذي عاشه الفقيه الجليل عالم

بجاية "**أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر**"،**ت حوالي598هـ/1202م** من علماء أواخر المائة السادسة، والذي كان أديبا بارعا وكاتبا مجيدا، وصفه الغبريني فحلاه بقوله:" له علم متسع المدى، وتخصص ووقار، له الهمة السنيّة والأخلاق المرضيّة، وكان وجيها مكرما"[35]، حيث استدعاه الخليفة"أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن"[36]، ليتولى منصب كاتب سره فظهر في هذا المنصب مقدرته وروعة أسلوبه وبيانه، ومع ذلك حدث أن وشيّ به عند الخليفة بسبب أنّه كان إذا استدعاه وأعجله "يتأنى ويأتي على التؤدة والوقار وإصلاح الهيئة واستكمال الزينة، فلمّا حضر بين يدي الخليفة وعاتبه عن ذلك، أجاب:" يا أمير المؤمنين أنت إمام المسلمين، وما أحسب أنّ محل الإمامة إلاّ كمحل الصلاة، فكما آتي إلى الصلاة آتي إلى هذا المحل"، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم:"**إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها و أنتم تسعون و اتوها تمشون وعليكم السّكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**"[37]، فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين وزاد في تقريبه وتركه على حاله[38]، وفي هذا الموقف صورة مشرّفة لتمثل قيمة التسامح في الرد على الحاكم واستخدام أسلوب الحجة والإقناع لرد كيد الوشاة بالحكمة وحسن المقال، ولا يقدر على هذا إلاّ جبلة من العلماء الأفداد.

ومن ذلك أيضا ما وقع مع العالم الفقيه الزاهد"**أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم**"،**ت638هـ/1241م**، وكان يجمع بين علوم عدة منها: أصول الفقه وأصول الدين وعلم الطبيعيات والمنطق وله في ذلك مصنفات؛ فعلى الرغم مما كان يتصف به من خُلق كريم، حيث تحدث الغبريني عنه في ذلك فقال:"كان أحسن النّاس خُلقا، ولقد سمعت عنه أنّه قال:"أقمت عازما في جهاد النفس مدة من سبعة أعوام"، إلاّ أنّه كان مُبتلى بإطلاق النّاس عليه وإسماعهم ما لا يليق في جهته، إذ حدث أن جاءه رجل يوما بسكين في يده يريد قتله، فحدثه بلطف وطلب منه الجلوس، ثمّ سأله: "على ماذا تقتُلني؟ فقال له قيل لي عنك أنك كافر، فقال له: الناقل إن كان عندك كاذبا فما يحل لك قتلي، وإن كان صادقا فأنا أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمد رسول الله"، فتاب الرجل بين يديه وجدد إيمانه أمام الشيخ[39].

وكذلك الشأن في الخلافات التي كانت تقع جراء المناظرات العلميّة، حيث اتصف العديد من العلماء بالحكمة والذكاء وقوة الحجة وسعة المعرفة التي تؤدي إلى الإقناع بالأدلة والبراهين، بحيث يقتنع الطرف الآخر وتقع المراضاة من دون أن يصل الأمر إلى النزاع والقطيعة أو الكره، وهو مظهر من مظاهر التسامح الفكري، ونسوق في هذا الشأن ما أورده الغبريني في سيرة أحد جهابذة علماء بجاية وهو الفقيه القاضي"**أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان**"،ت**682هـ/1283م**، والذي كان عالما بأصول الفقه وأصول الدين، وله مشاركة في علم الأدب، وكانت له رحلة للمشرق حيث قرأ هناك واجتهد وأتقن[40]، وكان ممن يُستفاد من دروسه وعلمه، وتقع المناظرة في مجلسه، من ذلك أنه كان "يجيء بالمسألة الخلافية فيرتضي أحد وجهيها وتحتد القرائح، فيكثر البحث إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم، ثمّ يأخذ الطرف الآخر ويلزم أصحابه ماكان هو يُناظر عليه، فلا يزال إلى أن يظهر الرجحان في ذلك الطرف ويقع التسليم، وهذا من حدّة فكره وجودة نظره" [41].

-/ التسامح الديني:

لقد ظهر هذا المبدأ جليا في سلوكات علماء المغرب الأوسط في تصرفهم ومواقفهم مع غير المسلمين من أهل الكتاب، خاصة في المناظرات العلمية التي كانت تقع بينهم، حيث أظهروا جانبا يعكس قيّم التسامح والتعايش الذي أرساه الإسلام في معاملات المسلمين مع غيرهم من أهل الكتاب، وقد كان التسامح الديني الذي مارسه النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وسائل ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

ولقد أقرت المواثيق الدولية في زمننا هذا بمسألة التسامح الديني المتعلقة بحرية المعتقد، وأنّ لكل فرد الحق في حرية الفكر والدين، ويشمل هذا الحق حريته في الانتماء إلى أحد الأديان أو العقائد باختياره، ولا يجوز تعريض أحد لإكراه من شأنه أن يُخلّ بحريته، مع احترام حرية الآخر في انتمائه واختياره العقدي، من ذلك ماهو معلن عنه في ميثاق الأمم المتحدة، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[42].

والحقيقة أنّ الحضارة الإسلامية كانت سباقة في ذلك، والدليل هو مواقف علماء المغرب الأوسط البجائيين التي تميّزت بالتسامح الديني مع غيرهم من الذميين، واحترام فكرهم وعقائدهم حتى أثناء الدخول في المناظرات الفكرية والدينية معهم، وفي هذا الصدد تستوقفنا واقعة برز فيها موقف أحد علماء المغرب الأوسط وهو الشيخ الجليل الفاضل" **تقي الدين الموصلي"** من أعلام القرن السابع الهجري، والذي أقام ببجاية مدة من الزمن، ذلك أنّه لما دخل في إحدى زياراته إلى صقليّة وسمع القساوسة بدخوله طلبوا من الإمبراطور "فردريك الثاني" ملك صقلية أن يستدعيه لمجلسه، فلمّا حضر طلب القساوسة أن تقع مناظرة بينهم وبينه في أمر النبيّين محمد وعيسى عليهما السلام، فخاطب الملك بأنه يقبل ذلك بشرط قائلا:" إن قبلتموه ناظرتكم وإلاّ فلا، قالوا: وماهو الشرط؟ قال:أن لا تتعصبوا أنتم لعيسى ولا أتعصب أنا لمحمد، وإنمّا نسقط التعصب من بيننا ونبحث طالبين للحق، فلمّا علم الإمبراطور والحاضرون معه بأنّه ما قصد بهذا الكلام إلاّ إفحامهم، لأنهم ليس عندهم إلاّ مجرد التعصب امتنعوا عن مناظرته وحملوه على الإكرام والبرّ إلى أن انفصل عنهم"، وكذلك كان شأنه في كل إقليم يدخله من أقاليم الذميين من الترك والسودان وغيرهم[43]، وهو موقف يكشف عن قوّة الحجة وبيان البرهان الذي كان يتمتع به علماء المسلمين في مناظراتهم الفكرية مع غيرهم من أهل الكتاب، ويبرز براعة الردّ في إظهار عالمية رسالة الإسلام، وشموليتها عن باقي الرسائل والديانات السموّية الأخرى حتى وإن امتنع أتباعها عن الاعتراف بذلك.

وفي ختام هذا البحث يمكننا الوقوف على النتائج التالية:

-يعد كتاب عنوان الدراية للغبريني مصدرا تاريخيا ترجميا هاما أرخ لسيرة وحياة علماء مميزين بالمغرب الأوسط في حاضرة بجاية، برعوا في مجالات فكرية عدّة خلال القرن 7ه/13م، وكان لهم تأثير فاعل على الحراك الفكري والثقافي والاجتماعي بالمدينة.

-لقد أظهرت المواقف التي عايشها العديد من علماء المغرب الأوسط البجائيين أو الوافدين عليها والمستقرين بها من الأندلس والمشرق، مدى الحكمة التي تمتع بها هؤلاء في سلوكاتهم؛ من خلال التصرفات التي صدرت عنهم في خضم المواقف التي عايشوها والتي برزت فيها قيم التسامح لديهم من عفوّ عن النّاس وتقبل للاختلاف الفكري والديني والتباين العقدي.

- تقدم هذه النماذج من السير العطرة صورة مشرّقة عمّا تميّزت به حضارة بلاد المغرب الأوسط"الجزائر" خلال العصر الإسلامي المزدهر، انطلاقا من الصورة التي عكسها أعلام البلاد في منجزاتهم الفكرية والعلميّة، والتي تمثل صفحات خالدة في سجل التاريخ للاقتداء بهم.

وقد حوى كتاب عنوان الدراية معلومات هامة ودقيقة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والمذهبية لبجاية خلال القرن7ه/13م والتي كان الغبريني شاهد عيان على العديد من الأحداث التي مرت بها.

كما قدم هؤلاء الأعلام بجهودهم وتفانيهم في خدمة العلم وأهله بإخلاص من خلال حلقات التدريس أو الكتب التي صنفوها في مختلف العلوم أمثلة حيّة يُقتدى بها على مر الزمن.

الهوامـــــــش:

[1] الغبريني. (1979). *عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية* (الإصدار 2). (عادل نويهض، المحرر) بيروت،ص9.

[2] عادل نويهض. (1980). *أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر* (الإصدار 2). بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للنشر والتوزيع،ص248.

[3] نجاة بلعباس، و محمد مرتاض. (2018). الغبريني مترجم سير علماء بجاية. *مجلة الفضاء المغاربي ، 2* (4)،ص 54-55.

[4] النباهي. (1983). *قضاة الأندلس "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"* (الإصدار 5). بيروت: دار الآفاق الجديدة،ص132.

[5] نجاة بلعباس، ومحمد مرتاض، المرجع السابق،ص55.

[6] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[7] ابن قنفذ القسنطيني. (1983). *كتاب الوفيات* (الإصدار 4). (عادل نويهض، المحرر) بيروت: دار الآفاق الجديدة،ص338_339.

[8] إبراهيم جدالة. (2015). القضاء والقضاة ببجاية أثناء القرن7ه/13م من خلال عنوان الدراية. *مجلة عصور الجديدة ، 5*(18)،ص189.

[9] السعيد عقبة. (2016). المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني"644-704ه/1246-1304م" وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. *مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية ، 2* (4)، ص380.

[10] المرجع نفسه،ص382.

[11] نجاة بلعباس، ومحمد مرتاض، المرجع السابق،ص56.

[12] السعيد عقبة، المرجع السابق،ص،ص383_386.

[13] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص57_61.

[14] المصدر نفسه،ص63_64.

[15] المصدر نفسه،ص73.

[16] المصدر نفسه،ص77_78.

[17] المصدر نفسه،ص،ص79_83.

[18] عبد الحسين شعبان. (2011). *فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي "الثقافة والدولة"* (الإصدار 2). أربيل، العراق: دار آراس للطباعة والنشر،ص95.

[19] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص33_39.

[20] المصدر نفسه،ص،ص208_211.

[21] مجيد خدّوري. (1998). *مفهوم العدل في الإسلام* (الإصدار 1). دمشق، سوريا: دار الحصاد للنشر والتوزيع،ص،ص103_105.

[22] أبي الحسن مسلم. (2006). *المسند الصحيح المختصر من السنن* (الإصدار 1، المجلد 2). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع،ص818.

[23] الغبريني، المصدر السابق،ص37.

[24] المصدر نفسه،ص،ص119_121.

[25] يوسف القرضاوي. (1989). *الصبر في القرآن* (الإصدار 3). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة،ص،ص8، 12.

[26] المرجع نفسه،ص13_14.

[27] نويرة واعظ. (2008). أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية"580- 633ه/1184- 1235م"(رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط). بوزريعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية"قسم التاريخ والجغرافيا"، الجزائر: المدرسة العليا للأساتذة،ص،ص5_19.

[28] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص45_48.

[29] أحمد المقري. (1988). *نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب* (المجلد 2). (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر،ص162_163.

[30] أحمد بن القاضي المكناسي. (1973). *جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الاعلام مدينة فاس*. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة،ص281.

[31] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص137_141.

[32] المصدر نفسه،ص،ص156_158.

[33] عبد الله بن إبراهيم. (د،ت). *فقه التعامل مع المخالف*. الرياض: دار الوطن للنشر،ص17_18.

[34] المرجع نفسه،ص39.

[35] الغبريني، المصدر السابق،ص53.

[36] عطا الله محمد. (2015). المغرب والأندلس على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي"558- 580ه/1163- 1184م(أطروحة دكتوراه). قسم التاريخ، الأردن: جامعة مؤتة،ص،ص57_68.

[37] مسلم، المصدر السابق،ص272.

[38] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص53_55.

[39] المصدر نفسه،ص143_155.

[40] أحمد التنبكتي. (2000). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج* (الإصدار 2). (عبد الحميد عبد الله الهرامة، المحرر) طرابلس، ليبيا: دار الكاتب،ص79.

[41] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص93_95.

[42] وليم سليمان، و محمد السماري وآخرون حسين أحمد. (1986). *التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات* (الإصدار 1). نشر مركز اتحاد المحامين العرب للتراث والدراسات القانونية،ص،ص92، 95.

[43] الغبريني، المصدر السابق،ص،ص180_182.

قائمة المصادروالمراجع:

1. إبراهيم جدالة. (2015). القضاء والقضاة ببجاية أثناء القرن7ه/13م من خلال عنوان الدراية. *مجلة عصور الجديدة ، 5*(18)، الصفحات 189-201.

2. ابن قنفذ القسنطيني. (1983). *كتاب الوفيات* (الإصدار 4). (عادل نويهض، المحرر) بيروت: دار الآفاق الجديدة.

3. أبي الحسن مسلم. (2006). *المسند الصحيح المختصر من السنن* (الإصدار 1، المجلد 2). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

4. أحمد التنبكتي. (2000). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج* (الإصدار 2). (عبد الحميد عبد الله الهرامة، المحرر) طرابلس، ليبيا: دار الكاتب.

5. أحمد المقري. (1988). *نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب* (المجلد 2). (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

6. أحمد بن القاضي المكناسي. (1973). *جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الاعلام مدينة فاس*. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

7. السعيد عقبة. (2016). المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني"644-704ه/1246-1304م" وكتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في

المائة السابعة ببجاية. *مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية ، 2* (4)، الصفحات 379- 396.

8. الغبريني. (1979). *عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية* (الإصدار 2). (عادل نويهض، المحرر) بيروت.

9. النباهي. (1983). *قضاة الأندلس"المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"* (الإصدار 5). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

10. عادل نويهض. (1980). *أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر* (الإصدار 2). بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للنشر والتوزيع.

11. عبد الحسين شعبان. (2011). *فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي"الثقافة والدولة"* (الإصدار 2). أربيل، العراق: دار آراس للطباعة والنشر.

12. عبد الله بن إبراهيم. (د،ت). *فقه التعامل مع المخالف*. الرياض: دار الوطن للنشر.

13. عطا الله محمد. (2015). المغرب والأندلس على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي"558-580هـ/1163- 1184م(أطروحة دكتوراه). قسم التاريخ، الأردن: جامعة مؤتة.

14. مجيد خدّوري. (1998). *مفهوم العدل في الإسلام* (الإصدار 1). دمشق، سوريا: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

15. نجاة بلعباس، و محمد مرتاض. (2018). الغبريني مترجم سير علماء بجاية. *مجلة الفضاء المغاربي ، 2* (4)، الصفحات 52-61.

16. نويرة واعظ. (2008). أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية"580-633هـ/1184- 1235م"(رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط). بوزريعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية"قسم التاريخ والجغرافيا"، الجزائر: المدرسة العليا للأساتذة.

17. وليم سليمان، و محمد السماري وآخرون حسين أحمد. (1986). *التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات* (الإصدار 1). نشر مركز اتحاد المحامين العرب للتراث والدراسات القانونية.

18. يوسف القرضاوي. (1989). *الصبر في القرآن* (الإصدار 3). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.

تجريم التمييز وخطاب الكراهية كآلية لتعزيز قيم التسامح ودعم الوحدة الوطنية على ضوء القانون رقم 20-05.

الأستاذة: بلغيث سمية.

الطالبة: بلغيث لبنى.

أستاذ محاضر أ –كلية الحقوق والعلوم السياسية.

طالبة دكتوراه

ملخص المداخلة:

يمثل التجريم سيف الحجاج الذي يرفعه المشرع في وجه الخارجين عن إرادة الجماعة كلّما ارتأى ضرورة لذلك، لذلك يعتبر التجريم آلية قانونية وقائية وعلاجية في الوقت ذاته، ونظراً لانتشار الكثير من الأفكار الهدامة التي تمس الأمن وتهدد الوحدة الوطنية بداعي ممارسة أحقية الفرد في حرية الرأي والتعبير لاسيما بعيد الحراك الشعبي وجائحة كورونا وما مرت به البلاد من ظروف سياسية حساسة، سارع المشرع إلى إصدار القانون رقم 20-05 لمجابهة هذه الظاهرة الخطيرة ومعاقبة كل من تخول له نفسه التلاعب بالأمور المصيرية في البلاد وتهديد استقرار المجتمع وأمنه. لذلك فإننا نتساءل: كيف ساهم تجريم أفعال التمييز ونشر خطابات الكراهية في ظل القانون رقم 20-05 في تعزيز قيم التسامح ودعم الوحدة الوطنية؟ وما هي الإستراتيجية –من خلاله- التي رسمتها الدولة لمجابهة هذه الظاهرة؟

المقدمة.

شهد العالم بأكمله مؤخراً انتشار العديد من الظواهر السلبية القائمة على التميّز بين مختلف الطوائف والقبائل، والديانات المختلفة داخل المجتمعات الواحدة، بغرض زرع الفتن ونشر ثقافة العنف والانقسام داخل الدول، والجزائر كغيرها من دول العالم لم تكن بغنى عن هذه الظواهر، حيث لحقتها عدوى التميّز وخطابات الكراهية في الآونة الأخيرة بإيعاز من قوى خارجية وأخرى داخلية تهدف إلى زعزعت الأمن والاستقرار الوطني والدعوة إلى المساس بالوحدة الوطنية، من خلال الترويج لثقافة عدم المساواة والتميّز والنبش بين طيات صفحات الاختلافات الطائفية والقبائلية بين العرب والأمازيع، والتلاعب بصغائر الدين المختلف بشأنها، وتعزيز فجوات الخلاف لزرع الفتنة والدعوة إلى العنف، لاسيما بعيد الحراك الشعبي السلمي المبارك، والبلاد تلملم شتاتها، وتستعيد قوتها بإعادة بناء مؤسساتها الدستورية والسياسية، وما زاد الطين بلة ما خلفته جائحة كورونا (كوفيد 19) من أزمات على الصعيد الصحي، الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، الثقافي ... وغيرها، مما جعل الكثيرين من ذوي النفوس الضعيفة يستغلون ما يملكونه من مهارات في استعمال أجهزة الإعلام الآلي، أو الانترنيت، وكذا تقنيات التعامل مع المواقع الالكترونية، واختراقها، والتلاعب بها، ونشر محتوياتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي بشكل سلبي ومسي للمجتمع ككل؛ واعتماد أساليب التهديد، والترهيب، والسخرية من الآخرين، وابتزازهم واستغلالهم أبشع استغلال، ونشر الأكاذيب و الشائعات التي تمس بشرف الأشخاص واعتبارهم، وتدنس الحقائق التاريخية لبعض الشهداء الأبطال، وتشجع على الدعوة إلى العنف، والانقسام والتفرقة. ولكن سرعان ما تفطن المشرع الجزائري إلى تجريم أفعال التميّز وخطاب الكراهية عبر استصدار قانون الوقاية من التميّز وخطاب الكراهية ومكافحتها، الذي رسم سياسة تجريمية وعقابية ووقائية خاصة لمكافحة هذه الظاهرة، تتمحور أساسا

حول: تحديد الإطار المفاهيمي للمصطلحات ذات الصلة، تجريم أفعال التمييز وخطاب الكراهية في العالم الحقيقي والافتراضي، استحداث آليات قانونية لمكافحة التمييز وخطاب الكراهية، تقرير حقوق التسامح ونبذ العنف حماية للضحايا. هذا ما سنتناوله عبر النقاط التالية:

أولاً: تعريف التمييز وخطاب الكراهية.

جمع المشرع الجزائري كل من التميّيز وخطاب الكراهية في قانون واحد هو قانون 20-05 وخص كل منهما بتعريف مستقل، متأثراً بما هو مقرّر لهما من تعاريف في مختلف الإعلانات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة على النحو التالي:

1- **تعريف التمييز:** عرّف المشرع الجزائري التميّز في الفقرة الثانية من المادة الثانية من القانون رقم 20-05[1] بقوله(("التمييز": كل تفرقة أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية، يستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي مجال آخر من مجالات الحياة العامة.)) وقد جاء هذا التعريف مطابقاً حرفياً للتعريف الذي تناولته المادة 295 مكرر1 من قانون العقوبات التي تمّ إلغاؤها وتعويضها بهذا القانون وفقاً لأحكامه النهائية (م46)، مع إضافة ثلاثة أسس جوهرية جديدة للتميّز هي: "اللغة"، "الانتماء الجغرافي"، و"الحالة الصحية"، مع حذف الفقرة الأخيرة من المادة 295 مكرر المقررة للعقوبات المطبقة على مرتكبي الفعل المجرم واستبدالها بمواد جزائية تفصيلية ضمن هذا القانون، الأمر الذي يوحي بأنّ توجه المشرع الجزائري إلى معالجة مسألة التميز العنصري لم يكن وليد قانون 20-05 وإنّما سبقه تعديل قانون العقوبات لسنة 2014 بموجب القانون رقم 14-01 في ذلك.

وقد جاء هذا التعديل كتأكيد من المشرع بضرورة مسايرة النصوص التشريعية الوطنية لمختلف الإعلانات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة؛ على غرار المادة الثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[2] التي جاء فيها ((لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان دونما تميّز من أي نوع، ولاسيما التميّز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي السياسي وغير السياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر...))، والفقرة الثانية من المادة الثانية من العهد الدولي للحقوق الاجتماعية والاقتصادية[3] التي تنص على أنّه ((تتعهد الدول الأطراف بأن تضمن جعل ممارسة الحقوق المنصوص عليها في هذا العهد بريئة من أي تميّز بسبب العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو النسب أو غير ذلك من الأسباب...))، وكذا المادة الخامسة من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري[4] التي ورد فيها: ((تتعهد الدول الأطراف بحظر التمييز العنصري والقضاء عليه بكافة أشكاله، وبضمان حق كل إنسان دون تميّز بسبب العرق، أو اللون، أو الأصل القومي أو الاثني، في المساواة أمام القانون.))، في حين تولت الفقرة الأولى من المادة الأولى من الاتفاقية الخاصة بمكافحة التمييز في مجال التعليم لسنة 1960[5] تعريف مصطلح التميّز بقولها: ((لأغراض هذه الاتفاقية تعني كلمة "التميّز" أي ميز أو استبعاد، أو قصر، أو تفضيل على أساس العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسياً وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الحالة الاقتصادية أو المولد، يقصد منه أو ينشأ عنه إلغاء المساواة في المعاملة في مجال التعليم أو الإخلال بها))، وما نلاحظه بالنسبة للتعريف الذي أورده المشرع الجزائري أنّه أسقط الدين كأساس للتميّز مقارنة بباقي التعاريف الدولية الأخرى، ويبرر ذلك حسب اعتقادنا بأنّ الإسلام هو دين الدولة الجزائرية والديانة الوحيدة بها فلا مجال للتميز بين مواطنيها

على هذا الأساس، وإن وجدت قلة قليلة من الأجانب غير المسلمين فإنّ كرامتهم مصانة بما يتمتعون به من حقوق وامتيازات في إطار التشجيع على السياحة والاستثمار ببلادنا، ومسألة خضوعهم للتميّيز مستبعدة جداً.

ويعرّف التميّيز في اللغة: ماز الشيء أي عزله وفرزه، ويقال إمتاز القوم إذا تميّز بعضهم على بعض، ويقال أيضاً ماز الشيء عن الطريق أي أزاله، كما ترادف لفظ التميّيز لغوياً مع التفرقة وهو فعل مبني على أساس فصل الأشياء عن النوع الذي تنتمي إليه لجعلها في فئات خاصة.

أمّا من الناحية الاصطلاحية فيقصد بالتميّيز كل تفرقة أو استثناء أو تقيّيد أو تفضيل يقوم على أساس الجنس أو العرف أو اللون أو النسب أو الأصل القومي، أو الأثني أو اللغوي أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية، حيث ينتج عنه تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي مجال آخر من مجالات الحياة.[6] وعرّف أيضاً بأنّه " شكل من أشكال الممارسات العنصرية ويعدّ من أخف هاته الممارسات وطأة، إذ يصل بعضها أحيانا إلى التناحر والإبادة، ومن أبرز أشكال التميّيز الحرمان من الحصول على الفرص المجتمعية واستخدام لغة الازدراء التي تكاد تكون عدوانية، كما يعرف التميّيز العنصري بأنّه تفرقة بين الناس في حقوقهم وواجباتهم لاختلاف أجناسهم وألوانهم."[7]

والتميّيز العنصري كما يراه علماء المسلمين هو التفرقة بين جنس وجنس، أو عرق وعرق، أو لون ولون بين الناس، وعليه فالاهتمام بالإنسان وتقرير حقوقه يلازم الإنسان، ولا يرتبط بشعب دون آخر ولا بأرض خاصة ولا بعصر معيّن، لكنه يتجاوز حدود الإقليم والأرض والجنس واللون والزمان والمكان. وقد قرّر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم :يا أيّها الناس ألا إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم واحد ألا لا فضل

لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتقوى. أبلّغت. قالوا: بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.[8 9]

2- تعريف خطاب الكراهية: لقد تولى المشرع الجزائري تعريف خطاب الكراهية في الفقرة الأولى من المادة الأولى من قانون 20-05 بالقول: (("خطاب الكراهية": جميع أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تبرر التميّز، وكذا تلك التي تتضمن أسلوب الازدراء أو الإهانة أو العداء أو البغض أو العنف الموجهة إلى شخص أو مجموعة أشخاص على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية.))، ومفهوم خطاب الكراهية مفهوم مركب يتكون من لفظين: الخطاب والكراهية؛ والخطاب في اللغة يعني "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة، أراد: أنت من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن."[10] أمّا الكراهية فهي مشتقة من كره الشيء كرهاً وكراهة، وكراهيّة خلاف أحبه، فهو كريه وكروه، فالكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة، يقال كرهت الشيء أكرهه كرهاً، ويقال : الكره والكراهية، والكريهة الشدة في الحرب.[11] ويعرف البعض خطاب الكراهية بشكل عام بأنّه بث الكراهية والتحريض على النزاعات والصراعات الطائفية والإقليمية الضيقة، والتحريض على إنكار وجود الآخر وإنسانيته وتهميشه ونشر الفتنة واستخدام أساليب طائفة دينية أو عرقية والحض على العنف وإتهام الطرف الآخر بالخيانة والفساد، ... وإن كانت الكراهية هي الحقد والغضب والشعور بالضغينة تجاه شخص ما، فإنّ الأفعال القولية التي تصدر عن دولة أو جماعة أو أفراد وتدعو صراحة إلى الكراهية يطلق عليها "خطاب الكراهية"، في حين أنّ كافة الجرائم التي تحركها الكراهية وتدفع مرتكبيها لفعل جرمي بسبب الكراهية أياً كانت، تسمى "جرائم الكراهية" هذه الجرائم قد ترتكب ضد أفراد أو جماعات لأسباب

الكراهية المتعلقة بالدين أو العرق أو اللغة، أو الجنس أو الإعاقة العقلية أو البدنية.[12] وينعت البعض خطاب الكراهية بكونه نوع من أنواع العنف وهو العنف اللفظي بالقول بأنّه "خطاب مبني على العنف اللفظي، يهدف إلى القتل المعنوي للآخر وإقصائه من خلال الشتم والسب والقذف والإهانة والتعصب الفكري والإستعلاء، وصولاً إلى العنف المادي والقتل، ويشكل خطاب الكراهية أداة مهمة لتحفيز المشاعر وإثارتها وتوجيهها في اتجاه معين، بما ينشأ عنه من سلوك وثقافة مبنية على العنصرية ضد من وجه الخطاب ضدهم، ومن هنا تكمن خطورة هذا الخطاب، خاصة إذا توافرت منصات إعلامية مهيأة لهذا النوع.[13]

وعلى مستوى الدولي افتقرت الإعلانات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة للنص على تعريف واضح ودقيق للكراهية أو خطاب الكراهية حيث ربطت أغلبها هذا الأخير بأفعال التعصب والعنصرية الدافعة للكراهية والعنف على غرار مبادئ كامدن التي وضعتها منظمة المادة 19 بالتعاون مع مجموعة من الخبراء القانونيين والإعلاميين التي اعتبرت الكراهية "حالة ذهنية تتسم بانفعالات حادة وغير عقلانية من العداء والمقت والاحتقار تجاه المجموعة أو الشخص المحرض ضده"[14] ويرى البعض "أن المشرع الجزائري تناول خطاب الكراهية من زوايا تتفق تارة، وتختلف تارة أخرى عن تناول هذا الخطاب من طرف الاتفاقيات الدولية ، ذلك أنّ المشرع الجزائري ربط خطاب الكراهية بالتميّز القائم على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الاثني وجمع بين المفهومين في قانون واحد بهدف التصدي لهما معاً، بينما توجه القانون الدولي إلى اعتبار خطاب الكراهية سبباً في ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية، وقد عبّر القانون الدولي عن خطاب الكراهية بالدعاية للحرب أو دعوة إلى الكراهية القومية أو الدينية، مع تطرق بعض الاتفاقيات الدولية للتميّز العنصري الذي يعتبر أرضاً خصبة لتفشي خطاب الكراهية."[15]

ثانياً: جرائم التمييزوخطاب الكراهية في العالم الحقيقي.

لعلّ أهمّ ما جاء به قانون 05/20 من أحكام وما استحدثه من تغييرات على المنظومة القانونية الجزائية هو تجريم أفعال التميّيز وخطاب الكراهية بمقتضى المواد من 30 إلى 42 منه، كطريق من طرق الوقاية من الآثار السيئة والوخيمة التي تنجم عن انتشار ظاهرة التميّيز وخطاب الكراهية لاسيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي، على الفرد والمجتمع، والمحافظة على أمن وسلامة ووحدة التراب الوطني. وتتمثل هذه الجرائم في:

1- جريمة التميّيز وخطاب الكراهية: جرّم المشرع أفعال التميّيز وخطاب الكراهية بمقتضى المادة 30 من القانون 05/20 التي تنص على أنّه ((يعاقب على التميّيز وخطاب الكراهية بالحبس من ستة (6) أشهر إلى ثلاث(3) سنوات، وبغرامة من 60.000دج إلى 300.000دج...)) فتعتبر بذلك جريمة التميّيز وخطاب الكراهية جنحة معاقب عليها بالحبس. تشدد فيها العقوبة إلى الحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة من 200.000دج إلى 500.000دج؛ في حالات محددة على سبيل الحصر ذكرتها المادة 31 من قانون 20-05 كأن يكون الضحية طفلاً أو عاجزاً أو في حالة التعدد، أو قيام سلطة بين الجاني والضحية.

2-جريمة التحريض على التميّيز وخطاب الكراهية: لم يكتف المشرع بتجريم أفعال التميّيز وخطاب الكراهية بل قرّر في الفقرة الثانية من المادة 30 تجريم فعل التحريض على التميّيز وخطاب الكراهية، ويشترط لمعاقبة الجاني لارتكابه جريمة التحريض على التميّيز وخطاب الكراهية أن يكون التحريض علنياً، وبمفهوم المخالفة إذا كان التحريض غير معلن فلا يعاقب عليه إلاّ متى توافرت وسيلة من وسائل التحريض العامة المقررة في المادة 42 من قانون العقوبات كالتحريض بالهبة أو الوعد أو التحايل أو التدليس الإجرامي أو إساءة استعمال السلطة أو الولاية. وإلاّ كان الفعل مباحاً لعدم توافر شرط العلنية. أو يكون التحريض منظماً أو عن طريق الأعمال الدعائية؛ ويتحقق بهذا التنظيم أو الدعائية عنصر العلانية.

3-جريمة تمويل الجهات الداعية إلى التميّزوالكراهية: قرّرت المادة 33 من القانون 20-05 عقوبة الحبس من سنتين (2) إلى خمس (5) سنوات وبغرامة من 500.000دج إلى 1.000.000دج لكل من يموّل أو يشيّد أو يشجع الجمعيات أو التنظيمات أو الجماعات الداعية إلى التميّز والكراهية مهما كانت الوسيلة المستعملة في ذلك، كإعطاء أموال أو تقديم تسهيلات، أو منح معلومات مهمة لهذه الجهات، مما يسهل عليها تحقيق مآربها.

4-جريمتي الاشتراك والشروع في أفعال التميّزوخطاب الكراهية: قرّرت المادتين 36 و39 من قانون 05/20 معاقبة كل من الشريك والفاعل الذي يشرع في تنفيذ واحدة أو أكثر من هذه الجرائم ويعدل عدولاً اضطراريا نتيجة لتأثير عوامل خارجية لا قبل له بدفعها، حيث نصت المادة 36 على معاقبة كل من ينشيء أو يشارك في جمعية أو اتفاق تشكل أو تآلف بغرض الإعداد لجريمة أو أكثر من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون بالعقوبة المقررة للجريمة نفسها، وتضيف المادة 39 المعاقبة على الشروع في ارتكاب الجنح المنصوص عليها في هذا القانون بالعقوبات المقررة للجريمة ذاتها. دون الجنايات التي تخضع للأحكام العامة الواردة في المادة 30 من قانون العقوبات التي تقضي بأن الشروع في الجناية كالجناية نفسها ولا شروع في الجنح إلاّ بنص خاص. وما يمكن ملاحظته على هذه الجرائم كونها جاءت في مجملها في شكل جرائم تعبيرية مبررة للتميّز العنصري، من خلال التميّز بين شخص وآخر أو جماعة وأخرى باستخدام تعابير مؤذية للمشاعر، وهدامة للبناء المعنوي للشخص، والتي تترك أثراً سلبياً كبيراً قد يدفع مع مرور الوقت إلى آثار وخيمة على الفرد والمجتمع ككل.

ثالثاً: تجريم التميزوخطاب الكراهية عبرالوسائط الالكترونية.

جرّم المشرع الجزائري أفعال التميز ونشر خطاب الكراهية عبر الوسائط الالكترونية ضمن المادة 34 من قانون 20-05 التي تنص على أنّه ((دون الإخلال

بالعقوبات الأشد، يعاقب بالحبس من خمس (5) سنوات إلى عشر (10) سنوات وبغرامة من 5.000.000 دج إلى 10.000.000 دج كل من ينشئ أو يدير أو يشرف على موقع إلكتروني أو حساب إلكتروني يخصص لنشر معلومات للترويج لأي برنامج أو أفكار أو أخبار أو رسوم أو صور من شأنها إثارة التمييز والكراهية في المجتمع.)) فيكون بذلك المشرع قد خص أفعال التمييز وخطاب الكراهية عبر الوسائط الالكترونية بنص خاص يجرمه إلى جانب العديد من النصوص الواردة في هذا القانون التي تجرم هذه الأفعال في ظروف وأحوال مختلفة؛ كالتمييز وخطاب الكراهية باستعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال (م31)، والتمييز وخطاب الكراهية عبر الجمعيات والتنظيمات المحلية والوطنية، كواحدة من أشكال وصورة من صور التمييز ونشر خطاب الكراهية وحسناً فعل المشرع، ذلك أن الاكتفاء بنص المادة 30 التي تضمنت المعاقبة على التمييز وخطاب الكراهية بشكل عام قد يؤدي إلى استفحال الظاهرة أكثر فأكثر وإفلات المجرمين من العقاب. كما تعززت سياسة التخصيص بالتشديد؛ حيث شدد في العقوبة المقرر للجريمة في صورتها العادية وعقوبتها الحبس من ستة (6) أشهر إلى ثلاث (3) سنوات وبغرامة من 60.000 دج إلى 300.000 دج إلى الحبس من خمس (5) سنوات إلى عشر (10) سنوات وبغرامة من 5.000.000 دج إلى 10.000.000 دج، فتغيّر بذلك الوصف القانوني للفعل من جنحة بسيطة إلى جنحة مشددة طالما المشرع رفع في حدي العقوبة الأدنى والأقصى وحافظ على لفظ (الحبس) المقررة للجنح.

ويتجسد السلوك الإجرامي حسب المادة 34 أعلاه في: أن يقوم الجاني بإنشاء أو إدارة أو الإشراف على موقع أو حساب إلكتروني، وأن يخصص هذا الموقع أو الحساب الالكتروني لنشر معلومات للترويج لأي برنامج أو أفكار أو أخبار أو رسوم أو صور تثير التمييز والكراهية في المجتمع.

كما يشترط لاكتمال البناء القانوني لهذا السلوك تحقق نتيجة معينة بذاتها حددتها المادة 34 وهي إثارة التمييز والكراهية في المجتمع، ذلك أن مجرد إنشاء حساب الكتروني ينشر أخبار أو أفكار أو معلومات عن ثقافة وتقاليد منطقة معينة بغرض الترويج للسياحة أو لنشر سلع تجارية بهدف بيعها لا يشكل سلوكا إجرامياً لهذه الجريمة لانتفاء النتيجة الإجرامية المطلوبة للتجريم وهي إثارة التمييز والكراهية في المجتمع.

وتطبق على مرتكب جريمة التمييز وخطاب الكراهية عبر الوسائط الالكترونية عقوبة الحبس من خمس (5) سنوات إلى عشر (10) سنوات وبغرامة مالية من 5.000.000دج إلى 10.000.000 دج، فيكون بذلك المشرع قد جمع بين عقوبتي الحبس والغرامة معاً فلا يجوز للقاضي أن يحكم بإحداهما دون الأخرى، ورفع في حدي العقوبة وأبقى على لفظ العقوبة الحبس للمحافظة على وصف الجنحة، وما يشير الانتباه هو أن المشرع بدأ المادة 34 بعبارة (دون الإخلال بالعقوبات الأشد) بمعنى أنّه في حالة خطاب الكراهية المتضمن الدعوة إلى العنف تطبق عقوبة الحبس إلى سبع (7) سنوات الواردة في المادة 32 من نفس القانون.[16]

وتولت المادة 37 من نفس القانون تحديد العقوبات التكميلية المقررة لمرتكبي هذه الجريمة بقوله ((مع الاحتفاظ بحقوق الغير حسن النية، يحكم بمصادرة الأجهزة والبرامج والوسائل المستخدمة في ارتكاب جريمة أو أكثر من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون والأموال المتحصلة منها، وإغلاق الموقع الالكتروني أو الحساب الإلكتروني الذي ارتكبت بواسطته الجريمة أو جعل الدخول إليه غير ممكن وإغلاق محل أو مكان الاستغلال إذا كانت الجريمة قد ارتكبت بعلم مالكه.)) وبناء عليه يمكن لقاضي الموضوع أن يحكم على مرتكب هذه الجريمة، إلى جانب العقوبات الأصلية بعقوبة أو أكثر من العقوبات التكميلية التالية:

- مصادرة الأجهزة أو البرامج أو الوسائل المستخدمة في ارتكاب الجريمة والأموال المتحصلة منها، كأن يكون الجاني يعمل لحساب أيادي خارجية أو منظمة إرهابية لزرع التفرقة والفتنة في المجتمع والمساس السيادة الوطنية بمقابل مالي.
- إغلاق الموقع أو الحساب الالكتروني الذي ارتكبت بواسطته الجريمة أو جعل الدخول إليه غير ممكن.
- إغلاق المحل أو المكان المستغل كمحلات مقدمي خدمات الأنترنيت متى ارتكبت الجريمة فيه بعلم مالكه.

وفي جميع الحالات لابد من الاحتفاظ بحقوق الغير حسن النية؛ بمعنى لا تصادر الأجهزة أو البرامج أو المستخدمة في ارتكاب الجريمة، ولا تغلق المواقع أو الحسابات لا المحلات متى كانت مملوكة لغير الجاني وكان هذا الغير حسن النية لا يعلم بالجريمة المرتكبة ولا صلة له بها، وإن تمّ مصادرة هذه الأجهزة كأدلة إثبات أثناء إجراء التحقيقات وجب على القاضي المختص إرجاعها لأصحابها ضمن إجراءات استرداد الأشياء المحجوزة المعمول بها في قانون الإجراءات الجزائية.

أضف إلى ذلك منح المشرع القاضي الجزائي سلطة الحكم بعقوبة أو أكثر من العقوبات التكميلية المنصوص عليها في قانون العقوبات بموجب المادة 41 من قانون 20-05 التي تنص على أنّه (يمكن الجهة القضائية المختصة الحكم على مرتكبي الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون بعقوبة أو أكثر من العقوبات التكميلية المنصوص عليها في قانون العقوبات)، حيث يتضمن هذا النص إحالة صريحة إلى المادة 09 وما يليها من قانون العقوبات، ويتعلق الأمر ب: الحجر القانوني، الحرمان من ممارسة الحقوق الوطنية والمدنية والعائلية، تحديد الإقامة، المنع من الإقامة، المنع المؤقت من ممارسة مهنة أو نشاط، الإقصاء من الصفقات العمومية، الحظر من إصدار الشيكات و/أو استعمال بطاقات الدفع، تعليق أو سحب رخصة السياقة

أو إلغاؤها مع المنع من استصدار رخصة جديدة، سحب جواز السفر، نشر أو تعليق حكم أو قرار الإدانة. وطبعاً إلى جانب عقوبتي المصادرة وإغلاق المؤسسة أو المحل المقررتين بموجب المادة 37 أعلاه. وتبقى مسألة تقرير أي من هذه العقوبات للسلطة التقديرية لقاضي الموضوع حسب ملابسات كل قضية على حدى وحسب حالة كل محكوم عليه.

رابعاً: استحداث المرصد الوطني للوقاية من التمييزوخطاب الكراهية.

يعتبر إنشاء مرصد وطني للوقاية من التميّيز وخطاب الكراهية من أهم الأمور الجديدة التي جاء بها قانون 05/20 لما له من أهمية في هذا المجال، حيث تنص المادة التاسعة منه على إنشائه كهيئة وطنية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري، ويتشكل هذا المرصد من ستة (6) أعضاء من بين الكفاءات الوطنية يختارهم رئيس الجمهورية (ممثل المجلس الأعلى للغة العربية، ممثل المحافظة السامية للأمازيغية، ممثل المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ممثل الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة، ممثل المجلس الوطني للأشخاص المعوقين وممثل سلطة ضبط السمعي البصري.) وأربعة (4) ممثلين للجمعيات الناشطة في مجال التميّيز وخطاب الكراهية يتم اقتراحهم من الجمعيات التي ينتمون إليها، ويعيّن هؤلاء لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة بموجب مرسوم رئاسي. (م11)

وبمجرد تنصيب أعضاء المرصد يقومون بانتخاب رئيس له، حيث تتنافى عهدة هذا الأخير مع ممارسة أي عهدة انتخابية أو وظيفة أو أي نشاط مهني آخر، الأمر الذي يتيح له فرصة التفرغ للمهام المنوطة به حول مجال المرصد على أكمل وجه، وحسنا فعل المشرع في ذلك، وله في سبيل ذلك الاستعانة بممثلي مختلف القطاعات الوزارية، أو دعوة ممثل عن أي إدارة عمومية أو مؤسسة عمومية أو خاصة، وكل شخص مؤهل يمكنه مساعدته في أداء مهامه على أن تكون آراؤهم جميعا استشارية غير ملزمة(م12).

ومن أهم المهام المنوطة بالمرصد الوطني للوقاية من التميّز وخطاب الكراهية رصد كل أشكال ومظاهر التميّز وخطاب الكراهية، وتحليلهما وكشف أسبابهما واقتراح التدابير والإجراءات اللازمة للوقاية منهما، ويعتبر المرصد من خلال المادة العاشر من قانون 20 /05 هيئة مزدوجة المهام؛ فهو هيئة استشارية مساعدة لهيئات الدولة الأخرى في مجال التميّز وخطاب الكراهية من خلال اقتراح عناصر الاستراتيجية الوطنية للوقاية من التميّز وخطاب الكراهية والمساهمة في تنفيذها بالتنسيق مع السلطات العمومية المختصة ومختلف الفاعلين في هذا المجال والمجتمع المدني، وتقديم الآراء والتوصيات حول أي مسالة تتعلق بهذا المجال، وضع البرامج التحسيسية وتنشيط وتنسيق عمليات التوعية بمخاطر التميّز وخطاب الكراهية وأثارهما على المجتمع، إنجاز الدراسات والبحوث، وكذا تطوير التعاون وتبادل المعلومات مع مختلف المؤسسات الوطنية والأجنبية العاملة في هذا المجال، هذا من جهة، وهيئة قانونية مقيّمة ومقوّمة لأعمال بعض الجهات في هذا المجال متى عهد له التقيّيم الدوري للأدوات القانونية والإجراءات الإدارية في مجال الوقاية من التميّز وخطاب الكراهية، والرصد المبكر لأفعال التميّز وخطاب الكراهية وإخطار الجهات المعنية بذلك، وكذا تبليغ الجهات القضائية المختصة عن الأفعال التي تصل إلى علمه والتي يحتمل أنّها تشكل جريمة من جرائم التميّز وخطاب الكراهية. من جهة ثانية.

خامساً: إرساء قيم التسامح والتكفل بالضحايا اجتماعياً وقضائياً.

إنّه من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها فكرة أخلقة الحياة العامة نشر ثقافة التسامح والحوار ونبذ العنف في المجتمع، كواحدة من القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية الضرورية للعيش في مجتمع متجانس وموحد، والتي قررتها المادة الخامسة من قانون 20-05 من خلال تحميل الدولة مسؤولية وضع استراتيجية وطنية للوقاية من التميّز وخطاب الكراهية بغرض تحقيق هذا المبدأ، ونشر ثقافة حقوق الإنسان والمساواة، وفتح أبواب الحوار والنقاش على مستوى العديد من

الإدارات والمؤسسات العامة والخاصة لسماع انشغالات الأفراد في شتى مجالات الحياة المختلفة. وتعتبر هذه الإستراتيجية التي تضعها الدولة بمختلف هيئاتها ومؤسساتها بالمشاركة مع ممثلي المجتمع المدني، والقطاع الخاص سبيلاً رشيداً من سبل الوقاية من التميّيز وخطاب الكراهية الذي اعتمدته بعض الجهات المعارضة في الدولة لاسيما بعد الحراك الشعبي لإثارة الفتنة والدعوة للعنف، فمثلاً ساهمت النقاشات والحوارات على مستوى الجامعات بطرح انشغالات الطلبة والأساتذة وإيصالها إلى الجهات الوصية، ومحاولة إيجاد حلول لها، أو إقناع أصحابها بصعوبة حل بعضها، وضرورة التوصل إلى حلول وسطية ترضي جميع الأطراف، في الحد من التميّيز وخطاب الكراهية على مستوى هذا المرفق العام. وبناء عليه فإنّ تكريس ثقافة التسامح والحوار وقبول الآخر تعتبر سلاحاً ذو حدين: فهي من جهة تكبح جماح الجاني في استعمال شتى أشكال التعبير لزرع الكراهية والعنف، بغرض التميّيز بين شخص وآخر، أو جماعة وأخرى، والوقوع في مخالب الإجرام بارتكاب جريمة أو أكثر من الجرائم المقررة قانونا في قانون 20-05، ومن جهة أخرى، تحمي الأفراد من أن يكونوا ضحايا للتميّيز وخطاب الكراهية، وبالتالي تجنب ما يترتب على هذا الأخير من أثار سلبية قاتلة للذات المعنوية للفرد. إضافة إلى مساعدة الضحايا منهم في التخفيف من حدة الأذى الذي لحق بهم جراء وقوعهم ضحية للتميّيز وخطاب الكراهية لمجرد سماعهم واحتوائهم والاهتمام بهم. فيعتبر بذلك أسلوب إرساء قيم التسامح والأخوة أسلوباً وقائياً ناجعاً للحد من الإجرام المرتبط بأفعال التميّيز وخطاب الكراهية، ومكافحته متى أحسن تطبيقه عملياً.

كما يعتبر التكفل الصحي والنفسي والاجتماعي بضحايا التميّيز وخطاب الكراهية التزاما قانونياً وضعه المشرع الجزائري على عاتق الدولة بما تملكه من مؤسسات وهيئات عامة وخاصة، وجمعيات وممثلي المجتمع المدني بموجب المادة 16 من قانون 20-05 التي تنص على أنّه (تضمن الدولة لضحايا الجرائم المنصوص عليها في هذا

القانون، التكفل الصحي والنفسي الاجتماعي بما يكفل أمنهم وسلامتهم وحرمتهم الجسدية والنفسية وكرامتهم.)

ونظراً لتخوف بعض الضحايا من المجرمين من جهة، وخشيتهم من اتساع رقعة العالمين بموضوع التميّيز وخطاب الكراهية وتأثير ذلك على نفسيتهم، من جهة ثانية، قد يحجم الكثيرين من اللجوء إلى القضاء ورفع شكاواهم أمام الجهات القضائية المختصة لمتابعة المجرمين، ولتفادي إفلات المجرمين من العقاب وتعزيز حماية حقوق الضحايا، أكّد المشرع صراحة في المادة 17 على إلتزام الدولة بمهمة تيسير لجوء الضحايا إلى القضاء، على الرغم من أنّه التزام عام يقع على عاتقها في جميع الجرائم بقوله على أنّه (تعمل الدولة على تيسير لجوء ضحايا التميّيز وخطاب الكراهية إلى القضاء). ولم يقتصر الأمر على تيسير الدولة لجوء الضحايا إلى القضاء فحسب بل تدعم ذلك بحقهم في اللجوء إلى القضاء الاستعجالي لوضع حد للتعدي كتدبير تحفظي استعجالي شكلي سابق للفصل في موضوع الحق، وذلك بمقتضى المادة 20 من قانون 20-05. وقد ورد هذا الحق تطبيقاً للمادة السادسة من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التميّيز العنصري التي تلزم الدول الأطراف فيها بكفالة حق كل إنسان داخل ولايتها في الرجوع إلى المحاكم الوطنية وغيرها من مؤسسات الدولة المختصة لحمايتها ورفع الحيف عنها على نحو فعال.

خاتمة.

نخلص في نهاية هذه المداخلة بالإشادة بالدور المهم الذي يلعبه تجريم التمييز وخطاب الكراهية في إرساء قيم التسامح ونبذ العنف في المجتمع وحماية الكرامة الإنسانية للأفراد، وإطفاء نار الفتنة والضغينة التي سعى البعض من ضعاف النفوس إلى نشرها في الفترة الحساسة التي مرت بها بلادنا مؤخراً. لاسيما لو تدعمت هذه النصوص القانونية بالتطبيق الفعلي لها واقعياً، وكذا أهمية الإستراتجية المتكاملة -من جميع النواحي المؤسساتية، التجريمية، العقابية، الوقائية والعلاجية

في الوقت ذاته- التي رسمتها الدولة من خلال القانون رقم 20-05 والتي تحتاج إلى تضافر الجهود بين مختلف الجهات والمؤسسات الدولية والجمعيات والمجتمع المدني لتجسيدها، ومع ذلك نقترح بعض التوصيات التالية:

- ضرورة الإسراع في تنصيب المرصد الوطني للوقاية من التميّيز وخطاب الكراهية، ووضع النصوص التنظيمية الخاصة به، لتحقيق الأغراض التي أنشئ لأجلها.
- تفعيل دور المؤسسات التربوية والمساجد ومختلف الجهات الوصية في بث رسائل السلم والتعايش وروح التعاون والتسامح بين أفراد المجتمع.
- عقد ندوات وملتقيات وطنية ودولية لمناقشة مواضيع التميز وخطاب الكراهية لاسيما عبر المواقع الالكترونية وإيجاد مواطن الفصل والتمييز بين ما يعتبر حرية تعبير وبين ما يعتبر خطاب كراهية.
- ضرورة تشديد الرقابة على مواقع التواصل الاجتماعي وما تحمله من أفكار هدامة تمس بالسلم و الأمن الوطني من خلال نشر خطابات الكراهية والتمييز بأسلوب هزلي ساخر.

- نشر الوعي الاجتماعي بين أوساط عامة الناس بهذا القانون وشرح وتبسيط مختلف المفاهيم المتعلقة بمجال التميّيز وخطاب الكراهية، لتعريف الأفراد بحقوقهم ذات الصلة بهذا المجال، وسبل حمايتها في حالة الاعتداء عليها.

-ضرورة تفعيل دور المرصد الوطني للوقاية من التميز وخطاب الكراهية لاسيما بمنحه سلطة تقريرية في إطار الضبط الإداري

المراجع المعتمدة:

[1] **القانون رقم 20-05** المؤرخ في 05 رمضان عام 1441هـ الموافق 28 أبريل سنة 2020 المتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتهما، الصادر في ج ر ج ج بتاريخ 6 رمضان عام 1441هـ الموافق 29 أبريل سنة 2020م، العدد 25، ص 4.

[2] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المصادق عليه في الجمعية العامة بموجب القرار رقم 217أ(3) في 10 ديسمبر 1948.

[3] العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والإنضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2200ألف (د21-) المؤرخ في 16 ديسمبر 1966، دخل حيّز النفاذ في 3 يناير 1976 وفقاً لأحكام المادة 27 من العهد.

[4] الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والإنضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (2106) ألف (د-20) المؤرخ في 21 كانون الأول/ديسمبر1965، دخلت حيّز النفاذ في 4 كانون الثاني/ يناير 1969 وفقاً للمادة 19.

[5] الاتفاقية الخاصة بمكافحة التمييز في مجال التعليم، اعتمدها المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في 14 كانون الأول/ديسمبر 1960، في دورته الحادية عشر، ودخلت حيّز النفاذ في 22 آيار/مايو 1962، وفقاً لأحكام المادة 14.

[6] سمير قاسمي: ((**التمييز وخطاب الكراهية بين القانون 20/05 والإتفاقيات الدولية**))، مقال منشور في مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد الخامس، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، مارس 2021، ص ص150،151.

[7] خالد ضو: ((**الأحكام الجزائية لجرائم التمييز وخطاب الكراهية في التشريع الجزائري ضمن القانون 20-05**))، مقال منشور في مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد الثالث، العدد الرابع، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ديسمبر 2021، ص112.

[8] أخرجه الإمام أحمد في مسند المكيين برقم 15322، وفي مسند الأنصار برقم:22399.

[9] محمد صبحي سعيد: ((**جرائم التمييز والحض على الكراهية والعنف، دراسة مقارنة**))، أطروحة دكتوراه في القانون الجنائي، كليّة الحقوق جامعة القاهرة، مصر، د س، ص ص 8-9.

[10] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،((**لسان العرب**))، دار صادر، بيروت، لبنان، 2010، ص 361.

[11] أبو الحسين، أحمد بن فارس زكريا: ((**معجم مقاييس اللغة**))، دار الفكر للطباعة والنشر، الجزء الخامس، 2007، ص 172.

[12] بن عودة نبيل ونوار محمد: ((**الصلاحيات الحديثة للضبطية القضائية للكشف وملاحقة مرتكبي الجرائم المتعلقة بالتمييز وخطاب الكراهية، "التسرب الالكتروني نموذجاً"** ، مقال منشور في مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الإجتماعية، المجلد الأول، العدد الثاني، المركز الجامعي لإيليزي، سبتمبر 2020، ص323.

[13] لبنى رحموني: ((**الإعلام الديني الإسلامي في مواجهة خطاب الكراهية والتنميط الغربي**))، مقال منشور في مجلة المعيار المجلد الرابع والعشرون، العدد الثاني والخمسون، مجلة المعيار، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، سبتمبر 2020، ص221.

[14] شيماء الهواري: ((**مفهوم الكراهية في الشرعية الدولية**))، مقال منشور في مجلة المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية، الإقتصادية والسياسة، متاح عبر الموقع الإلكتروني https://democraticac.de أطلع عليه بتاريخ 2022/07/16، على الساعة 13:28.

[15] وريدة جندلي بنت مبارك: ((**التصدي لخطاب الكراهية في القانون الدولي والتشريع الجزائري: التكريس القانوني وسبل الوقاية.**))، مقال منشور فيي المجلة العربية للدراسات الأمنية، العدد السابع والثلاثين، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2021، ص118.

[16] تنص المادة 32 من قانون 20-05 على أنّه ((يعاقب على خطاب الكراهية بالحبس من ثلاث (3) سنوات إلى سبع (7) سنوات وبغرامة من 300.000 دج إلى 700.000 دج إذا تضمن الدعوة إلى العنف.))

خطاب الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي

خطاب الكراهية عبر الوسائط الاتصالية الجديدة: سبل المواجهة

Hate speech through new media; ways of confrontation

د/نور الهدى عبادة، جامعة الجزائر3

Nour74@gmail.com

ط.د/عبد الرحيم مداسي، جامعة الجزائر 3

Madaciabderrahim1@gmail.com

ملخص:

نعيش اليوم في عالم مفتوح الأفق مصحوبا بتقانة وتكنولوجيا الاتصال، حيث أصبحت بواسطتها المعلومة متداولة بين الافراد دون أن يحدها شيء أو يقف بوجهها مانع، وخاصة بعد انتشار استخدام الوسائط الاتصالية الجديدة بمختلف تطبيقاتها وخاصة الفيسبوك كونها أهم أداة اتصالية تتيح من خلال تطبيقاتها المختلفة مساحة واسعة لطرح الأفكار المختلفة، ومنها الأفكار المتطرفة ونشر خطاب الكراهية بين الافراد.

وجاءت هذه المداخلة لمناقشة مدى مساهمة الوسائط الاتصالية الجديدة في بناء خطاب الكراهية، ونظرا لأهمية الموضوع وخطورته على تماسك المجتمع وحاضره ومستقبله، فإن الدراسة تسعى إلى تحديد مفهوم خطاب الكراهية وأشكاله المتداولة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وانعكاسه على المجتمع وكذلك تحديد سبل المواجهة الفعالة للحد من خطورته.

Abstract

Today, we live in a wide ranging world accompanied by technology and communication technology , where information is circulated among individuals without being limited or hindered by anything.this is especially true after the spread of using new media in its various applications, especially Facebook, which is the most important communication tool that provides ample space through its various applications for pressenting different ideas, including extremist ones, and spreading hate speech among individuals.

This study came to discuss the extent of the contribution of new media in constructing hate speech . Given the importance of the topic and its danger to societal cohesion and present, the study aims to defines the concept of hate speech , its forms, and its impact of society . It also seeks to identify ways to confront and mitigate its danger.

مقدمة:

اتاحت الوسائط الاتصالية الجديدة بمختلف منصاتها وتطبيقاتها للأفراد إمكانية مشاركة اراءهم ووجهات نظرهم بشكل سهل وسريع، وقد أسهمت من سهولة اعداد المحتوى عبر الانترنت، وبمقابل هذا ساهمت في إخفاء هوية مستخدمي الوسائط الاتصالية الجديدة من زيادة محتوى ومضمون خطاب الكراهية والتعصب والتهجم ضد الاخر.

اذ تعددت إمكانيات تكوين العلاقات الإنسانية مع ظهور الشبكة العنكبوتية، حيث أصبح من اليسير التواصل مع أي كان وبفضلها أصبحت الأفكار عابرة للقارات، بل وحتى و إن صدرت من مكان غير معروف من العالم يصبح بإمكان أي شخص اخر أن يستخدمها أيضا، كل مستخدم للإنترنت يصبح في الان ذاته مؤلفا و خطيبا في الفضاءات الافتراضية، هذه الفضاءات والوسائط من شأنها ان تجعل من التعصب والكراهية جزءا لا يتجزأ من خطاب وتصرفات الافراد، حيث فتحت الانترنت سبلا جديدة للتعبير عن الأفكار والتواصل مع أكبر عدد من الجماهير، ومع ذلك تبقى القيود المفروضة على ما يمكننا قوله عبر الانترنت محدودة جدا مقارنة مع تلك التي توجد في الواقع، يمكننا ان نعبر من خلال مختلف الوسائط الجديدة عن أشياء لا نجرأ على البوح بها علنا في العالم الحقيقي.

و يثير مصطلح خطاب الكراهية جدلا واسعا، حيث يعتبره الكثيرون مفهوما واسعا يسهل التحايل عليه، حيث لا يوجد تعريف متفق بخصوصه، كما أن هناك اعتراضات كبيرة على الحدود الفاصلة بين كون الخطاب يعبر عن الكراهية أو يدخل ضمن حرية الرأي و التعبير، وتساهم التقنية الحديثة و الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي في تصاعد ظاهرة خطاب الكراهية عالميا، حيث توفر إمكانات هائلة للمستخدمين، كإتاحتها للجميع بشكل مجاني والسرعة والتفاعل الحقيقي بين الافراد، فأصبح بإمكان المستخدم العادي أن يكون كاتبا للرأي، أو عضوا في جماعة

ما، أو ناشطا ومدافعا عن قضية ما، خصوصا و أن لديه القدرة على التأثير في الاخرين بطرق و أساليب مختلفة قد تغيب عنها الرقابة في كثير من الأحيان مما يجعل شبكة الانترنت بشكل عام، و الوسائط الاتصالية الجديدة بشكل خاص بيئة خصبة لخطاب الكراهية، وذلك عندما يكون التعبير ضد الاخرين بلغة تمييزية وعدائية.

وإذا كانت المجتمعات خارج الشبكة العنكبوتية تعتبر خطاب الكراهية مشكلة حقيقية يجب التصدي لها، فهل من المعقول ان نتغاضى عن خطاب الكراهية بمختلف اشكاله عبر الانترنت

ومن خلال هذا الطرح جاءت هذه المداخلة للبحث عن السبل والآليات الفعالة للحد من خطورة انتشار خطاب الكراهية المنتشر عبر الوسائط الاتصالية الجديدة بمختلف منصاتها.

أولا. الوسائط الاتصالية الجديدة:

ظهرت الوسائط الاتصالية الجديدة مع التطورات الكبيرة في نهاية القرن العشرين، وخاصة في مجال التكنولوجيا إذ دخلت البشرية عصر ما بعد الحداثة ومن أهم ما يميزه ثورة المعرفة و المعلومات وانتشارها بفضل التطور السريع لتكنولوجيا الاعلام و الاتصال، ومصطلح الوسائط الاتصالية الجديدة مصطلح مركب ومتعدد المعاني إذ يحيل على التكنولوجيات الجديدة للمعلومات والاتصال كالإنترنت والهاتف الذكي والتقنيات الرقمية بشكل عام، وعلى ممارسات إعلامية جديدة كالصحافة الالكترونية، وعلى ممارسات تواصلية كالتي تحتضنها مواقع الشبكات الاجتماعية، وعلى أشكال جديدة من الكتابة كالتدوين. **(دغمان و خيري، 2021، صفحة 208)**

ان التداول المفرط لمصطلح الوسائط الاتصالية الجديدة أدى إلى تحوله لمصطلح كاف ومكثف بذاته لا يحتاج إلى تعريف، حيث أصبح يحيل بالضرورة للأدوات والمخرجات التي نتجت عن الثورة الاتصالية التي ارتبطت بدورها بدخول الانترنت

حيز الاستخدام الجماهيري، وأضحى مصطلح الوسائط الاتصالية الجديدة يرادف تلقائيا أدوات التشبيك الاجتماعي (**social networking sites**)والمدونات (**blogs**)ومواقع تحميل ومشاركة الفيديو كاليوتيوب وباقي التطبيقات الاتصالية **(aday, 2017)**

وتختص الوسائط الاتصالية الجديدة بجملة من الخصائص تميزها عن وسائل الاتصال الجماهيري، ونلخصها في:

-**التفاعلية:** تعتبر التفاعلية أهم خاصية للوسائط الاتصالية الجديدة، حيث أضحت التفاعلية نظاما أكثر قدرة على تنمية مشاركة المستخدم وتحقيق درجة عالية من التحكم في الاتصال.

-**الكونية:** أي أنها متاحة على مستوى عالمي.

-**الفردية:** ميزة الاستخدام الفردي

-**الاتاحة والسهولة والتو افق:** ما يجعل التحكم في أسلوب المشاهدة والعرض وعملية التعلم بأكملها في يد المستخدم نفسه حسب قدرته.

-**الالكترونية:** في إنتاجها وتنفيذها على العديد من الأجهزة الالكترونية وكذلك أنظمة شبكات المعلومات بهدف توفير الجهد والوقت.

-**التزامنية:** وهو تناسب توقيتات تداخل العناصر المختلفة والموجودة في البرنامج زمنيا، تتناسب مع سرعة العرض بحيث يحدث توافق بين جميع عناصر الوسائط المتعددة كعنصر الصوت مع عنصر النص المكتوب والكلام المنطوق. **(عبادة، 2019، صفحة 236)**

الاستخدامات الإيجابية والسلبية للوسائط الاتصالية الجديدة:

لكل وسيلة اتصالية إيجابيات وسلبيات، وتختلف هذه السلبيات والإيجابيات من وجهة نظر الى أخرى ومن طريقة استخدام الى أخرى، ومن أبرز إيجابيات الوسائط الاتصالية الجديدة:

1. سهولة التواصل: أتاحت الوسائط الجديدة سهولة التواصل بين المستخدمين وذلك من خلال فتح مجالا واسع لتبادل الآراء والأفكار والثقافات والاطلاع عليها وعلى ما يجري في العالم من أحداث.
2. مشاركة الأفكار الشخصية وذلك من خلال التواصل والتفاعل مابين المستخدمين حول قضايا وموضوعات مشتركة.
3. الاستخدام كإعلام بديل: بعد انتشار مواقع التواصل الاجتماعي واتاحتها للجميع وما توفره من إمكانيات ساعدت في بروز دور المواطن الصحفي في التعبير عن الآراء والاتجاهات والمعتقدات.
4. وسيلة تعليمية: أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي اشبه بمنصات تعليمية لتجمعات طلابية أو أفراد يرغبون بالاشتراك مع الاخرين بالخبرات والمهارات.
5. التفاعلية: أن خاصية التفاعلية تعد من الإيجابيات أو من خلالها يتم تطوير الأفكار والرؤى وتعد مؤشرا أيضا لمدى مقبولية ما ينشر من عدمه.

فضلا عن الإيجابيات التي تتسم بها الوسائط الاتصالية الجديدة هناك من يؤشر لها سلبيات أيضا منها:

1. تنشر المعلومات والصور والفيديوهات المفبركة أو المقطوعة من سياقها الحقيقي ووضعها في سياق أخر مما يؤدي إلى تأجيج الرأي العام وإثارته لغرض خلق فتن أو مشاكل.
2. تشويه أفكار المستخدمين عموما من خلال ما يقحم وعرض أنشطة وبرامج ترفيهية تحمل من مضامينها ثقافات وقيم غير سليمة وغير لائقة أحيانا.
3. العزلة اذ افتقدت التفاعلية داخل الاسرة بين الأبناء والاباء واتساع الفجوة الرقمية والمعرفية بينهم مما يؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية الاسرية،
4. انتهاك الخصوصية.

5. ظهور جماعات من خلال صفحات تنشر أفكار وقيم هادمة ومخالفة للقوانين وللطبيعة الإنسانية عبر الإساءة الى الأديان والجندر والمقدسات والقوميات والافراد.

ثانيا. خطاب الكراهية ومستوياته:

يعتبر مفهوم خطاب الكراهية من المفاهيم الزئبقية في غياب اعتماد تعريف موحد له، ولعل ما يجعل الاتفاق امرا صعبا ومعقدا هو اشتمال ظاهرة الكراهية على مفاهيم متشعبة متعلقة بوسائل التواصل مثل الوسائل اللغوية، وعناصر الصوت، ولغة الجسد، والعناصر البصرية بالإضافة الى اختلاف هذا التعريف انطلاقا من المؤسسة التي تحدده من جهة، والسياق الذي يقع ضمنه هذا المصطلح من جهة ثانية. وتجدر الإشارة الى ان هذا المفهوم لم يتم تناوله صراحة في المواثيق الدولية، وانما من باب حظر اشكاله. **(السنوسي، 2020، صفحة 65)**

يعد خطاب الكراهية بين المجتمعات من اهم أدوات الجيل الرابع باستخدام أدوات القوى الناعمة، المتمثلة في توجيه وتمويل وسائل الاعلام، ووسائط التواصل الاجتماعي بمختلف تطبيقاتها، ومنظمات المجتمع المدني. **(حسن، 2017)**

هذا ما تؤكده دراسة للباحث وليد حسيني ان شبكة الانترنت، والوسائط الاتصالية الجديدة مفتوحة ومجانية وسهلة الاستخدام، فتحت الباب على مصراعيه لسيل جارف وغير محدود من خطاب الكراهية المباشرة والتي تحض على الإرهاب والتمييز والتحريض الطائفي والمذهبي، كما تشير ذات الدراسة الى ان شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي أسهمت بشكل كبير في إشاعة خطاب الكراهية والتحريض الطائفي والمذهبي والتمييز. **(وليد، 2014، صفحة 33)**

ظهر اول تعريف لخطاب الكراهية في الولايات المتحدة عام 1993 بأنه:" الخطاب الذي يدعو إلى أعمال العنف أو جرائم الكراهية، ويوجد مناخا من الاحكام المسبقة التي قد تتحول الى تشجيع ارتكاب جرائم الكراهية، وعادة ما يستخدم أصحاب ذلك

الخطاب أساليب متعددة من جعل الاخرين يشعرون بعدم الامن" و هو يشمل العنف و الايذاء، و تدمير الممتلكات والتهديدات، وإطلاق ألقاب غير مستحبة، أو ارسال بريد أو التقليل من شأن الفرد أو الجماعة ،وفي العادة يظهر خطاب الكراهية ليصف كلمات مهينة جدا وخطابات من التحريض على الجنسية و الدينية والطائفية والعرقية والعنصرية وصولا الى السب والذم و القدح والتشهير، وأحيانا تصل إلى الدعوة إلى القتل وإهدار الدم، وقد تقف وراء ترويج خطاب الكراهية جماعات او افراد وأحزاب لتحقيق أهداف استراتيجية تخدم مصالحها. **(صدقة، 2015، صفحة 9)**

وخطاب الكراهية هو أي نوع من التواصل الذي يسيء إلى شخص أو مجموعة بسبب خصال شخصية بهم أو بسبب انتماءاتهم العرقية أو الاثنية أو الدينية، وقد بدأت بذلك الظاهرة بالانتشار مع استخدام الانترنت، حيث يوفر مجالا مفتوحا وواسعا للتعبير حتى بدأ العديد من المتعصبين والمتطرفين من استغلال شبكات التواصل الاجتماعي لنشر الكراهية **(الرحامنة، 2018، صفحة 28)**

وعرفت إدارة موقع الفيسبوك الكراهية هي أي محتوى يشمل التعدي على أشخاص بناء على عرقهم ودينهم وجنسهم وانتمائهم الوطني وإعاقتهم ومرضهم.

وتقع الكراهية في مستويات تبعا لمستوى تهديدها للمجتمع وفقا لتصنيف Sova :

1-المستوى القوي:

- الدعوة للعنف.
- الدعوة للتمييز العنصري.
- الدعوة لعدم قبول السلام.

2-**المستوى المتوسط**:

- تبرير تاريخي لوقائع عنف وتمييز.
- تصريحات تشكك بوقائع تاريخية لأحداث عنف أو تفرقة أو تمييز.

- الحديث عن جرائم دينية أو اثنية لجماعة ضد أخرى.
- أفكار بشأن تفوق جماعة على أخرى.
- اتهامات للتأثير السلبي لشخص أو جماعة دينية أو عرقية على المجتمع والدولة.

3-المستوى الناعم الخفيف:

- خلق صورة سلبية عن جماعة دينية او اثنية عبر نشر تصريحات بشأن عدم ملائمة أو عدم كفاءة جماعة ما.
- تصريحات بشأن عيوب أخلاقية لمجموعة دينية.
- الإشارة الى مجموعة عرقية او دينية على نحو مهين او في سياق اقتباسات من خطاب كراهية ونصوص دون التعليق عليها.

الفرق بين حرية التعبيروخطاب الكراهية:

إن الكلمات بحد ذاتها حينما تصدر عن سلطة ما، تستهدف الجماعات والافراد وقد تتحول إلى خطاب الكراهية، وهذا الخطاب يحتوي كلمات لها قوة الأفعال نفسها، وذلك الامر يعود بنا مرة أخرى الى تبين المأزق الحقيقي في رسم الحدود الفاصلة بين حرية الرأي وخطاب الكراهية، إذ لا تبدو فكرة إصدار تشريعات محددة للقضاء على خطاب الكراهية ناجعة، فذلك يتطلب في حالات كثيرة وضع قيود على الكلمات، وفرز وتعيين للأشخاص الذين يتمتعون بسلطة ما، والذين يبرهنون على صدق مقولة" الكلمات ليست فقط محض ألفاظ بل هي أفعال". وحرية التعبير ليست محددة فقط بالفضاء السياسي بل إنها تتحرك في فضاءات مختلفة مثل وسائل الاعلام، ووسائط الاتصال الجديدة، وكذلك الأفعال الرمزية وسيتطلب الامر أكثر من مجرد سن تشريعات وضوابط لتقييد حرية الرأي، أو القضاء على خطاب الكراهية، وفي حين تلوح هذه المعضلة بأنها مرشحة للبقاء أمدا طويلا، إن البعض ينظر إلى مبدأ حرية الرأي والتعبير وخطاب الكراهية بوصفهما محددين مهيمن

للدرجة التي بلغها المجتمع في تمدنه وتحضره وقيمه الأخلاقية. وفي أغلب الديمقراطيات لا يعتبر خطاب الكراهية شكلا من اشكال حرية التعبير التي تحميها القوانين، كما أنه لا يأخذ شكلا معينا وهو الكلام المباشر الواضح، فقد يكون بالتصرف أو الإيحاء أو الكتابة أو حتى الإشارة، ولكن التحريض او خطاب الكراهية بشكل دقيق علميا هو أمر صعب وهذا يرجع تحديدا لانهما يتقاطعان في أجزاء كثيرة ويغطيان مجموعة من السلوكيات اللفظية والرمزية. **(عبدالله، 2020، صفحة 153)**

هناك معايير وضعتها "خطة الرباط" لتحديد أشكال التعبير المحظور جنائيا، وفي غياب تعريف واضح لخطاب الكراهية وهي: أولا: سياق الخطاب بمعنى تقييم الخطاب في السياق الاجتماعي والسياسي ;لاقتصادي للفئة التي استهدفها الخطاب، والتي تأخذ بعين الاعتبار مدى تواجد حوادث عنف ضد الفئة المستهدفة، ومدى تمييز المؤسسات لها، وتواجد بيئة سياسية او إعلامية تميز ضدها.

ثانيا: تأثير المتحدث أي موقفه وما لديه من سلطة أو تأثير على جمهوره، وهنا تؤخذ اعتبارات إن كان المتكلم سياسيا أو عضوا بارزا في حزب أو موظفا عاما أو أشخاصا لديهم تأثير مشابه.

ثالثا: نية المتحدث حيث يجب أن يكون لديه قصد واضح في الانخراط لحشد الكراهية، واستهداف فئة على أساس العرق او اللون او الدين، وأن يكون مدركا للعواقب التي يمكن أن يحدثها خطابه، اخذين بعين الاعتبار اللغة المستخدمة ومدى تكرار الخطاب.

رابعا: محتوى الخطاب من حيث مدى دعوة الخطاب المباشرة أو غير المباشرة للتمييز أوالعنف أو العداء المجتمعي ضد فئة مستهدفة.

خامسا: نطاق الخطاب وشدة ترده، على تقييم الخطاب أن يدرس الوسيلة التي نشر من خلالها ومدى شدته وتردده.

ثالثا. اشكال خطاب الكراهية في الوسائط الاتصالية الجديدة:

تتخذ خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي اشكالا عديدة مثل التنميط والتعميم والقاء اللوم على فئة اجتماعية معينة وتحميلها مسؤولية وقائع فعلية او مفترضة، او الدعوة الى التمييز ضدها وحتى تبرير استخدام العنف اتجاهها، وحدد المركز الامريكي للعدالة المدنية 17 نوعا من خطابات الكراهية المنتشرة عبر الوسائط الاتصالية الجديدة بمختلف تطبيقاتها على رأسها الخطاب المعادي للسود والأفارقة، خطاب استعلاء البيض وخطاب التفوق الذكوري، الخطاب المعادي للمهاجرين.

ومن بين أمثلة أشكال الخطاب التي يمكن تصنيفها كخطاب الكراهية ما كتبه رئيس لجنة ادارة البرلمان الفنلندي jussi kristian aho في مدونته الشخصية من انه نظرا للتصرف الحتمي للمهاجرين الذكور و

للاغتصاب، فأنه يأمل في ان يقوموا باغتصاب خصومه من السياسيات الفنلنديات، و كذلك تصريحات أكثر السياسيين المثيرين للجدل في أوربا و المتهمين بخطاب الكراهية geert wilders و الذي قام بمقارنة القران بكتاب كفاحي لهتلر و شبه الحجاب الإسلامي على انه خرقة رأس و خاطب النساء المسلمات بصورة مهينة من خلال تعليقاته المتكررة عبر تطبيق الفايسبوك. **(مداسي ع.، ماي 2023)**

ومن بين أشكال خطاب الكراهية المنتشرة عبر الوسائط الاتصالية الجديدة نذكر:

- العنصرية racism وهو خطاب التمييز ضد فرد أو جماعة على أساس اللون العرق اللغة، ويتخذ أشكالا متعددة كالتمييز ضد النشطاء السود على مواقع التواصل الاجتماعي، ومثال ذلك الحملة العنصرية ضد مهاجم منتخب فرنسا " كينغسلي كومان " الذي أضاع ركلة جزاء في نهائي كأس العالم السابقة و هو ما جعله يتعرض لتعليقات عنصرية عبر حسابه انستاغرام من خلال هاشتاغ # **أعيدوه إلى إفريقيا** #

- التنمر bullying وهو خطاب عدواني متعمد تقوم به جماعة او فرد بشكل متكرر وضمن خط زمني محدد ضد ضحية لا تستطيع الدفاع عن نفسها غالبا ما يكون فردا واحدا. وكمثال على ذلك نذكر اللاعب الايطالي ذو الأصول الإفريقية Mario ballotelli الذي تعرض إلى حملة تنمر وسخرية واسعة عبر منصات التواصل الاجتماعي ووصفوه بالقرد، الأمر الذي جعل اللاعب يغادر الملاعب الايطالية صوب تركيا.
- الخطاب النابي profanity وهو استخدام مسيء اجتماعيا للغة يتضمن الشتائم والألفاظ النابية ويعتبر خطابا فظا، مسيء ثقافي وعادة ما يستهدف الحط من قدر شخص ما من خلال السب والشتم والذي ينتشر في أوساط المراهقين ويؤثر بشكل مباشر في نفسيات البعض خصوصا عبر تطبيق الفاسبوك.
- الخطاب الازدرائي slurs وهو الحط من قدر وقيمة الشخص او فئة اجتماعية محددة والحكم على الأخر من خلال خلفيته الثقافية ومكانته الاجتماعية، ويستخدم أيضا للتعبير عن الق أو العدوانية، ومثال على ذلك خطاب ازدراء الأديان وحملة تشويه الدين الإسلامي عبر الرسومات الكاريكاتورية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام التي انتشرت على نطاق واسع في مواقع التواصل الاجتماعي.
- المضايقة flaming و هو خطاب مصحوب بالتعابير الصدامية و باللغة المهينة و الهجومية خصوصا في سياق النقاشات و التفاعلات الافتراضية و قد تتحول المضايقة في بعض الأحيان إلى نوع من أنواع التحرش كمثال على ذلك التحرش على النساء عبر مختلف التطبيقات مثل Facebook instagram.

- العنف الرمزي symbolic violence وهو ذلك العنف الخفي الذي يحمل دلالة سلبية على الاخر من خلال اعتماد اسلوب لفظي او غير لفظي او كلاهما من خلال السب او السخرية وهو ما ينتشر كثيرا عبر تطبيقات الفاسبوك.
- التعصب intolérance وهو الاعتقاد او التصرفات التي تنطوي على اخذ مواقف دون تمحيص بسبب الغيرة والحماس المفرط كما انه السعي وراء شيء ما بطريقة متطرفة وعاطفية.
- التعصب الالكتروني المنتشر بشدة عبر الوسائط الجديدة مثل حادثة الرسام الجزائري جمال بن إسماعيل المشتبه فيه بإشعال النيران في المنطقة المسماة ناثيراثن بتيزي وزو وهذه الواقعة تسببت في تأجيج مواقع التواصل الاجتماعي بين الامازيغ وبعض الولايات الأخرى وبالتالي تسببت في التعصب الفكري الذي وصل الى حد تبادل السب والشتم عبر الشبكات الاجتماعية وخاصة الفيس بوك.

رابعا. دور الوسائط الاتصالية الجديدة في نشر خطاب الكراهية:

يعصف خطاب الكراهية بشبكات التواصل الاجتماعي حول العالم، وتتعدد أسبابه من عرقية او دينية او سياسية او طائفية او غيرها من الايدولوجيات والانتماءات. وذوي تلك الانتماءات الذين كانوا يعبرون عنها فيما بينهم او ضمن دوائرهم المغلقة وجدوا في هذه الشبكات فضاءا مفتوحا لنشر أفكارهم وحتى كراهيتهم ليصل الى ملايين الناس، الامر الذي يجعله أكبر اثرا وأعظم ضررا.

يصل هذا الخطاب الى ذروة خطورته عندما يصل هذا الخطاب الى مجموعات بشرية مستعدة عاطفيا وفكريا ليتحول الى الواقع في جرائم كراهية وعنف حقيقية. وهو ما سمى بالحرائق الرقمية التي ذكرها تقرير المخاطر الصادر عن (منتدى الاقتصاد

الدولي) في 2013، وهو يشير الى أي شائعة او معلومة خاطئة او رسالة كراهية تنتشر من خلال شبكات التواصل الاجتماعي والتي يمتد تأثيرها الى الواقع.

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي أحد أهمّ أدوات التغيير الاجتماعي وتبادل الأفكار بشكل سريع والتأثير على الرأي العام في المجتمعات المتعددة في العصر الحديث، وقد تجاوزت تلك المواقع حدود الرقابة والتحكم والسيطرة الفعلية على الاتصالات التي تفرضها الحكومات والدول الدكتاتورية، والتي كانت تمنع التجمعات الصغيرة حتى الاجتماعات الثلاثية للأفراد العاديين.

ويمكن القول بأن تأثير شبكات التواصل الاجتماعي – ومن أهمها فيسبوك، وتويتر – ليس محصورا على الجانب الاجتماعي والاقتصادي فقط، غير أن تلك المواقع في بعض الأحيان تلعب دورا أساسيا في التأثير السياسي والتعبئة الجماهيرية، وتخلق مناخا سياسيا ضاغطا، وثورات عارمة، كما حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا في ثورات الربيع العربي التي أسقطت حكاما كانوا في سدة الحكم لمدة ثلاثين عاما وفي بعض الأحيان أربعين عاما، وساهمت تلك الشبكات في تحشيد المتظاهرين وتعبئتهم.

أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعية، وبسبب طبيعة بعض المواقع مثل فيسبوك وتويتر، يجدون أنفسهم داخل فقاعة من الأخبار الكاذبة، والرسائل التحريضية، التي تعزز من الآراء والأحكام المسبقة الموجودة لديهم بالفعل. **(السرحان، 2017)**

كما ان للشبكة العنكبوتية او الانترنت دورا وتأثيرا كبيرا في تكون الرأي العام وتشكيله تجاه خطاب الكراهية. وهناك تربة خصبة وممارسة فعلية لخطاب الكراهية عبر الشبكة العنكبوتية.

توجد صعوبة في إيجاد فرضيات مطلقة وقابلة للتحقيق، لأن قيم المجتمع ومؤشراتها في صعود وهبوط، لذلك على القائمين بمراقبة المجتمع عدم السماح

للفكر الارتجالي في فرض إرادته أمام قوة الحجة العلمية القائمة على أسس منهجية سليمة، من أجل الحفاظ على القيم وتحصين المجتمعات من آفة خطاب الكراهية والتعصب

يتم توظيف الصورة من قبل نشطاء الفيسبوك لصناعة خطاب الكراهية بحسب الشخصية والقضية محل الخطاب. ومن النتائج المهمة أيضا أن الصور والفيديوهات الاكثر استخداما من قبل صانعي خطاب الكراهية. وأن الشخصيات السياسية الأكثر استهدافا بخطاب الكراهية من قبل نشطاء الفيسبوك.

و لمنع و مكافحة انتشار خطاب الكراهية غير القانوني عبر الانترنت اتفقت لجنة الاتحاد الأوروبي مع الفيسبوك **Facebook** و مايكروسوفت **Microsoft** وتويتر **twitter** ويوتيوب **YouTube** في ماي 2016 على "مدونة السلوك لمكافحة خطاب الكراهية غير القانوني عبر الانترنت"، وخلال عام 2018 شارك الانستغرام **instagram** والديلي موشن **Daily motion** كذلك في هذه الاتفاقية وانضم تطبيق تيك توك **tik Tok** في سبتمبر 2020، والهدف من هذه المدونة هو التأكد من سرعة تعامل الشركات السابقة مع طلبات إزالة المحتوى، وذلك عندما يتلقون طلبا لإزالة محتوى من نظامهم الأساسي على الانترنت.

خامسا. سبل المواجهة:

وضعت الأمم المتحدة في عام 2019 استراتيجية و خطة عمل لمواجهة خطاب الكراهية والذي يشكل تهديدا لقيمها ومبادئها وبرامجها، وقد قامت هذه الاستراتيجية على المبادئ التالية:

- مراعاة الاستراتيجية وأساليب تنفيذها للحق في حرية الرأي والتعبير.
- وضع مسؤولية التصدي لخطاب الكراهية على عاتق الجميع بما فيهم الحكومات والمجتمعات والقطاع الخاص، والافراد.

- دعم الجيل الجديد من مواطني التكنولوجيا الرقمية بهدف تمكينهم من التعرف على خطاب الكراهية ونبذه والتصدي له.
- جمع المعلومات وإجراء البحوث بشأن الأساليب الجذرية الكامنة وراء خطاب الكراهية ودوافعه والظروف المؤدية إلى ظهوره.

يمكن مواجهة خطاب الكراهية عبر الوسائط الجديدة و منصات التواصل الاجتماعي من خلال اليات أساسية تتم من خلال (القانون-التربية والتعليم-التطور التكنولوجي-التوعية)، وتتشارك في مسؤوليتها جميع الأطراف المعنية بالظاهرة، بدءا من الأمم المتحدة والمجتمع الدولي وصولا للأفراد والجماعات داخل المجتمع المحلي، ويمكن تصنيف هذه الاليات ضمن شكلين من الاستراتيجيات: القريبة المدى والبعيدة المدى، حيث تشمل الأولى اليات المواجهة لخطاب الكراهية عند حدوثه، وتشمل الثانية الاليات للوقاية منه ومنع انتشاره في المستقبل وتتجلى مسؤولية الدولة في:

1-تعزيز الأطر القانونية الرادعة لخطاب الكراهية وتبادل المعلومات بين الخبراء على المستوى العالي حول المبادرات والقوانين الوطنية والملاحقة الجنائية في مجال خطاب الكراهية عبر الانترنت، وكيفية تطوير التدابير المضادة ويمكن الاستفادة من تجارب بعض البلدان في هذا المجال، فعلى سبيل المثال:

-وضعت ألمانيا قانونا من شأنه تغريم شركات التواصل الاجتماعي ما يصل إلى 50 مليون يورو في حال تقاعست عن حذف خطابات الكراهية بسرعة. **(منصوري، 2022)**

-وضعت فرنسا قانونا يلزم منصات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث بإزالة أي محتوى يحرض على الكراهية، والعنف والعنصرية، والتعصب الديني في غضون 24 ساعة، أو تكون هذه المنصات تحت طائلة التعرض لغرامة تصل إلى 1.25 مليون يورو.

2-تعزيز التعليم الرقمي وتعديل المناهج التعليمية لطلاب المدارس، كي تتضمن مواد تعليمية جديدة تتناسب مع العالم الرقمي الذي نعيش فيه والظواهر المرتبطة به، كإضافة مادة "التوعية الرقمية" ومادة "التربية على المواطنة الرقمية" ... وتستطيع هذه المواد أن تبني وعيا للأطفال والمراهقين حول مخاطر العالم الرقمي وتهديداته من جهة، وتعزيز صورة إيجابية حول الاخر المختلف من جهة أخرى بما يتناسب مع ثقافة التعدد والعيش المشترك والمواطنة العالمية الجديدة.

3-إنشاء جيش الكتروني خاص بالدولة يواجه الكراهية بخطاب التسامح يعتمد على الأساليب نفسها التي تستخدم من قبل جماعات خطاب الكراهية؛ أي عبر الذباب الالكتروني، وزيادة عمليات التفاعل والنشر بشكل واسع في العالم الرقمي، على أن تركز رسائل التسامح على مضار خطاب الكراهية وكلفته الباهظة، وتعزيز القيم الإنسانية كضرورة للأمن الإنساني.

4-إنشاء تطبيقات ومنصات ومنتديات ترصد خطاب الكراهية على الانترنت، وتقدم نصائح حول كيفية مواجهته، إضافة إلى خلق مساحات للنقاش وتبادل الرأي حول انعكاساتها وتداعيتها، ويمكن دعم جهود منظمات المجتمع المدني والناشطين المتطوعين في هذا المجال وتوفير دليل موحد لهم يضمن كل الاستراتيجيات الملائمة والمعارف المناسبة.

-على سبيل المثال أطلقت منظمة مدنية سويسرية تدعى "التحالف النسائي" أول تطبيق سويسري لتتبع خطاب الكراهية على الانترنت ومكافحته بمساعدة مجموعة من المتطوعين، حيث يتم تحديد التعليقات التي تحرض على الكراهية، وتشجيع المتطوعين على المشاركة في نقاشات للمساعدة في مواجهتها.

5-تعزيز جهود منظمات المجتمع المدني الرامية إلى مكافحة خطاب الكراهية بالأليات المناسبة، سواء أكان ذلك عن طريق حملات التوعية، أم الكشف عن هوية المرتكبين، أم إنتاج خطاب مضاد لها، أم إنشاء منصات لمساعدة الضحايا، ووضع

إجراءات مبتكرة تهدف إلى مكافحة الكراهية في وسائط الاعلام، بما فيها الانترنت، وتشمل تلك الإجراءات تحديد اتجاهات الكراهية، وتتبع ورصد المواقع الشبكية ذات الخطاب المحرض على الكراهية و التعصب، وإخطار المجتمعات المحتمل تأثرها أو استهدافها بشأن أنشطة بث الكراهية، والعمل عن كثب مع مقدمي خدمات الانترنت والوكالات الحكومية من أجل الإبلاغ عن المحتوى المحرض على الكراهية، وتوفير مواد تثقيفية وبرامج تدريبية على الانترنت.(**dolly, 2022**)

6-إنشاء وحدات بحثية تابعة للدولة لمتابعة ودراسة الظواهر المسببة لخطاب الكراهية ونتائجه ومؤشراته، وتتبع مساراته التي تتغير باستمرار مع التطور المتسارع للتكنولوجيا الرقمية، على ان تقوم هذه الوحدات بتقديم حلول علاجية ووقائية، يشترك في بلورتها المتخصصون في مجالات التكنولوجيا وعلم النفس والقانون والاعلام.

خاتمة:

من خلال ما تم دكره يمكن القول ان الشبكة العنكبوتية بمختلف وسائطها تتيح لنا إمكانية التواصل بسرعة عالية، وبطرق متعددة غير انه ما يتم قبوله من خطابات الكراهية داخل الانترنت أكثر مما يحدث خارجها، كما انه من الصعب التحكم فيه، ومنه لابد من معالجة عميقة للبنية والسياقات التي تنتج الكراهية في أي نطاق كان خصوصا على مستوى الوسائط الاتصالية الجديدة، وهذا يتطلب استراتيجيات تشاركية تسعى إلى تطويق الظاهرة قانونيا وتكنولوجيا قدر الإمكان، كما أن مسؤولية مواجهة خطاب الكراهية لا ينبغي أن يقتصر على الجهات المشرعة والمنفذة للقوانين الجنائية والمدنية، ولكن يجب أن تقع هذه المسؤولية على جميع مؤسسات المجتمع كالمؤسسات الاعلامية و التعليمية، وشركات التقنية و الانترنت و غيرها,

قائمة المراجع:

- **aday, s. (2017). *blogs and bullets: news media in contentious politics.* washington: institute of peace.**
- **dolly, s. (2022, june). hate speech on social media; ways to combat. *security policy papers*.**
-
- **الرحامنة ,ن .(2018) .خطاب الكراهية في شبكة الفيس بوك في الاردن دراسة مسحية .*رسالة ماجستير*.**
- **السرحان ,ف .(2017) .*الاعلام الجديد وخطاب الكراهية استراتيجيات المواجهة* .معهد البحوث و الدراسات العربية.**
- **السنوسي ,ث .(2020) .معالجة خطاب الكراهية في وسائط الاعلام الجديدة زمن الكورونا .*المجلة الجزائرية للاتصال*.65 .p ,**
- ***برنامج الامم المتحدة الإنمائي* Récupéré sur .(2019) .نساء غير مرئيات : http//www.undp.org**
- **حسن ,ش .(2017) .مخاطر صناعة الكراهية بين الشعوب .*السياسة الدولية*.**
- **دغمان ,ه & .,خيري ,ن ,2021) .ديسمبر .(وسائط الاتصال الجديدة وتداعياتها على وسائل الاعلام القديمة .*المجلة الجزائرية لبحوث الاعلام والرأي العام* 208 .p ,**
- **صدقة ,ج .(2015) .*دراسة التحريض الديني وخطاب الكراهية* .بيروت : مؤسسة مهارات.**

- عبدالله ,ر ,2020) .ماي .(خطاب الكراهية على مو اقع التواصل الاجتماعي في الاردن .*قضايا التطرف والجماعات المسلحة*.153 .p ,
- منصوري ,نديم .(2022) .*العصبية في العالم الرقمي* .بيروت :منتدى المعارف.
- وليد ,حسني .(2014) .*إني اكرهك* .عمان :مركز حماية و حرية الصحفيين الاردني .
- نورالهدى عبادة. (فيفري, 2019). الحراك الشعبي العربي والوسائط الاتصالية الجديدة: حدود العلاقة. *مجلة الدراسات الاعلامية*،
- عبد الرحيم مداسي. (ماي 2023). الكراهية وأشكالها في منصات التواصل الاجتماعي. *ملتقى وطني حول العصبية الافتراضية وخطاب الكراهية عبروسائط التواصل الاجتماعي*. جامعة الجزائر3.

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية

قالب كتاب فردي أو كتاب جماعي أو مجمل أعمال مؤتمر

طالبة الدكتوراه: دنيا بن سهلة

تخصص: اتصال وعلاقات عامة

جامعة: باجي مختار عنابة

مخبر: دراسات و أبحاث في الاتصال

البريد الإلكتروني: dounia.bensahela@univ-annaba.org

المحور الثالث: الدراسات الإعلامية والثقافية: خطاب الكراهية عبر وسائل الإعلام التقليدية والحديثة.

عنوان المداخلة: خطاب الكراهية عبر مو اقع التواصل الاجتماعي.

-قراءة في المفهوم، دو افع الانتشار، وأليات التصدي له.

الملخص :

تسعى هذه الدراسة للبحث في مفهوم ظاهرة خطاب الكراهية التي استفحلت عبر الفضاء الافتراضي في الأونة الأخيرة، وذلك بالتطرق إلى دوافع انتشار ظاهرة الكراهية عبر الفضاء الافتراضي، وكون الفضاء الافتراضي ساهم بشكل كبير في انتشار العديد من السلوكيات السلبية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة والترويج لها لدى العديد من أفراد المجتمع، وهذا يشكل خطر على المجتمع، وهذا ما استلزم وضع جملة من الأليات لمجابهة خطاب الكراهية والحد من تداعياته.

الكلمات المفتاحية: خطاب الكراهية، الفضاء الافتراضي، دوافع الانتشار، أليات التصدي.

Abstract :

This study seeks to investigate the concept of the phenomenon of hate speech that has spread across the virtual space in recent times, by addressing the motives for the spread of the phenomenon of hatred across the virtual space, and the fact that the virtual space has contributed greatly to the spread of many negative behaviors, whether direct or indirect, and their promotion among people. Many members of society, and this poses a danger to society, and this necessitated the development of a set of mechanisms to confront hate speech and limit its repercussions.

1 مقدمة:

فلقد أصبح الإعلام الجديد وسيلة من وسائل نشر الأفكار المتطرفة لسهولة تداولها، حيث تجمع الكثير من الدراسات العلمية على أن موضوع خطاب الكراهية من الموضوعات بالغة الحساسية، وهو أمر مطروح ومتداول في مختلف بلدان العالم، ولا يكاد يخلو منه أي مجتمع، لكنه يتفاوت من بلد لأخر، وأنّ الكراهية كسلوك هو أحد مظاهر السلوك الشخصي لبعض الأفراد في معظم المجتمعات. (الحسن، 2023)

ولقد أدّت وسائل الاعلام دورا لا يمكن الاستهانة به في غرس القيم والمعتقدات ونشر كل فكر مهما كان اتجاهه ونوعه وتوسيع رقعته، حيث استغلت المنظمات المتطرفة كل الوسائل، للإفصاح عن نفسها ونشر خطاباتها التعبوية الممتلئة بالكراهية عبر الوسائل التقليدية والحديثة وبث أفكارها المغلوطة رغم الحظر المفروض عليها. (رمضان، يونيو 2022)

وقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي بيئة خصبة لخطاب الكراهية لأنّه يتجاوز مرحلة التعبير عن الرأي ويدعو إلى التحريض على العنف والشتم والقذف والحط من المكانة الاجتماعية للأشخاص. (الربيعي، 2019)

فإنّ التطور التكنولوجي في وسائل الاعلام المتنوعة ساهم بصورة كبيرة في تفشي ظاهرة الكراهية وخطابها في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصبح استقطاب شرائح مختلفة للانضمام إلى جيوش الكراهية، متسلحين بالحقد والأفكار العنصرية والألفاظ العدائية لخوض معارك الاقتتال المذهبي والعرقي في الفضاء الإلكتروني الواسع. (وأخرون، جويلية 2023)

إلاّ أن ذلك أوقع العالم في فخ التسابق وفتح الأفاق أمام نشر الكراهية والتطرف والأفكار الشادة، بالإضافة إلى انتشار العبارات والأفكار البذيئة بسبب غياب الرقابة وعدم إمكانية المحاسبة أو الملاحقة القانونية. (صالح، 2023)، إذن فيما يكمن خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية نطرح العناصر التالية:

- ما مفهوم خطاب الكراهية؟
- ماهي دواعي انتشار خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟
- ما هي أليات محاربة خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

2 - مفهوم خطاب الكراهية عبر مو اقع التواصل الاجتماعي :

2-1: يعرف خطاب الكراهية في القانون رقم 20-05 المتعلّق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتهما في الفقرة الأولى من المادة 2: "بأنّه: "جميع

أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تبرر التمييز، وكذا تلك التي تتضمن أسلوب الازدراء أو الإهانة أو العداء أو البغض أو العنف الموجهة إلى شخص أو مجموعة أشخاص على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية". (ابراهيم، جوان 2023)

وهناك من يعرّفه: "بأنّه عنف لفظي أو كتابي يتضمن تحريضا صريحا أوضمنيا عدوانيا تشجع المتلقي على السلوك العنيف تجاه الاخر، يستهدف وجوده وفكره ومعتقده". (الصباحي، 2021)

كما أنّ أول تعريف أمريكي لخطاب الكراهية صدر في الولايات المتحدة العام 1993، أصدره الكونغرس الأمريكي، وعرفه بأنّه: " الخطاب الذي يدعو إلى أعمال العنف أو جرائم الكراهية، الخطاب الذي يخلق مناخا من الكراهية والأحكام المسبقة التي قد تتحول إلى تشجيع ارتكاب جرائم الكراهية". (زهرة، 2014)

وما هو ملاحظ أن مختلف المنظرين اتفقا في تحديدهم لمفهوم الكراهية، على أنّها جملة من المشاعر يصاحبها اشمئزاز شديد، نفور وعداوة أو عدم تعاطف مع شخص ما أو فكرة أو شيء أو حتى ظاهرة معينة. (بوجمعة، 2020)

2-2: تعريف مو اقع التواصل الاجتماعي :

هي مجموعة من البرامج أو المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، التي تُساعد الناس على التواصل والتفاعل مع بعضهم البعض ونقل المعلومات بسهولة كبيرة، كما تمكّنهم من زيادة معارفهم وإنشاء علاقات جديدة مع مُستخدمين آخرين لنفس المواقع . (م، https://e3arabi.com %D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%، 2023)

3-2: خطاب الكراهية عبر الفضاء الافتراضي :

"هي مختلف أشكال العنف والتعصب وعبارات السخرية والسب والإهانة التي تتجسد في شكل صور وفيديوهات وتعليقات ورموز تعبيرية من إعجاب وحزن وغضب وغيرها التي تستهدف شخص أو مؤسسة أو دولة، حيث تكون مواضيع

الجنس والدين والعرق واللون والفكر أو المظهر أو الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها". (بلعباس، 2022)

2-4: دوافع انتشار خطاب الكراهية: تتمثل دوافع انتشار خطاب الكراهية فيما يلي:

- استخدام وسائل الاعلام الجماهيري من طرف الدول في حملات الغزو الثقافي والفكري لتحقيق أهداف ومصالح ومنافع قومية يؤدي إلى تمزيق المنظومة الفكرية للمجتمعات المستهدفة.

- اتباع بعض الدول سياسات الإقصاء والتهميش على المستويين المحلي والدولي دفع من تعرضوا لهذه السياسات إلى استخدام أساليب خطاب الكراهية في محاولة لجذب الانتباه إلى قضاياهم. (الطائي، 2020)

-الصورة الخاطئة عن الأخر.

-الخوف من المنافسة.

-التصور أن الأخر هو ضدك أو عدوك.

-الثقافة العامة التربية والتعليم.

-الكيفية التي نقرأ بها التاريخ. (جمعة)

وفي ذات السياق نتطرق إلى جملة من نماذج خطاب الكراهية في الدول والتي تتمثل في:

- **في الولايات المتحدة:** تم توثيق عدة هجمات لتفوق الأبيض على أصحاب البشرة السوداء، حيث أثبت التحقيقات أن منفذ إطلاق النار في كنيسة "تشارلستون" حزيران/ يونيو 2015 والذي نتج عنه قتل تسعة رجال سود، فقد انخرط في عملية تعليم ذاتية على الانترنت دفعته إلى الايمان بفكرة أنّ الهدف من التفوق الأبيض يوجب عملا عنيفا.

- **ميانمار:** يعمد القادة العسكريون البوذيون لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لإهانة أقلية الروهينغا المسلمة، قبل وأثناء حملات التطهير العرقي، والذين يشكلون

2% من مجموع السكان، والفيسبوك أداة فاعلة لأولئك الذين يسعون لنشر الكراهية".

- **نيوزيلاندا:** عملت دولة نيوزيلاندا قيام أحد الأشخاص المتعصبين للهوية الأوروبية، بقتل أكثر من 49 شخص كانوا متواجدين في مسجدين أثناء تواجدهم لأداء صلاة الجمعة بتاريخ 15 مارس 2019 حيث قام مطلق النار ببث هجومه على موقع يوتيوب. (الدولية، 2023).

3: تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في نشر خطاب الكراهية:

فإنّ تأثير شبكات التواصل الاجتماعي ليس مقتصرا على جانب معين، غير أن تلك المواقع لعبت دورا أساسيا في التأثير السياسي والتعبئة الجماهيرية، وخلق ثورات عارمة، كما حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا في أيام ثورات الربيع العربي التي أسقطت حكاما شموليين كانوا في سدة الحكم لمدة ثلاثين عاما وفي بعض الأحيان أربعين عاما. (الرحامنة، 2018)

وسنتطرق إلى جملة من العناصر تتمثل فيما يلي :

- حيث أتاحت مواقع التواصل الاجتماعي تلاقي أصحاب الفكر المتعصب والمتطرفين عبر المسافات وبأسماء وهمية، وسهلت في عملية التواصل فيما بينهم بمبالغ زهيدة، وذلك بهدف التجنيد لبث الكراهية تجاه فئات معينة.

- إنّ أصحاب المشاعر المكبوتة الذين كانوا يعبرون عنها على استيحاء في غرف مغلقة، وجدوا في هذه الشبكات فضاء عاما ينشرون من خلاله خطاب كراهيتهم ليصل إلى الملايين ليضاعف أثره. (العتوم، 2021)

3-1: دوافع انتشار خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي: قبل التطرق لانتشار خطاب الكراهية في شبكات التواصل الاجتماعي يجب أولا تحديد الأسباب التي جعلت هذه الشبكات بيئة حاضنة لهذا الخطاب ومن بين أهمها :

- تراجع استخدام مصادر الأخبار التقليدية للحصول على المعلومات، مقابل انتشار مصادر أخبار بديلة وتحديدا منها شبكات التواصل الاجتماعي.

- استغلال المتطرفين سياسيا أو اثنيا أو دينيا لمواقع التواصل الاجتماعي للانخراط في نشطات سياسية متطرفة تتبنى أفكار إقصائية أو تميزية في حشد التأييد لمواقفهم، ونشر المعلومات والمشاركة المؤثرة في عملية التبادل. (فورار، الاتجاه للرقابة على محتوى شبكات التواصل الاجتماعي بين مقتضيات الحفاظ على الأمن القومي والالتزام بضمان الحق في التعبير -مواجهة خطاب الكراهية في الجزائر أنموذجا، 2021)

- سهولة إنشاء الحسابات الوهمية، هذا الجانب يساهم لدى العديد من الأفراد في توجيه خطابات الكراهية وذلك لعدم إمكانية معرفتهم وملاحقتهم قانونيا. (م، سكاي لاين الدولية).

2-3: مميزات خطاب الكراهية عبر مو اقع التواصل الاجتماعي: يتميز خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي بجملة من الخصائص تتمثل في:

- الديمومة وبقاء المحتوى لوقت طويل جدا، وهو ما تحاول المواقع نفسها مقاومته بتقنيات الذكاء الاصطناعي.

- إمكانية النشر والتكرار : Shares فالمحتوى على مواقع التواصل الاجتماعي يمكن نشره لعدد لا نهائي بين المستخدمين سواء من خلال المشاركة أو إعادة صياغته بطريق أخرى.

- كون مصدر محتوى خطاب الكراهية مجهولا، يمنحه حماية ومساحة للتعبير عن أشنع خطابات الكراهية وأبشع أفكار التحريض على العنف لأنّه يضمن عدم إمكانية الوصول إليه سواء باستخدام اسم مستعار أو حساب مزيف، ويضمن لمصدر المحتوى أنه لن يتحمل تبعات ما يطلقه من محتوى وخطاب يبث سموما.

- تجاوز الحدود الجغرافية، وهو من أكبر مميزات مواقع التواصل الاجتماعي إلاّ أنّه في حالة خطاب الكراهية لا يزيد الأمور إلاّ تعقيدا وصعوبة في الإمساك بكاتب المحتوى وإخضاعه لنتائج فعلته وللقوانين والتشريعات المختلفة ما بين الدول. (يسن، دس)

- يتسم بالاستمرارية بحيث أنه يمكن أن يستمر لمدة 24 ساعة طوال الأسبوع.

- الجمهور الذي يبث خطاب الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي هو أوسع انتشارا وغير محدود مقارنة بالجمهور الذي يبث خطاب الكراهية بشكل تقليدي. (المواجدة، 2020)

كما أنّ لخطاب الكراهية عبر شبكات التواصل الاجتماعي يتمظهر في جملة من الصور تتمثل في:

- تشويه الحقائق أو تكذيبها.

- عدم القبول بالاختلاف مع الأخرين.

- كراهية الخير للأخرين وإقصائهم عن المشاركة في شتى الشؤون.

- النظرة الدونية للأخرين بسبب الاختلاف في اللون أو الدين أو المذهب أو الجنس. (السلام، جذور صناعة خطاب الكراهية في ثقافة المجتمع المعاصر، جانفي 2021)

3-3: و اقع خطاب الكراهية وسبل مواجهته: يعتبر مصطلح خطاب الكراهية من المصطلحات الشائكة، حيث اقترح الباحثون جملة من السياسات التي يمكن أن تقوم شركات التواصل الاجتماعي بتطبيقها وهي:

- حظر مجموعات الكراهية الصغيرة نسبيا بدلا من المجموعات الكبيرة.

- حظر أعداد صغيرة من المستخدمين يتم اختيارهم عشوائيا من مجموعات الكراهية على الانترنت.

- تشجيع تشكيل مجموعات **"محاربة الكراهية"** التي يمكن أن تعاكس أثر مجموعات الكراهية. (العمري، 2021)

أمّا حسب **تقرير أعده مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة** أقّر أن الدول قامت بجملة من الإجراءات لمراقبة محتوى التواصل الاجتماعي:

- إنشاء وحدات المتابعة: لمراقبة المحتوى المنشور عبر مواقع التواصل الاجتماعي من خلال استخدام التطبيقات المتخصصة في جمع البيانات من وسائل التواصل.

- تقديم طلبات كشف البيانات: حيث تلجأ الجهات الحكومية لإدارة مواقع التواصل الاجتماعي بالكشف عن بيانات مستخدمين أو صفحات بعينها لأسباب أمنية أو جنائية.

- الاعتماد على برمجيات التجسس والاختراق: ونعني بها اعتماد برمجيات القرصنة التي تحصل عليها بعض الحكومات والأجهزة الأمنية للتجسس على المستخدمين. (فورار، المرجع السابق)

كما أن هناك كذلك جملة من الأليات التي لابد من تعزيزها تتمثل في :

- تحيين قوانين صارمة فيما يتعلّق بمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

- إنشاء وحدات المتابعة لكل أشكال الخطاب المحث على الكراهية: سواء في المواقع أو الواقع وذلك لرصد كل ماله علاقة بخطاب الكراهية ومختلف أشكال التمييز العنصري، حيث قامت السلطات العليا للبلاد بإنشاء المرصد الوطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية، والذي يتولى رصد كل أشكال التمييز وخطاب الكراهية واقتراح عناصر الاستراتيجية الوطنية للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية والمساهمة في تنفيذها، بالتنسيق مع السلطات العمومية المختصة وجميع الفاعلين في هذا المجال والمجتمع المدني .

- القيام بإجراءات ردعية وتنبيهية للطبقة السياسية والمشاهير وصانعي المحتوى الإعلامي على ضرورة تفادي خطاب الكراهية في خطاباتهم ومنشوراتهم.

- تفعيل دور مؤسسات المجتمع بكل أطيافها في مواجهة الكراهية: وذلك بإشراك المؤسسات الريادية في المجتمع (المساجد، المدارس، الجامعات، الأسرة، وسائل الاعلام).

- احتواء المؤثرين وتوجيههم: وخاصة وأنّهم (القادة، المشاهير، الفنانين، صانعي المحتوى الإعلامي، الجهات الدينية الفاعلة)، يتمتعون بقاعدة جماهيرية واسعة للتأثير على الجمهور. (مقعاش، 2022)

- تعزيز ثقافة الحوار والاختلاف وقبول الأخر بالتوازي مع القيام بالإصلاح ومحاربة الفساد على كل المستويات (عبدالله، 2022)

- حذف المنشورات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حيث وفرّت مواقع التواصل الاجتماعي خاصية الإبلاغ عن أي محتوى مسيئ، والعمل على حذفه في غضون 24 ساعة وتعطيل الوصول إليه، مما يوضح بالفعل قدرتها على تنظيم والتحكم في المحتوى.

- حظر الحسابات عن مشاركة أي محتوى يشتمل على مصطلحات وتعبيرات تصنف كخطاب الكراهية.

- توفير المزيد من الدعم للتغريدات والتعليقات المعارضة لمواقف الكراهية، مع إمكانية دعم جودة التداول في المناقشات العامة والحرة. (العيدي، 2022)

- خلق مساحات للنقاش وتبادل الرأي حول انعكاساتها وتداعياتها، حيث تم إطلاق "**أول تطبيق سويسري**" لتتبع خطاب الكراهية على الانترنت ومكافحته بمساعدة مجموعات من المتطوعين.

- إنشاء مجلس رقمي عربي بين جميع الدول العربية يكون بمثابة منتدى للحوارات الاستراتيجية للسياسة الرقمية والتكنولوجية، لتعزيز المشاريع الناجحة في سياسات الوقاية والمواجهة.

- إدراج ضمن المناهج التعليمية لطلاب المدارس مادة "النوعية الرقمية" ومادة " التربية على المواطنة الرقمية"، ومادة " التربية على التسامح والقيم الإنسانية" وذلك لبناء وعي للأطفال والمراهقين حول مخاطر العالم الرقمي وتهديداته من جهة.

- إنشاء جيش إلكتروني خاص بالدولة يواجه الكراهية بخطاب تسامح يعتمد على الأساليب نفسها التي تستخدم من قبل جماعات خطاب الكراهية. (الصراف، 2022)

- ضرورة وضع حد فاصل وواضح بين مصطلحي: "حرية التعبير وخطاب الكراهية."

- حظر المواقع الداعية إلى خطاب الكراهية.

- ضمان الحق في المقاضاة للأشخاص المستهدفين من خطاب الكراهية .

- الإبلاغ عن منشورات وسائل التواصل الاجتماعي التي تنشر الشائعات والمعلومات الخاطئة. (السلام، المرجع السابق)

وجدت دراسة حديثة أجريت في السويد أنّ خوارزميات مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في خلق ما يعرف ب: "غرف الصدى Echo chambers"، فإنّ هذه الخوارزميات قد تزيد من فرص تعرّض أفراد ذوي ميول عنصرية إلى محتوى إعلامي يتوافق مع أفكارهم، ما يزيد من تصاعد خطاب الكراهية والعنصرية.

-يشير تقرير اليونسكو حول خطاب الكراهية في الانترنت لصعوبة تطبيق القانون عبر منصات التواصل بسبب التعقيدات اللوجيستية خاصّة عند تواجد لمقرّات الرئيسية لمنصات التواصل في بلد أخر. (ستبه، أيلول 2021).

خاتمة:

يبقى موضوع خطاب الكراهية قديم ولكن ارتفاع وتيرته بفعل وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك لكوننا نعيش في مجتمع منفتح على العولمة وغيرها، يتوجّب علينا الانتباه لتصرفاتنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي ينجر عنها عواقب وخيمة خصوصا أن العالم أصبح قرية كونية صغيرة.

التوصيات:

لمكافحة خطاب الكراهية في مواقع التواصل الاجتماعي لابد من الايمان بدور المجتمع وتعزيز الاخلاقيات العامة في التوعية من اضرار العنف والكراهية، ونقترح ما يلي كخطوات :

-تحليل التغريدات والتعليقات التي تحمل خطاب الكراهية وفهم دوافع ذلك.

- انشاء وحدات خاصة تابعة للدولة للمتابعة الرقمية لخطاب الكراهية.

- نشر ثقافة التسامح في الخطاب الديني.

-نشر ثقافة التعددية الفكرية في المدارس والجامعات من خلال المناظرات والندوات المفتوحة.

-نشر ثقافة قبول الاخر والتعددية الدينية والمذهبية والفكرية.

- يتوجب مراقبة تصرفاتنا أمام الأجيال الصاعدة.

- إعداد مواد على مستوى المؤسسات التعليمية للمكافحة خطاب الكراهية بكل أنواعه.

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد أمين فورار. (2021). الاتجاه للرقابة على محتوى شبكات التواصل الاجتماعي بين مقتضيات الحفاظ على الأمن القومي والالتزام بضمان الحق في التعبير - مواجهة خطاب الكراهية في الجزائر أنموذجا. *المجلد 06*(العدد 02)، ص769 ص770.

أحمد أمين فورار. (بلا تاريخ). المرجع السابق . ص 771 ص772.

الربيعي جمعة. (بلا تاريخ). المرجع السابق. ص7.

الربيعي ,ب .ح .(2019) .دور مواقع التواصل الاجتماعي في بناء خطاب الكراهية .p) . ص .(2جامعة صلاح الدين أربيل كردستان العراق.

العجابي سيف الدين، مزعد ابراهيم. (جوان 2023). إشكالية تعريف خطاب الكراهية المظاهر والأسباب والنتائج. *مجلة العلوم* القانونية *والاجتماعية، المجلد الثامن* (العدد الثاني)، ص243 ص244.

خلود سلام صالح. (17 8, 2023). تم الاسترداد من https: https://www.researchgate.net/publication/34297869 dw almnsat alalktrwnyt fy mharbtk htab_alkr.

خيرة العيدي. (2022). خطاب الكراهية في بيئة المجتمعات الافتراضية قراءة في العوامل المؤثرة تجليات وتداعيات الممارسة. *مجلة السياسة العالمية، المجلد 6*(العدد 1)، ص165.

خيرة علي العمري. (2021). سبل مواجهة خطاب الكراهية. الرياض: مكتبة فهد الوطنية.

د م. (20 8, 2023). تـــــــم الاســـــــــترداد مـــــــن https://e3arabi.com
.%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%

دوللي الصـراف. (2022). خطـاب الكراهيـة عبر مواقـع التواصـل الاجتمـاعي سـبل المكافحة . *مجلة اوراق السياسات الأمنية* ، ص4 ص10 ص11.

رامي عطـا صـديق، فاطمـة شـعبان أبـو الحسـن. (2023). دور الإعـلام في مواجهـة خطاب الكراهية وبناء مجتمع التسامح إرشادات للقائمين بالاتصال والرسالة الإعلامية والهيئات المنظمة للعمل الإعلامي مع مقترح دراسي للطلاب . *المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال*، ص4.

رضـوان بوجمعـة. (2020). خطابـات الكراهيـة في وسـائل الإعـلام وأليـات مواجهتهـا القانون الدولي الإنساني والأخلاقيات المهنية. *المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19* (العدد02)، ص7.

رمضـان ,أ .أ) .يونيـو .(2022اسـتراتيجيات خطـاب الكراهيـة لتنظيم داعـش دراسـة تحليليـة لصحيفة النبأ .*مجلـة التربيـة النوعيـة والتكنولوجيـا ,المجلـد*)*26*العـدد 10), 162.

سعد عبد السلام. (بلا تاريخ). المرجع السابق . ص72.

سعد عبد السلام. (جانفي 2021). جذور صناعة خطاب الكراهية في ثقافة المجتمع المعاصر. *مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الخامس*، ص67.

سـكاي لايـن الدوليـة. (17 08, 2023). *خطـاب الكراهيـة ومواقـع التواصـل الاجتمـاعي العوامل المؤثرة وأليات المواجهة* ، ص7 ص8.

شـهيرة بـن عبـدالله. (2022). خطـاب الكراهيـة السياسـية على منصـة التواصـل الاجتمـاعي فيسـبوك في تـونس بلغـة التحـريض والاسـتقطاب مقاربـة معجميـة حجاجية. *المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي*، ص 177.

صخر أحمد الخصاونة سهل علي العتوم. (2021). دور وسائل التواصل الاجتماعي في نشر خطاب الكراهية من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين دراسة ميدانية. *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، المجلد 29* (العدد 1)، ص305.

م ,د .(s.d.) .سكاي لاين الدولية .*المرجع السابق* ,ص Récupéré sur .7المرجع السابق.

مراد عبد الله المواجدة. (2020). دور مواقع التواصل الاجتماعي في بث خطاب الكراهية وعلاقته بالعنف بالعنف في المجتمع الأردني. *أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في علم الجريمة*، ص40 ص 41 ص47. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤتة.

مصطفى حميد كاظم الطائي. (2020). النظريات المفسّرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الإعلام. *المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19* (العدد 02)، ص47 ص49.

مقعاش ,ص .ا .(2022) .أثر خطاب الكراهية في موقع الفايسبوك على الجمهور دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر .*المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي ,المجلد*)*09*العدد ,(01ص.392

ناصر الرحامنة. (2018). خطاب الكراهية في شبكة الفيس بوك في الأردن دراسة مسحية . *قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستير في الإعلام* ، ص22. جامعة الشق الأوسط.

نجمة علي، منى ستبه. (أيلول 2021). خطاب الكراهية في منصات التواصل الاجتماعي بين الفلسطينيين /ات واثره على حقوقهم الرقمية . *المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي* ، ص8.

وأخرون ,ي .ا) .جويلية .(2023دور وسائل التواصل الاجتماعي في الحد من خطاب الكراهية من وجهة نظر المحاضرين والطلبة الفلسطيين) .ج .ا .الماليزية (.Éd , *مجلة معاصر الإسلام الاتصالات والإعلام ,المجلد ,3* ص.69

وليد حسني زهرة. (2014). إني أكرهك ..خطاب الكراهية والطائفية في إعلام الربيع العربي . *مركز حماية وحرية الصحفيين*، ص7.

يحي مقبل صالح الصباحي. (2021). أنواع خطاب الكراهية وتعامل القرأن الكريم معها. (جامعة إقليم سبأ، المحرر) *المجلة العلمية، المجلد 2*(العدد 1)، ص68.

يسن ,م .إ) .دس .(خطاب الكراهية الاجتماعية عبر الانترنت وتأثيره على العنف ضد المرأة في المجتمع المصري قضية نيرةأشرف نموذجا .*المؤتمر العلمي الدولي السادس لإعلام CIC بعنوان التحديات والقضايا الإعلامية في العصر الرقمي* , .p)ص 1253ص .(1254

يوسف بلعباس. (2022). التفاعلات الرقمية بين الشباب وسياقات انتشار خطاب الكراهية دراسة ميدانية لعينة من مستخدمي الفيسبوك. *المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 09*(العدد 02)، ص340.

دور منصات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة التسامح والحوار

بن مهوب عبد المجيد — د. محمد علاوة

طالب دكتوراه اتصال جماهيري — أستاذ محاضر " أ "

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي — جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

abdelmadjid.benmihoub@univ-oeb.dz

allaoua.mohamed@univ-oeb.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد الدور الوظيفي الذي تقوم به منصات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة التسامح والحوار كقيمتين باعثتين للاتصال الفعال وداعمتين للتفكير المتزن بعيدا على أساليب العنف وخطاب الكراهية،باعتبار شبكات التواصل الاجتماعي وسائط نشر وأدوات لإنتاج الفعل الاتصالي الجديد، وكذلك منظومات بناء القيَّم التي تجمع بين الشعوب وتسمح بالتواصل الثقافي والفكري، فالحوار والتسامح قيمتان سامياتان وهما من المعايير المهمة في رصد وقياس حركة السلوكيات الاجتماعية، وتزداد أهميتهما كلما اتسمتا بالتشارك بين فئة أو مجموعة، فالقيم الفردية تؤسِّس للإنسان في ارتباطه بذاته، أما القيم المجتمعية فتؤسِّس للإنسان في علاقته مع الآخر، لذلك تبرز قيمتة الحوار كرمز دال على التفاعلات الحاصلة بين الإنسان والآخر، كما تُعبِّر قيمة التَّسامح على مستوى النقاء الداخلي للإنسان وقدرته على التصالح مع ذاته قبل الآخرين.

الكلمات المفتاحية: ثقافة الحوار، ثقافة التسامح، القيّم المجتمعية، منصات التواصل الاجتماعي

Abstract:

The aim of this article is to monitor the functional role played by social media platforms in promoting the culture of tolerance and dialogue as two values that serve as catalysts for effective communication and as supporters of balanced thinking, far from methods of violence and hate speech, Considering social networking platforms as dissemination channels and tools for generating new communicative actions, as well as systems for building values that bring peoples together and allow for cultural and intellectual communication. Dialogue and tolerance are two noble values and they are important criteria for observing and measuring the movement of social behaviors.

Their significance increases when embraced by a group or community. Individual values establish a person's connection with oneself, while communal values establish a person's relationship with others. Hence, the value of dialogue emerges as a symbol indicative of interactions between individuals, and the value of tolerance signifies the inner purity of an individual and their ability to reconcile with themselves before others.

Keywords: Culture of Tolérance, Culture of Dialogue, Communal Values, Social Media Platforms.

مقدمة :

يشهد العالم سلسلة من التحولات السريعة بفعل الثورة التكنولوجية، حيث يعد الفضاء الرقمي من أبرز تجليات الثورة التكنولوجية على الإطلاق، بفضل سرعة الانتشار وبما يمتاز بخصائص منها اللاتزامنية واللامكانو التفاعلية جعلتها تستقطب جميع أفراد المجتمع على المستوى العالمي، الإقليمي والمحلي.

كذلك استخدامه لتقنيات جديدة منها أدوات التشبيك الاجتماعي التي أصبحت مهمة جدا لنقل الأفكاروالمعلومات وهي سلاح ذوحدين إلا أنها تعتبرعاملا مهما في نشرثقافة التسامح والحوارونبذ التطرف، العنف وخطاب الكراهية من جهة أخرى هذا ما يحيلنا من خلال هذه المداخلة إلى السبل الكفلية بتغليب مفاهيم التسامح والحواروالابتعاد عن كل ما يدعو إلى الصراع عبرشبكات التواصل الاجتماعي الذي يعرف انتشارا واسعا وتأسسا لما سبق ذكره نطرح السؤال الرئيس التالي :

- ماهو دورمنصات التواصل الاجتماعي في نشرثقافة التسامح والحوار؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية :

- ما المقصود بشبكة التواصل الاجتماعي؟

- كيف تساهم منصات التواصل الاجتماعي في نشرثقافة التسامح انطلاقا من الو اقع؟

- ماهي الطرق الفعالة لنشرثقافة التسامح عبرمنصات التواصل الاجتماعي؟

1.مدخل مفاهيمي :

1.1حرية التعبير.

2.1ثقافة التسامح.

3.1 ثقافة الحوار

4.1مو اقع التواصل الجتماعي (الشبكات الاجتماعية).

2.مجالات الحوار.

3.مساهمة شبكات التواصل الاجتماعي في نشرثقافة التسامح.

4. أهم الطرق الفعالة في نشرثقافة التسامح والحوارعبرشبكات التواصل الاجتماعي .

1.1 حرية التعبير

تعد حرية التعبير جوهر الحريات الفكرية على الإطلاق، ذلك أنه إذا كان من حق الإنسان أن يفكر فيما يشاء وأن تكون عقيدته الداخلية الفكرية مستقلة ومتحررة، فإن حقه هذا يبقى ناقصا إذا لم يتمكن من التعبير عن آرائه و أفكاره ونقلها من حيز الفكر إلى حيز الوجود بالفعل.

الحرية في اللغة مأخوذة من الفعل حرَّ، حرُّ العبد حرارًا، أي عتق وصار حرا، حرارا، حرية، كان حر الأصل شريعه، وحرر العبد أي أعتقه، ويقال فرس حر أي عتيق الأصل وطين حر أي لا رمل فيه وحر الأرض أطيبها والحرية والحرورة والحرورية خاصة من كان حرا وحرية القوم أشرافهم (المنجد في الإعلام، 1973).

الحرية هي ما يميز الإنسان من غيره ويتمكن بها من ممارسة أفعاله و أقواله وتصرفاته بإرادة واختيار من غير قسر ولا إكراه ولكن ضمن حدود معينة (الزحيلي، 2000).

حرية التعبير كما يعرِّفها أحمد زكي البدوي من حق الفرد في اتخاذ الآراء دون التدخل في التعبير عن رأيه، ويشمل هذا الحق حرية البحث عن المعلومات مهما كان نوعها ونقلها بغض النظر عن الحدود وذلك إما شفهيا أو كتابيا أو طباعة سواء كان ذلك في قالب فني أو بأي وسيلة أخرى يختارها (بدوي، 1985).

1.1.1. حرية التَّعبير، شيء من التكنولوجيا

يشهد تاريخ الإنسانية أن منظومة الحقوق لم تكتسب ولم تعطى بسهولة، بل كانت دائما محصلة كفاح طويل وصراعات مريرة مع قوى متعددة، سياسية أو دينية أو حتى مجتمعية، وكذلك حال الحق في التعبير كحق أساسي من حقوق الحريات العامة.

تعود الإرهاصات الأولى لمفهوم حرية الرأي والتعبير إلى القرون الوسطى وإلى المملكة المتحدة، أين أطاحت الثورة بالملك جيمس الثاني في عام 1688 وتم

تنصيب الملك وليام الثالث ملكا لانجلترا والملكة ماري الثانية على العرش وبعدها بسنة أصدر البرلمان البريطاني قانون حرية الكلام (البشير، 2010).

إلا أن أول اعتراف رسمي بحرية الرأي والتعبير يعود إلى إعلان حقوق الإنسان الفرنسي الذي صدر بعد الثورة الفرنسية سنة 1789، والذي نصت المادة (11) منه على أن التداول الحر للأفكار والآراء هو أحد الحقوق الأساسية والهامة للإنسان حيث يجوز لكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطبع بصورة حرة على أن يلتزم مسؤوليته عن سوء استعمال هذه الحرية في الحالات التي يحددها القانون (بالاندين- Blandine).

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فلم يترسّخ مفهوم حرية التعبير رغم تضمينه في دستور 1776 ودستور 1778 بسبب الإشكالات التمييزية التي لم تساوي بين السود والبيض في حق حرية التعبير اعتبارا لفروقات العرق والأصل الاثني والانتماء. (البشير، 2010).

ولم تأخذ حرية التعبير مكانتها وصفتها الإلزامية كحق مشروع على الصعيد الدولي إلا بإقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة 1948 الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والذي تضمّن حق كل شخص بالتمتع بحرية الرأي والتعبير ونصت المادة التاسعة عشر منه على أن لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأفكار والأنباء وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود. (حقوق الإنسان، 1948).

2.1. ثقافة الحوار

تفرض الحياة بكل متطلباتها على الانسان والشعوب عملية التواصل فيما بينها، وهو التواصل الذي لا يتم إلا بالحوار. الحوار لغة :في قاموس المحيط

تحاوروا معناه تراجعوا الكلام بينهم . وهو مناقشة ومراجعة بين اثنين أو أكثر في قضية مختلف عليها(الفيروز آبادي، 2005).

- اصطلاحا: لم يبتعد استخدام مصطلح الحوار وتداوله في الأدبيات المعاصرة كثيرا عن مفهومه اللغوي حيث يعرف بأنه هو الحديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة بعيدا عن الخصومة والتعصب، بل بطريقة عملية ومقنعة" (زمزمي،2001).فالحوار هو مراجعة الكلام في شأن ما، أو رأي ما،لتعزيزه أو تصويبه،أو تطويره،والوصول فيه الى التماثل أو التجانس،أوالتفاهم،أو التكامل... مايفيد بأنه نظام لغوي للتخاطب بين المتحاورين يتضمن خطابا إعلاميا،ورسالة ذات مضمون وطني وقومي و إنساني،رسالة مشتركة لتلقي المكونات الثقافية والحضارية، وتعرف ثقافة الحوار على أنها "مجموعة من القواعد والمبادئ الفكرية والمعايير السلوكية التي يؤمن بها الأفراد حين التعامل مع الآخرين، كما تشمل آداب واختلافات التحضر التي تدفع الفرد إلي قدر كبير من اللياقة وتقدير الآخرين، كما يساعد على قدر من القبول الاجتماعي وتخطي مشكلات المو اقف الاجتماعية "(الضويان،1993).

وهنا في بحثنا هذا يتم التركيز على الحوار الموضوعي (الخارجي)مع الآخر: والآخر قد يكون مو افقا أو مختلفا في العرق والانتماء، والجنس، والثقافة، والرأي والموقف...،ويمكن أن تصل درجة الاختلاف الى حد العداء والصراع.

ويصب اهتمامنا ايضا بالحوار الخارجي أي مع الآخر والذي يعود وجوده إلى بداية البشرية، وينبثق مما يلي:1- اعتراف كل طرف بالآخر.

2 - إحترام كل طرف للآخر، وعدم الوقوع في استخفاف أي منهما للآخر في منزلته وثقافته، وجنسه ولونه...

3 -الإيمان بالندية والمساواة في منزلة الطرفين ،إذ لا يجوز الانطلاق من العصبية والهوى، أو الهيمنة والتسلط....

4 - الانفتاح على الآخر نفسيا وفكريا وموضوعيا، وعدم اللجوء الى قوة الحجة والتفوق بالحديث لإثبات الذات على حساب الآخر...

5 - الوعي بالذات هوية وكينونة واعتماد الرغبة في الحوار،والثقة به والإرادة والمعرفة وتبني القيم في الوصول الى أهداف مشتركة تفيد الجميع...

فالحوار بهذا المبدأ يحقق العدالة، ويبعد عن السقوط في الجدل العقيم، وفق هذا التصور فإن الحوار ينتج تعاونا إيجابيا فيما هو متفق عليه وفي أضعف الحالات يؤدي الى القابلية والرضا بكل مايفرضه الآخر،كما ذهب إليه المفكر مالك بن نبي.

3.1 مو اقع التواصل الاجتماعي، الشبكات الاجتماعية :

الشبكات الاجتماعية أو social networks هي عبارة عن مو اقع تتيح تبادل المعلومات والأفكار والثقافات والتعارف بين أناس يتشاركون في الفكر والثقافة والتوجه والميول، ظهرت مع ما يعرف بالجيل الثاني للويب(Web2) تتيح التواصل بين مستخدميها في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم وفقا لاهتماماتهم أو انتماءاتهم (جامعة - بلد - صحافة - شركة ...)، بحيث يتم ذلك عن طريق خدمات التواصل المباشر كإرسال الرسائل أو المشاركة في الملفات الشخصية للآخرين، والتعرف على أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض على أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية، فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام وتكوين الصداقات حول العالم وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين شبكات اجتماعية في نطاق محدود ومنحصر في مجال معين مثل شبكات المحترفين وشبكات المصورين وشبكات الإعلاميين.

فالشبكات الاجتماعية إذن هي مو اقع على الانترنت يلتقي عبرها أشخاص أو جماعات أو منظمات تتقاطع اهتماماتهم عند نقطة معينة أو أكثر،سواء تعلق الأمر بالقيم أو الرؤى أو الأفكار أو التبادلات المالية أو الصداقة أو العلاقات

الحميمة أو القرابة أو الهوايـة أو البغض أو العداوة أو التجارة أو غيرها،(اللدعة، خزندار، 2011)، فهي إذن مجموعة من العلاقات تربط أفراد أوجماعات بروابط ثقافية أو اجتماعية أو تجارية، وغيرها.

بدأت ظاهرة المواقع الاجتماعية في عام 1997، وكان موقع « SixDegrees.com » أول هذه المواقع من خلال إتاحته الفرصة بوضع ملفاتشخصية للمستخدمين على الموقع، وكذلك إمكانية التعليق على الأخبارالموجودة على الموقع، وتبادل الرسائل مع باقي المشتركين، وإذا كان موقع « SixDegrees.com »هو رائد مواقع التواصل، فيما فتح موقع MySpace.com »« آفاقا واسعة لهذا النوع من المواقع، وقد حقق نجاحا هائل.1.ا منذ إنشائه عام 2003، بعد ذلك توالى ظهورموقع « FaceBook.com » الذي يمكِّن مستخدميه من تبادل المعلومات فيما بينهم و إتاحة الفرصة أمام الأصدقاء للوصول إلى ملفاتهم الشخصية (عوض، www.quo.edu).

4.1 ثقافة التسامح:

1.4.1 الثقافة : تعرف الثقافة لغة بأنها ضبط النفس، وسرعة التعلم والحذاقة، أما اصطلاحا فتعرف من ناحية العلماء العرب بأنها مجموعة من العادات التي يكتسبها الفرد من مجتمعه وتختلف ثقافة كل مجتمع عن الآخر أما تعريفها اصطلاحا من ناحية العلماء العرب فتعرف بأنها الكل المركب الذي يحتوي على الفنون والعقائد والأخلاق والمعارف والقوانين والعادات التي يورثها الأفراد مجتمعها (خليف، 2016).

2.4.1 ثقافة التسامح : كما عرفها أديب إسحاق فيري في ما يسميه التساهل وهو التسامح : رضي المرء برأيه إعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كائنا ما كان، رجوعا إلى معاملة الناس كما يريدون أن يعاملوه فهو على يقين

بصواب ما يراه لا يقطع بلزوم الخطأ في رأي سواه ورغبته في تطرق رأيه للأذهان ولا يمنع الناس من إظهار ما يعتقدون (علبي-2003-ص37).

3.4.1. مفهوم التسامح لغة واصطلاحا :

جاءت كلمة التسامح في لسان العرب لابن منظور في مادة (يسمح) وتعني السماح والسماحة: الجود وسَمُحَ وسَمَاحَةً: جاد، أي الجود والعطاء واللين ورجل سمح وامرأة سمحة والمسامحة تعني المساهلة، وسامحوا أي تساهلوا (إبن منظور-1988).

يعرف التسامح في اللغة أنه : التساهل : وهو سلوك شخص له القدرة على تحمل الرأي الآخر دون اعتراض والصبر على أشياء لا يحبها ولا يرغب في كونها تتناقص من منظومته الفكرية والأخلاقية ويقال تسامح في حقة أي احتمل انتقاصه، والسماح في الرأي هو الموافقة على إعلانه وإن كان معارضا، والسماحة في السياسة هو اللين، وهي بل مالا يجب تَفضلا والمسامحة: المساهلة وكثر السماح وترك ما يجب تنزها (عبد المنعم الحفني، 2000، ص123).

يعرف الجرجاني: السماحة : اصطلاحا على أن المراد بها هو بذل مالا يجب تفضلا أو ما ذكره إبن الأثير من أن المقصود بها "الجود عن كرم وسخاء" (الجرجاني ،1405 هـ، ص127).

وتُجمع قواميس اللغة والمعاجم الفلسفية والسياسية على أن التسامح هو "موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا، أي احترام الموقف المخالف سواء كان الغير مشاركا لنا في الملة أو غير مشارك" (محمد عابد الجابري،1997م، ص20).

وللتسامح في موسوعة "لالاند" الفلسفية معاني متعددة، وإن كانت في مجملها تدور حول رفض التعصب بأنواعه وعدم الانحياز لأي فكر أو معتقد أو مبدأ أو شخص، ومن ثم الامتناع عن ممارسة العنف ضد الآخرين لأنه لا يعني

عدم الاكتراث بما يفكر فيه، فعندما نقول لشخص ما أننا نتسامح فيما يفكر به، فهذا يبدو كأنه يعني: "إن ما يفكر به لا قيمة له، لكنني أو افق على إغماض عيني" (لالاند، تر خليل أحمد خليل، 2001، ص1463).

كما يشير التسامح أيضا إلى العفو، وهو عدم رد الأذى رغم امتلاك القدرة على ذلك، فالتسامح هنا هو: "احتمال الشخص لأذى يصيب حقوقه الدقيقة دون اعتراض بينما بإمكانه رد الأذى... وبأنه استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه... وبأنه احترام ودي لآراء الآخرين(المرجع السابق ص 1460).

تؤكد التعريفات السابقة على التسامح بوصفه فضيلة وقيمة أخلاقية قائمة على مجموعة من المبادئ أهمها الاهتمام بالجانب الإنساني والسعي إلى المساواة في المعاملة حتى مع من يختلفون معنا في الآراء والمعتقدات،و انعكاس هذه المبادئ في صورة سلوكيات اجتماعية، ومن ثم يمكن القول أن التسامح هي قيمة إنسانية تعنى في المقام الأول باتخاذ موقف إيجابي تجاه الآخرين يشمل الإقرار بحرية الاختلاف وحق الآخر في التمتع بحقوقه، كما يشمل التغاضي عم التعصب للرأي، والتخلص من الضغائن والأحقاد من أجل التعايش في سلام ووئام سواء على مستوى الأفراد أو الدول (بنين حامد جبار، ص61).

2. مجالات الحوار عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

تؤدي ثقافة الحوار الموضوعي إلى التمازج الثقافي والانفتاح على المفاهيم والمصطلحات والمعارف والعلوم والنظريات، ما يحقق التكامل والارتقاء لخدمة الإنسان، لهذا وجب الاهتمام بهذا الجانب وتربيته بين الأجيال عالميًا، وفي مختلف الميادين، وتعتبر مو اقع التواصل الاجتماعي حقلًا خِصبًا وأداةً مناسبً لذلك.

1.2. الحوار المجتمعي:

يُعرِفه " لويز ميزيو" أنّه مجموعة من الأبعاد المترابطة التي يُفسَّر من خلالها نطاق الحياة بالمجتمع بين أفراد الحوار، اعتمادًا على منهجية تُوضِح العلاقة بين مؤسسات الدولة و أفرادها (Mussio , 2004, p 316).

وأشار "بيدرسون" إلى أن الحوار الاجتماعي هو دعوة إلى الشراكة بين الأفراد والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة، ويتضمن التدريب، التثقيف الروحي، والاجتماعي، والسياسي، والدفاع عن حقوق الإنسان (Pedirson, 1996, p 687).

إذًا الحوار المجتمعي هو مناخُ مهيَّئٌ وملائمٌ لالتقاء الأفراد والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة لمناقشة مختلف القضايا التي تهم المجتمع.

تكمن أهمية الحوار المجتمعي في اعتباره قناة من قنوات المشاركة، تسمح للأفراد والوحدات الاجتماعية الأخرى، على سبيل المثال المجتمع المدني بإيصال صوت المجتمع إلى المؤسسات الرسمية وله دور وظيفي فعال في ترشيد القرارات التي تعكس الاتفاق بين الأطراف المختلفة المكونة للمجتمع الواحد.

وتبرز الحاجة الملحة للحوار المجتمعي وقت الأزمات المجتمعية، ومشاكل الدولة بحيث يقوم هذا الأخير بدراسة الأوضاع من أجل الوصول إلى إيجاد الحلول قبل مرحلة العصيان المدني للدولة أو الثورات الداخلية، والدعوة إلى الأمن والاستقرار.

ويبرز الاستخدام الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي في استغلالها لخلق حوارات بين أبناء الثقافة الواحدة، من مؤسسات رسمية، وجمعيات المجتمع المدني، والأفراد، وأن ينفتح كل طرفٍ على الآخر من أجل دعم حس المواطنة القائمة على ثنائية الحقوق والواجبات، وقيم العدل والمساواة، ما ينتج عنه ثقافة مشتركة قوامها الحوار الفعال، تسوده روح التسامح، وهي ثقافة تؤدي إلى

تكوين مجتمع متماسك بقيمه، يستطيع الحوار مع ثقافة الآخر دون أن ينصهر فيها، والتفاعل والانتفاع منها. (أمينة حلال، وهيبة دالع، 2022، ص 371).

2.2. الحوار الثقافي:

يحدد الكتاب الأبيض حول الحوار بين الثقافات لمجلس أوروبا مفهوم الحوار بين الثقافات باعتباره "عملية مفتوحة، ومحترمة لتبادل وجهات النظر، مبنية على أساس التفاهم المتبادل بين الأفراد ذو أصول وتراث عرقي، ثقافي، ديني، ولغوي مختلف" (Isesco, 2012, p 08).

يعني هذا باختصار أن الحوار الثقافي هو عملية تبادل وجهات النظر المتنوعة ومتعددة الأوجه، والتي تتعدى المقاربة العامة التي تم تبنيها منذ فترةٍ طويلة في إدارة التنوع الثقافي، وذلك بهدف رئيس هو تحقيق الاندماج في المجتمع، أو في سياق آخر خضوع ثقافة الأقلية لثقافة الأغلبية.

ولقد قامت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ببذل مجموعة من الجهود الرامية لربط الحوار بين الثقافات لمواجهة الصورة السلبية، التي أصبح يُعرف بها العالم الإسلامي خاصةً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، والتِي تكرَّست باعتماد الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر سنة 2004، والذي جاءت مخرجاته تؤكد على" ضرورة الحوار بين الشعوب والثقافات، التي تكرِس نفسها لتحقيق أسمى أهداف البشرية. ولكن في عالم متغير باستمرار، لا يمكن أن يكون هناك حوارٌ مثمرٌ أو حوارٌ حقيقيٌ بين الثقافات والحضارات دون اعتراف رسمي لمبدأ التنوع الثقافي" (Isesco, 2012, p 10).

وتؤكد منظمة "الايسيسكو" والأمم المتحدة على ضرورة تعزيز نماذج تعليمية قائمة على الحوار واحترام التنوع الثقافي، وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أفضل المساحات المشتركة لبناء الأفكار ومشاركة الأفراد في هذه

العملية، لذا فهي من أبرز الأدوات المستخدمة لهيكلة الخطاب الثقافي للشعوب وتعريف الآخر به. (أمينة حلال، وهيبة دالع، مرجع سبق ذكره، ص 372).

3. مساهمة شبكات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة الحوار والتسامح:

أصبح لشبكات التواصل الاجتماعي قدرة كبيرة على استقطاب جميع شرائح المجتمع، حيث أضحت تنافس المؤسسات الإعلامية والاجتماعية الأخرى خاصة التأثير على الأفراد وهذا ناتج عن التعرض الطويل والمستمر للرسائل الإعلامية ذات الصبغة الفكرية ن والتي أضحى لها دور كبير في عملية التشكيل المعرفي للأفراد وتغيير المواقف والاتجاهات، وأصبحت ذات تأثير مباشر على توجيه الرأي العام، وتكوين ثقافة المجتمع فاق دور الأسرة والمدرسة، ويتجلى ذلك من خلال العناصر التالية:

1- تمتين العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

2- المساهمة في الحد من الصراعات.

3- الوعي لدى الشباب بأهمية الحوار لحل الخلافات.

ومن خلال العرض السابق تتجلى أهمية ومكانة شبكات التواصل الاجتماعي كأدوات فاعلة في تحقيق المعاني الواقعية والأبعاد الحقيقية لثقافة الحوار والتسامح في مختلف المجالات.

4. أهم الطرق الفعالة في نشر ثقافة الحوار والتسامح عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

تتيح شبكات التواصل الاجتماعي مجالا واسعا للطاقات المتوفرة لدى الفرد من إبداع معرفي، والاستعانة بمؤسسات المجتمع التي يمكنها القيام بدور فعال في إكساب عادات وتغيير اتجاهات وسلوكيات صحيحة لمستخدمي البيئة

الرقمية في نشر ثقافة الحوار والتسامح بين أفراد المجتمع سواءً على المستويات المحلية، الإقليمي، والدولية.

1- التوظيف الفعال لمؤسسات التنشئة الاجتماعية في مجال الاتصال الرقمي:

تعتبر الأسرة والمؤسسات المجتمعية الأخرى عنصرًا فعالًا ومحدِّدًا أساسيًا في البيئة الرقمية، لدورها التوعوي في المجتمع، خاصةً في ما يتعلق بطرق التوظيف الإيجابي لشبكات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة الحوار والتسامح، وتعتبر الأسرة المؤسسة التربوية الأولى التي تتحمل مسؤولياتها تجاه هذا الموضوع بدءًا بتبني هذا الأسلوب بين أفراد الأسرة حول أهمية استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، الوقت المخصص لاستخدامها، والأهم كيفية الاستفادة من هذه البيئة لغرس قيم التسامح والاعتدال والتعايش وكل ما يعمل على نشر هذه الثقافة.

هذا إلى جانب الدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية والتعليمية، حيث تشير إحدى الدراسات أن الفيسبوك يتم استغلاله بشكل كبير في تنمية الوعي لدى الطُلاب والتلاميذ بأهمية الحوار في طرح القضايا والمشاكل يوميًا، وهذا ما يتطلب تفعيل الدور التربوي للمؤسسات التعليمية المختلفة بالتطرق إلى ماهية شبكات التواصل الاجتماعي واستغلالها كفضاء للحوار والتسامح بين مختلف الأطراف، وتنظيم ملتقيات وندوات تُبين الضوابط التي تجعل هذه الثقافة فعالة عبر وسائل التواصل الاجتماعي (ألفيت، 2015، ص 05).

كما يجب للطبقة المثقفة بالمجتمع أن تلعب دورًا في نشر ثقافة التسامح والحوار عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لامتلاكها المستوى التعليمي والمكانة الاجتماعية التي تؤهلها لذلك، فمنشوراتها على شبكات التواصل الاجتماعي تلقى قبولا وتداولا من قبل المستخدمين، ما يُظهر قدرة التأثير لهذه الطبقة في المجتمع،

دون أن ننسى دور منظمات المجتمع المدني في الترويج لثقافة التسامح والحوار عبر نشاطها على هذه الشبكات.

إن ثقافة التسامح والحوار لها أهمية كبيرة لتسوية سلوكياتنا، وبغيابها يسود خطاب الكراهية وثقافة التسلط والعنف وربما حتى القمع، وهذا الأخير يُولِّد الإحساس بانعدام الثقة واختلال التوازن، والشلل الذهني، وفقدان القدرة على التفكير والتحليل والتحاور، والخطورة تزداد إذا ما انتشرت هذه الثقافة الموازية لثقافة التسامح والحوار إلى لغة الشباب و انتقالها إلى طريقة تفكيرهم وحديثهم، ما يؤدي إلى انتشار العنف الاجتماعي ولذلك وجب على المجتمع تحمل مسؤوليته في نشر ثقافة الحوار والتسامح كبديل للعنف والكراهية والصراع.

2- تنمية المسؤولية الاجتماعية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي:

تنمية المسؤولية الاجتماعية هي تدريب الأفراد ةتةجيهم وإرشادهم للمهمات الموكلة إليهم وأداء واجباتهم، من خلال فهمهم لظروفهم وظروف مجتمعهم، وإدراكهم الواعي، ومشاركتهم في مختلف القضايا الاجتماعية باستخدام كل السبل المتاحة بما فيها تكنولوجيات الاتصال الحديثة ومو اقع التواصل الاجتماعي (https:// bit.ly/2Nj1jwL).

ولذا فإنه من الضروري تنمية قدرات الأفراد وبث رةح المسؤولية الاجتماعية لديهم عند استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي من خلال الأنشطة والدورات التكوينية التي توفرها مؤسسات التنسئة الاجتماعية بهدف تنمية الإحساس بأهمية المشاركة الاجتماعية في بناء ثقافة السلم والتسامح والحوار، فتنمية الوعي لدى مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بضرورة الحوار كمنهج سليم لتجاوز الخلافات ونبذ التطرف أو التعصب هو مسؤولية عامة تحتم على جميع الفاعلين داخل المجتمع الإنتباه إليها كضرورة تتطلبها

المصلحة العامة للمجتمع، بما يُعزز الأمن والسلم مع التنبيه لضرورة التقصي والبحث قبل الترويج ونشر أي رسالة تدعو للعنف والكراهية، أي نشر أي صورة أو فيديو مفبرك من قبل مستخدمي هذه الشبكات.

3- الإدارة الرشيدة لوسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع وتوجيهها لنشر ثقافة الحوار والتسامح:

وجب على الحكومات تحمل المسؤولية الكاملة من خلال فرض الرقابة على كل ما يدعو إلى نشر العنف والتّطرُف وخطاب الكراهية المتداول عبر الشبكات الرقمية ونشر ثقافة التسامح والحوار باتخاذ مجموعة من الإجراءات أهمها:

1- غلق جميع الصفحات الالكترونية االتي تروج لأفكار العنف، والتعصب، والإرهاب، وفي المقابل السماح للحسابات الإلكترونية وصفحات الدردشة عبر شبكات التواصل الاجتماعي التي يتم فيها نشر أفكار تدعو للحوار والتسامح والاعتراف بالآخر ونقل صورة إيجابية عن الدين والثقافة التي تختلف عنه، واحترام خصوصيته، ونشر قيم التسامح والأخوة والاعتدال، عبر المنشورات عللا الفيسبوك، الو اتساب، الانستغرام وغيرها.

2- إرسال منشورات عبر مو اقع التواصل الاجتماعي تنقل اهمية الحوار في حل الصراعات والنزاعات، وعرض نماذج لأزمات وخلافات تم تسويتها وحلها عن طريق الحوار، وقد تكون هذه المنشورات ضمن موقع الكتروني أو صفحة عبر الويب متخصصة في موضوع الحوار يديرها خبراء، فالكثير من المتابعين خاصة عبر اليوتيوب يقرؤون ويتابعون التعليقات الملحقة بالتسجيلات المرئية أو السمعية المحملة على مختلف هذه الشبكات، والتي تكون ساحة للحوار والنقاش الفعال إذا تم إدارتها بكل وعيٍ ومسؤولية.

3- العمل على تجاوز العقبات التي تغلق باب الحوار وتفتح باب التعصب والتحيز لوجهة نظر واحدة بتوظيف وسائل الاتصال الحديثة كشبكات التواصل الاجتماعي خاصة بعد تراجع تأثير وسائل الإعلام والاتصال التقليدية، وتبني لغة التسامح والحوار مع الآخرين.

الخاتمة:

تُشكِّل منصات التواصل الاجتماعي أدوات فعّالة في تحقيق التقارب الثقافي والتكامل القيمي بين مختلف الشعوب، ولا يتجسَّد هذا الدَّور إلا من خلال التّوظيف الأنسب والاستخدام الأمثل لمختلف تطبيقاتها في بناء فعل اتصالي متزن يقوم على ثقافة الحوار ويتفادى الخطابات العشوائية التي تؤدي إلى نشر الكراهية والعنف والتنمر، ويتجاوز الصراعات والنزاعات التي تتأسّس على الانتقام، بل يجعل من الصفح والتسامح نقطة ارتكاز قيمي وأخلاقي وثقافي في مختلف محطات ومراحل العملية الاتصالية.

قائمة المراجع:

1- سعد علي البشير، حرية الرأي والتعبير "الضمانات والمسؤوليات"، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 8، جامعة بغداد، مارس 2010.

2- محمود ابراقن، المبرق، فاموس الإعلام والاتصال، ط8، الجزائر، 2007.

3- أجمد زكي بدوي، معجم مصطلحات الإعلام، دار الكتاب، بيروت، 1985.

4- الجمعية العامة لحقوق الإنسان، حقوق الإنسان " المبادئ العالمية"، الدار المغربية الدولية.

5- وهيبة الزحيلي، حق الحرية في العالم، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000.

6- يحي محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط2، دار المعالي، عمان، 2001.

7- أحمد الضوبان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، دار الوطن، عمان، 1993.

8- الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، 2005.

9- حسني عوض، أثر مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية المسؤولية المجتمعية لدى الشباب، برنامج التنمية الاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة،2010.

10- حميد شهيد جفات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة التسامح من وجهة نظر الصحفيين العراقيين، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط، 2019.

11- ابن منظور، لسان العرب، ج9، ط1، دار إحياءالتراث العربي، بيروت، 1988.

12- الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم البياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

13- محمد عابد الجابري، فضايا الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

14- أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تحليل أحمد خليل، المجلد الثالث، بيروتن 2001.

15- أمينة حلال، وهيبة دالع، شبكات التواصل الاجتماعي فضاء جديد لنشر ثقافة الحوار، مجلة دفاتر السياسة والقانون، مجلد 14، عدد 3، 2022.

16-الفليت، خلود عطية، آليات نشر ثقافة الحوار والرأي الآخر، مؤتمرثقافة الحوار ضرورة وطنية، جامعة فلسطين، مارس 2015.

17- ISESCO, les rôles culturels de la société civile dans la promotion du dialogue et de la paix, rabat, 2012.

18- Mussio, Louise, communities A part dissenting, nineteenth century, McMaster University, abs, Vol 63, 2004.

19- http//bitly/2ng8suo.

20- https:// bit.ly/3db.mo35.

خطابات الكراهية الرقمية وتأثيرها على النسيج الاجتماعي

- دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي مو اقع التواصل الاجتماعي –

فهيمة قابوش

- رقم الهاتف: 06.76.16.7474
- البريد الإلكتروني:kabouchezineb@yahoo.com
- أستاذة محاضرة -ب-/ جامعة أم البواقي.

برش بشرى

- البريد الإلكتروني:bouchra.journaliste@yahoo.com
- أستاذة محاضرة -ب-/ جامعة سطيف02.

ملخص الدراسة:

يشكل مجموع تمازج أنساق العلاقات الاجتماعية المتمخضة عن حلقة التداخل والترابط الثقافي والاجتماعي لأي فرد في المجتمع نسيجا اجتماعيا محددا لسبل التفاعل بين الأفراد والمجموعات ويتأثر بتأثر العوامل المختلفة التي تطرأ على المجتمع في الجانب الديني والسياسي والثقافي والتكنولوجي، هذا الأخير الذي كانت بصمة التغيير فيه على المجتمع واضحة خاصة من خلال منصات التواصل الاجتماعي وما يتضمنه الفضاء الرقمي بمختلف أشكاله، فقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي عاملا مهما ومؤثرا واضحا في النسيج الاجتماعي من خلال مضامينها المختلفة بين الإيجاب والسلب، وتعد مضامين خطابات الكراهية في هذا الفضاء الرقمي مهددا للعلاقات الاجتماعية في ظل تباين توجهات هذه المضامين وتتعدد أهدافها واختلاف أسبابها.

وعليه جاءت هذه الدراسة لتبحث في التأثيرات التي تخلفها خطابات الكراهية الرقمية على النسيج الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: خطاب الكراهية، خطاب الكراهية الرقمية، النسيج الاجتماعي.

Abstract:

The sum of the blending of the systems of social relations resulting from the cycle of overlapping and cultural and social interdependence for any individual in society constitutes a specific social fabric for the means of interaction between individuals and groups and is affected by the influence of the various factors that occur in society in the religious, political, cultural and technological aspects, the latter in which the imprint of change on society was clear Especially through social media platforms and what is included in the digital space in its various forms. Social networking sites have become an important and clear factor in the social fabric through their various positive and negative contents. Its objectives are many and their reasons are different. Accordingly, this study came to examine the effects of digital hate speech on the social fabric.

Keywords: *hate speech, digital hate speech, social fabric*

مقدمـــــــة

إن الثورة الرقمية وما أحدثته من تحول تكنولوجي واضح في مختلف الميادين وتحديدا الإعلامي الاتصالي منها، قد أبرز تحولا واضحا في هذا الميدان من خلال اندماج وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات فاتسع حيز الاستخدام من خلال الوصول إلى جماهير عديدة ومختلفة وكذا عبر سبل عدة للتفاعل، وتعد مواقع التواصل الاجتماعي أحد نتائج هذا التحول والاندماج التكنولوجي الإعلامي الاتصالي، الذي يتمتع بسهولة في الاستخدام وسرعة في الانتشار ووصول أكبر للجماهير في ظل استغلال الميزة الافتراضية –أو الميزة الحالية عضو مجهول- هذا التحول جعل من الفرد -المستخدم- يتمتع بحرية أكبر في إبداء رأيه والتعبير عن توجهاته بمختلف الأشكال دون الحاجة إلى أن يكونوا تابعين إلى مؤسسات حكومية أو غيرها، لكن هذه المميزات جعلت بعض مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي يعتبرونها بوابة مهددة لأمن المجتمعات من خلال عدة سبل لعل أخطرها هو نشر وبث خطابات الكراهية، التي تشجع على العنف وتحرض عليه بمختلف أشكاله نحو الأفراد أو المجتمعات بسبب الانتماء الديني أو العرق أو العادات والتقاليد واللغة...إلخ، بطريقة علنية أو ضمنية بغية تحقيق أهداف مختلفة، وهي تتأثر بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات.. وانطلاقا من هذا التوجه جاءت هذه الدراسة لتحاول الإجابة على الإشكال الآتي:

ما هي تأثيرات خطابات الكراهية الرقمية على النسيج الاجتماعي؟

ولمحاولة الإجابة على هذا الإشكال فقد تمت تجزئته إلى التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما المقصود بكل من النسيج الاجتماعي؟ خطاب الكراهية الرقمي؟
- ما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر خطابات الكراهية؟
- ما هي دوافع نشر خطابات الكراهية عبر الفضاء الرقمي من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة؟

- ما هي أنماط خطابات الكراهية في الفضاء الرقمي من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة؟
- ما تأثير خطابات الكراهية الرقمية على نظام النسيج الاجتماعي؟
- فيما تتمثل أهم الحلول التي يمكن تسطيرها للتقليل من خطابات الكراهية الرقمية المهددة للنسيج الاجتماعي؟

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

جاءت هذه الدراسة نتيجة عدة أسباب بين الذاتية والموضوعية نختصرها في :

- أهمية الموضوع كونه يشكل خطورة المنظومة الاجتماعية وكذا الدينية والثقافية والسياسية والأمنية
- الميول الشخصي لمواضيع الإعلام الجيد والفضاء الرقمي بصفة خاصة ومواقع التواصل الاجتماعي بصفة خاصة
- أننا من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة والتي لاحظنا فيها الانتشار الملفت لمضامين خطاب الكراهية
- أن موضوع الدراسة يجمع بين الجانب الإعلامي الاتصالي والجانب الاجتماعي.
- أهمية النسيج الاجتماعي الذي يمثل تكاملا للعلاقات الاجتماعية بمختلف وحداتها ونظمها

أهداف موضوع الدراسة:

في إطار الإشكال الذي تم عرضه فقد جاءت هذه الدراسة ساعية لتحقيق جملة الأهداف الآتية:

- تحديد مفهوم كل من النسيج الاجتماعي، خطاب الكراهية، خطاب الكراهية الرقمي
- التعرف على دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر خطابات الكراهية

- التعرف على دوافع نشر خطابات الكراهية عبر الفضاء الرقمي من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة
- الكشف عن أنماط خطابات الكراهية في الفضاء الرقمي من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة
- البحث في تأثير خطابات الكراهية الرقمية على نظام النسيج الاجتماعي
- استنتاج أهم الحلول التي يمكن تسطيرها للتقليل من خطابات الكراهية الرقمية المهددة للنسيج الاجتماعي

مفاهيم الدراسة:

- **النسيج الاجتماعي:** "هو البناء الاجتماعي في مكوناته الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وهو الإطار الذي تتكامل فيه وتتآزر العلاقات الاجتماعية بين الوحدات والنظم الاجتماعية المختلفة التي تعكس النسق الاجتماعي العام (المسماري 2020،ص.164).

- **خطاب الكراهية:** "هو تعبير عن العداء تجاه الأفراد أو المجموعات الاجتماعية القائمة على عضويتهم الجماعية المتصورة، والتي يمكن أن تشير إلى عرقهم وجنسيتهم ودينهم، الإعاقة أو الجنس أو التوجه الجنسي...إلخ.(عمراوي، مقعاش، 2022، ص.378)

- **خطاب الكراهية الرقمي:** نقصد بخطاب الكراهية الرقمي في هذه الدراسة مختلف أنماط وأشكال التعبير العام عن التمييز بناء على الدين أو الأصل العرقي ..إلخ،و كل ما يحض على الكراهية والعنف التي تنشر عبر الفضاء الرقمي وتحديدا عبر مواقع التواصل الاجتماعي للضرر بشخص أو مجموعة أشخاص.

أهمية موضوع الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية الموضوع الذي يبحث في جانب أمن المجتمعات حيث يشكل الأمن في عمومه "شعور الإنسان في الوسط الذي يعيش فيه

بعدم الخوف من التعرض للأذى الحسي،وبالعدالة الاجتماعية والاقتصادية التي من مظاهرها على سبيل المثال الحصول على فرص متكافئة للنمو والتطور، وتوفر الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم،(مناع 2001،ص.159)، ولأن أمن المجتمعات تحديدا يعد محور الاستقرار فإنه من الواجب الحرص على تحقيقه والحفاظ عليه في ظل عديد التهديدات التي تواجهه، خاصة مع التطورات التكنولوجية والبيئة الرقمية التي أصبح التهديد فيها واضحا من خلال خطابات الكراهية بمختلف أشكالها وأنماطها وأسبابها..إلخ، لذلك امتدت أهمية هذه الدراسة إلى الخطورة التي يتعرض لها النسيج الاجتماعي تحديدا بسبب هذه الخطابات عبر الفضاء الرقمي.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر خطابات الكراهية

إن تأثير خطابات الكراهية والعنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي ليس محصورا في جانب محدد ولا محدودا على نطاق جغرافي معين،إذ جعلت منه هذه المواقع أكثر امتداد وأكثر انتشار واتساع، فبالرغم من أن هذه المواقع كان لها دور فاعل في التفاعل مع الآخرين والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم،إلا أن التأثير السلبي بدأ يتجلى دوره من خلالها خاصة من خلال نشر الثقافات المنحرفة وخطابات الكراهية والطائفية والنزعية،...إلخ.

وقد شهدت السنوات الأخيرة انتشارا مخيفا لأفكار وسلوكيات متطرفة وعدائية مست الوحدة والسلم والأمن الوطني لمختلف المجتمعات والدول، وأكدت بعض الدراسات على دور مؤسسات المجتمع المدني في العمل على مواجهة خطاب الكراهية والحد من انتشاره، وطالبت من بمختلف المؤسسات الإعلامية ضرورة تبني مبادرات هدفها الحد من انتشار مثل هذه المضامين والتوعية بخطورتها، وكذا التوعية بالاستخدام الايجابي لمواقع التواصل الاجتماعي كونها تعد مثل أي وسيلة أخرى قد يرتكب من خلال المواطن جريمة معينة، ولكن لا يمكن في المقابل التغاضي عن جوانبها الايجابية التي من بينها:

- إيصال صوت الفقراء والمهمشين
- الكتابة عن التظلمات عبر هذه المواقع أسرع من اللجوء للقضاء –على حد تفكير ووجهة نظر البعض-
- سهولة نشر الحقائق على هذه المواقع وتعادلها مع سهولة نشر الأخبار الكاذبة والإشاعات.
- تساوي الاستخدام في هذه المواقع من قبل كل الفئات(**سعداوي، 2023،ص.45).**

منهج وعينة الدراسة:

يعتبر المنهج خطوة رئيسية في ترتيب و تنظيم أفكار الباحث للوصول إلى نتائج منطقية فهو " الطريق المؤدي إلى المعرفة العلمية الصحيحة (محي الدين1999، ص.7) ، وهذا من خلال" استخدام مجموعة من القواعد التي ترتبط أساسا بتجميع البيانات و تحليلها ، حتى تساهم في التوصل إلى نتائج ملموسة (محمد الهادي1995،ص.287)، ونظرا لأن دراستنا جاءت لتبحث في التأثيرات التي تخلفها خطابات الكراهية الرقمية على النسيج الاجتماعي فإننا سنحاول وصف وتحليل طبيعة هذه الخطابات وما تحمله مضامينها من أهداف وأسباب..إلخ، من خلال الاستناد إلى المنهج الوصفي التحليلي **حيث سيمكننا الوصف** من "جمع أوصاف دقيقة وعلمية للظاهرة المدروسة ووصف الوضع الراهن وتفسيره" (عبد الحافظ، باهي 2000،ص.83) وللوصول إلى تحقيق الأهداف المطلوبة سنستند إلى التحليل للكشف عن العلاقات الموجودة بين الظواهر والتي يمكن عن طريقها التنبؤ بالظواهر (مصطفى القاضي 1979،ص.107) ومن خلال هذا المنهج يمكننا التنبؤ بمستقبل واقع النسيج الاجتماعي في ظل انتشار خطابات الكراهية الرقمية، ولأن مجتمع الدراسة جد واسع فقد استخدمنا الأسلوب المسحي الذي يعتبر أحد الأشكال الخاصة بجمع حالة الأفراد وسلوكهم وإدراكهم ومشاعرهم واتجاهاتهم فإنه

يعتبر الشكل أيضا الشكل الرئيسي والمعياري لجمع المعلومات عند اتساع مجتمع الدراسة (بن مرسلي 2010، ص.197)، أما بالنسبة لعينة الدراسة فقد استخدمنا العينة العمدية التي من خلالها يتم " اختيار مفردات العينة بطريقة عمدية ، طبقا لما يراه الباحث مناسبا من سمات أو خصائص تتوفر في المفردات بما يخدم أهداف البحث" (عبد الحميد 1993،ص.141) واختيارنا للعينة جاء في توافق مع واقع مجتمع الدراسة التي تنتمي مفرداتها إلى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

أدوات جمع البيانات

- **أداة استمارة الاستبيان:** تم الاستناد إلى استمارة دراسة الجمهور كأداة أساسية لجمع البيانات من خلال "تصميم مجموعة من الأسئلة تنطوي تحت محاور تحاول الوصول إلى إجابات لتحقيق أهداف الدراسة" (عاروري 2013، ص.21)، وقد تم الاعتماد على هذه الأداة نظرا لتمتعها بعدة خصائص منها "قلة التكاليف، وقلة الجهد مع إمكانية الصول إلى أكبر عدد من الجمهور
- **أداة الملاحظة:** بما أننا ننتمي إلى مجتمع الدراسة من خلال استخدامنا لمواقع التواصل الاجتماعي فقد استخدمنا أداة الملاحظة في نوعها البسيط الذي يهدف إلى جمع وتصنيف وتحليل الحقائق والمعلومات التي يجمعها الباحث في الحقل الاجتماعي بعد ملاحظته وفحصه لمختلف الجوانب المحيطة به (خورشيد2014، ص. 146)
-

تفريغ وتحليل بيانات الدراسة

المحور الأول: صفات مفردات عينة الدراسة

جـدول رقـم 2/1 يبـين متغير الجـنس والسـن والحالـة والاجتماعيـة والمسـتوى المعيشي

المقترحات		التكرارات	النسب %
الجنس	إناث	18	45
	ذكور	22	55
المجموع		40	100
السن	[20]	09	22.5
	[21- 30]	12	30
	[31- 35]	08	20
	[36-40]	06	15
	[41]	05	12.5
المجموع		40	100

- بـين جـدول متغير الجـنس أن أغلبيـة مفـردات العينـة هـم مـن جـنس الـذكور بنسبة55%، ونسبة الإناث قدرت بـ45%.
- وضح جـدول متغير السـن أن أغلبيـة مفـردات العينـة هـم بـين سـن [21سـنة ،30سنة] بنسبة 30%، ثم فئة]20سنة[

بنسـبة 22.5% ثـم فئـة [31 سـنة - 35سـنة] بنسـبة 20% وانخفضـت النسـبة عنـد الفئـة العمريـة [36-40]إذ قـدرت بـ 15%، أمـا اقـل نسـبة فعـادت لفئـة [41سـنة[بـ12.5%.

المحور الثاني: عادات و أنماط تعرض مفردات عينة الدراسة لخطابات الكراهية الرقمية من خلال منصات التواصل الاجتماعي

جدول رقم 03 يبين مدى تعرض مفردات عينة الدراسة لمنشورات خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي

المقترحات	التكرارات	النسب %
دائما	29	72.5
أحيانا	08	20
نادرا	02	05
أبدا	01	02.5
المجموع	**40**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول أن ما نسبته 72.5% من مفردات عينة الدراسة أجابت بأنها دائما ما تتعرض لمنشورات خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي، بينما تتعرض لها نسبه 20% في بعض الأحيان، ونسبة 05% في نادر الأحيان، بينما نفت نسبة02.5% هذا التعرض.

تدل النسبة المرتفعة عند دوام تعرض مفردات عينة الدراسة لمنشورات الخطابات والكراهية الرقمية على الوضوح في الانتشار الواسع لمثل هذه الخطابات التي اتسعت لتشمل كل فئات المجتمع وتمتد لجميع المجالات خاصة المجال الديني والسياسي (كما بينته نتائج الجدول 06)، وتعد حرية التعبير عبر الفضاء الرقمي الأكثر تشجيعا على ذلك، إذ لا يكاد أن يغيب تفح هذا الفضاء الالكتروني دون أن تتم مصادفة مثل هذه المضامين وهو ما أكدته اقل نسبة في الجدول.

جدول رقم 04 يبين مو اقع التواصل الاجتماعي الأكثر نشرا لمضامين خطابات الكراهية من وجهة نظر عينة الدراسة

المقترحات	التكرارات	النسب%
الفايسبوك	38	50
التيك توك	17	22.36
الانستغرام	12	15.78
اليوتيوب	04	5.26
تويتر	02	2.63
لينكد إن	00	00
سناب شات	03	3.94
أخرى تذكر	00	00
المجموع	**76**	**100**

أشار الجدول إلى أن تطبيق الفايسبوك مثل أكبر نسبة تم من خلالها نشر خطابات الكراهية بنسبة50% يليه تطبيق التيك توك بنسبة 22.36%، ثم الانستغرام بنسبة 15.78%، ثم تطبيق اليوتيوب بنسبة 5.26%، أما السنا بشات فبنسبة 3.94% وتطبيق تويتر بنسبة 2.63% وانعدمت النسبة عند كل من تطبيق ليكند إن ومقترح أخرى تذكر

إن المميزات التي يتمتع بها موقع الفايسبوك جعلت منه محط جذب لأكبر عدد من المستخدمين ما تم استغلاله في المقابل لجعله منصة افتراضية تنشر وتشجع على خطابات الكراهية بمختلف أشكالها مقارنة مع موقع اليوتيوب المتميز بمقاطع الفيديو التي تتيح لمستخدمه مميزات عدة كتحميل الفيديوهات أو تسجيل فيديوهات مرئية ومشاركتها مع بقية المستخدمين (شمسي باشا 2020، ص.28)، وأيضا موقع تويتر الذي لاحظنا انخفاض النسبة عنده اذ تأخذ المميزات التي يتم عبها

كل تطبيق جانبا من طبيعة الاستغلال في نشر هذه المقطع ولعل المميزات التي يتمتع بها هذا التطبيق الذي يقدم خدمة تدوين مصغرة والتي تسمح لمستخدميه بإرسال تحديثات برسالة قصيرة لا يتجاوز فيها عدد الحروف 140 حرفا، أو عن طريق رسائل نصية قصيرة أو برنامج المحادثات الآني..إلخ (صاحب السلطان د.س، ص.90) والذي ينتمي إلى نمط وتقسيم شبكات المميزات الإضافية التي تتيح فرصة أمام أعضائها في توفير مزايا إضافية كالتدوين المصغر جعله بعيدا مقارنة مع الفايسبوك في استغلاله حول هذه المضامين.

الجدول رقم يمثل طبيعة منشورات خطابات الكراهية التي تصادفها مفردات عينة الدراسة على منصات التواصل الاجتماعي

المقترحات	التكرارات	النسب %
نص	04	06.34
نص وصورة	18	28.57
فيديو	21	33.33
فيديو ونص	11	17.46
صورة	09	14.28
المجموع	**63**	**100**

بين الجدول أن الفيديو يمثل أهم شكل من أشكال منشورات خطابات الكراهية التي تصادفها مفردات عينة الدراسة بنسبة 33.33%، تليه نسبة 28.57% لشكل النص المرفق بصورة، ثم ما نسبته 17.46% للفيديو مع النص، وحقق شكل الصورة نسبة 14.28%، في حين انخفضت النسبة عند شكل النص بنسبة 06.34%.

إن المميزات التي تتمتع بها مقاطع الفيديو تجعل من الخبر مهما كان مضمونه أكثر تأثير في المستخدم واقرب منه إلى الحقيقة خاصة مع إمكانية التعديل والحذف

والإضافة (تحريف المضمون للتأثير) جعل منه أكثر الأشكال التي يتم اتخاذها في الحث والنشر على خطابات الكراهية، إذ أن المضامين التي تركز على النصوص تكون اقل تأثيرا وهو ما أكدته أقل نسبة.

جدول رقم 07 يبين أهم أشكال خطابات الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي

المقترحات	التكرارات	النسب%
الحقد والدعوة للعنف	05	12.5
التمييز والعنصرية	18	45
القذف والشتم	12	30
التحريض (الثأر،..الخ)	05	12.5
المجموع	**40**	**100**

وضح الجدول أن التمييز والعنصرية يعد أهم شكل من أشكال خطابات الكراهية على منصات التواصل الاجتماعي بنسبة 45% يليه شكل القذف والشتم بنسبة 30% في حين عادت نسبة 12.5% لكل من الحقد والدعوة للعنف وكذا التحريض. إن من أهم أشكال تهديد امن المجتمعات هو التركيز على التمييز والعنصرية سواء بسبب تضارب الانتماءات الدينية أو بسبب اللون أو العرق أو التوجهات السياسية والاقتصادية والثقافية..إلخ، ويعود ذلك لأسباب عدة ربما أهمها هي غياب المساواة والفوارق الطبقية والاضطهاد ...إلخ وهو ما يمكن تبريره بارتفاع النسبة عند هذا المقترح، هذا الشكل من خطابات الكراهية يولد الحقد ويشجع في المقابل على شكل آخر لخطاب الكراهية وهو التحريض والدعوة إلى العنف وهو ما يبرر اقل نسبتين.

جدول رقم يبين 09 طريقة تفاعل مفردات عينة الدراسة مع منشورات الخطاب والكراهية (امكانية اختيار أكثر من إجابة)

المقترحات		التكرارات	النسب %
تفاعل من خلال	استخدام أيقونات التفاعل	31	36.90
	المشاركة	18	21.42
	التعليق بإبداء رأي	29	34.52
	التعليق للمتابعة فقط	03	03.57
دون تفاعل		03	03.57
المجموع		**84**	**100**

بين الجدول بأن ما مجموعه 96.42% من إجابات مفردات العينة صرحت بأنها تتفاعل مع منشورات خطابات الكراهية إذ توزعت هذه النسبة على مقترح استخدام أيقونات التفاعل (إعجاب،غضب،حزن..إلخ) بنسبة 36.90% ونسبة 34.52 % عبر التعليق بإبداء الرأي، بينما حققت المشاركة نسبة 21.42%، لتنخفض النسبة عند وضع تعليق للاكتفاء بالمتابعة بنسبة 03.57%، وهي ذات النسبة التي حققتها الفئة التي تفضل عدم إبداء أي ميزة وشكل للتفاعل. إن التعبير بأي شكل من الأشكال على خطابات الكراهية التي يصادفها مستخدموا مواقع التواصل الاجتماعي تعد في حد ذاتها نشرا أوسع لهذه المضامين إذ ترتفع أكثر نسبة النشر والمشاهدة والاتساع في الوصول لمستخدمين آخرين بغض النظر عن طريقة التفاعل واختلافها.

المحور الثالث: دوافع نشر خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر مفردات عينة الدراسة

جدول رقم 10 يبين أهم أسباب انتشارخطابات الكراهية على مو اقع التواصل الاجتماعي

تهديد أمن الدولة	18	07.53
غياب الحرية في إبداء الرأي	16	06.69
التذبذب والتردي في الوضع الاقتصادي	19	07.94
تقسيم المجتمع	29	12.13
ضرب مكونات الهوية	38	15.89
تحريض الناس على الضرر بمختلف الأشكال	22	09.20
الصورة الذهنية الخاطئة على موضوع خطاب الكراهية	13	05.43
الصورة النمطية المرسخة حول موضوع خطاب الكراهية	19	07.94
التعتيم الإعلامي حول حقيقة موضوع خطاب الكراهية	15	06.27
تراجع استخدام الوسائل الإعلامية التقليدية	17	07.11
المميزات التي تتمتع بها المنصات الرقمية	21	08.78
غياب التربية الإعلامية	12	05.02
المجموع	239	100

حقق السبب الخاص بضرب مكونات الهوية اكبر نسبة قدرت بـ 15.89% تلاها تقسيم المجتمع بنسبة 12.13%، ثم تحريض الناس على الضرر بمختلف الأشكال بنسبة 09.20%، فالمميزات التي تتمتع بها المنصات الرقمية بنسبة 08.78%،وعادت نسبة 07.94%لكل من التذبذب والتردي في الوضع الاقتصادي وكذا الصورة

النمطية المرسخة حول موضوع خطاب الكراهية المنشور، وحقق السبب المتمثل في تهديد أمن الدولة نسبة 07.53% ، أما عن تراجع استخدام الوسائل الإعلامية التقليدية فكانت نسبته07.11%، لتعود نسبة 06.69% لغياب الحرية في إبداء الرأي، أما عن التعتيم الإعلامي حول حقيقة موضوع خطاب الكراهية المنشور فكان بنسبة 06.27% ، وعادت نسبة 05.43% للصورة الذهنية الخاطئة على موضوع خطاب الكراهية المنشور، وآخر سبب تمثل في غياب التربية الإعلامية05.02%.

إن التركيز على خطابات الكراهية التي تدع إلى ضرب الهوية ليس محض الصدفة فالمجتمع يبنى تماسكه على تماس هويته خاصة الدين الإسلامي **الذي يمثل** وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات" (عبد السلام، وآخرون 1987،ص.225) إضافة على العادات والتقليد واللغة وما تعارف عليه المجتمع، فالإخلال بأي من هذه المكونات يعد تهديدا لأسس هوية المجتمع ما ينتهي إلى تقسيمه وهو ما أكدته ثاني أكبر نسبة، إن الأسباب وان تباينت نسبها فإن تهديدها خطير على الدولة والمجتمع ما يستوجب تحقيق تربية إعلامية فاعلة نحول هذا الفضاء الرقمي وحتى حول وسائل الإعلام التقليدية.

المحور الرابع: انعكاسات خطاب الكراهية الرقمية على نظام النسيج الاجتماعي (إمكانية اختيار أكثر بديل)

جدول رقم 16 يبين انعكاسات خطاب الكراهية الرقمية على نظام النسيج الاجتماعي

الاقتراحات	التكرارات	النسب %
تهديد مكونات التنظيم الاجتماعي (اللغة،الثقافة، العادات،التقاليد الاجتماعية،...إلخ)	29	24.16
التباين في عملية التنشئة الاجتماعية نتيجة تباين التوجهات الاجتماعية والثقافية ...الخ	16	13.33
التأثير في طريقة تفكير الأفراد من خلال نشر مضامين للبيئة المحيطة المختلفة	21	17.5
التعصب القبلي والصراعات الاجتماعية	14	11.66
فقدان تماسك المجتمع الداخلي ويصبح محط وقوع في الأزمات	19	15.83
تقسيم المجتمع إلى جماعات غير متجانسة	10	08.33
إرباك للأمن الاجتماعي والفكري	11	09.16
المجموع	**120**	**100**

أشار الجدول إلى أن أكبر انعكاس لخطابات الكراهية الرقمية على النسيج الاجتماعي يتمثل في تهديد مكونات التنظيم الاجتماعي بنسبة 24.16%، يليه الانعكاس الخاص بالتأثير في طريقة تفكير الأفراد من خلال نشر مضامين للبيئة المحيطة المختلفة بنسبة 17.5%، ثم انعكاس إفقاد تماسك المجتمع الداخلي ليصبح محط وقوع في الأزمات بنسبة 15.83%،قاربته نسبة 13.33% للتباين في عملية التنشئة الاجتماعية نتيجة تباين التوجهات الاجتماعية والثقافية ...الخ، ثم انعكاس التعصب القبلي والصراعات الاجتماعية بنسبة 11.66%، وانخفضت النسبة عند انعكاس إرباك للأمن الاجتماعي والفكري أين قدرت بـ 09.16%،لتعود أقل نسبة لمقترح تقسيم المجتمع إلى جماعات غير متجانسة بنسبة 08.33%.

إن أي مجتمع يتماسك بمدى تمسكه بهويته وما تشتمل عليه من تعاليم للدين الإسلامي والعادات والتقاليد واللغة..إلخ، ولأن خطابات الكراهية تركز على ضرب مكونات الهوية(انطلاقا من نتائج الجدول رقم10) فإن ذلك ينعكس سلبا على النسيج والتنظيم الاجتماعي من خلال عدة سبل كتشويه تعاليم الدين الإسلامي والتشكيك فيها، أو إدخال ثقافات غريبة غربية ونشرها –كنشر المثلية التي أصبحت اليوم مهددا واضحا وحقيقا- ، والدعوة إلى التحرر، ..إلخ، إن مختلف الانعكاسات التي انتهت إليها الدراسة وان اختلفت فإنها تجتمع في الإخلال بنظام المجتمع ما يجعله منقسما وغير متجانس في الفئات

نتائج الدراسة:

- بينت نتائج الدراسة أن أغلبية مفردات العينة هم من جنس الذكور بنسبة55%، بينما نسبة الإناث قدرت بـ45 %،
- أشارت نتائج الدراسة أن أغلبية مفردات العينة هم بين سن [21سنة ،30سنة] بنسبة 30%، مقارنة بأقل نسبة لفئة [41سنة[قدرت بـ [12.5%.

- أكدت نتائج الدراسة على أن ما نسبته 72.5% من مفردات عينة الدراسة أجابت بأنها دائما ما تتعرض لمنشورات خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي، مقارنة بنسبة02.5% التي لم تصادفها هذه المضامين.

- أشار ت نتائج الدراسة إلى أن تطبيق الفايسبوك مثل أكبر نسبة تم من خلالها نشر خطابات الكراهية بنسبة50% .

- أكدت الدراسة على أن الفيديو يمثل أهم شكل من أشكال منشورات خطابات الكراهية التي تصادفها مفردات عينة الدراسة بنسبة 33.33%، مقارنة بشكل النص عند اقل نسبة 06.34%

- بينت الدراسة أن التمييز والعنصرية يعد أهم شكل من أشكال خطابات الكراهية على منصات التواصل الاجتماعي بنسبة 45% يليه شكل القذف والشتم بنسبة 30% في حين عادت نسبة 12.5% لكل من الحقد والدعوة للعنف وكذا التحريض.

- انتهت الدراسة إلى أن ما مجموعه 96.42% من إجابات مفردات العينة صرحت بأنها تتفاعل مع منشورات خطابات الكراهية إذ توزعت هذه النسبة على مقترح استخدام أيقونات التفاعل (إعجاب،غضب،حزن..إلخ) بنسبة 36.90% كأكبر نسبة في طبيعة شكل التفاعل بينما نسبة 03.57% تفضل عدم إبداء أي ميزة وشكل للتفاعل.

- أكدت نتائج الدراسة بأن ضرب مكونات الهوية يعد أهم سبب وراء خطابات الكراهية الرقمية بنسبة 15.89% وعادت أقل نسبة للسبب الخاص بغياب التربية الإعلامية05.02%.

- توصلت الدراسة إلى أن أكبر انعكاس لخطابات الكراهية الرقمية على النسيج الاجتماعي يتمثل في تهديد مكونات التنظيم الاجتماعي بنسبة 24.16%، يليه الانعكاس الخاص بالتأثير في طريقة تفكير الأفراد من خلال نشر مضامين للبيئة المحيطة المختلفة بنسبة 17.5%، ثم انعكاس إفقاد تماسك المجتمع الداخلي ليصبح

محـط وقـوع في الأزمـات بنسـبة 15.83%،قاربتـه نسـبة 13.33% للتبـاين في عمليـة التنشئة الاجتماعية نتيجة تباين التوجهات الاجتماعية والثقافية ...الخ، ثم انعكاس التعصب القبلي والصراعات الاجتماعية بنسبة 11.66%، وانخفضت النسبة عند انعكاس إرباك للأمن الاجتماعي والفكري أين قدرت بـ 09.16%،لتعود أقل نسبة لمقترح تقسيم المجتمع إلى جماعات غير متجانسة بنسبة 08.33%.

خاتمة:

انطلاقا مما تم التوصل إليه من نتائج الدراسة يمكننا القول بأن مواقع التواصل الاجتماعي قد أضحت مهددا واضحا على النسيج الاجتماعي من خلال ما يتم نشره عبرها من خطابات للكراهية تمتد أهدافها إلى مختلف المجالات ومختلف الشرائح المجتمعية والفئات العمرية، ما يستوجب ضرورة التوعية والتنديد بنتائج خطورة هذه الخطابات، وفي ظل ذلك تم تسطير جملة من المقترحات لمحاولة التقليل والحد من هذه الخطابات، تمثلت بعضها في:

- تحلي مشاركي مضامين خطابات الكراهية عبر منصات التواصل الاجتماعي بالمصداقية وضرورة التأكد من الأخبار قبل مشاركتها،أي الاستغلال الأمثل لمختلف الوسائل الرقمية.

- تفعيل وظائف مؤسسات المجتمع المدني على تعددها بالتطرق إلى دروس وحملات توعوية حول خطورة نتائج انتشار هذه المضامين.

- نشر ثقافة التبليغ عن مثل هذه الخطابات.

- أن تشجع مختلف المؤسسات على ثقافة الحوار مع الأفراد لتفادي التأويلات والإشاعات التي تكن بوابة للتحريض.

- ضرورة إعطاء أهمية للتربية الإعلامية التي من شأنها أن تنهض وتحسن استخدام الإعلام الرقمي وحتى الإعلام التقليدي.

الهوامش

1. المسماري، عبد الفتاح عبد الرحيم جبريل محمد.(2020). عوامل تعزيز وتقوية النسيج الاجتماعي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلد20، العدد.2.
2. عمراوي،صلاح الدين، مقعاش، يوسف.(2022). أثر خطاب الكراهية في موقع الفايسبوك على الجمهور، دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، العدد.1.
3. مناع، هيثم.(2001). الإمعان في حقوق الإنسان،موسوعة عالمية مختصرة،القاهرة: الأهالي للطبع والتوزيع.
4. سعداوي، فاطمة الزهراء.(2023).دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر خطاب الكراهية وسبل مكافحتها، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، العدد.1.
5. محي الدين، مختار.(1999).الاتجاهات النظرية و التطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية،باتنة: دار المنشورات الجامعية.
6. محمد الهادي، محمد.(1995). أساليب توثيق البحوث العلمية،الجزائر:المكتبة الأكاديمية.
7. عبد الحافظ، مصطفى حسين باهي إخلاص محمد.(2000). طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، مصر: مركز الكتاب.
8. القاضي، مصطفى محمد يوسف.(1979).مناهج البحوث وكتابتها ، السعودية: دار المريخ.
9. بن مرسلي، أحمد.(2010). مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية.

10. عبد الحميد، محمد.(1993). دراسات الجمهور في بحوث الإعلام،مصر: عالم الكتب.
11. عاروري، فاتح.(2013). المعاينة الإحصائية طرقها و استخدامها، الأردن: دار الأكاديميون.
12. خورشيد، كامل.(2014). الاتصال الجماهيري والإعلام،الأردن: دار السيرة.
13. شمسي باشا، ماجد حسان.(2020). وسائل التواصل الاجتماعي رحلة في الأعماق،دار القلم.
14. صاحب السلطان،محمد.(د.س). وسائل الإعلام والاتصال دراسة في النشأة والتطور،الأردن:دار المسيرة.
15. عبد السلام محمد، محمد، وآخرون .(1987). دراسات في الثقافة الإسلامية،مكتبة الفلاح.

“Celebrities’ struggle with cyberbullying on social media”
Realistic models

Dr. Hana Achour
Oum El Bouaghi’s University
Algeria

Abstract :

Through this research paper, we will delve into the concept of cyberbullying and its relationship with social media platforms. We will also attempt to clarify the differences between cyberbullying and traditional bullying by highlighting both the similarities and distinctions. Subsequently, we will provide real and authentic examples of international celebrities who have experienced cyberbullying on social media, such as Selena Gomez, Adele, Chris, Zayn Malik. We will thoroughly examine these cases of cyberbullying and their impact on the individuals involved.

Keywords : Bullying, Cyberbullying, Instagram, Celebrities.

الملخص:

من خلال هذه الورقة البحثية سنتطرق إلى مفهوم التنمر الإلكتروني وعلاقته بمواقع التواصل الاجتماعي ، كما سنحاول توضيح الإختلاف بين التنمر الإلكتروني والتنمر التقليدي من خلال تبيان أوجه التشابه والإختلاف، بعدها سنقدم نماذج واقعية وحقيقية عن مشاهير عالمية تعرضت للتنمر الإلكتروني على مواقع التواصل الإجتماعي، كسيلينا غوميز، آدال، ، زين مالك ، حيث سنتناول حالات التنمر هذه بالتفصيل وكيف أثرت عليهم.

الكلمات المفتاحية: التنمر، التنمر الإلكتروني، إنستغرام، المشاهير.

Introduction:

The advent of the Internet resulted in the emergence of social networking sites such as Facebook, Instagram, Snapchat and TikTok. These applications are known to be incredibly popular with millions and billions of users. This is due to the privileges offered by these sites, most notably the expression of opinion. Their opinion on all topics that concern them and even sometimes interfere in the private life of the other, which has become dangerous and predicts the occurrence of crises on the social media, despite the establishment of some regulatory laws for everything that is cyber, but this did not limit the emergence of the phenomenon of cyberbullying, which is on the rise continuous.

A poll by the UNICEF and the United Nations in 2019 found that one in every three young people in 30 countries has been a victim of online bullying, with one in every five claiming that they have skipped school due to cyber bullying and violence (Pandey & sharma, 2022). What makes cyber bullying so dangerous is that anyone can practice it without having to confront the victim. You don't have to be strong or fast, simply equipped with a cell phone or computer and a willingness to terrorize.

Even celebrities were not safe from cyberbullying, but it can be said that they are the most vulnerable people to cyberbullying. This is due to their social status, which requires them to reveal many details of their lives, which makes it permissible for others to interfere in it and comment on everything related to them, their shape, weight, choices and their human relationships, and there are many celebrities who, due to cyberbullying, have depression and other mental illnesses that came as a result of the psychological pressure caused by cyberbullying. In this research paper, we will present live

examples of celebrities who have been subjected to cyberbullying, and we will try to answer these questions:

- **What is cyberbullying?**
- **What the differences between traditional bullying and cyberbullying?**
- **How is the cyberbullying on social media?**

1- What is cyberbullying?

Cyberbullying is a phenomenon that has been studied by many researchers, and this research has led to many definitions, which we will try to include the most accurate:

- Cyberbullying is defined as: "willful and repeated harm inflicted through the use of computers, cell phones, and other electronic de-vices" (Hinduja & Patchin, 2020)
- Cyberbullying refers to behaviors such as sending or posting harmful and aggressive texts or pictures via the internet and social networking sites; it is repeated, and intentional harm is caused to individuals or groups. (Maharjan & Gurung, 2022)
- Cyberbullying shares three primary features with traditional bullying: It is an act of aggression; it occurs among individuals between whom a power imbalance exists; the behavior is often repeated. (Abaido, 2020)
- Bullying through e-mail, instant messaging, in a chat room, on a website, or through digital messages or images sent to a cell phone. (Dredge, 2014)
- Cyber bullying is as dangerous as it gives bullies the ability to embarrass anyone they want in public at any hour of the day, using multiple different types of technology. (Pandey & sharma, 2022)

By analyzing the previous definitions of cyberbullying, we can say that cyberbullying can be defined as an aggressive, intentional act carried out by a group or individual, through the

use of communication technologies such as the internet and social networking sites. It is a repeated behavior that occurs over time against a victim who cannot easily defend him or herself; therefore such a victim feels intimidated and harassed. (Akinbogun)

2- Traditional bullying and cyberbullying:

Its known that cyberbullying is the extension of the traditional bullying, there are some similarities between them as:

- **Bullying is bullying:** in both cases, they have the intention of causing their victims pain.
- **Same effects:** they have similar effects on the victim as depression, loneliness,...
- **Repeatedly:** This is an act that happens over and over again
- **Power dynamic:** Bullies will only pick on those who they think are weaker than they are

After reading many references and research that dealt with the two topics of traditional bullying and cyberbullying, we concluded with a set of points of difference that we prefer to present in the form of points.

Table N° 01: The differences between traditional bullying and cyber bullying

Traditional bullying	Cyberbullying
Face to face (Direct)	Behind the screen (indirect)
The bully is known	The bully is anonymous
The pool of aggressors and witnesses is limited	The pool of potential aggressors and witnesses is limitless
The possibility of punishing the bully	Difficulty recognizing and punishing the bully
It happens when the bully and the victim meet	It can happen at any time and on many platforms

3- Cyberbullying on social media:

Before talking about cyberbullying on social media, we should talk about the different social media platforms and show their power, and according to the report issued this year 2023, which shows the average time spent on social media in 2023, TikTok is the most used application, followed by Youtube, Twitter, Snapchat, Instagram, then Facebook, as shown in the figure below.

Figure N°01 shows average time spent on social media in 2023 (by platform)

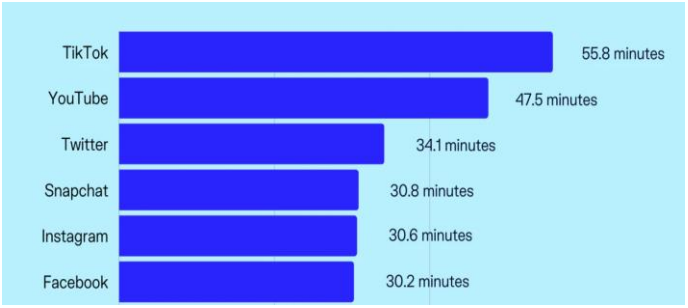

Source : (OBERLO, 2023)

TikTok is a social network launched in the Chinese market in 2016 (as Douyin) and internationally in 2017 (as TikTok). In 2018, it was the most downloaded mobile app in the United States, and is currently available in more than 150 countries, and has more than 800 million monthly active users (Fiallos, Fiallos, & Figueroa, 2021), the main feature of the platform is the ability to upload, view, and share short 15-secondvideos. These 15-second videos can be put together sequentially to create a longer video of a maximum of 60 seconds. Many social media platforms, such as Facebook, Twitter, and Instagram, offer a "feed" or a continuous flow of textual or visual content to a user. TikTok, in contrast, shows one video at a time that users can swipe up to see the next video or swipe down to return to the previous video they have watched. The platform provides severalt ypical social media features, such as a user profile, the ability to "follow" other accounts and to post comments and "likes". (Miltsov, 2022)

- **Youtube :**

YouTube is initiated by three former Paypal Employees: Chad Hurley, Steve Chen, and Jawed Karim. Hurley is a design alumnus at Indiana University of Pennsylvania, while Chen and Karim are alumni of computer science at the University of Illinois Urbana-Champaign. The domain name 'YouTube.com' itself was activated on February 15, 2005, and in the following months YouTube was started to be built. They published a preview of the website in May 2005,or 6 months before the official launching (Hamid U, Mulyana, & Regina, 2018). YouTube is a free video sharing platform that allows users to create, upload and watch video content online. Any user can create their own channel, where will appear their videos, he can also follow channels of other users, comment and share their videos. YouTube's vision is to give everyone a voice, to evolve video, and to make partners and advertisers successful. (Vytiaz, 2018)

- **Twitter : (X)**

Twitter was launched in October 2006. It is a free real-time short messaging service that enables users to send and read messages (tweets) through the Twitter website, short message service (SMS), mobile application, and various desktop applications. (B. Liu, K. Cheung, & Lee, 2010). After setting up a twitter account (www.twitter.com), users establish a profile and a Twitter 'name' — for instance, @OTprofile — and can then send and receive tweets, accessed through any computer or mobile networked device. Once a tweet is sent, it appears in the user's Twitter 'feed' and in the feed of anyone who is following them (Maclean, Jones, Carin-Levy, & Hunter, 2013). In 2023 Elon Mask changed the name of twitter to X, and changed color of logo from blue to black.

- **Snapchat :**

Snapchat is an instant messaging application that was launched in 2011 for use on smart phones. With this application, users can publish videos or photos within 1–10 seconds (in their own profile) or send them as private messages to their friends. It is possible to write, draw and add subtitles on videos and photos shared via Snapchat. However, all content shared in the story is deleted by the system after 24 hours, while photos/videos sent privately disappear after displaying them up to two times. In addition, if Snapchat detects that the recipient has received a screenshot, it sends alert notifications to the senders (Tilic, 2017).

There are on average 265 million daily active users as of March 2021 (22% year over year growth from 2020) . There is an average of over 05 billion snaps created every day, making Snapchat one of the most used camera apps in the world. Snapchat users opened the app on average 30 times per day in the fourth quarter of 2020 (Pascoe, 2021).

- **Instagram :**

Instagram is a photo social application with functions of photo shooting, photo beautifying and sharing. It can also be seen as a new type of social media based on picture interaction because of its functions to assist people build social networking based on pictures. This mobile app was officially published in Apple Appstore in October 2010. Its users' number grew rapidly after the app launched, with more than 100 thousand users registered in just one week. Afterwards Instagram became the focus of public attention on April 10, 2012. On that day, Facebook bought this company, which had only 551 days and 13 employees, for $1 billion in cash and stock. Nowadays, the number of Instagram users has exceeded 1 billion (Yang, 2021).

The phone application allows users to take and manipulate photographs by adding filters and frames, and to share them online where other users can react through comments and likes, and even share the photo to their other social media platforms. (Niks, 2017)

- **Facebook :**

Within just two years of its 2004 debut at Harvard University, Facebook was already the sixth most popular Internet site and by 2012 it had registered one billion users. As noted by founder Mark Zuckerberg, Facebook's primary objective is to help people identify "...real and pre-existing connections among people" (Wikle & Comer, 2012)

Facebook is a website which allows users, who sign-up for free profiles, to connect with friends, work colleagues or people they don't know, online. It allows users to share pictures, music, videos, and articles, as well as their ownthoughts and opinions with however many people they like (Nycyk, 2020).

So these are the most important and most used social media by all age groups, as the latest report for the year 2023 showed that the immersive group most used for social

networking sites is from to 20 to 29 by 31.8% as shown in the figure N°2.

Figure N°02 shows social media age demographics in 2023

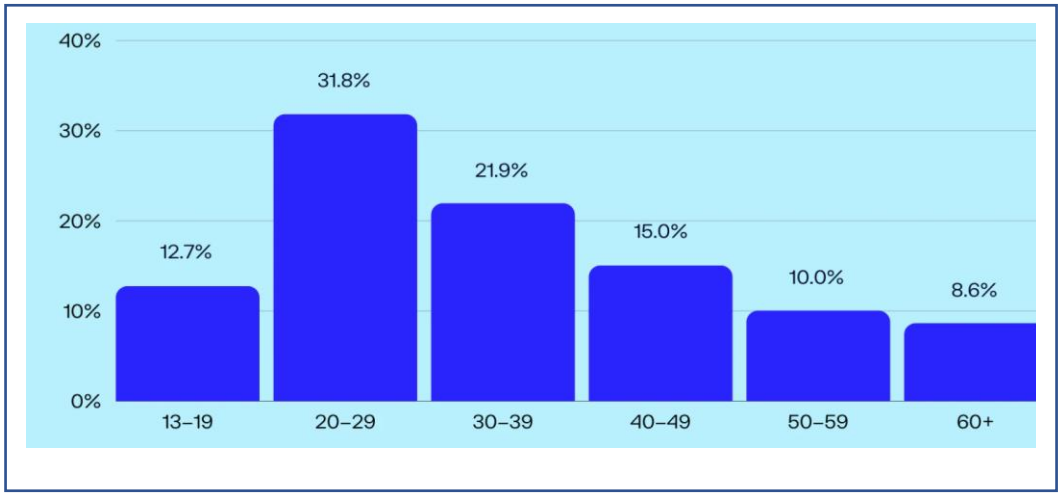

Source : (KEMP, 2023)

The first studies on cyberbullying reproduced the schema followed by that on traditional bullying, considering cyberbullying a concrete form of indirect bullying, and its study was very focused on the impact of technological devices. However, cyberbullying is a social problem involving harassment, intimidation, bullying and unjustified aggressiveness undertaken through the use of digital devices by a person or group upon another person (the victim), but whose harassment effects remain and are diffused exponentially (Abaido, 2020).

According to CTIA-The Wireless Association (2010), wireless use in the United States increased 78% from 2005 to 2009, with 276.6 million subscribers and more than 1.36 trillion text messages. Moreover, social media sites provide an

environment where victims often become targets of cyberbullies. The most common social networking sites where cyberbullying occurs are **Facebook, Twitter, and Instagram**. One of the most popular social media Web sites, Facebook (2010), reported over 3.5 billion Web links, news stories, blog posts, notes, and photos shared each week by its more than 350 million users.

These sites are intended to provide a positive outlet for social networking and recreation. Despite this fact, individuals are victimized and most victims have no knowledge of the person or persons responsible for their acts. With the capability of cyberbullying occurring anywhere, jurisdictional laws make disciplining cyberbullies extremely difficult. (Johnson, Haralson, Batts, Brown, & others, 2016)

In addition to the above, statistics indicate that because of the COVID-19 pandemic lockdowns, people around the world, including kids, are spending 20 percent more time on social media than they were pre-pandemic, in January 2020, 44 percent of all internet users in the U.S. said they have experienced online harassment. The most prevalent type of online harassment was offensive name-calling, making up 37 percent of all instances. (Team, 2023)

4- Categories of cyberbullying:

We try to summarize all types of cyberbullying that researchers have previously agreed upon in this field and each of these will be discussed:

- **Harassment** - when a bully sends rude and nasty communications to an individual or group of individuals on a frequent basis. Perilous texting, cyberstalking, and rude conversations; (Ab Rashid, Omar, Bolong, & others, 2022). Harassment typically differs from flaming in two ways. First, harassment is longer term than flaming. Second, harassment is more one-sided, with at least one offender and a single target. With flaming, on the other hand, there

is a mutual exchange of insults between the individuals involved. (Kowalski, Limber, & Agatston, 2008)

- **Flaming** - an online brawl that takes place over emails, instant messaging, or social media accounts: vulgar imagery, aggressive language. (Ab Rashid, Omar, Bolong, & others, 2022).Flaming refers to a brief, heated exchange between two or more individuals that occurs via any communication technology. Typically, though, flaming occurs in "public" settings, such as chat rooms or discussion groups, rather than private e-mail exchanges. If a series of insulting exchanges ensues, then a flame war has started. (Kowalski, Limber, & Agatston, 2008)
- **Dissing** – the act of transmitting or broadcasting brutal information to ruin their recognition or friendships with others;
- **Fraping** – impersonates a person by illegally logging into their social networking account;
- **Deception** - deception is the act of persuading someone to reveal secrets and strategies or humiliating statistics in order to gain their trust
- **Trolling** is a harmful attack that uses insults or harsh language to elicit a response on online message boards and social networking websites.
- **Catfishing** - when someone steals a person's online identity, usually photographs, and uses it to create fraudulent social media profiles.
- **Slandering** - causing harm to another individual by spreading nasty rumors. We've seen that a number of those classes overlap, based on the severity of cyberbullying behavior (Ab Rashid, Omar, Bolong, & others, 2022)

- **Denigration** : posting or sending digitally altered photos of someone, particularly in a way that portrays them in a sexualized or harmful manner.
- **Impersonation** : With impersonation, the perpetrator poses as the victim, most often by using the victim's password to gain access to his or her accounts, then communicating negative, cruel, or inappropriate information with others as if the target himself or herself were voicing those thoughts. (Kowalski, Limber, & Agatston, 2008)
- **Exclusion** - the act of purposely singling out and excluding someone from an online group, then leaving hostile remarks and tormenting the person who was singled out.
- **Outing** - publishing sensitive, private, or embarrassing material on the internet without the victim's permission;
- **Masquerading** - impersonating someone to harass them anonymously. (Ab Rashid, Omar, Bolong, & others, 2022)
- **Outing and Trickery** : Outing refers to sharing personal, often embarrassing information with others with whom the information was never intended to be shared.
- **Cyberstalking**: refers to the use of electronic communications to stalk another person through repetitive harassing and threatening communications. Although clearly related to harassment, cyberstalking involves more threats than pure harassment. (Kowalski, Limber, & Agatston, 2008).

5- Examples of celebrities' struggles with cyberbullying:

a) Selena Gomez:

- **Biography:**

She was born in Grand Prairie, Texas, on July 22, 1992, to Amanda Cornett and Ricardo Gomez, she got her start in show business at age 9 with a two-year run on the kids show Barney & Friends. Gomez became a Disney Channel star in 2007 as the lead in the show Wizards of Waverly Place. She is also known for her roles in the Hotel Transylvania movie franchise and Hulu's hit comedy series, Only Murders In the Building, which earned her a 2023 Golden Globe nomination.

Simultaneously, Gomez grew her pop music career, and her three solo albums have topped the Billboard 200 chart. Her hit songs include "Lose You To Love Me", "Good For You", and "Calm Down". The founder of Rare Beauty has a massive social

media following and became the first woman on Instagram to surpass 400 million followers in March 2023. (Donica, 2023)

- **Selena Gomez's struggle with cyberbullying:**

Selena's life knew many stations of cyber bullying, the beginning was with the traditional bullying that she faced in her artistic beginnings, and with the spread of the Internet and the emergence of social networking sites, the matter developed more and Selena became suffering from cyberbullying.

Since the beginning of her relationship with Justin in 2011, Selena has been bullied by Justin's fans, and she received mean comments and messages, and that was the start of her struggle with cyberbullying, she suffered from cyberbullying because of her relationship, she faced much negativity and hate in the social media ,for example she received message she received on Twitter was from a girl who said: " *I hate you, I hope you and your family have cancer and die*", in 2015, Gomez was diagnosed with lupus, an autoimmune disease. She took a break from social media to focus on her health, but she was still subjected to cyberbullying. People made fun of her for her appearance and her health condition.

Selena told The New York Times "*I delete the app from my phone at least once a week. You fixate on the [negative] ones. They're not like, 'You're ugly.' It's like they want to cut to your soul. Imagine all the insecurities that you already feel about yourself and having someone write a paragraph pointing out every little thing, even if it's just physical"* (Staff, 2022) that's show how much is hurt the cyberbullying, and how much it can change the life of people even the famous ones can't handle it.

Why we took Selena Gomez as example of cyberbullying is because she was bullied by other celebrities which something sensitive and sad, all we know the history of feud between Selena Gomez and Hailey Baldwin, the relation between them is

bad, briefly because Hailey married Justin Bieber ex-boyfriend of Selena.

Well there are **two stories** of cyberbullying of Hailey to Selena, **the first one** was when Hailey Bieber was accused of shading Selena Gomez after she was body-shamed in a since-deleted TikTok video in January 2023. The video sees Hailey and her friends, Kendall Jenner and Justine Skye, lip-syncing the sound, “And I'm not saying she deserved it, but God's timing is always right”, **the second one**, when Gomez shared on TikTok that she laminated her brows "too much". A few hours later, Kylie Jenner posted a selfie on her Instagram Story and wrote: "This was an accident?" Fans assumed that she was throwing shade at Gomez because the text seemed strategically placed over her eyebrows. Jenner then posted a screenshot of her and Hailey Bieber on Facetime — both women had zoomed in on their eyebrows. Things began to spiral out of control when TikTok user @devotedly.yours created a video explaining the alleged drama between Jenner, Bieber and Gomez.

Jenner saw the video and commented, "this is reaching. no shade towards Selena ever and I didn't see her eyebrow posts! u guys are making something out of nothing. this is silly." To which Gomez responded: "Agreed @kyliejenner. It's all unnecessary. I'm a fan of Kylie!". So as we see Selena won’t to dig in this story, she ignored everything but her fans didn’t, they organized supportive campaign for Selena, they ask user of Instagram to unfollow Jenner's account and inviting them to follow Selena's account. It should be noted here in that time Jenner was the most followed woman on Instagram, and because of this campaign, the number of her followers decreased, and on the other hand, the number of Selena's followers increased, which made her become the most followed woman on Instagram.

This came in response to the cyberbullying that Jenner did to Selena, and the matter did not stop at this, but Selena's fans

asked to boycott Kylie's cosmetics, and the fans started filming videos while they were destroying these cosmetics.

Selena Gomez suffered too much because of cyberbullying and she left social media many times before, each time she finds herself judged because of her appearance, relationships or her mental health, she is still struggling but Selena's suggestion is not to retaliate and stop bullies with kindness.

b) **Zayn Malik:**

- **Biography:**

Zain Javadd Malik on 12 January, 1993 – is the son of an English and Irish mother and British Pakistani Muslim father. He was raised in Yorkshire along with his three sisters, Doniya, Waliyha and Safaa. He grew up writing raps and singing in school, also boxing between the ages of 15 to 17. Originally, he wanted to pursue an English degree and pursue an academic career. (hellomagazine, 2023).

In 2010, 17-year-old Malik auditioned in Manchester for the seventh season of the reality-television competition The X Factor. He was eliminated before the final round of the competition, but judges Nicole Scherzinger and Simon Cowell grouped him with fellow competitors Harry Styles, Niall Horan, Liam Payne and Louis Tomlinson to form a new act for the remainder of the show. Performing as One Direction, this group became one of the most popular finalists in their season of The X Factor. Although they finished the competition in third place, they were immediately signed to Cowell's Syco music label. (biography, 2021)

- **Zayn Malek's struggle with cyberbullying:**

Zayn told to The sun, during his time in One Direction, Zayn Malik says he was on the receiving end of aggressive online comments that said "nasty things" and compared him to a terrorist. While he was able to shrug it off, he says it began to affect him when the comments were directed toward his family.

"*You can say whatever you want about me, I'm not really bothered. But when it starts to upset people I care about or I hear about it from my mum, then that's a problem. I thought we'd moved forward. If that was said to me on the street or if someone said it to me to my face or whatever then something could be done about it*". (Staff, 2022)

Accordingly, the reason behind the bullying of Zain is due to his Pakistani origins on the one hand, and on the other hand, because of his religious affiliation represented in Islam. The idea that his origin is Pakistani Muslim, this made social media users call him a terrorist.

c) **Adele:**

- **Biography:**

Adele Laurie Blue Adkins was born on May 5, 1988, in North London, England. Adele was the only child of Penny Adkins, an "arty mom" who was just 18 at the time of her birth, and a Welsh father, Mark Evans, who left the family when Adele was only four years old.

Adele is a British singer-songwriter who has sold millions of albums worldwide and won a total of 15 Grammys as well as an Oscar. Adele's first two albums, 19 and 21, earned her critical praise and a level of commercial success unsurpassed among her peers. After becoming a mom in 2012, Adele returned to the charts with the ballad "Hello" in 2015, the lead single from what was dubbed her comeback album 25. In 2017, she won five Grammys for her work on 25, including album, record and song of the year (biography, 2021).

- **Adele's struggle with cyberbullying:**

Since gaining mainstream success, Adele has constantly been criticized because of weight. However, the cyber bullying

went to a whole new level after the birth of her son in 2013. Almost immediately after becoming a mother, Adele was met with extremely cruel tweets from people (Moore, 2023) One of the worst tweets leveled at the new mom was from user @PerfFemale, later identified as Vanessa Bieber, who wondered publicly whether the child was "*fat and handicapped?"* Adding, "*Just murder it already lol*." Some fans of Adele did not seem to be laughing out loud, however, and rallied to the singer's defense. As of Monday, Bieber's account had been deleted (Job, 2012).

Adele's suffering with cyberbullying did not stop here, but rather she was subjected to a campaign of fierce bullying when she posted a picture of her on **Instagram** after losing a lot of weight, but not everyone was impressed by her weight loss. She got many means comments as: "*Sorry I think she's gone too far her face looks gaunt. She used to be a role model for all girls struggling with their weight*".

Another person asked "*Is this really her? She was much beautiful and real before. Now looks like one of those regular women*." "*Disappointing. You didn't need to change yourself to fit into the world, the world needs to change to fit all body types."* Even in **Twitter** she received many bad comments as: *"Unpopular opinion… Adele is too skinny now and she looks like she's aged. I think the weight loss was great and kudos to her. I just think she went a little too far with it",* "*Adele is looking hungry. I used to look hungry, too. I was hungry. I'm tired of this crap. It's okay to be a human that eats. Skinny isn't everything*," said another Twitter user . (AGATE, 2020)

Adele suffered from bullying from a young age, she even refused to go to school because of the bullies, and this bullying accompanied her, even when she became a famous singer, the bullying developed from traditional bullying to cyberbullying, and from bullying her weight to bullying her baby, and even

when she lost weight, she did not escape the bullying, people criticize her new weight.

6- Conclusion:

Cyberbullying is a phenomenon that deserves study and follow-up because of its damages and consequences that affect the psychological health of the victim, even if this victim is a celebrity, who in turn suffer greatly from cyberbullying of all kinds and it is difficult for them to control it or limit exposure to cyberbullying is considered impossible, so it must that the change be at the level of the individual, the user should know his limits, and this is through media education, which must be from a young age, whether to protect the individual from being a victim of bullying or being the bully.

Bibliographie :

Hinduja, S., & Patchin, J. (2020). Cyberbullying: Edition Identification, Prevention, and Response. Cyberbullying Research Center.

Maharjan, R., & Gurung, L. (2022). Cyberbullying and its Relationship with Smartphone Addiction. *MANGAL RESEARCH JOURNAL, 03*, 73-82.

Abaido, G. M. (2020). Cyberbullying on social media platforms among university students in the United Arab Emirates. *International Journal of Adolescence and Youth, 25*, 407-420.

Pandey, B., & sharma, s. (2022). Prevalence of Cyber Bullying on Social Media: A Review. *Communication Today*, 58-66.

Dredge, R. (2014). Cyberbullying in social networking sites: An adolescent victim's perspective. Faculty of Health Sciences, Australian Catholic University.

Akinbogun, B. (s.d.). *How to Spot and Deal with the Different Forms of Cyberbullyi.* Récupéré sur dalspace.library.dal.ca: https://is.gd/wUUZTD

Johnson, L., Haralson, A., Batts, S., Brown, E., & others. (2016). Cyberbullying on Social Media Among College Students. the American Counseling Association.

Team, S. (2023). *Cyberbullying: Twenty Crucial Statistics for 2023* . Récupéré sur security.org: https://is.gd/n2MSXA

Ab Rashid, F., Omar, S., Bolong, J., & others. (2022). Is it Because of I'm Famous, Success or Rich: Why Social Media Influencer become a Victim of Cyberbullying on Social Media? *rnational Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, 12*, 1192 – 1211.

Kowalski, R., Limber, S., & Agatston, P. (2008). *Cyber Bullying Bullying in the Digital Age.* BLACKWELL PUBLISHING.

Donica, A. (2023). *Selena Gomez*. Récupéré sur https://is.gd/UaAbxR

Staff, T. (2022). *10 Stars Who Got Real About Dealing With cyberbullying*. Récupéré sur https://is.gd/Sqlka6

biography. (2021). Récupéré sur biography.com: https://is.gd/jvaFfv

biography. (2021). Récupéré sur biography.com: https://is.gd/I0blcb

hellomagazine. (2023). Récupéré sur hellomagazine: https://is.gd/c6TITb

Moore, C. (2023). *20 Celebrities Who Have Been Cyber Bullied on Social Media*. Récupéré sur celebritytoob: https://is.gd/22Mh88

Job, A. (2012). *Cyber Bullies Greet Adele's New Baby Boy with Threats and Insults*. Récupéré sur endcyberbullying: https://is.gd/yrYhd6

AGATE, S. (2020). *Adele's Dramatic Weight Loss: A Win For Online Bullies?* Récupéré sur talentrecap : https://is.gd/2PVfk0

OBERLO. (2023). *AVERAGE TIME SPENT ON SOCIAL MEDIA IN 2023 (BY PLATFORM)*. Récupéré sur OBERLO: https://is.gd/lZdqwB

KEMP, S. (2023). *DIGITAL 2023 JULY GLOBAL STATSHOT REPORT*. Récupéré sur Datareportal: https://datareportal.com/reports/digital-2023-july-global-statshot

Fiallos, A., Fiallos, C., & Figueroa, S. (2021). Tiktok and Education: Discovering Knowledgethrough Learning Videos. *Conference: 2021 Eighth International Conference on eDemocracy & eGovernment*.

Miltsov, A. (2022). Researching TikTok: Themes, Methods, and Future Directions. *The SAGE Handbook of Social Media Research Methods*, 664- 676.

Hamid U, F., Mulyana, A., & Regina, M. (2018). Motive, Meaning and Social Action of Youtube Content Creators in Indonesia. *Saudi Journal of Humanities and Social Sciences* , 230-239.

Vytiaz, A. (2018). YOUTUBE – A NEW ERA OF TV? Faculty of Economy and Administration, asaryk University.

B. Liu, I., K. Cheung, C., & Lee, M. (2010). Understanding Twitter Usage: What Drive People Continue to Tweet. Taiwan: Conference: Pacific Asia Conference on Information Systems.

Maclean, F., Jones, D., Carin-Levy, G., & Hunter, H. M. (2013). Understanding Twitter. *British Journal of Occupational Therapy*, 295-298.

Tilic, G. (2017). Snapchat as an Advertising Platform. *New Trends and Issues Proceedings on Humanities and Social Sciences.*, 122- 129.

Pascoe, M. A. (2021). The effect of Snapchat on learner satisfaction andanatomical knowledge retention: Preliminary observations. *FASEB BioAdvances*, 909–917.

Yang, C. (2021). Research in the Instagram Context: Approaches and Methods. *The Journal of Social Sciences Research, 07*, 15-21.

Niks, H. (2017). INSTAGRAM AS A SUPPORTIVE BUSINESS PLATFORM FOR PHOTOGRAPHERS Freelance Photographers Can Earn Money on

Instagram . Degree Programme in Business and Information Technology , Lahti University of Applied Sciences.

Wikle, T., & Comer, J. (2012). Facebook's Rise to the Top:Exploring Social NetworkingRegistrations by Country. *International Journal of Virtual Communities and Social Networking*, 46-60.

Nycyk, M. (2020). *Facebook: Exploring the Social Network and its Challenges.* Michael Nycyk, Brisbane, Australia.

وسائل الإعلام وخطاب الكراهية

د.نسيغاوي لطيفة أستاذ محاضرب بجامعة عباس لغرورخنشلة

ناصري وفاء طالبة دكتوراة بجامعة باتنة

وسائل الإعلام وإسهاماتها في تنمية قيم التسامح

الملخص:

مما لا شك فيه أن وسائل الإعلام اليوم أصبح لها دور في عملية التنشئة الاجتماعية فهي تزود الفرد بمعلومات وأفكار ومعارف تساعده في تكوين أرائه واتجاهاته وتكسبه سلوكيات معينة ولذلك جاءت هذه الدراسة لإبراز إحدى الوظائف الهامة لهذه الوسائل والمتمثلة في نشر قيم التسامح ،من خلال مضامينها التعليمية والهادفة والتي تدعو إلى المساواة والعدالة واللاعنف وتقبل الأخر وتقبل الاختلاف.

Abstract :

There is no doubt that the means of media today have a major role in the process of social upbringing, as they provide the individual with information, ideas and knowledge that help him in forming his opinions and attitudes and gain him certain behaviours. Therefore, this study came to highlight one the important functions of these means, represented in spreading the value tolerance, through its educational contents. And purposeful, which calls for equality, justice, non-violence, acceptance of the other, and acceptance of the other, and acceptance of difference.

الإشكالية:

أصبحت اليوم ظاهرة الإعلامية والاتصالية أبرز وأهم الظواهر المنتشرة في عالمنا المعاصر، هذا الأخير الذي تحول بفضل وسائل الإعلام ووسائطها إلى شاشة صغيرة، جسدت على الواقع الشعار الشهير (العالم بين يديك) متجاوزة بذلك تصور ماكنوهان الذي اعتبر العالم قرية صغيرة بفضل تطور هذه الوسائل وانتشارها، وتغلغلها في كل مجالات الحياة، بحيث غزت البيوت وأضحت ضرورة لا غنى عنها للفرد والمجتمع والحكومات والأنظمة كما تعاظم دورها وتعددت وظائفها (فلاحي،2014،17) من توجيه وتكوين للمواقف والاتجاهات وزيادة الثقافة والمعلومات وترفيه الجمهور وتسليته والإعلان عن الضمات والسلع والدعاية، كما تمارس أيضا وظائف اجتماعية هامة تربوية وتعليمية من خلال غرس القيم والأخلاق والقيم السامية والنبيلة ،" وتعرف القيم بأنها مجموعة العادات والأعراف ومعايير السلوك والمبادئ المرغوبة التي تمثل ثقافة مجموعة من الناس أو جماعة أو فرد" (شعباني،2017) ص 23) كما أنها مجموعة ديناميات يتمكن من خلالها الفرد من إصدار د / حكامة على الأحداث والأشياء وهي بوصلة توجه سلوكه في حياته اليومية (بوعطيط،2012،67) ويعد التسامح أحد المكونات الهامة للنسق القيمي فهو يعني التساهل واحترام الآخر والتصالح والتغاضي عن أخطائه والصبر عنها ومحاولة حل المشكلات بطريقة عقلانية.

ورغبة منا في التعرف على دور وسائل الاعلام في نشر قيم التسامح أنجزنا هذه الدراسة المعنونة بـ وسائل الّإعلام الاعلام وإسهاماته في نشر قيم التسامح.

1/ وسائل الإعلام وأهميتها ووظائفها:

ـ تعريف وسائل الإعلام: هي إحدى الكيانات والمنظمات طويلة الأمد والتي تماؤس أدوار مهمة في المجتمع، وكلمة وسائل media هي صيغة الجمع لمصطلح وسيلة (medium)وهي جزء من المجتمع، وتعتبر أحد المؤسسات الهامة في المجتمعات

المعاصر بل الأكثر أهمية. كما لها من تأثير فهي تسهم في التنشئة الاجتماعية، وتعلمنا وتثقفنا وتغرس في نفوسنا بعض المبادئ (أبو أصبع،23،2012)

كما تعرف أيضا أنها تقنيات وأدوات تستعمل لتحقيق الاتصال حيث تنتقل بواسطتها الرموز واللغة والحركات بين المرسل والمستقبل ومنها الوسائل السمعية التي تنقل الكلام والأصوات والموسيقى، ومنها الوسائل البصرية التي تشمل الصور والرسوم الجامدة والفيديوهات ... إلخ.

كما تشير إلى معنى مزدوج: المعنى التقني ألإرسالي الوسيط والمعنى المحيط الذي يقصد به المؤسسات الاتصالية وما يندرج فيها من مضامين (شعباني،2017، ص 12)

كما تعرف أنها أدوات تنقل المواد الأدبية والفنية لتحقيق الاتصال الجماعي بشكل مباشر أو غير مباشر والتي تتمثل في الاذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة ووكالات الأنباء والمعارض والمؤتمرات (الضلاعين، 2014، ص 60)

تصنيف وسائل الإعلام:

1/ الوسائل المقروءة (الصحافة والمطبوعات بشكل عام)

2/ الوسائل المسموعة (الراديو)

3/ الوسائل المسموعة ـ المرئية (التليفزيون،السينما)

أولا / الوسائل المقروءة (المطبوعة):

تلعب الكلمة دورا هاما بحيث مازالت من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها العملية الاتصالية، وتعود بداية الاتصال المكتوب (المطبوع) إلى منتصف القرن 15 بظهور الطباعة، والتي كانت به الأساس الراسخ لنشأة البنيان الضخم المسمى بالصحافة المكتوبة.

مميزاتها:

ـ قدرة القارئ على السيطرة علة الوسيلة والرجوع إليها متى أراد ذلك.

ـ تعتبر الوسيلة الأكثر تلاؤما مع المواضيع المعتمدة والمفضلة .وبالتالي يستطيع القارئ قراءتها أكثر من مرة ملائمة، أكثر للجماهير المتخصصة وصغيرة الحجم

.تحتاج إلى جهد ايجابي من قبل القارئ للشرح والتحليل والتخيل.

ـ ساهمت في انتشار التعليم (عبد الفتاح،دات،ص 7)

الإذاعة: تعرفها دائرة المعارف البريطانية بأنها النشر المنظم، والاعلام، والتثقيف والتي يستقبلها الجمهور في آن واحد، كما أنها عملية نقل الصوت من المرسل إلى المستقبل بعد تحويله إلى موجات كهرو مغناطيسية لينقل عبر الأثير ويلتقط عن طريق جهاز الاستقبال الذي يحوله إلى صوت مرة أخرى، حتى يصل إلى أذن المستمع(الطائي، 16،2007)

مزايا الإذاعة:

ـ سعة الانتشار: استطاعت الإذاعة تخطي الحواجز الزمانية والمكانية، ووصلت لجميع لفئات.

ـ السرعة الفائقة: فالرسالة الإعلامية تنتقل مباشرة من المرسل إلى المستقبل دون وسيط.

.لا يتطلب مجهود من قبل المستمعين.

ـ الرسالة المذاعة أبلغ تأثيرا.

ـ تخاطب حاسة السمع وبالتالي الحس والخيال فهي وسيلة تلعب دور في عملية التعلم وتنمي الخيال الفترات العقلية والإبداعية.

ـ تلعب دور في عملية التنمية وهذا ما أكدته تجربتين عالميتين في أمريكا اللاتينية والهند حيث اعتمدت على فكرة الاستماع الجماعي الموجه تقسم إلى مجموعات يشرو.

عن كل منها رائد وتعقب عملية الاستماع مناقشة جماعية (عبد الفتاح،دات،10)

التلفزيون: أقرب وسيلة للاتصال ألمواجهي فهو يجمع بين الرؤية والصوت والحركة والألوان، وله تأثير سحري على المشاهد، كما وأنه يعطي للمشاهد إحساسا بالمراقب المستقل والشاهد.

خصائصه: بينت الدراسات بأن خصائص التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية تتمثل في:

.هو بمثابة عين المشاهد لأن له قوة كبيرة في نقل الأحداث على المباشر.

ـ تجاوز الحدود الجغرافية ونقل أماكن يصعب الوصول إليها مثل: نقل نزول رجلين أمريكيين من مركبة الفضاء الأمريكية على سطح القمر في 1969.

ـ نقل كل ما يتعلق بالشخصيات الهامة والعالمية التي يصعب على المشاهد الإلتقاء بهم واقعيا.

.الاحساس بالوقت يغيب مقارنة بالإذاعة فهو يخاطب حاستين(سمع وبصر).

ـ يتطلب التركيز

.لا يتطلب أي مجهود من المشاهد.

ـ تقديم الأحداث أفضل بكثير من مشاهدتها واقعيا مثل المباريات.

ـ تنوع برامجه أتاح له نقل وبث الثقافة الجماهيرية إلى فئات الناس (عبود،61،2020)

الإعلام الجديد: هو عبارة عن نوع جديد من الاعلام. تجمعه خصائص وميزات مشتركة مع الاعلام التقليدي في المفاهيم والمبادئ العامة والأهداف إلى أنه يختلف عنه أنه يعتمد على وسيلة حديدة، كما أنه ينقل المضامين بطريقة أكثر تميزا وتأثيرا وهو يعتمد على أنه الانترنت بشكل رئيسي، ويعرف أيضا بأنه بشكل من أشكال الإعلام يعتمد بشكل رئيسي على الانترنت وهو اعلام متعدد الأشكال يجمع بين السمعي والمرئي والمقروء ويتميز بالحرية الواسعة والتنوع والشمول (شقرة، 2014، 54)

خصائصها وسماتها:

1/ التفاعلية: حيث يتم تبادل الآراء والأفكار بين الفاعلين في العملية الاتصالية ومشاركة وأثر .

2/ اللاجماهرية: بحيث تصل الرسالة إلى فرد أو جماعة وليس جمهور ضخم.

3/ قابلية التحرك: حيث يمكن حملها ونقلها.

4/ قابلية التحويل: يمكن تحويل شكل الرسالة إلى شكل آخر يعني يمكن تحويل الرسالة المسموعة إلى مطبوعة أو العكس.

5/ قابلية توصيل الأجهزة الاتصالية.

6/ الشيوع والانتشار: ويقصد بها انتشارها لدى جميع الفئات وفي جميع أنحاء العالم.

7/ الكونية: تتبع هذه الفئات المسارات المعقدة إلى جانب تتبعها لمسار الأحداث الدولية في أي مكان في العالم (شعبانية ،2017،ص 9)

وظائف الإعلام والاتصال في المجتمعات:

إن العلاقة التي تربط وسائل الاعلام بالمجتمع وطيدة ومتينة فلا يمكن تخيل وجود مجتمع حديث بدون وسائل إعلام والعكس الصحيح، وفي الحقيقة لا يوجد إجماع حول وظائف وسائل الإعلام وكثيرا ما يتم الخلط بين الأدوار والتأثيرات.

مفهوم "لازويل": الوظائف المجتمعية: حددها لازويل في ثلاث وظائف هي:

1: مراقبة البيئة OFENVIRAUEMENT SURVEILLANCE : من خلال تجميع المعلومات داخليا أو خارجيا حتى يتمكن النظام من اتخاذ القرارات المناسبة، فالمراسل هو مراقب خارجي أما المندوب فهو مراقب داخلي.

2/ ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة: Corrélation of the resapons of the society of the environnent:

لابد أن يكون اتصال وترابط بين أجزاء المجتمع لتكوين رأي عام حول قضايا أساسية وهنا يكمن دور وسائل الإعلام.

3/ نقل التراث الاجتماعي: Transmission of the social invariances:

تلعب وسائل الاعلام دورا هاما في تمرير القيم والتقاليد ونقل الميراث الإجتماعي خاصة مع تطور المجتمعات.

أما "لازرسفيلد وميرتون" فحددوها في ثلاث وظائف هي:

التشاور (تبادل الآراء): تدعيم المعايير الاجتماعية والتحذير، أما ويلبر شرام فيرى إن الوظائف المجتمعية لوسائل الإعلام هي: وظيفة المراقب، للوظيفة السياسية، التنشئة (مكاوي حسين السيد،74،73،1998)

ويمكن ذكر وظائف وسائل الإعلام في:

1/ نقل الأخبار: حيث تنقل وسائل كل ما يجري في العالم من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية حيث تربط الجمهور بعالمه الخارجي.

2/ التعليم: حيث تزود وسائل الإعلام جمهورها بالمعلومات في مختلف المجالات، كما تدعم تعليمهم الرسمي وتزيدهم مهارات.

3/ ترابط المجتمع وتواصل أجياله: تحقق وسائل الإعلام الاتصال الصلة والترابط بين أفراد الأسرة وبين مكونات المجتمع، كما تنقل العقيدة والعادات والتقاليد من جيل إلى آخر.

4/ الترفيه: وهي أحد الوظائف الأساسية التي يحتاجها الإنسان، لتخفيف ضغوطات، لتقديم الأفضل.

5/ الرقابة: حيث تقوم وسائل الإعلام بدور الرقيب حيث يكشف الانحراف والفساد ويتابع تنفيذ القوانين والتعليمات فهو سلطة قوية تعين باقي السلطات (شقرة،13،2014)

6/ وظيفة الإعلان والدعاية: وتتمثل في التعريف بالخدمات والمنتوجات المادية أو الخدماتية (سلع،خدمات)

7/ وظيفة التكامل: التعرف على نمط معيشة الآخرين وأفكارهم وتطلعاتهم وتوفير الفرص للأفراد لتحقيق علاقات وللتعارف والتفاهم ومن هنا يتحقق التكامل (شعياتي،2017،ص 15)

ـ تساهم في ارتقاء فكر للفرد من خلال تزويده بالثقافة الاجتماعية.

ـ أما بالنسبة للمجتمع فهي تعطي تصور شامل حول التفاعل والتعامل مع المجتمعات الأخرى.

ـ تحدد معالم مجتمع معين وتميزه عن باقي المجتمعات .

ـ تشكيل ثقافة المجتمع.

تصنيفات القيم: هناك ست أسس لتصنيف القيم وهذا راجع لكثرة النظريات الفكرية والفلسفية تجاهها:

1: المحتوى: قسمها سبرينجر(spranger) إلى دينية،اجتماعية،إقتصادية،قيم نظرية، سياسيةوجمالية.

2/ الهدف: قيم،والوسيلة.

3/العمومية: قيم عامة وقيم خاصة.

4/ الوضوح: قيم صريحة وقيم ضمنية.

5/ الشدة: وهي إلزامية، مفضلة،مثالية.

6/ الديمومة: قيم دائمة، قيم عابرة (الجرابعة،8،2018)

وقد صنف هاورد(Haward) القيم حسب الفائدة المرجوة منها على النحو التالي:

.قيم مادية وجسمانية: الصحة،الراحة،الأمان.

.قيم أخلاقية: الأمانة والعدالة والمساواة.

.قيم سياسية: العدالة، الحرية.

.قيم دينية: الصلاة،الحج والزكاة.

.قيم مهنية: الوعي المهني،النجاح المهني.

.قيم اقتصادية: الإنتاج، الكفاية.

.قيم اجتماعية: التعاطف والاحسان.

.قيم عقلية: الذكاء،صفاء الذهن والتعقل.

.قيم عاطفية: الحب،الرضا (حسن،2014، 17)

" إنه القيم هي المخرج الوحيد للفوضى، فهي معايير أخلاقية" (مصطفى وآخرون ،2010، 46)

ثانيا / التسامح:

مفهوم التسامح لغة واصطلاحا:

1ـ مفهوم التسامح في اللغة: "السماحة والسموحة: وهي التي لا عقدة فيها، وتسميح الرمح: تثقيفه، أي عمله رمحا قويا حادا قال الفرزدق: ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح للزعازع والمساميح جمع مسماح: وهو الكثير السماحة" (ربابعة،14،2006)

"السماح والسماحة": الجود، سمح سماحة وسموحة وسماحا: جادا ورجل سمح، وامرأة سمحة من رجال وسناء سماح وسمحاء فيها، ورجل سميح ومسمح مسماح: سمح ورجال مساميح وسناء مساميح.

لم يرد فعل (سمح) ومشتقاته في القرآن الكريم، ولكن وردت كلمات المعنى ذاته، هي: الصفح والإحسان وهما ضد التعنت والتعصب والتطرف والغلو" (أبو خليل،1993، 42)

اصطلاحا: هي حالة نفسية إيجابية ناجمة عن التعايش مع الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الإلغاء، فهو الاعتراف بالآخر والتعايش معه على أساس حرية العقيدة وحرية التعبير (الغرباوي، 23،2008)

هو موقف فكري يحترم فيه الموقف الفكري والعملي المعاير والمعاكس والمخالف، وهو السخاء والجود والتساهل ويعرف أيضا أنه تحمل رأي الآخر والصبر على السلوكية غير المرغوبة وهو دعوة للتصالح ووضع حد للنزاع القائم (ربابعة،2006، 17)

التسامح والحوار:" إن احترام الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به وليس الهدف من الحوار مجرد فك الإشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تشكل الأساس المتين للتعاون البناء بين الأمم والشعوب، والحوار بهذا المعنى يعد قيمة مضاربة ينبغي الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات" (السيقلي، 2012، 24)

" في الحقيقة أن العطاء والتسامح يعني أن تتقبل الناس كما هم بضعفهم وعجزهم، لا تتوقع أنهم سيتصرفون كآلهة فتوقعك هذا نوع من الإجرام" (اشو، 2011)

مبادئ التسامح:

مبادئ التسامح في الإسلام:

.أصل البشر واحد.

.يتعارف البشر لتحقيق مصالحهم.

.حرية التبين واحترام العقائد الأخرى.

.العفو والصفح عن الآخر.

.كل فرد في هذه المعمورة له مسؤولية عمارة الأرض وصناعة حضارتها.

ووضع الفيلسوف الفرنسي فولتير ثلاث مبادئ له اشتقها كارل بوبر وهي:

1 .قد أكون أنا على خطأ ، وقد تكون أنه على صواب.

2 .عبر تفاهمنا حول الأمور بشكل عقلاني، نصل إلى تصحيح أخطائنا.

3 ـ إذا تفاهمنا على الأمر بشكل عقلاني، قد نقترب معا من الحقيقة (الجرابعة، 2018، 12)

مجالات التسامح:

1 .التسامح الديني: هو عدم إلزام وإكراه الناس على اعتناق دين معين وهو التعايش بين الأديان وحرية ممارسة الشعائر الدينية وتجنب التمييز أو قد نص ديننا الحنيف على حرية التدين في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وفي سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين أمثلة كثيرة عن التسامح الديني وأدب الحوار الديني.

إن قيمة التسامح الديني ضرورية وهي تقتضي الاحترام المتبادل والمساواة بالحقوق

2ـ التسامح العلمي: يقوم العلم ومنهجه على التسامح، وهذا ما قاله إبن الهيثم: إن الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته، فليس يعني طالبه غير موجود أو وجود الحق صعب، والطريق إليه وعدا والحقائق منغمسة في الشبهات أو حسن الظن بالعلماء في طبائع الناس، وما عصم الله علماء من الذلل، ولا هما علمهم من الخلل وتتمثل مبادئ التسامح العلمي في: الإنفتاح العقلي، حق الإختلاف، المشاركة، الموضوعية، الحرية،العقلية، أدب الحوار، المرونة، سعة الصدر، رحابة الذهن، حسن الاصغاء، الرفق واللين، حسن الظن، التضامن والتعاون،الأمانة، النزاهة، التواضع، الصدق والإخلاص (السيقلي، 2012، 29)

3 ـ التسامح الاجتماعي: يعتبر أهم المجالات فهو مرتبط ببقية الأبعاد (الجرابعة، 2018،14) وهو احترام حرية الآخرين وعدم تجاوزها واحترام دار الهم وسلوكهم حتى وإن كان متعارضة ومختلفة، بعيدا عن التسلط والقهر والعنف والعمل على تأسيس علاقات اجتماعية منسجمة أساسها المحبة والثقة والوئام ويتحقق بتعزيز الحرية وتحقيق العدالة، نقد الذات.

4 ـ التسامح السياسي: هو الاعتراف بالآخر بصفة في العمل في التفكير السياسي، والتعددية السياسية، المشاركة السياسية، حرية التعبير والزاي، المساواة، التضامن، التلاحم الوطني،السلام (الوئام)، تحقيق المصلحة الوطنية وجعلها في المرتبط الأولى، المصداقية، الشفافية، رفض الظلم، تجنب المحاباة (السيقبي،35،2014)

إن التسامح السياسي هو ممارسة كافة الحقوق السياسية التي سمح لها الدستور وهو عدم حرمان ممارسة حقوقه السياسية وقيام الدولة بممارسة، تسلط أو قهر أو عنف أو منع الفرد من ممارسة حقوقه، كما أنه مساعدة للدول المحتاجة ... إلخ (حسن، 25،2014)

.توصيات عامة لتحقيق التسامح.

ـ احترام الآخرين عن طريق الاصغاء إليهم، متابعة تقيمهم وطريقة تفكيرهم وبأسهم الفكرية حتى وإن تعارضت معنا.

.توفير بيئة مناسبة للتسامح في أمرنا ومؤسساتنا ومجتمعنا.

ـ احترام الحريات والحقوق الممنوحة للفرد ورفض التسلط والعنف والظلم والدكتاتورية.

ـ تجنب استخدام القوة، والتطفل على الآخرين والتدخل في حياتهم وأعمالهم ونشاطاتهم.

.احترام الاختلاف (السيقلي،2014، 35)

النظريات المفسرة لثقافة التسامح:

أولا: ثقافة التسامح من منظور اجتماعي:

1 ـ نظريـة العقـد الاجتمـاعي: إن نمـوذج العقـد الاجتمـاعي ينقسـم إلى قسـمين (جمهـوري) و (ليبرالي) ورواده " جـان جـاك روسـو" "تومـاس هـوبز"، "جـون لـوك": فالجمهوري يركز على الإرادة الجماعية، المتآزرة، أما (الليبرالي) فهو يركز على الحقوق الفرديـة الأوليـة، والتي يقصـد بها الإرادة الحـرة، وبـالرغم من الانتقـادات التي طالـت هـذه النظريـة، كونهـا أحصـت الدولـة بـالرغم أنهـا روح الأمـة، إلا أن هـذا النمـوذج ظل مرجع

يـة، أساسـية للتقليـد الليبرالـي، كمـا أنـه إطـار مرجعـي للهياكـل الدسـتورية الـديموقراطيات الليبراليـة، ولـوك في كتابـه رسـالة في التسـامح اعتمـد على مبـدء، (الغـش ودع الآخـرين يعيشـون) واعتبر أن الـذين هـو الحـل المناسـب والمنطقي لكل الخلافـات، وأصـبح ينظـر للتسـامح بأنـه جـوهر الليبراليـة خاصـة مـع التطـورات الحاصلة في الجانب السياسي والاجتماعي (مطرود، 2015، 2146)

نظرية العدالة التوزيعية: تعود هذه النظرية إلى نظرية المساواة (theory Equity) علي يد (Adans 1963) وهي تقييم التوزيع النهائي للموارد في المؤسسة وادراكهم لعدالة المخرجات وهي تتعلق بعدالة توزيع المكافآت والمخرجات سواء مادية أو معنوية. (الأزهاري، محمد، 2021، 863)، وضاعها الفيلسوف الأمريكي جون رولز) (1921 ـ 2002) وجاءت كمحاولة بعد نظريات التعاقد لبناء أساس متين للمدرسة الليبرالية الحديثة في القرن 18 ،" وتعد نظرية العدالة التوزيعية عند

جـون رولـز كشـف عـن المبـادئ الناظمـة للعدالـة داخـل مجتمـع تعـددي" (تتيـات ،بلعزوقي،2014، 1238)

والتقليد الفلسفي يعتمد في تحديده للمسألة الأخلاقية على تصورين:

عام 1922 (مكاوي، جسين السيد، 1998، 288)، كما اهتمت كثيرا بالدراسات التي بحثت في دور هذه الوسائل في تشكيل وتوجيه الراي العام وما يحدث في عالمنا اليوم

يقتضي أن تبرز هذه الوسائل مواضيع مثل: التسامح، الحب، المساواة، العدل، تقبل الآخرين باعتبارهم في الوطن والهوية، فهي تنظر لوسائل الاعلام بأنها صمام أمان(مطرود، 2015،ص 2147)

2 .نظرية الغرس الثقافي (cultivations theory): يرى "جورج جرنير" دان" الإنهاء" هو ماتفعله الثقافة في مجتمع ما cultivation isuliat a cultuer فالثقافة هي نسق من رسائل وصور ذهنية تنظم العلاقات الإجتماعية وتعيد انتاجها فهي تعرض لنا شخصيات واتجاهات وأفكار وطبيعة الأدوار التي ينبغي أن تقوم بها كما ساعدنا على القيام بسلوكيات واعية أو غير واعية وتساعدنا في الحكم على الأشخاص (مكاوي ،حسين السيد، 1998، ص 301) ،وخلاصة هذه النظرية إن تكرار وتكثيف مضامين إعلامية معينة للمشاهد عن واقعه الاجتماعي يساعد في رسم صورة ذهنية له عن هذا الواقع وبالتالي فإن زيادة التعرض لوسائل الإعلام تولد شعور بالحب أو الكراهية حسب ما ينشر ومايبث وما يعرض.

الإعلام وثقافة التسامح:

أولا: دور الإعلام في الأزمات السياسية والأمنية:

تكتسي وسائل الإعلام أهمية كبيرة لدى الفرد والمجتمع لقدرتها الكبيرة على التأثير فهي المصدر الأساسي للمعلومات خاصة في الظروف الاستثنائية والأزمات كما أنها تسيطر عليهم من خلال المعلومات التي يستقبلونها، وكذلك فهي تمارس دورا كبير، في ظل الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية والصحية .. الخ (مطرود، 2015، 2147)

إن للإعلام الأمني هو تلك المضامين الإعلامية الصادرة عن الأجهزة الأمنية والذي يهدف إلى تحقيق الوعي الاجتماعي وتعزيز القيم والمبادئ الاسلامية بمختلف أشكاله المرئية والسمعية، والذي يشكل وقاية من الجرائم

ويعرف بأنه نشر للحقائق الأمنية والأمنية للجمهور لتوعيتهم وترشيدهم كما أنه النشر الصادق للحقائق والثوابت الأمنية، بهدف تحقيق الاستقرار والأمان والطمأنينة في نفوس الجماهير. (اللحام، الشمانية، 2014، 81)

كما أنه دولة حكومية تؤثر به علة المجتمع خاصة في الأزمات من خلال معالجته للظواهر والأحداث السلبية وغيرها، من خلال بث لبرامج ومضامين تنشر قيم المحبة والأخوة والمصالحة والمسامحة بين أبنائه لا تلك التي تدعو إلى التعصب والمغالاة ورفض الآخرين وهو ما يحتاجه مجتمنا، كما أنه قادر على تفكيك أسباب الأزمات فيضعها كما يستطيع التأثير على الأفراد فيغير اتجاتهم ومواقفهم وأرائهم ويستطيع توحيدهم وكسب تأييدهم وتعاونهم مما يعطي فرصة أكبر للتغلب على الأزمات، كما أنها تتصدى للشائعات والأكاذيب اذن وسائل الاعلام تلعب دور هام وكبير في المحافظة على استقرار وتوازن المجتمع والأمثلة الواقعية كثيرة محلية أو دولية. (مطرود، 2015، 2148)

لقد أصبح هناك شبه اتفاق على أن وسائل الاعلام تقوم بدور يعتد به في تحقيق الوعي الوطني، وكان هناك علاقة وثيقة بين البنيان الإعلامي وبنيان المجتمع وتطوره، فتعد وسائل الإعلام أداة من أدوات نقل المعلومات للجماهير، وكلما حصلت الجماهير على معلومات أكثر زاد اهتمامها بالتنشئة السياسية، ويمكن للإعلام، أن يوضح أهداف المجتمع وينشر المعلومات المتعلقة بهذه الأهداف، ويوسع من درجة قبول الجماهير لهذه الأهداف (خربوش، 2018، 58)

ساهمت هذه الوسائل من خلال مضامينها التوعوية والتثقيفية إجتماعية كانت أمر دينية في التصدي لظاهرة العنف وتوعية أفراد المجتمع تجاهها واكسابهم مهارات وقائية واحترازين لطريقة مواجهة العنف الذي يتلقونه.

والسؤال الذي يطرح ماهو دور المؤسسات الإعلامية في نشر قيم التسامح واحترام حقوق الانسان، ويتضح ذلك في طبيعة العلاقة الجدلية بين المجتمع و وسائل الاعلام فالمجتمع بصفة عامة والمجتمع المدني على وجه الخصوص يتأثر يؤثر في وسائل الاعلام.

وتنشر وسائل الاعلام قيم التسامح من خلال:

ـ تقديم مضمون فكري وثقافي ينشر هذه القيم كنشر مضامين خاصة بكيفية احترام الآخر وآداب الحوار، والتعايش بين الأديان.

ـ نشر مبادئ التسامح في شكل مضامين اعلامية مختلفة: تنص على حسن الظن، الرفق الين الصدق الاخلاص، النزاهة،المرونة، رحابة الذهن

ـ اعطاء نماذج وأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

ـ نبذ المضامين التي تنص على العنف واللاتسامح

ـ لابد للقائم بالاتصال أن يكون نموذجا وقدوة تقيدي بها المشاهد

ـ تقديم اعلام صادق ونزيه، بعيدا عن التعتيم والتضليل والفتن وللأسف هذا هو الواقع اليوم

ـ أن تحمل هذه المضامين قيما سامية تدعو للتسامح الديني والعلمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي

ـ أن يكون هدف الاعلام أو المؤسسة الاعلامية هو بناء المجتمع والمحافظة على استقراره وتعزيز قيمه السامية.

ـ وضع مواد قانونية أو آطر وقوانين اعلامية صارمة ضد المضامين الاعلامية التي تدعو للعنف والجرائم.

ـ التقليل من وجود الثقافات الفرعية التي من شأنها تفكيك الثقافة الآخر.

ـ تقبل الاختلاف.

ـ أن يكون الاعلام منبرا للحور والنقاش لاتخاذ القرارات السليمة.

ـ تفعيل دور المؤسسات واللجان المسؤولة عن رقابة وسائل الاعلام كما لابد أن تتصف بالنزاهة والحياد

ـ دعم وتعزيز الصوت الاعلامي الموضوعي الموحد والعقلاني في تنظيم المسؤولية الذاتية للإعلام المستقل وبلورته.

من خلال ما سبق نستنتج أن لوسائل الاعلام وظائف أساسية وهامة في بناء المجتمع والمحافظة على استقراره وتوازنه من خلال غرس الأخلاق والقيم السامية لمضامينها الفكرية والثقافية والعلمية التي توسع مدارك الفرد ومعارفه كما أنها تغرس فيه قيم التسامح والتعايش السلمي و إذا أحسن توظيفه واستخدامه.

قائمة المراجع:

- أبو إصبع، صالح خليل،(2012)،**وسائل الإعلام والمجتمع وجهة نظر نقدية**، عالم المعرفة، الكويت.

- اشو،التسامح (2011)،**رؤيا جديد تزهر الحياة**، تر علي حداد،ط، دار الخيال بيروت لبنان.

- ألأزهاري، حاقة، الباي محمد،(2021)، **العدالة التوزيعية مفتاح لسلوك المواطنة التنظيمية دراسة ميدانية لدى موظفي المديرية العملية لاتصالات الجزائر بالوادي**، مجلة العلوم الاقتصادية، مجلد 24، (ع 01).

- بوعطيط،سفيان، **القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعية وعلاقتها بالتو افق المهني**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة.

- تتيات، علي، محمد بلعزوقي،(2014)،**العدالة بين الأجيال في نظرية العدالة لدى جون رولز**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 28، ع(5).

- الجرابعة، آلاء زيد،(2018) ، **تحليل محتوى كتب اللغة العربية في المرحلة الأساسية في أردن في ضوء قيم التسامح والتعايش الديني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم التربوية، جامعة آل بيت.

- حسين علي إبراهيم ألفلاحي،(2013) ، **الإعلام التقليدي والإعلام الجديد**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان.

.ربابعة، عبد الله محمد أحمد، (2007)، **التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم أصول الدين، جامعة آل بيت.

- ساهي حسن،عادل، (2014) ، **كتاب التربية الإسلامية للصف السادس في العراق لقيم**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، مناهج التربية وأساليبها، جامعة آل البيت، العراق.

- شعبان مالك، (2017)، **دوروسائل الإعلام الحديثة في غرس وتنمية جامعة برج بوعريريج**،ع1، ديسمبر .

.شوقي أبو خليل،(1993)، **التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)**، دار الفكر، دمشق.

- الضلاعين، نضال فلاح وآخرون،(2014) ، ط1، **الإعلام والرأي العام**، دار الإعصار، عمان.

- الطائي، مصطفى حميد كاظم، (2007) **الفنون الإذاعية والتلفزيونية وفلسفة الإقناع**، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية.

- عبد الحميد خالد، كامل خربوش، (2018)، **دوروسائل الإعلام في مكافحة جرائم العنف**، المجلة العلمية المحلية التربية النوعية (ج1) ع 16.

- عبد الفتاح،علي، **الإعلام الاجتماعي**،د.ط، دار اليازوري، د/م.

- عبود، ريم،(2020)**مدخل الإذاعة والتلفزيون**، منشورات الجمهورية العربية السورية.

- علي خليل شقره،(2014)، **الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

ـ الغرباوي، ماجد، (2008)، **التسامح ومنابع اللاتسامح**، فرص التعايش بين الأديان والثقافات، ط1، مؤسسة العارف، بيروت لبنان.

- اللحام ،محمود عزت ، ماهر عودة الشمالية، مصطفى يوسف كافي،(2014)، **الإعلام الأمني**، ط1، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن.

- محمد صالح السيقلي، (2012)،**مدى تضمن محتوى كتب التربية الإسلامية المرحلة الثانوية لقيمة التسامح وتصور مقترح لإثرائها**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا.

- مصطفى، نادية محمود،سيف الدين عبد الفتاح، ماهر، مدحت وآخرون، (2011)، **القيم في الظاهرة الاجتماعية**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم.

- مطرود، أحمد جاسم،(2015)، **دور المؤسسة الإعلامية في نشر ثقافة التسامح دراسة تحليلية**، مجلة جامعة بابل، مج 23 (ع 4).

- مكاوى، حسن عماد، دكتورة ليلى حسين السيد،(1998) ،**الاتصال ونظرياته المعاصرة**، ط1، الدار المصرية اللبنانية.

الصراع الفرنسي الألماني حول الثقافة ودره في التأسيس للتعددية الثقافية.

أ. كرام ياسين

أستاذ محاضر، قسم الفلسفة،

جامعة سطيف 2.

ملخص:

تتناول هذه المداخلة الصراع الفكري حول فلسفة التاريخ الذي دار بين الفلاسفة الفرنسيين من جهة والفيلسوف الألماني يوهان غوتفريغ هردر من جهة أخرى، وكيف قاد هذا الصراع إلى التأسيس الفلسفي لفكرة تعدد الثقافات والقيم التي ستصبح فيما بعد أهم القضايا الفكرية في المجتمعات المعاصرة. هذه التعددية الثقافية التي أسسها هردر تؤمن أنه لا يمكن تحقيق فهم حقيقي وموضوعي للتاريخ وللشعوب والثقافات من خلال تطبيق معايير عقلية كلية وشاملة كما يروج له فلاسفة التنور الفرنسي وإنما من خلال فهم كل ثقافة وكل مرحلة تاريخية وفق قيمها المحلية والخاصة بها وأن كل ثقافة تعبر بطرقتها الخاصة والفريدة عن انسانيتها. هذه المقاربة الهردرية التي تؤمن بالمساواة بين الثقافات والشعوب هي التي تمنح الأسس الفكرية للحوار الثقافي والتسامح بين الشعوب.

Abstract

This intervention focuses on the intellectual conflict on the philosophy of history which opposed the French philosophers on the one hand and the German philosopher Johann Gottfried Herder on the other hand, and how this conflict led to maintaining a philosophical foundation of the idea of multiculturalism and the relativity of values which would later become the most important intellectual issues of contemporary societies. This multiculturalism founded by Herder believes that it is not possible to achieve a true and objective understanding of history, peoples and cultures through the application of rationalism as promoted by French Enlightenment philosophers, but rather by understanding each culture and each historical stage

according to its local and specific values and that each culture expresses its humanity in its own way. Herder's approach, which believes in the equality between cultures and peoples, provides the intellectual bases for cultural dialogue and tolerance between peoples.

مقدمة

إن المتأمل في عصر التنوير يكتشف أنه لم يكن متجانسا من الناحية الفكرية ولم يكن يدافع فقط عن العقلانية، بل عرف تيارا فكريا مناقضا للعقلانية يُعرف بتيار "المناهضين للتنوير les anti-lumières "حسب ما يسميه المؤرخ زئيف ستيرنهالZeev Sternhell أو بالفلاسفة الرومانسيين الأوائل كما يسميهم الفيلسوف الألماني أرنيست كاسيررArnst Cassirer والفيلسوف الانجليزي ايزايا برلين Isaiah Berlin

وإذا كان عصر التنوير يعتبر أن هناك حقائق عقلية ومنطقية تحكم الطبيعة وجميع مظاهرها فإنه أيضا كان يؤمن أنه يمكن تطبيق هذا التصور المعرفي العقلاني على المعرفة التاريخية من أجل فهم حياة الأفراد والمجتمعات وكل ما تنتجه هذه الكيانات، لأنه يفترض أن التاريخ مثل الطبيعة تحكمه قوانين منطقية وموضوعية، ومن أجل فهم مسار التاريخ وكل ما يتضمنه من مكونات ينبغي تطبيق النموذج العقلاني، ويعد التنوير الفرنسي أفضل ممثلي لهذا التوجه. إلا أنه وفي المقابل تنامى داخل هذا العصر(عصر التنوير) حركة معادية كان روادها فلاسفة ألمان تبنت قناعات مناهضة للنزعة العقلانية هدفها رد الاعتبار لكل من الطبيعة والتاريخ من خلال تحريرهما من الرؤية العقلانية الباردة التجريدية، وبالمقابل رد الاعتبار للقوى الحيوية في الإنسان وفي الطبيعة والإعلاء منها.

انطلاقا من الصراع الذي حدث بين فلاسفة التنوير الفرنسي والفلاسفة الألمان المناهضين للعقلانية التنويرية حول التاريخ ومكوناته انبثق تصوران مختلفان

حول فلسفة التاريخ الأول يمثله فولتير وأشياعه. حيث يقوم على العقلانية والعالمية وفكرة التقدم العقلي، والتصور الثاني يمثله الفيلسوف الألماني غوتفريد يوهان هردرJohann Gottfried Herder (1744-1803) ومن سار على نهجه، الذي تبنى مقاربة جديدة تستند على فكرة الخصوصية في مقابل العالمية، والقيم الحيوية والروحية في مقابل الرؤية العقلانية.

هذا الصراع أسس فيما بعد لرؤيتين مختلفتين حول الثقافة: الثقافة بالمفهوم الفرنسي والثقافة بالمفهوم الألماني؛ اختلاف يعود بالأساس إلى تباين المنطلقات الفكرية، فالفرنسيون يعتبرون أن الثقافة هي ما نتعلمه من خلال التربية العلمية والفنية والعقلية، هي كل ما ينقل الإنسان من حالة التخلف والهمجية إلى حالة التقدم والتحضر. والذي يجسد هذا المفهوم بشكل واضح هي فكرة التقدم العقلي في التاريخ، وهي فكرة رائجة في عصر التنوير مفادها أن الإنسانية تسير نحو التقدم والتطور والتحضر واعتبروا الوسيلة التي تحقق هذا التقدم هو العقل بمفهومه الكوني المجرد. ومنه فإن الثقافة الجديرة بهذا المفهوم والجديرة بالتعلم هي الثقافة المرتبطة بالعقل وبالعلم وما عدى ذلك يمكن تجاوزه والتخلي عنه. وبهذا فان الثقافة التي يدعو إليها الفرنسيون في عصر التنوير هي الثقافة التي تجعل من الأفراد مواطنين عالمين ومتحضرين وعقلانيين. حيث تؤمن هذه الثقافة فقط بالقيم العقلية أي القيم العالمية المشتركة بين الناس، ومنه تجاوز كل ما هو محلي، وعرقي، وديني لصالح ماهو عالمي، وحضاري، وعقلي. وهذا التصور الفرنسي للثقافة هو في النهاية انعكاس لروح عصر التنوير القائم على العقلانية والعالمية.

وبالمقابل نجد الألمان، الذين كانوا يعيشون في عصر التنوير وضعا فكريا وسياسيا واجتماعيا مختلفا عن الفرنسيين، كانوا يروجون لمفهوم آخر للثقافة مختلف عن التصور التنويري أي مختلف عن التصور الذي يروج لفكرتي العالمية والعقلانية المجدرة، حيث يولي الاهتمام بما هو محلي وخصوصي في مقابل ما هو

عالمي، وديني وحيوي في مقابل ما هو عقلاني. فالثقافة عند الألمان تشمل العادات والتقاليد والمعتقدات والأساطير والأذواق وليس شرطا أن تكون الثقافة هي نتاج التفكير العقلي المنطقي كما يعتقد التنوير الفرنسي. ويعد الفيلسوف الألماني هردر من الفلاسفة الألمان الذين دافعوا عن هذا المفهوم الواسع للثقافة والأب الممثل للرؤية الألمانية للثقافة في عصر التنوير. وقد عبر عن ذلك في كتابه: فلسفة أخرى للتاريخ الذي كتبه عام (1774) حيث تصدى للفهم التجريدي للثقافة كما روج له فلاسفة التنوير الفرنسي في كتاباتهم مقدما فهما آخر أكثر واقعية وحيوية للثقافة.

إذن نحن أمام تصورين للثقافة في عصر التنوير الأول يمثله الفرنسيون الذين أمنوا بالثقافة التي تعبر عن روح عصرهم المتمثل في العقلانية وفكرة التقدم، والقيم العالمية، والثاني مثله الرومانسيون الألمان، وبالخصوص هردر، الذي يعتبر الثقافة مرادفة لـ"روح الشعب" حيث تتجلى هذه الروح في مجموع الأشعار والأساطير والمعتقدات والعادات والتقاليد التي تميز كل شعب، ولما كانت الشعوب مختلفة فإن الثقافات بدورها مختلفة ومتنوعة.

إذا كان هردر وليد عصر التنوير، عصر العقل، إلا أن توجهه الفكري لم يكن في الاتجاه نفسه الذي كانت تؤسسه وتروج له فلسفة هذا العصر القائمة على: العقلانية، والعالمية وفكرة التقدم. حيث طور، على النقيض من ذلك، أفكارا تنتقد هذه الأسس التي قامت عليها فلسفة التنوير وهذا النقد في النهاية أسس لتوجه فلسفي آخر في قلب عصر التنوير يساءل ويثور على مخرجات النزعة العقلانية التي تزدري القيم الحيوية والدينية، والعالمية التي تلغي الخصوصيات المحلية، والتقدم الذي يسيء إلى المراحل التاريخية السابقة. وبالمقابل أسس لفكرة التعددية الثقافية التي تضمن الدفاع عن خصوصيات الثقافية وتعترف بالقيم الحيوية وأهميتها .

إن هذا الصراع الفكري الذي دار بين هردر وفلاسفة التنوير الفرنسي حول الثقافة كان في الأصل صراعا حول فلسفة التاريخ، أو بالأحرى النقد الذي وجهه

هردر لفلسفة التاريخ كما صاغها فلاسفة عصره هو الذي قاده إلى تأسيس رؤية فلسفية للتعددية الثقافية. ولهذا فإنه من أجل الإجابة عن الاشكالية المتعلقة بتشكّل الرؤية الهردرية (نسبة إلى هردر) حول التعددية الثقافية ينبغي أولا أن ننطلق من نقده لفلسفة التاريخ لأن أفكاره حول فلسفة التاريخ هي التي قادته إلى تقديم رؤية جديدة وثورية حول مفهوم الثقافة ومكانة الثقافات وأهميتها في التاريخ. لهذا فإننا في هذا المقال سنحاول أن نتطرق أولا إلى فلسفة التاريخ عند هردر ومن خلالها سنحاول أن نقدم رؤيته حول التعددية الثقافية.

1- من فلسفة التاريخ إلى فلسفة أخرى للتاريخ: في نقد هردر لفلاسفة التنوير.

أسس هردر فلسفته في التاريخ من خلال صراعه الفكري الذي دار بينه وبين فلاسفة التنوير عموما والتنوير الفرنسي بالخصوص. حيث كانت أفكاره نقدا لتحليلات: هلفيتيوس Helvétius التي عرضها في كتابه في الروح *De l'esprit* 1758م، وبولنجي N. A.Boulanger في كتابه: *Recherches sur* بحوث في أصل الاستبداد الشرقي *l'origine du despotisme oriental* 1762م اللذان لم يفهما الاستبداد الذي ساد في مرحلة المجتمعات البداية، حيث ذهب بولنجي إلى أن الاستبداد نشأ في البدايات الأولى للإنسانية لما اتخذ الناس وسائط لضمان العلاقة بينهم وبين الكائن الأعلى، وتدريجيا تولد لديهم استعداد للخضوع لهذه الوسائط وخدمتها، ليخلص إلى القول أن الدين هو أصل الاستبداد (Laurent, 2010)، وضد دالمبير D'Alembert في خطابه التمهيدي للموسوعة Discours préliminaire à « Encyclopédie » 'l الذي كان خطابا يعلي من شأن عصر التنوير واعتباره أفضل العصور، كما كان أيضا ضد مونتسكيو Montesquieuالذي حاول في كتابه "روح الشرائع" أن يقبض، تحت تأثير النزعة العقلية، على مجرى التاريخ وديناميكية

الحضارات في بعض القوانين العامة، وأيضا ضد فلسفة فولتيرVoltaire الذي اجتمعت فيه حقه كل الانتقادات السابقة. (Raulet, 1995, pp. 233-234).

عبّر هردر عن نقده للفلسفة التنويرية الفرنسية بشكل جلي في كتابه المهم: فلسفة أخرى للتاريخ من أجل تربية الانسانية. اسهام يضاف إلى اسهامات العصر. *Une autre philosophie de l'histoire : pour contribuer à l'éducation de l'humanité. Contribution à beaucoup de contributions du siècle* الذي كتبه عام 1774. هذا الكتاب، في حقيقة الأمر، جاء كرد فعل على أفكار فلاسفة التنوير الفرنسي وبالخصوص فولتير الذي كتب قبل عشر سنوات، أي في عام 1765، كتابا حمل عنوان: "فلسفة التاريخ للقس بازل". حيث صاغ فولتير في هذا الكتاب فلسفة للتاريخ تتوافق مع روح عصره المتمثلة في العقلانية. ودر عليه هردر بكتاب آخر يحمل عنوانا مشابها ولكن له دلالة عميقة تلخصه كلمة "أخرى" (Herder, 1964, pp. 8-9). فلماذا عنون هردر كتابه بـ: فلسفة أخرى للتاريخ وليس فلسفة التاريخ وفقط؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال سنحاول أولا أن نعرض الأسس التي قامت عليها فلسفة التاريخ كما صاغها فلاسفة التنوير ثم نتطرق إلى دلالة عنوان كتاب هردر "فلسفة أخرى للتاريخ".

إن عصر التنوير هو عصر العقل بامتياز، حيث كان يروج في هذه المرحلة لفكرة مفادها أن التاريخ كما الطبيعة يمكن دراسته دراسة عقلية والحكم عليه وفق معايير مستمدة من العقل. فلما كانت العقلانية هي المهيمنة في هذه المرحلة فإن هذا النموذج العقلاني امتد كذلك إلى ميدان الدراسات التاريخية حيث أصبحت الأحداث والمراحل التاريخية يتم فهمها وفق معايير عقلية مجردة، إلا أن هذه الطريقة في فهم التاريخ، في نظر هردر، تحول دون الفهم الحقيقي والأصيل للتاريخ وكل ما يضمه من ثقافات وشعوب.

لقد أدرك هردر خطورة المنهج الذي يعتمد على المعايير العقلية في دراسة التاريخ، وأدرك أن فولتير أراد أن يحدث في ميدان الدراسات التاريخية ما قام به

نيوتن في ميدان العلوم الطبيعية حين اعتبر أن الطبيعة تحكمها قوانين موضوعية ودور الفيزيائي ومهمته هو الكشف عن هذه القوانين، المقاربة نفسها تبناها فولتير حين حدد عمل المؤرخ بطريقة تشبه عمل الفيزيائي في علاقة بالطبيعة، فكلاهما يسعيان إلى اكتشاف القوانين الكامنة خلف الظواهر الطبيعة بالنسبة لنيوتن، والأحداث التاريخية بالنسبة لفولتير، ولما اعتبر نيوتن أن القوانين الطبيعية مستقلة عن كل ما هو غيبي ديني فكذلك الأمر بالنسبة للأحداث التاريخية هي مستقلة عن التأثيرات الدينية والغيبية، حيث أراد فولتير بمقاربته العقلانية تحرير التاريخ من التفسيرات الميتافيزيقية والدينية تماما مثل ما تم تحرير الطبيعة من قبل مع نيوتن (Cassirer, 1996, pp. 223-226).

من السهل أن نفهم أن فلسفة التاريخ التي صاغها فولتير، وكل من سار على نهجه، تريد أن تبعد فكرة العناية الإلهية وتبعد تأثير الرب في مجرى التاريخ بعدما أبعده نيوتن من الطبيعة، كما أنها تسعى إلى التأسيس لرؤية فلسفية تمجد العقل فقط وبالمقابل الحط من كل ما لا يتوافق معه من المعايير والقيم.

تكوين هردر الديني جعله يرفض هذه الفكرة التي تلغي دور الرب في حياة البشر وفي التاريخ وفي الطبيعة، وبالخصوص أن الفرنسيين كان لهم موقف عدائي شديد تجاه الدين. هذه العدائية انتقلت بشكل تلقائي إلى ازدراء واحتقار كل الثقافات والشعوب والمراحل التاريخية التي يعد الدين عاملا أساسيا في تكوين وعيها وثقافتها.

لم تقم فلسفة التاريخ التنويرية على فكرة العقلانية وحسب وإنما أيضا على الايمان أن العقل هو المستقبل الوحيد والأفضل للإنسانية. هذا الايمان هو ما جسدته وعبرت عنه فكرة التقدم العقلي في التاريخ. ومفاد هذه الفكرة أن الإنسانية في تقدم مستمر، والتقدم المقصود هنا هو تقدم الأفكار وقوى الفهم العقلية وكأن البشرية جمعاء تسير نحو طريق واحد للفهم والتفكير؛ أي نحو النموذج المعرفي

العقلي (ويزرمان وآخرون، 1986، صفحة 92) أما المعرفة التي تقوم على الدين والاحساس والأسطورة فهي متعلقة فقط بالمجتمعات التقليدية التي تمثل مرحلة التفكير السطحي والساذج. لهذا اعتبرت فلسفة التاريخ التنويرية أن مستقبل الانسانية ليس في ما تقدمه المعرفة الدينية الأسطورية وإنما في المعرفة العقلية، وأنه كلما زادت المعرفة العقلية كلما زاد كمال الجنس البشري وسعادته.

هذا التصور الجديد للتاريخ حمل وعدا وأملا في مستقبل انساني متطور وفاضل قوامه العقل. ومما زاد من قناعات هذا التصور المتفائل هو ما شهدته أوروبا آنذاك من انتشار للمعارف وتقدم علمي غير مسبوق وتراكم للثروات والتنظيم العقلاني للمجتمعات. ولم تكن فكرة التقدم التي طرحها فلاسفة التنوير مقتصرة فقط على فرنسا وأوروبا وحسب إنما كانوا يؤمنون أنه تقدم مطلق وحتمي يشمل الانسانية جمعاء. (ويزرمان وآخرون، 1986، صفحة 92)

إن فركتي العقلانية والتقدم تقودنا إلى فكرة أخرى قامت عليها فلسفة التاريخ التنويرية وهي العالمية. إن وسيلة تحقيق التقدم الذي تصوره فلاسفة التنوير هي العقل بمفهومه الكوني. لهذا اتخذوا منه معيارا لفهم كل تاريخ البشرية وتحديد مسارها المستقبلي، حيث تم فهم تاريخ البشرية والحكم على كل مكوناته من حضارات وشعوب وثقافات من خلال العقل ومعاييره. ولما كانت الثقافة التنويرية هي ثقافة تؤمن فقط بالقيم العقلية؛ القيم العالمية المشتركة بين الناس فإنها عملت على إدانة كل ما لا يتوافق مع العقل ودعت إلى تجاوز كل ما هو محلي، وعرقي، وديني لصالح ماهو عالمي، وحضاري، وعقلي. ومن تبعات النزعة العالمية هو ادانة الاختلاف الثقافي وكل ما يحمله من مكونات تتعارض مع القيم العقلية العالمية.

في مقابل هذا التوجه الذي تأسست عليه فلسفة التاريخ التي قدمها فلاسفة التنوير حاول هردر أن يقدم فلسفة أخرى للتاريخ تطمح إلى إعادة فهم التاريخ بطريقة لا تلغي التعددية الثقافية ونسبيتها. وإدراج هردر لكملة أخرىAutre مهم

جدا في فهم مقاربته فكلمة "أخرى" تحمل دلالة عميقة تكشف عن توجه فكري جديد مغاير لفلسفة التاريخ التي صاغها فلاسفة التنوير. ولما كانت هذه الفلسفة التنويرية قائمة على النموذج العقلاني فلن تكون هناك فلسفة أخرى للتاريخ إلا من خلال تقديم فلسفة مغايرة تستند على أسس مختلفة عن الأسس العقلانية المجردة التي قامت عليها الفلسفة التنويرية، أي من خلال الثورة على أسس المقاربة التنويرية للتاريخ والمتمثلة في: النزعة العقلانية، النزعة الكوسموبوليتانية وفكرة التقدم العقلي في التاريخ.

1-1 في نقد النزعة العقلانية

إن ما يثير الإشكال عند هردر في فلسفة التاريخ كما صاغها فلاسفة التنوير هي تبعات هذه الفلسفة نفسها على التاريخ ومكوناته من حضارات وثقافات وشعوب وأنماط التفكير التي كانت سائدة عند هذه الشعوب والثقافات وكذا المراحل التاريخية. فلما كانت فلسفة التاريخ التنويرية قائمة على النموذج العقلاني وعلى فكرة التقدم العقلي، والعالمية المجردة فإن هذه الفلسفة حاولت أن تفهم التاريخ فهما عقلانيا، وحكمت على الحضارات والثقافات والشعوب وكل المراحل التاريخية من خلال قيم ومعايير عقلية. لهذا اعتبر أن فلاسفة التنوير وقعوا في خطأ منهجي حينما جعلوا من النموذج العقلي معيارا وحيدا لفهم التاريخ. فلما كانت العقلانية من ابداع الحداثة وتجلت وبلغت هذه العقلانية أوجها في عصر التنوير فإن فلاسفة التنوير حاولوا أن يفهموا التاريخ من خلال النموذج المعرفي الذي كان سائدا في عصرهم، في حين أن العقلانية لم تكن نمطا فكريا سائدا عند كل الحضارات والشعوب والثقافات السابقة. وبذلك فإن فلاسفة التنوير طبقوا نموذجا معرفيا غريبا عن المراحل التاريخية السابقة. حيث حكموا على كل المراحل التاريخية من خلال ثقافتهم ومعاييرهم الخاصة بهم والتي تقوم على العقلانية، في حين أن المجتمعات والثقافات والمراحل التاريخية السابقة كانت قائمة على الحكم

الاستبدادي والفكر الذي يؤمن بالأسطورة والخرافة والدين أو لنقل على أمور كانت متعارضة مع الثقافة العقلانية التي تأسس عليها عصر التنوير. وكنتيجة لذلك بدت هذه الثقافات والشعوب والمراحل التاريخية السابقة على أنها مراحل وثقافات وشعوب بدائية، همجية ومتخلفة مقارنة مع عصر التنوير.

في هذا الشأن توجه هردر بالنقد إلى فلاسفة التنوير الفرنسي الذي أدانوا الحضارات الشرقية القديمة وبالتحديد مظهرين من مظاهر الحياة في المجتمعات الشرقية وهما: الاستبداد السياسي، والتفكير الديني الخرافي. ومن الفلاسفة الذين ينتقدهم هردر نذكر منهم: هلفيتيوس Helvétius في كتابه *De l'esprit* 1758م الذي يرى في الاستبداد غريزة إنسانية تدفعه إلى السيطرة على الآخرين، وبولنجي .N A.Boulanger في كتابه: *Recherches sur l'origine du despotisme oriental* 1762م الذي يرى أن الاستبداد نشأ في البدايات الأولى للبشرية حين اتخذ الناس وسائط ضرورية لضمان العلاقة بينهم وبين الكائن الأعلى، وتدريجيا تشكلت لديهم العادة والاستعداد للخضوع التام لهذه الوسائط، ليصل في النهاية إلى القول أن الدين هو مصدر الاستبداد(Giassi, 2010) لقد جعل فلاسفة التنوير الفرنسي الاستبداد مقولة عامة تنطبق على الحضارات الشرقية فحكموا على الشعوب الشرقية بالخنوع والطاعة العمياء وأنها أكثر الشعوب تجسيدا لمعاني العبودية، والتقاعس عن نشدان الحرية وكسر قيود الذل والهوان.

أما هردر فكانت له نظرة مخالفة فيما يخص الاستبداد الحاصل في هذه الحضارات الشرقية حيث افترض أن الاستبداد الذي طبع العصور البدائية يعد النظام الوحيد والملائم لتطور وتقدم الإنسانية. واعتبر أن هذه الشعوب البدائية تمثل مرحلة الطفولة الإنسانية ما يعني أنها مازالت تعيش تحت النظام الأبوي حيث تحتاج إلى من يرعاها ويوجهها. ويشبه هردر الاستبداد الذي يتكلم عنه فلاسفة التنوير باستبداد الأب الممارس على ولده الصغير الذي يحتاج إلى توجيه ورعاية في

هذه المرحلة من العمر، كذلك الأمر بالنسبة للإنسانية فلما كانت الشعوب الشرقية القديمة تمثل مرحلة الطفولة، أي طفولة الإنسانية، فهذا يعني أن هذه الشعوب تحتاج إلى الرعاية والتوجيه من قبل أنظمة ودساتير مستبدة لأن ذلك يتلاءم كثيرا مع مستوى تطورها السياسي والفكري، ولذلك يعتبر هردر أن النظام الاستبدادي يعد نظاما ضروريا للإنسانية في هذه المرحلة كونها لا تستطيع أن تتعلم شيئا لوحدها دون رعاية وتوجيه واملاء. ولما كانت الحضارات الشرقية تثمل طفولة الانسانية فإن الطفل الصغير لا نتحاور معه أو نستشيره بل نلقي عليه الأوامر إلقاءً، كما أن البشر في هذه المرحلة لا يستطيعون استعمال العقل والعقل وحده في تنظيم حياتهم كون أن الإرهاصات العقلية لدى الأفراد لم تتطور بعد ومازالت في بداياتها لهذا عملوا على الاستعانة بالتصورات والخيالات التي تبدو أنها خاطئة لكنها في زمنهم هي ضرورية ومفيدة(Herder, 1964, p. 125) ويؤكد هردر ذلك بقوله منتقدا فلاسفة عصره: « إن ما تسميه بالاستبداد هو في صورته الأكثر جلاء لم يكن في الحقيقة إلا مجرد سلطة أبوية غايتها تدبير أمور وشؤون البيت والمسكن » (Herder, 1964, p. 127)

إن الإنسانية في بداياتها كالطفل الذي يخضع لسلطة أبيه الذي لا يستطيع أن يكبر ويعتني بنفسه إلا بخضوعه لهذه السلطة الأبوية. وهردر لما سعى إلى رد الاعتبار للاستبداد الذي أدانته عقول التنوير في الحضارات الشرقية فإن هذا لا يعني أنه يمجد الحكم الاستبدادي في كل العصور وفي كل الحكومات وإنما يرى أن مكانه الطبيعي والملائم هو فقط في مرحلة طفولة البشرية. فالصبي وهو يكبر فإنه يتحرر شيئا فشيئا من تبعيته لوالديه ليصبح مع مرور الوقت أكثر استقلالية وتحررا. وما يُعِيبهُ هردر على هؤلاء الفلاسفة هو عجزهم عن فهم أهمية السلطة الأبوية ومنه أهمية الاستبداد الشرقي القديم في تنظيم شؤون الحياة الاجتماعية. وما منعهم من إدراك ذلك هو رؤيتهم للأشياء من خلال معايير عصرهم ومن خلال نظرتهم العقلية الباردة لمظاهر الحياة عند الشعوب الاخرى. لأن الاستبداد لم يكن

بذلك الرعب الذي يتصوره فلاسفة التنوير ولم يكن وقعه على شعوب الحضارات القديمة مرعبا مثل ما يتصوره فلاسفة التنوير. وفي هذا الشأن يقول وهو يتوجه بنقده لفلاسفة التنوير الفرنسي: بولنجي وهلفيتيوس وفولتير ومونتسكيو فيقول:« لقد تعودّنا على مفهوم الاستبداد الشرقي المستمد من التعابير الأكثر مبالغة والمظاهر الأكثر عنفا لإمبراطوريات اندثرت غالبيتها، هذا الاستبداد هو مجرد لحظة احتضار- وهو كذلك - مرحلة احتضار- ولما كنا نستند إلى طرق تفكيرنا (وربما شعورنا) الأوروبية لم يكن بمقدورنا الحديث عن ما هو أكثر رعبا من الاستبداد فنحن نآسي أنفسنا بإخراجه من سياقاته التي تبلور فيها وإدخاله في سياقات لم يكن فيها مرعبا بالشكل الذي نتصوره انطلاقا من زاوية حكمنا نحن .(Herder, 1964, p 125) »

إن إعادة الاعتبار للاستبداد في الحضارات الشرقية صاحبه أيضا رد الاعتبار للدين بصفة عامة وللديانات الشرقية خصوصا. فيعتقد هردر أن الشكل الأول لنظام الحكم ينبغي أن يكون دينيا لأن الدين يتوافق أكثر مع التركيبة الإنسانية في الحقب الأولى (Laurent, 2010) ففي طفولة الإنسانية كانت النظرة الدينية إلى العالم وإلى الطبيعة هي السائدة أما النظرة العقلية والمنطقية فلم تتشكل بعد. وخطأ التنويريين يتمثل في أنهم اعتبروا الدين وسيلة استعملها الحكام والملوك وعموما أناس مخادعون وماكرون من أجل استعباد الناس والسيطرة عليهم، في حين يعتبر هردر أنه من الطبيعي ومن العادي جدا أن يخضع البشر في هذه المرحلة لهؤلاء الملوك والشيوخ، ومن الطبيعي جدا اعلان الطاعة لهم لأنهم في طاعتهم هذه يشعرون بتدينهم، وكلما زادت طاعتهم وزاد ولائمهم لهؤلاء كلما زادت مشاعر التعبد والتدين لديهم وفي ذلك يقول:« من الطبيعي أن يكون الشيخ والأب والملك ممثل الله على الأرض، وليس فقط من الطبيعي الخضوع للإرادة الأبوية والإذعان للأعراف القديمة والامتثال التام لممثل الإله الذي له ذكر العصور الخالية، إنما كل هذا يمتزج ليشكل

شعورا دينيا بريئا »(Herder, 1964, p. 131) كما يعتبر الدين النظام الأنسب للشعوب البدائية حيث يتساءل :« أليس من الطبيعي أن يكون اللاهوت أقدم نظام للحكم في بداياته عند كل الدول! »(Herder, 1964, p. 131) وكذلك يرى في الدين التصور الأول الذي استخدمه البشر لفهم وتفسير الطبيعة وظواهرها. ومصدر هذا الدين ليس الخوف كما اعتقد فلاسفة التنوير وإنما الإعجاب والانبهار بجمال الكون وروعته. ومنه فإن ما كان ينظر إليه هؤلاء الفلاسفة على أنها تخلف مثل الدين والاستبداد والسلطة والخوف هو في الحقيقة أشياء ايجابية لهذه المرحلة البدائية للإنسانية وبل هو ضرورية ومهمة لها ومن العادي جدا أن نرى البشر في طفولة البشرية يتصرفون بكل سذاجة وعفوية ويتقبلون بكل سلبية حقائق السلطة التي تحكمهم. (Herder, 1964, p. 16)

إن الحكم الذي أطلقه فلاسفة التنوير على الثقافات والأمم الأخرى كان حكما من الخارج إي بالاستناد إلى معايير ثقافية غريبة عنها. لهذا اعتبر هردر أن الفهم الحقيقي للمراحل التاريخية لا ينبغي أن يتأسس من خلال نموذج معرفي يؤمن فقط بعالمية القيم والمعايير مثل ما فعل فلاسفة التنوير وإنما ينبغي فهم كل مرحلة تاريخية من خلال معاييرها وثقافتها وروح عصرها. وبذلك فقط يمكن أن نؤسس فهما حقيقيا ومتوازنا للتاريخ ومكوناته ومراحله.

إن المقاربة التنويرية عملت على إخضاع الأحداث التاريخية للتجريدات العقلية وهذه العقلانية لا تقدم فهما حقيقيا للتاريخ الواقعي المتعين الذي يتطلب نظرة محترمة للخصوصيات الثقافية والفكرية لكل مرحلة زمنية، لأن هذه الخصوصيات الثقافية تتعارض مع التعميمات العقلية والمنطقية، هذا لأن العقلانية العالمية لا تبالي بالخصوصيات التي تميز الثقافات والشعوب المختلفة ولا تحترمها بل تعتبرها صورا من صور التخلف والبدائية الفكرية، وأن ما يشكل مجد الانسانية وتقدمها ليس الدين أو ما يدور في فلكه وإنما العقل، وتبعا لذلك فإن قيمة

أية حضارة أو ثقافة تتحدد بمدى تمثلها للقيم العقلية والتزامها بالنموذج الفكري العقلاني.

2-1 في نقد فكرة التقدم العقلي

لقد خط هردر لكتابه: فلسفة أخرى للتاريخ مهمة كبيرة تتمثل في الدفاع عن كل المراحل التاريخية وعن كل الثقافات المختلفة ضد هالة التكبر التي أصيب بها فلاسفة التنوير الذين ينظرون إلى عصرهم على أنه أفضل العصور، وثقافتهم على أنها أرقى الثقافات. وهذا بالتحديد ما تتضمنه فكرة التقدم العقلي في التاريخ. لأن هذا الطرح الذي يعتقد أن الانسانية في تقدم يعني ضمنيا أن المراحل التاريخية المعاصرة أفضل من المراحل التاريخية السابقة وأنها أكثر تطورا من السابقة، ولما كان أساس هذا التقدم ومعياره هو العقل فإن عصر التنوير هو أفضل العصور على الإطلاق لأنه الأكثر تجسيدا لقوى العقل مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة. هذا التصور يحمل في نظر هردر نية خفية لإهانة الآخر، أي اهانة الثقافات والمراحل التاريخية الأخرى.

وكرد على فكرة التقدم العقلي في التاريخ افترض هردر أن المراحل التاريخية تقوم على التكامل فكل مرحلة تكمل أخرى ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عن مرحلة من المراحل فكلها مهمة في مسار تطور الانسانية. حيث يشبه مجرى التاريخ وتعاقب مراحله بجريان النهر الدائم التدفق وأحيانا أخرى يشبهه بالمراحل التي يمر بها الانسان. وهذه الاستمرارية ليست خالصة ونقية وإنما تحمل بعض آثار الأمم والحقب الأخرى. فالأمم والحضارات ليست منغلقة على ذاتها بل هي منفتحة على مثيلاتها إذ نجد أن كل الحضارات قد اعتمدت على بعضها البعض في عملية التشييد والبناء. ولقد صور لنا هردر العالم على أنه منفتح وفي تواصل وبل أنه مزيج من الثقافات والأفكار والفنون، وكل حضارة تكتسب وترث أشياء من التي سبقتها. حيث يقول هردر:« إن المصري لم يكن ليوجد دون الشرقي، واليوناني نجد أنه شيد

حضارته بالاعتماد على هذا وذاك، والروماني اعتمد على الجميع. إنه يوجد تقدم متواصل وتطور متتابع » (Herder, 1964, p. 191)وفي موضع آخر يقول:« إن مزيج العقل الفينيقي و العقل المصري(...)هو الذي شكل مثالية العقل اليوناني وحريته »(Herder, 1964, pp. 155-157) ونقرأ في موضع آخر:« إن المصري دون التعليم الذي تلقاه في الشرق من الصبي لمَا كان مصريا، ولمَا كان اليوناني دون حماسة المصري، ونجد كراهيتهم بالتحديد هي العلامة على التطور والتقدم والدرجات المحققة »(Herder, 1964, pp. 139-141) ويضيف:« إن اليوناني يأخذ من المصري ما يجده مفيد له والروماني يأخذ من اليوناني ما هو مفيد له، وما إن يتشبع، فإنه يطرح الباقي أرضا ولا يرغب فيه » (Herder, 1964, p. 185) عندما نقرأ هذه المقاطع نكتشف أن هردر يرى أن ما يشكل الحضارات هو هذا الإرث الذي تكتسبه كل حضارة من الأخرى، وهذا المكتسب الجديد هو الذي يعمل على تشكيل هويتها وثقافتها وحضارتها، فما وصل اليونانيون إليه من تطور فكري و تحرر عقلي لم يكن نتيجة عبقريتهم أو ما يعرف عادة بالمعجزة اليونانية التي ترى في الشعب اليوناني شعبا فريدا من نوعه، بل هناك عوامل خارجية وفدت من الثقافات والأمم والحضارات الأخرى هي التي أسهمت في تكوين فكرهم وثقافتهم، إلا أن ما ورثه اليوناني من العقل المصري والعقل الفينيقي لم يأخذوه كما هو وإنما تغير جذريا نتيجة تأثير العوامل الطبيعية والسياسية والفكرية والأخلاقية التي يتميز بها المجتمع اليوناني وهذا التحول هو الذي يشكل ويمثل هويتهم وأصالتهم ويجعلهم شعبا متميزا عن الشعوب الأخرى. (Crépon, 2003, pp. 150-151)

هذا التصور الذي قدمه هردر لمسار التاريخ يختلف عن ذلك الذي قدمته فلسفة التنوير فهو تصور لا يخضع الشعوب والثقافات لسلم ترتيبي معين ولا يسعى للحكم عليها أو تقييمها. ولكي يوضح هردر فكرته في تقدم الإنسانية يستعين ببعض التشبيهات، فتارة يشبه هذا التقدم بالمراحل التي يمر بها الإنسان في حياته وتارة

يستخدم مثال الشجرة، وتارة أخرى يستعين بمثال النباتات. (Giassi, 2010) فلو نظرنا المراحل التي يمر بها الإنسان من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة نجدها كلها مراحل مهمة وضرورية ولا يمكن تجاهل أو اقصاء أي واحدة منها، فلكل واحدة منها قيمتها وأهميتها في حياة الإنسان. الشيء نفسه ينطبق على تاريخ الإنسانية فكل مرحلة من مراحلها لها أهميتها وقيمتها ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عن أي واحدة منها فكلها ضرورية ومهمة وكل واحدة تمهد للأخرى من أجل خلق التناغم والتناسق بين أجزاء هذا الكل. كما نجده يستعين بمثال الشجرة عندما يريد أن يتكلم عن الإنسانية ككل فالشجرة حتى تكون شجرة ينبغي أن يكون لها جذور وجذع وأغصان وأوراق وكلها مجتمعة تشكل الشجرة ولا ينبغي لهذه الأجراء وهي متفرقة أن تدعي أنها تمثل الشجرة لوحدها. كذلك الأمر بالنسبة للإنسانية فالشعوب والحضارات والثقافات تعبر عن أجزاء الإنسانية ولا ينبغي لثقافة ما أو شعب ما أو لحضارة ما أن تدعي أنها تمثل الإنسانية لوحدها بل كلها مجتمعة تسهم في تشكيل كيان الإنسانية.

بهذه الطريقة حاول هردر الرد على فكرة التقدم العقلي في التاريخ التي صاغها فلاسفة التنوير الذين يعتبرون أن عصرهم أفضل العصور وثقافتهم أفضل الثقافات وعقلهم أفضل العقول. وهذا في نظر هردر تقليل من أهمية الثقافات والحقب التاريخية الأخرى. لهذا وقف هردر ضد هذا الغرور الفكري الذي أصاب فلاسفة التنوير الفرنسي كطريقة لرد الاعتبار لكل المراحل التاريخية السابقة ولكل الأمم والشعوب والثقافات المختلفة وأن ما وصل إليه عصر التنوير لم يكن لو لا التراكم المعرفي الذي بدأ مع الحضارات القديمة. لهذا فكل مرحلة وكل ثقافة لها أهميتها في تاريخ الانسانية.

3-1 في نقد النزعة الكوسمبوليتانية

لقد دعا فلاسفة التنوير إلى بناء دولة عالمية كوسموبوليتانية تجمع كل أفراد النوع البشري. واعتبروا أن تصميم هذه الدولة يجب أن يكون وفقا لمعايير العقل لأنها المعايير الوحيدة التي يشترك فيها البشر والتي بإمكانها أن تجمعهم رغم اختلافهم. وتستند النزعة الكوسموبوليتانية إلى أفكار ديكارت التي تؤمن بوحدة الهوية الانسانية القائمة على العقل (Longo, 2005, p. 19). وعبر عنها فيما بعد فولتير وغيرهم من الفلاسفة بفكرة "المواطن العالمي citoyen du monde " ,Longo) (Longo, 2005, pp. 19-20 هذه النزعة العالمية والكوسموبوليتانية التي دعا إليها فلاسفة التنوير هو ما حاول هردر الثورة عليه من خلال التأسيس لفكرة التعددية الثقافية.

وهذا المشروع التنويري الطامح إلى توحيد البشر قد يبدو من الناحية النظرية جميلا ورائعا ونبيلا إلا أنه من الناحية الواقعية هو غير ذلك. فالعقل التنويري هو عقل مجرد لا يكترث بالوقائع، عقل متعالي ينظر إلى الأشياء نظرة فوقية وعامة. أفكار هذا المشروع مستمدة من العقل المتعالي وهذا العقل لا يكترث للخصائص التي تميز الشعوب، ما يهمه هو النوع البشري لا ثقافاته المختلفة، ما يهمه الكل وليس الجزء. لهذا اعترض هردر على هذا المشروع التنويري الذي رأى فيه خطرا على الإنسانية وتهديدا لها ولمكوناتها. لأن احترام هذا الكل(الإنسانية) والاهتمام به لا قيمة له إن أهينت واحتقرت وأهملت أجزاؤه المكونة له(الثقافات المختلفة)، بمعنى أن احترام الإنسانية يكون باحترام الشعوب والثقافات المكونة لها، وإلا ستبقى فكرة الانسانية فكرة مجردة وشعار خال من المعنى، كما أن احترام الأفراد يعني احترام ثقافتهم ودينهم ولغتهم...إلخ. وقد كتب هردر نصا صاغه بأسلوب تهكمي ينتقد فيه النزعة الكوسمبوليتانية التي دعا فيها فلاسفة التنوير الفرنسي الأمم والشعوب والثقافات المختلفة إلى التخلي عن الخصائص المحلية والذوبان في ثقافة عالمية موحدة مؤسسة على قيم عقلية مجردة حيث يقول:« طبائع ونمط حياة! أية حقبة

يمكن أن تكون مأساوية مازالت تعيش فيها خصائص أمم: أية كراهية متبادلة، أي حقد للأجانب، أي استغراق في التفكير أية أحكام قديمة مسبقة، أي تعلق بالأرض التي ولدنا فيها وفيها سنتلاشى! طرق تفكير محلية! حيز أفكار ضيق، بربرية لا تنتهي! أما عندنا، فحمدا للرب! كل خصائص الأمم تم القضاء عليها! نحن متحابون كلنا، حتى أن الواحد فينا ليس بحاجة لأن يحب الآخرين؛ نحن نتردد على بعضنا، وكلنا متساوون فيما بيننا_ فنحن متأدبون و متحضرون وسعداء! صحيح أننا لا نملك وطنا، ولا نملك ما يتيح لنا أن نسميه "أهلنا" الذين نحيا لأجلهم، ولكن نحن أصدقاء الإنسانية ومواطنون عالميون. كل أمراء أوروبا يتكلمون الفرنسية ونحن في القريب العاجل سنغدوا مثلهم نتكلم الفرنسية، نتكلم الفرنسية! هنيئا لنا إذن! فالعصر الذهبي قد يبدأ من جديد، "العالم كله يملك لغة واحدة و الكلمات نفسها"! "لن يكون هناك سوى قطيع واحد وراع واحد"! يا خصائص الأمم، ماذا حل بكم؟ » (Herder, 1964, pp. 281-283) في هذا النص يتوجه هردر بالنقد إلى فلاسفة للتنوير الفرنسي في دعوتهم إلى تأسيس مجتمع انساني موحد يستند إلى قيم المواطنة العالمية. وحتى يتم تجسيد هذا المشروع ينبغي على الأمم والشعوب الأخرى أن تتخلى عن أنماط تفكيرها القديمة المبنية على الأسطورة والخرافة وبالمقابل تتبني التفكير المنطقي العقلي، وأن تتخلى عن السلوكات الهمجية والبربرية وتتعلم السلوكات المتحضرة والراقية، وأن تتخلى عن الخصائص المحلية التي تثير النعرات والكراهية بين الأمم لتتبني ثقافة عالمية واحدة تلغي التمايز بين الشعوب والأمم. ولكن هردر أدرك أن هذا المشروع تمت صياغته على مقاس الثقافة الفرنسية التي تريد أن تهيمن على العالم، وأدرك أن النزعة الشمولية التي دعا إليها فلاسفة التنوير الفرنسي هي عدوة الخصوصيات الفردية والأمم والثقافات المختلفة. وأن تصورهم للإنسانية تصور مجدر وبارد فالإنسانية ليست وعاءً فارغا أو مفهوما مجردا وإنما هي مجموع الشعوب والأمم والثقافات وجمال الانسانية وروعتها مستمد من تنوع

ثقافاتها وشعوبها. لهذا اعتبر أن الدعوة إلى العالمية والوحدة كما صاغها فلاسفة التنوير الفرنسي هي دعوة تشوه جمال الانسانية ويقضي على تنوعها وثرائها وجمالها.

2 - من فلسفة أخرى للتاريخ إلى التأسيس الفلسفي للتعددية الثقافية.

إذا كانت أفكار هردر حول فلسفة التاريخ هي نتيجة صراعه الفكري مع فلاسفة عصره. فإن أفكاره حول التعددية الثقافية هي بدورها امتداد لهذا الصراع. فهردر وهو يرد على فلاسفة عصره حول ما ينبغي أن تكون عليه فلسفة التاريخ فإنه كان أيضا يؤسس لأفكاره حول التعددية الثقافية. لهذا فإنه لا يمكن الفصل بين فلسفة التاريخ عند هردر وأفكاره المؤسسة للتعددية الثقافية. ولما كان الأمر كذلك فإنه أيضا لا يمكن فصل تشكل الرؤية الهردرية (نسبة إلى هردر) حول التعددية الثقافية عن صراعه الفكري مع فلاسفة التنوير الذين يدافعون عن العالمية الأحادية، لأن التعددية الثقافية هي رد مباشر على فكرة هذه العالمية الداعية إلى تجاوز الاختلاف والتمايز بين الشعوب والأمم والثقافات.

وحتى يدافع هردر عن المراحل التاريخية ومختلف الأمم والثقافات ضد النزعة العالمية المجدرة افترض أن الإنسانية تتكون من أمم وثقافات وأن الانتماء الثقافي والأممي شيء جوهري في حياة الأفراد. (برلين، جذور الرومانتيكية، 2012، صفحة 120) عكس الرؤية التنويرية التي تنطلق من فكرة وجود هوية انسانية واحدة وأنها غير متمايزة أساسها العقل.

مفاد فكرة الانتماء الثقافي والأممي التي طرحها هردر كتجاوز لفكرة الهوية الإنسانية الواحدة أن البشر ينتمون دائما إلى جماعة ما، إلى ثقافة ما، ويتكلمون لغة معينة وهذا الانتماء هو الذي يحدد كينونتهم ويجعلهم يتميزون عن الجماعات الأخرى، فكل أمة تملك خصوصيات ثقافية ولغوية واجتماعية ودينية تعبر عن هويتها وتميزها عن غيرها. وهذه الخصوصيات متجذرة في هوية الأفراد الذين ينتمون

إليها بحيث لا يمكن الغاءها أو تجاوزها. ففي مقابل فكرة الفرد المجدر (العقلاني) اختار هردر الانطلاق من فكرة الأمة لأن الأمة تحمل في طياتها اعتراف بالخصائص الجزئية للشعوب والثقافات في حين أن فلاسفة التنوير ينطلقون من فكرة الفرد المجرد التي تعتبر أن الهوية الأساسية للإنسان هي العقل أما الخصوصيات الثقافية والدينية يمكن تجاوزها من أجل قيم عالمية موحدة مستمدة من العقل وحده.

ويعتبر ايزايا برلين أن هردر هو أول من أسس لتوجه فكري يدافع عن مشروعية التعددية الثقافية ومنه القومية الثقافية وفي ذلك يقول:" من الممكن أن يحدد تاريخ بروزها كدعوة مترابطة في الثلث الأخير من الثامن عشر في ألمانيا، خصوصا في تصورات روح الشعب(Volksgeist) والروح القومية(Nationalgeist)، في كتابات الشاعر والفيلسوف ذي التأثير العميق يوهان غوتفريد هيردر" (برلين، نسيج الانسان الفاسد، 2016، صفحة 112). حيث بدأت تهيمن على:" فِكر هيردر قناعته بأن من الاحتياجات الأساسية للإنسان، الأولوية للطعام أو للتناسل أو للاتصال، هناك حاجة الانتماء إلى الجماعة". (برلين، نسيج الانسان الفاسد، 2016، صفحة 112)فالانتماء الثقافي والأمي شيء جوهري في الإنسان، وهوية الفرد تتشكل من انتمائه.

قبل الشروع في تحليل فكرة هردر حول الانتماء الثقافي نود أولا أن نفهم السبب الحقيقي الذي دفع هردر إلى التأكيد على فكرة الانتماء الثقافي والأمي ومنه التأسيس الفلسفي للتعددية الثقافية في مقابل النزعة الكوسمبوليتانية الفرنسية؟

من أجل فهم ذلك ينبغي أن نعود إلى التاريخ. فتاريخيا كانت فرنسا في القرنين السابع عشر والثامن عشر مهيمنة سياسيا وعسكريا وثقافيا على أوروبا، حيث كانت فرنسا بلدا قويا عسكريا، ومتقدم فكريا وثقافيا، وكانت عاصمتها باريس تمثل مركز اشعاع ثقافي وفكري عالمي، حيث كانت الدول الأوروبية تعتبر فرنسا نموذجا فكريا جديرا بالاقتداء، هذه الهيمنة السياسية والفكرية انتقلت إلى اللغة الفرنسية التي

أصبحت لغة شائعة التداول في الدول الأوروبية مثل اسبانيا وايطاليا وألمانيا وهولندا، وكان ينظر إليها على أنها لغة الفكر والعلم والثقافة حيث كانت تلعب آنذاك نفس الدور الذي كانت تلعبه اللغة اللاتينية في العصور الوسطى. وكان ملك بروسيا آنذاك فريدريك الثانيFrédéric II (1712-1786) مهووسا باللغة الفرنسية وأدبها الخالد وكان يعتقد أن اللغة الألمانية لغة متخلفة مقارنة بالفرنسية وأنها عاجزة عن ابداع أعمال أدبية خالدة مثل ما فعل الفرنسيون، وإذا أرادت أن تبلغ ذلك عليها بمحاكاة اللغة الفرنسية، وكان شائعا أن مكانة اللغة الفرنسية وأهميتها يعود إلى أنها لغة واضحة، وهذا الوضوح مستمد من التفكير العقلي المنطقي الذي كان يمارسه الفلاسفة الفرنسيون، وبذلك ساد الاعتقاد أن اللغة الفرنسية هي لغة العقل والثقافة والتقدم والتحضر. (Kulundzic, 2018, pp. 100-105)

في هذا الوضع التاريخي والفكري والسياسي كان يعيش هردر؛ وضع يشهد على انتصار فرنسا وانهزام ألمانيا. لم يستطع هردر أن يتقبل هذه الروح الانهزامية التي سادت أوروبا وبالخصوص بلده المانيا إزاء لغة فرنسا وثقافها. لهذا جند نفسه لمهمة التأسيس الفكري للتعددية الثقافية والدفاع عن الخصوصيات اللغوية والثقافية في مقابل الهيمنة الفرنسية. حيث طرح فكرة مهمة وهي أن لكل أمة ولكل شعب أهميته وأصالته في تاريخ الإنسانية وهذه الأهمية والأصالة يعبر عنها بـ"روح الشعب". وروح الشعوب تتجلى في نمط تدينها وأشعارها الشعبية وأساطيرها البدائية وقصصها القديمة وكذا عاداتها وتقاليدها ولغاتها المحكية.

وكان هردر يرى أن الثقافة الحقيقية لا تتمثل في المعرفة العقلية والأفكار الفلسفية المجردة وإنما أيضا في تلك التي نجدها في روح الشعوب أي في التراث الشعبي والقصص والأشعار والأساطير القديمة. (Kulundzic، 2018، صفحة 108) وهذه الروح هي التي تعبر عن عبقرية الشعوب وأصالتها. وبذلك فإن الانسانية الحقيقية عند هردر ليست تلك التي يتصورها فلاسفة التنوير الفرنسي على أنها

انسانية العقل والقيم العقلية وإنما الانسانية الواقعية التي تتجلى في روح الشعوب، أي في الثقافات واللغات والعادات والتقاليد المختلفة التي تكشف عن الحياة الحقيقية والواقعية للشعوب.

هذا الاهتمام بالثقافات الشعبية ومكوناتها والاشادة بها وبأصالتها هي طريقة لإيجاد بديل عن النموذج الثقافي الفرنسي الذي يعتبر أن الثقافة الحقيقية هي تلك المرتبطة بالعقل أما ما عداها فهي مجرد أشكال بدائية لا ترقى إلى الفكر الحقيقي. هذا البديل الذي قدمه هردر والذي يدعو إلى العودة إلى التراث الشعبي واشعاره واحيائه والترويج له هو طريقة للتخلص من هيمنة الثقافة الكلاسيكية العقلية التي تمثلها فرنسا آنذاك.

لقد أراد هردر أن يلفت أنظار المهووسين بالثقافة الفرنسية ولغتها الدخيلة إلى أن هناك نموذج ثقافي آخر محلي ومحايث لكل أمة ولكل شعب، وأن عبقرية كل أمة وأصالتها موجود في ثقافتها المحلية. ومنه فإن الفكر الحقيقي والأدب الخالد لن يكون كذلك إلا من خلال الاستثمار والانطلاق من الثقافة المحلية. وتبعا لذلك إذا أرادت ألمانيا (وهذا ينطبق على البلدان الأخرى) أن تنتج فكرا أصيلا وأدبا راقيا وخالدا مثل ما فعلت فرنسا فليس من خلال تقليد الفرنسيين وإنما من خلال العودة إلى روح الشعب الألماني؛ إلى العبقرية المحلية والاستثمار فيها **(Kulundzic, 2018, pp. 112-113)**.

بهذا الطرح حاول هردر أن يتجاوز النموذج الثقافي الفرنسي العقلاني الأحادي الذي لا يبالي بروح الشعوب وما يمثل أصالتها وعبرقريتها. وهذا البديل الذي قدمه هو بالتحديد ما يشكل أصالته وابداعه الفكري. وبذلك يعد هردر الأول الذي أحدث تحولا كبيرا في مفهوم الثقافة في عصر التنوير فبعدما كانت الثقافة تعني عند الفرنسيين كل ما له علاقة بالفكر والعقل، أصبحت تعني "روح الشعب" أي كل ما يحيل إلى العادات والتقاليد والمعتقدات والأساطير ونمط العيش والسلوك، وبعدما كانت الثقافة واحدة وتستعمل بصيغة المفرد أصبحت الثقافة تستخدم بصيغة

الجمع: الثقافات، فلا توجد ثقافة عالمية واحدة وإنما هناك ثقافات متعددة بتعدد الأمم والشعوب (Finkielkraut, 1987, p. 9).

1-2 في طريقة فهم الثقافات المختلفة.

بعدما قدم هردر تصورا آخر لمفهوم الثقافة مختلف عن التصور التنويري الأحادي والمجرد، وبعدما بيّن أنه لا توجد ثقافة واحدة كما يزعم فلاسفة التنوير وإنما هناك ثقافات متعددة ومختلفة باختلاف الأمم والشعوب. ينقلنا بعد ذلك إلى طريقة أخرى لدراسة وفهم التاريخ وكل ما يتضمنه من شعوب وثقافات ومراحل تاريخية مختلفة عن النموذج العقلاني التنويري. ومن أجل بلوغ ذلك دعا أولا إلى تجاوز العقل المتعالي الذي اعتمد عليه فلاسفة التنوير في فهم التاريخ والاستثمار في العقل التاريخي المحايث، لأن العقل التنويري المتعالي لا يفهم روح الشعوب وثقافاتها، ولا يفهم ما معنى أن يكون الفرد متدينا وعاطفيا ولا يفهم ما معنى أن يكون منتميا إلى ثقافة، إلى لغة، إلى وطن... وهذا لأنه لا يبالي إلا بما يتوافق مع القيم العقلية، وبالمقابل نجد أن العقل التاريخي عقل لا يتعالى على التاريخ ومكوناته بل هو محايث له وهذه المحايثة تمنحه القدرة على القدرة على استيعاب الاختلاف الثقافي واحترامه لأنه يعتبر أن لكل مرحلة تاريخية معاييرها ولكل ثقافة قيمها الخاصة بها. (Larmore, 1993, pp. 238-239) والعقل الذي يراعي هذا الاختلاف ليس العقل التنويري المجرد وإنما العقل التاريخي الواقعي الذي بإمكانه أن يفهم ويبرر الاختلاف الثقافي والانتماءات القومية والمعتقدات الدينية. فالعقل التاريخي لا ينظر إلى الوقائع والمكونات التاريخية نظرة فوقية خارجية وإنما هو عقل محايث للتاريخ ومتعاطف مع مكوناته ووقائعه، العقل التنويري هو عقل يمتلك صورة قبلية حول ما ينبغي أن تكون عليه الاشياء فما توافق مع معاييره يقبلها وما تعارض معها يرفضها ويزدريها وينتقدها، في حين العقل التاريخي هو عقل يتماهى مع الوقائع ويبحث عن المنطق الذي يبررها.

لهذا يعتقد هردر أنه إذا أردنا فهم ثقافة ما أو ما يسميه بـ"روح الشعب" وما تملكه هذه الروح (الثقافة) من خصوصيات علينا أن نتعاطف معها (Giassi, 2010)حيث يقول هردر:« الطبيعة الكلية للروح التي تهيمن على كل شيء وتكيف حسب ماهيتها كل الميولات والملكات الروحية الأخرى وبل تتعداها إلى التصرفات الأكثر جمودا، وحتى يكون بمقدورك الشعور بها لا ينبغي بناء إجابتك من خلال رأي واحد بل حاول أن تتوغل في هذا العصر، في هذه الرقعة الجغرافية وهذا التاريخ بأكمله، توغل داخل كل هذه الأشياء وحاول أن تحس بها بنفسك. وهي الطريقة الوحيدة التي بإمكانها أن تقودك إلى فهم هذه الكلمة(الروح) (Herder, 1964, p. 169)إن أفضل طريقة لفهم الروح التي تسري في الأمم والشعوب الأخرى أو فهم الروح السائدة في عصر ما هي أن نتعاطف معها. والتعاطف هنا يعني الغوص في تركيبة هذه الأمم والإنصات إليها عن قرب، أن نعيش وسطها، أن نتجرد من أحكامنا المسبقة حتى نستطيع فهمها وليس أن نحكم عليها من الخارج بأن نطلق أحكاما معممة وكلية في حين توجد اختلافات وخصوصيات تنفلت من هذه الأحكام العامة.

إن العقل التاريخي يؤمن أن لكل جماعة تملك خصوصيات تميزها عن غيرها وتعبر عن هويتها فالجزائري مثلا نجده مختلف عن الصيني في طريقة تفكيره وعمله ورقصه والقوانين التي تحكمه والموسيقى التي يفضلها والطعام الذي يأكله واللباس الذي يرتديه كل هذه الأفعال والسلوكات والقيم تجعله يتميز عن الصيني ومنه فإنه لا يمكن فهم الجزائري وما ينتجه من فن وموسيقى وأخلاق وقوانين دون العودة إلى هذه الخصوصيات لأنها هي التي وجهت فنونه وأخلاقه وقوانينه لتكون بهذه الصورة أو تلك. ومنه فإن فهم الفرد الجزائري لا يستقيم إن أهملنا تاريخه وثقافاته ولغاته، وأي إهمال أو إقصاء لأي مكون من مكوناته الثقافية والتاريخية واللغوية سيبقى فهمنا له ناقصا.

حسب هردر فإنه من أجل فهم جماعة ما أو أمة ما في أي حقبة كانت يجب أن نجهد مخيلاتنا من أجل الولوج إلى مشاعر هؤلاء البشر البعيدين عنا في الزمان والمكان ومختلفين عنا في الدين والثقافة. وإذا استطعنا عن طريق مجهود المخيلة أن نُنْشِأ من جديد، داخل ذواتنا، هذا النمط من الحياة الذي عاشه ويعيشه هؤلاء البشر وكيف كانت طبيعتهم ومناخهم وشوارعهم وقيمهم استطعنا بذلك أن نفهمهم. هذا يعني أننا إذا أردنا فهم الفلسفة اليونانية علينا أن نفهم أولاً الفن اليوناني، أن نفهم التاريخ والجغرافيا اليونانية وتركيبتهم الاجتماعية ونظمهم السياسية...وإلخ وهي الطريقة الوحيدة التي ينبغي إتباعها إذا أردنا أن نكون موضوعيين في أحكامنا عنها (برلين، جذور الرومانتيكية، 2012، الصفحات 126-127)وليس وفق المنهج الذي اتبعه فلاسفة التنوير الذين طبقوا قراءة شمولية كلية للثقافات المختلفة معتقدين أن الانسان كائن عقلاني وهويته واحدة يشترك فيها جميع البشر لا تتغير بتغير المكان والزمان، وتصوروا أن هناك معايير وقوالب ثابتة يمكن تطبيقها على الجميع في حين أنها هذه النظرة الكلية والمجردة لا تستطيع أن تستوعب الاختلافات وخصوصيات والوقائع الجزئية التي تزخر بها الأمم والثقافات.

2-2 الثقافات متعددة لكنها متساوية.

لم يكتف هردر بالقول أن الثقافات متعددة وضرورة فهمها وفق قيمها ومعاييرها الخاصة وإنما أيضا أكد على أنها متساوية فيما بينها. إن عملية المقارنة تعني أن هناك سلما للقيم إليه نعود في عملية المقارنة ووفقا له نصدر أحكامنا من أجل القول أن هذا الشعب أو ذاك أقل أو أكثر تقدما أو سعادة من الأخر، أو أن ثقافة ما أفضل من الأخرى أو أن حقبة ما أو عصرا ما أكثر تطورا وتقدما من الذي سبقه أو تلاه. وهذا بالتحديد ما قامت عليه فكرة التقدم العقلي التي تصور أن التاريخ يسير نحو التقدم العقلي وأن هذا التقدم هو أساس سعادة الانسان ورقيه، وأنه الانسانية تسير من التخلف والهمجية نحو التطور التحضر. وحتى لا يقع هردر

في مأزق المقارنة السلبية التي تسيء إلى الآخر، عمل على تأسيس رؤية فلسفية بحيث تكون فيها مختلف الأمم والحقب والثقافات على شكل سلسلة متناسقة ومتناغمة دون أن تكون ولو ضمنيا محاولة لتقييمها أو الحكم عليها. وهذه الرؤية في مقابل الرؤية التي تبناها فلاسفة التنوير الذين يعتبرون في التعاقب التاريخي صورة لتطور تدريجي نحو الأفضل. ولما جعل هؤلاء الفلاسفة معيار هذا التقدم هو العقل، ولما كانوا يعتبرون أن عصرهم هو عصر العقل بامتياز فإنه بدا لهم عصرهم على أنه أفضل العصور وأكثرها تقدما وتحضرا. وبالمقابل فإن الحقب الأخرى بدت لهم متخلفة وهمجية لأنها ببساطة أقل تمثلا للقيم العقلانية. لقد أدرك هردر أن فلاسفة التنوير بمقاربتهم هذه يحكمون على الماضي بمعايير الحاضر، وعلى أذواق الآخرين من خلال أذواقهم، ويحكمون على الإنسان البدائي والتقليدي من خلال الإنسان الحديث، وهنا بالتحديد يكمن الخطأ المنهجي الذي وقع فيه فلاسفة التنوير لما افترضوا سلما للمقارنة يتماشى فقط مع أذواقهم وروح عصرهم و رؤيتهم للعالم. (Herder, 1964, p. 179)

إن فلاسفة التنوير افترضوا وجود سلم للمقارنة صالح لاستقراء كل تاريخ البشري. وعليه فإن تقييم هذا المسار التاريخي والحكم عليه يكون من خلال المعايير الموضوعة سلفا. ولما كان هؤلاء الفلاسفة يعتبرون عصرهم أفضل العصور وأكثرها تطورا وتقدما فإن الحكم على الحقب الأخرى يكون انطلاقا مما توصل إليه عصرهم متجاهلين المسافة الزمنية وبالخصوص الفكرية التي تفصلهم عن الماضي وطرق تفكيره. (Herder, 1964, p. 133) فصحيح أن العقل الإنساني في عصر التنوير قد قطع أشواطا كبيرة من حيث مناهج الدراسة والتفكير العقلي والمنطقي، كما شهد انتشارا رهيبا للمعارف فكان عصرهم بمثابة انعطافة لا مثيل لها في تاريخ البشرية، إلا أن هذا التطور والتقدم، في نظر هردر، لا يشرع إلقاء اللوم على الحقب الأخرى لأنها لم تبلغ هذا المقام من التطور والتقدم.

وحتى يوضح هردر فكرته يشبه مطالبة عصر التنوير المراحل التاريخية السابقة بالتقدم الذي بلغته والتفكير المنطقي والعقلي الذي تؤمنه به كمطالبة الطفل الصغير بنفس الكفاءات التي يمتلكها الشيخ الحكيم. كذلك الأمر بالنسبة للحقب التاريخية القديمة فلا ينبغي انتقادها على عدم امتلاكها آليات التحليل العقلي والمنطقي الذي بلغه عصر التنوير، وقد عبر عن ذلك هردر بقوله:« إن الأمر الأكثر ازدراء في العالم أن يكون شيخ بعمر ثلاث سنوات-Herder, 1964, pp. 133) » (135بمعنى أنه من غير المعقول أن نطالب صبيا صغيرا بعمر ثلاثة سنين تلك الحكمة التي يمتلكها الشيخ الكبير وهذا إشارة إلى فلاسفة عصر التنوير الذين يطالبون الشعوب البدائية والعصور الوسطى أن تكون بمستوى التطور العقلي والعلمي الذي بلغه عصرهم وهذا في حد ذاته يتنافى مع التفكير العقلي والواقعي.

لقد توصل هردر إلى أن المقاربة العقلية للتاريخ عاجزة عن فهم الحقب والأمم الأخرى انطلاقا من قيمها ومعاييرها والسياقات التي تكونت فيها، كما أنه تنبه إلى أنها مقاربة قائمة على مبدأ الإساءة وليس على مبدأ الفهم لأن المقارنة والتفضيل بين نمطين من التفكير ينتميان إلى مرحلتين زمنيتين مختلفين دون مراعات الاختلاف الموجود بينهما هو خطأ منهجي في عملية الفهم، كما أنه أدرك أن النزعة التقدمية التنويرية التي تفضل وتعلي من قيمة الحاضر على الماضي هو اجحاف في حق الماضي، لأنه لولا التراكم المعرفي لما بلغ عصر التنوير ذلك التقدم المعرفي الذي يتبجح به فلاسفته. لهذا دعا هردر إلى تجاوز المقاربة العقلية للتاريخ وبالمقابل تبني مقاربة تؤمن أن مسار التاريخ هو مسار متكامل ومتناغم وأن الاعتراف بمبدأ المساواة هو الوحيد الذي يضمن الاحترام بين الثقافات والأمم والمراحل التاريخية.

وحتى يدافع هردر عن أطروحته يشبه الاستمرارية بين المراحل التاريخية التي تمر بها الانسانية وأهمية مراحها وأصالتها بالمراحل التي يمر بها الفرد الإنساني، فكما أنه لا يمكن الفصل بين طفولة وشباب وشيخوخة الكائن البشري، والأهمية

والخصوصية التي تتميز وتتمتع بها كل مرحلة، فكذلك الأمر بالنسبة لمراحل الإنسانية فكل مرحلة وكل حضارة وكل ثقافة تمثل حلقة مهمة وأصيلة ومكملة في هذا الكل الذي هو الإنسانية. (Crépon, 2003, pp. 151-152) ولما كان الأمر كذلك فإنه لا يحق لأية ثقافة أن تدعي أنها تجسد لوحدها كل الإنسانية. من هذا المنطلق ينتقد هردر عصر التنوير الذي شن هجوما شرسا على العصور السابقة حين كان الفكر الخرافي والأسطوري والديني سائدا، معتقدا أن حياته بدأت فقط مع سن الرشد، أي مع مرحلة التفكير العقلي والمنطقي، ونسي مراحل اللعب وأيام المدرسة والاكتشافات الأولى. لقد أصيب عصر التنوير بفقدان الذاكرة وما كان لهردر إلا أن ذكره أن الإنسانية قبل أن تصبح راشدة فكريا مرت بمراحل الطفولة الفكرية، وكل المراحل التي مرت بها الانسانية لها قيمتها وأهميتها (Crépon, 2003)

إن الأفكار التي طرحها هردر حول روح الأمم وعبقريتها، واختلاف الثقافات ونسبيتها، والتأكيد على المساواة بينها، وضرورة فهم كل ثقافة، كل أمة وكل حقبة تاريخية وفق قيمها ومعاييرها، وبالمقابل نقد المقاربة العقلانية للتاريخ ورفض العالمية المجدرة. فإن هذه الأفكار الثورية أسست لفلسفة أخرى للتاريخ، هذه الفلسفة الأخرى للتاريخ ابدعت في النهاية تصورا جديدا لمفهوم الثقافة، ومنحت الشرعية الفكرية للتأسيس والدفاع عن التعددية الثقافية.

خاتمة

في هذه المداخلة حاولنا أن نبين كيف أدت أفكار هردر حول فلسفة التاريخ إلى التأسيس الفكري للتعددية الثقافية. وقد رأينا أن كتاباته أخذت طابعا سجاليا مع فلاسفة عصره وبالخصوص الفرنسيين منهم. حيث لم يكن هردر في البداية ينظر للتعددية الثقافية في ذاتها وإنما هي نتيجة منطقية لنقده للأسس التي قامت عليها فلسفة التاريخ كما صاغها فلاسفة التنوير والمتمثلة في: العقلانية، العالمية وفكرة التقدم.

لم تقد أفكار هردر حول فلسفة التاريخ إلى التأسيس الفكري للتعددية الثقافية وحسب وإنما أيضا، كما أشار إلى ذلك زئيف ستيرنهال إلى التأسيس، مع مفكرين آخرين، لحداثة جديدة في مقابل الحداثة التنويرية:" قائمة على النزعة الجماعية، والنظرة التاريخية، والقومية، حداثة يكون فيها الفرد محدد بأصوله الإثنية، ومن خلال التاريخ، واللغة والثقافة" في مقابل حداثة تقوم على القيم العالمية، والاستقلالية الذاتية للفرد. ويعتبر أن الصراع بين الحداثتين وحول ما ينبغي أن تكون عليه الحداثة الحقة هو الذي طبع ويطبع الفضاء الفكري منذ عصر التنوير.

إن مسألة التعددية الثقافية التي طرحها هردر في عصر التنوير عرفت تنظيرا كبيرا من قبل العديد من الفلاسفة المعاصرين حيث أصبحت التنظيرات المتعلقة بالاختلاف الثقافي والعيش المشترك وحق الاختلاف في زمن العولمة والهجرة وانفجار القوميات الاثنية واللغوية وتطلعاتها نحو التحرر والاستقلال من بين الموضوعات الفكرية الأكثر طرحا في العالم المعاصر.

ويبدو أن الرهان في المجتمعات المعاصرة هو كيف يمكن تحقيق التصالح بين أسس الفلسفة التنويرية الداعية إلى العالمية، والفلسفة المعادية لها والتي تدعو إلى الاعتراف بالثقافات المختلفة وحقها في التعبير عن ذاتها وفق قيمها المحلية الخاصة بها؟

قائمة المراجع باللغة العربية:

1. ايزايا برلين. (2012). *جذور الرومانتيكية*. (سعود السويدا، المترجمون) بيروت: جداول.
2. ايزايا برلين. (2016). *نسيج الانسان الفاسد*. (سمية فلوعبود، المترجمون) بيروت: دار الساقي.

3. ويزرمان وآخرون. (1986). *تاريخ الدياليكتيك: الفلسفة الكلاسيكية الالمانية*. (نزار عيون السود، المترجمون) دمشق: دار دمشق.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

1. Cassirer, A. (1996). *la philosophie des lumières.* (P. Quillet, Trad.) Fayard.
2. Crépon, M. (2003). mémoires d'Europe (note sur une autre philosophie de Herder). (h. R. Org, Éd.) *Revue germanique internationale*(20), pp. 145-152.
3. Finkielkraut, A. (1987). *la défaite de la pensée.* Paris: Gallimard.
4. Giassi, L. (2010). la philosophie de l'histoire selon Herder en 1774. (p. éditions, Éd.)
5. Herder. (1964). *une autre philosophie de l'histoire.* (M. Rouché, Trad.) Paris: Aubier.
6. Kulundzic, N. (2018, 12 20). Le rôle de la littérature dans l'édification d'une culture nationale. (U. P. Paol, Éd.) France.
7. Larmore, C. (1993). *modernité et morale* (éd. 1). Paris: presse universitaires de France.
8. Laurent, G. (2010). *la philosophie de l'histoire selon Herder en 1774.* France: philopsis.
9. Longo, M. (2005). Voix des peuples et idée de nation chez Herder. *La Revue Historique, 1*(2004), pp. 19-34.
10. Raulet, G. (1995). *Aufkarung:les lumières allemandes.* Paris: Flammarion.

النقاش الاعلامي لملف المهاجرين في فرنسا بين تكريس الكراهية والدعوة للاندماج

دراسة تحليلية نقدية لعينة من مقالات الجزيرة الإخبارية

محور الدراسات الاعلامية والثقافية

د/ وشفون سارة استاذ محاضر ب/ كلية علوم الاعلام والاتصال والسمعي البصري: جامعة قسنطينة 3 صالح بو بنيدر.

البريد الالكتروني:sara.ouchfoune@univ-constantine3.dz

د/ ماضوي مريم أستاذ محاضر ب/ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي.

البريد الالكتروني: meriemresearch@hotmail.fr

الملخص:

تمثل هذه المداخلة تحليلا نقديا للنقاش الإعلامي الدائر حول ملف المهاجرين الجزائريين في فرنسا بالموقع الاخباري لقناة الجزيرة في الفترة الزمنية الممتدة بين الانتخابات الفرنسية 2022 وحادثة مقتل الشاب نائل في جوان 2023، وللإحاطة بأبعاد الظاهرة تم اعتماد التحليل النقدي للخطاب الإعلامي كبرنامج بحثي، اخترنا منه مقاربة فان دايك لمعرفة طرق انتاج خطاب الكراهية في الخطاب السياسي الفرنسي المستهدف للمهاجرين الجزائريين كأقلية مسلمة في فرنسا.

الكلمات المفتاحية:

خطاب الكراهية، العنصرية، الاندماج، الانتخابات الفرنسية، نظرية الاستبدال الكبير.

abstract

. This scientific paper represents a critical analysis of the media debate about the algerian immigrants in france on Al-jazeera news channel, between the period of french presidential election in 2022 and the killing of the teen boy Naïl Merzouk in june 2023. In order to identify the dimensions of this phenomenon, we rely on critical analysis of the media discourse as a research method. We choose Van Dijk's approach to find out the ways of producing hate speech in the french political discourse targeting algerian immigrants as a muslim minority in france.

1.مقدمة:

يعد موضوع خطاب الكراهية ضد الاقلية الجزائرية المسلمة في فرنسا مثار اهتمام الكثير من الباحثين، لأنه من القضايا الشائكة سواء بالنسبة للجزائر باعتبارها بلدا مصدرا للمهاجرين، أو لفرنسا التي تستقبل هؤلاء المهاجرين، وتعود جذور الهجرة الى فرنسا الى الحرب العالمية الاولى إذ أدى توافد الجزائريين اليها الى اعادة تشغيل المصانع المشلولة وكدا الانضمام الى الجيش، وتطورت الهجرة عبر فترات تاريخية لتتأزم الاوضاع في فرنسا، بسبب التخوف من سيطرة هؤلاء المهاجرين على أوجه الحياة فيها خاصة انهم اصبحوا ينفذون إلى أهم المناصب العلمية والسياسية والرياضية فيها، مع إيمان البعض من العنصريين المتطرفين بنظرية الاستبدال الكبير والتي تقول إن أغلب السكان الأوروبيين المسيحيين البيض، قد أصبحوا مهددين بسبب تنامي قدوم المهاجرين من المسلمين وأصحاب البشرة السمراء إلى أوروبا. أي أنه سيتم استبدالهم بأجيال من المهاجرين المغاربة.

وقد ادى هدا التخوف من المهاجرين الى نشر صور نمطية عنهم، اثرت عليهم سلبيا خاصة وان الصورة النمطية هي عبارة عن فكرة خاطئة يكونها الناس عن شخص ما أو شيء ما أو شعب ما[1]، ويكتسبونها عن طريق قوالب جاهزة متوفرة في بيئتهم الاجتماعية، لمساعدتهم على فهم العالم بأقل جهد ممكن[2].

وادى تراكم هده الصور في مخيال الفرنسيين الى خلق خطاب كراهية عنيف يحث على رفض المهاجرين واقصائهم، وتحييد وجودهم في المجال العام الفرنسي، وتبرز اساليب التعبير عن هذا الخطاب بشكل كبير في فترة الانتخابات الرئاسية،

[1] : cambridge dictionary. (n.d.). cambridge dictionary. Retrieved december 18, 2021, from https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/stereotype

[2] :bednarska-wnuk, i., & syper-jedrzejak, m. (2019, FEBRUARY 12). THE MEANING OF STEREOTYPES in the workplace in respect of employability. *journal of positive management*.

واثناء وقوع أي جريمة من جرائم الكراهية على غرار مقتل الشاب نائل جوان 2023*.

وتأسيسا على ما سبق جاءت هذه المداخلة من أجل تقييم الطرح الإعلامي في موقع الجزيرة لظاهرة خطاب الكراهية الموجه ضد المهاجرين الجزائريين في فرنسا في موقع الجزيرة، والوقوف على دور الاعلام في لفت الانتباه لتصاعد الاسلاموفوبيا في العالم الغربي.

2. **اهداف البحث:**

1. تقييم الطرح الإعلامي للظاهرة في موقع الجزيرة، والوقوف على دور الاعلام في لفت الانتباه لتصاعد الاسلاموفوبيا في العالم الغربي.
2. تحديد اشكال الكراهية الواردة في الخطاب السياسي الفرنسي من وجهة نظرة الجزيرة.
3. استعراض الصورة النمطية السلبية للمهاجرين الجزائريين في المخيال السياسي الفرنسي.
4. التعرف على مفهوم خطاب الكراهية والخطاب العنصري المكرس في تصريحات السياسيين والمسؤولين الفرنسيين.

3. مجتمع الدراسة وعينتها:

يتمثل مجتمع الدراسة في كل المواد الاعلامية المتوفرة في موقع الجزيرة الاخبارية والتي تناولت اخبارا عن فرنسا من انتخابات 2022 الى اوت 2023 ، اما العينة فهي عينة قصدية تم فيها اختيار كل المواد الإعلامية التي نشرتها موقع الجزيرة الإخبارية حول ملف المهاجرين في البرامج الانتخابية للمرشحين الفرنسين، وكذلك

* حادثة قتل الشاب الفرنسي ذي الأصل الجزائري "نائل المرزوقي"، البالغ من العمر 17 عاما، برصاص شرطي فرنسي، وذلك إثر توقيف السيارة التي كان يقودها دون رخصة في ضاحية نانتير بالعاصمة الفرنسية باريس.

المواد الإعلامية التي تناولت مقتل الشاب نائل وردود الفعل الناجمة عن هذه الحادثة. وتتمثل عينة الدراسة في 30 مفردة .

4. **الضبط المفاهيمي :**

تعريف الهجرة:

الهجرة لغة: الهجر ترك الشيء او الفعل، والهجرة الخروج من ارض الى أخرى[3].

الهجرة اصطلاحا: الانتقال للعيش من مكان إلى اخر مع نية البقاء في المكان الجديد لفترة طويلة.

الهجرة غير الشرعية في الاصطلاح: انتقال المهاجر من دولة إلى دولة أخرى تسللا دون تأشيرة أو إذن دخول مسبق أو لاحق.

المهاجر:migrant هو الشخص الذي يقوم بالهجرة، و تستخدم هذه الكلمة على الوافد والنازح معا ومصطلح النزوح يعني ترك المكان ثم الوفود ويعني الهجرة الى مكان ما[4]، فالمهاجر هو إذا الذي ينتقل من مكان اقامته الاصلية الى الاقامة الجديدة بهدف الاستقرار او العمل.

كما يعرف المكتب الدولي للعمل "BIT" المهاجر غير الشرعي بأنه: "كل شخص يدخل او يقيم او يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيصات القانونية اللازمة، لذلك يعتبر مهاجرا غير شرعي أو سري، او بدون وثائق أو في وضعية غير قانونية"[5].

---

[3]: الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب. (الطبعة الثانية، 2003). *القاموس المحيط*. بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي. ص 460

[4]: علياء شكري، و أخرون. (بلا تاريخ). *دراسات في علم السكان*. مصر: مطبعة العمرانية للاوفيست. ص271.

[5] :travaille, B. i. (2004). une aproche equitable pour les travaiiieures migrants dans une économie mondialisée . *Conférence internationale du BIT 92em session*(Rapport n°6).p15

المهاجر اجرائيا: ويقصد بالمهاجرين في هذه الدراسة الجزائريون الذين يعيشون في الاراضي الفرنسية من الجيل الاول او الثاني، بغض النظر عن طريقة دخولهم الى فرنسا ان كانت شرعية او غير شرعية.

خطاب الكراهية:

اصطلاحا: صدر اول تعريف لخطاب الكراهية عام 1993 في الولايات المتحدة الامريكية، بأنه الخطاب الدي يدعو الى اعمال العنف او جرائم الكراهية، وغالبا ما يستخدم متبنوا هدا الخطاب اساليب تجعل الاخرين يشعرون بالتهديد، ومبين هده الاساليب تدمير الممتلكات، الفاظ عدوانية: التقليل من شأن فرد او جماعة اجتماعية[6].

التعريف الاجرائي:

ويقصد بخطاب الكراهية في هده المداخلة تلك الطرق التي يعبر بها الفرنسيون وعلى راسهم سياسيوهم عن موقفهم من المهاجرين الجزائريين، من عبارات عنصرية واقصائية، ومن قرارات وقوانين استفزازية.

الاندماج:

اصطلاحا: حسب مؤتمر 1986 يقصد بمصطلح الاندماج ذلك التقارب التدريجي للسلوك الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي لمختلف مكونات المجتمع وعلى المهاجر ان يطابق سلوكه مع نمط المجتمع المستقبل له وقد يؤدي هذا التطابق الى تجريد المهاجر من ثقافته الام وبالتالي التخلي النهائي بشكل تدريجي عنها عبر الاجيال المتوالية[7].

---

[6]: مصطفى حميد كاظم الطائي. (22 ديسمبر, 2020). النظريات المفسرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الاعلام. *المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19* (العدد 02)، ص 41.

[7]: حورية ساعو، و زهيرة مزارة. (01 جوان, 2022). اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا. *المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، المجلد 7* (العدد 01)، ص256.

التعريف الاجرائي:

ويقصد بالاندماج في هذه الدراسة اساليب انسجام المهاجرين مع قيم ومبادئ الدولة الفرنسية دون ان يكون هنالك ذوبان كلي في الثقافة الفرنسية ودون التنصل من الهوية الجزائرية الاسلامية.

5. مجالات الدراسة:

- **المجال الوثائقي:** هو كل المواد الاعلامية المنشور في موقع الجزيرة الاخبارية والذي تناول ملف المهاجرين في البرامج الانتخابية للسياسيين وتناول ردود الفعل بعد مقتل الشاب نائل، وهي عبارة عن 30 مفردة
- **المجال الزمني:** مند الاعلان عن المنتدى الدولي متعدد التخصصات بين نبد الكراهية وتعزيز قيم التسامح الى غاية يوم 31 اوت 2023.

6. نظرية الإيديولوجيا كمنظور للدراسة:

يعود اختيارنا لنظرية الأيديولوجية* كمنظور لدراستنا الى ان المقالات المحللة و تناولت ظاهرة خطاب الكراهية الموجه للمهاجرين الجزائريين باعتبارهم اقلية من طرف السياسيين الفرنسيين والمثقفين والمفكرين المؤثرين في المجال العام الفرنسي، أي أنها مناسبة لاستنطاق الأيديولوجية الفرنسية البارزة في الحملة الانتخابية وموقفها من ملف المهاجرين بالإضافة الى موقف السلطات الفرنسية من حادثة مقتل الشاب نائل ذو الاصول الجزائرية.

*: تبلورت نظرية "فان دايك" في الإيديولوجيا في كتابه "الإيديولوجيا"، حيث افترض "ان الإيديولوجيات تحكم التمثيلات الاجتماعية للمجموعات، ومن ثم ممارستها الاجتماعية وخطابات أعضائها، ويحصل كل ذلك عن طريق التحكم الإيديولوجي في النماذج الذهنية والتي بدورها تسيطر على معاني الخطابات والتفاعل والتواصل ووظائف ذلك كله. وعلى نحو مغاير قد تكتسب الإيديولوجيات عن طريق تعميم النماذج الذهنية، أي التجارب الشخصية للأعضاء الاجتماعيين.

وينظر إلى نظرية الإيديولوجية على أنها منهج متعدد التخصصات، وهو الإطار الأساسي لتنظيم مفاهيم إيديولوجية متعددة واستهلاكات. الأيديولوجيات عادة ما تتحكم في أفكار المجموعة الاجتماعية التي تمثل بعد ذلك الخصائص الاجتماعية الأساسية مجموعة ما على أساس هوياتها وأهدافها وقواعدها وقيمها ومواقفها ومواردها، وفيما يتعلق بالاستهلاك الإيديولوجي، فإن العوامل المعرفية والاجتماعية مشتركة في هذه العملية. وأعلن "فان دايك" أن الإدراك الاجتماعي هو نظام يتمتع بمعرفة اجتماعية ثقافية مشتركة بني أفراد مجموعة أو مجتمع أو ثقافة معينة[8].

وفي نفس السياق يمكن القول أن أعضاء المجموعات الاجتماعية يكتسبون الايديولوجيات عن طريق عملية طويلة المدى وعن طريق أشكال أخرى من تجهيز المعلومات الاجتماعية. ويجدر التنويه إلى أن العناصر الأساسية في التمثيل الإيديولوجي وجود المصطلح "نحن" في مواجهة "هم" والعلاقة بين هذين العنصرين مهمة بقدر أهمية المصطلح الذي نكتسبه بالانتماءات الإيجابية والسلبية[9].

مرتكزات النظرية:

صاغ فان دايك أربعة مبادئ تمكن التحليل الإيديولوجي الدقيق من التعبير عن المواقف الإيديولوجية المختلفة والتي اصطلح عليها بالمربع الأيديولوجي او المربع المفاهيمي؛ وفيما يلي المبادئ الأربعة:

- التأكيد على الأمور الإيجابية التي تتعلق بنا.
- التأكيد على الأمور السلبية المتعلقة بهم.
- إزالة التركيز على الأمور السلبية التي تتعلق بنا.

---

[8]: نزيهة وهابي. (1 ديسمبر, 2020). أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الاعلامي. جسور المعرفة ، المجلد 6(العدد 4)، ص68.

[9]: نزيهة وهابي. (1 ديسمبر, 2020). أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الاعلامي. جسور المعرفة ، المجلد 6(العدد 4)،ص 69.

- إزالة التركيز على الأمور الإيجابية المتعلقة بهم.

وتؤدي هذه المؤشرات الاربعة دورا بالغ الأهمية في استراتيجية سياقية أوسع نطاقا تتمثل في العرض الذاتي الإيجابي والعرض السلبي للآخر، ويناقش العرض الذاتي التحرك الفرد كعضو في مجموعة، في حين يعبر بقوة عن مفاهيم إيديولوجية متعددة.

7. سياق خطاب الكراهية الموجه الى المهاجرين الجزائريين:

قبل اخضاع عينة الدراسة الى التحليل النقدي للخطاب الاعلامي المتناول لملف المهاجرين الجزائريين في فرنسا، لا بد من الاشارة الى السياق الدي تبلوز من خلاله خطاب الكراهية الموجه اليهم، ويتمثل هذا السياق في:

1.7 السياق التاريخي:

لفتت المقالات المحللة الانتباه الى خلفيات نشأة الخطاب العنصري البارز في الانتخابات الفرنسية او في ردود الفعل بعد مقتل الشاب نائل، الى ان هنالك سياقا تاريخيا أدى الى خلق تراكمات تمت ترجمتها في خطاب كراهية واضح في تصريحات بعض المسؤولين الفرنسيين، ومن أبرز الاحداث التاريخية التي دفعت الفرنسيين المتطرفين الى كره الجزائريين هو الاستعمار الفرنسي للجزائر وعدم اعترافها لحد الساعة بالجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري، وهذا العداء صار متجذرا من الطرفين، كما ان السياق التاريخي لخطاب الكراهية الموجه للجالية الجزائرية لم يكن بمنأى عن السياق التاريخي للهجرة الجزائرية الى فرنسا والتي تمت عبر مراحل تتمثل في:

- مرحلة ما بعد الحرب العالمية الاولى: في 8 جوان 1913 وفي 15 جويلية 1914 اصدرت فرنسا قانونين ينصان على كسر القيود التي تعرقل هجرة الجزائريين الى فرنسا، ودلك بغية تعويض اليد العاملة الفرنسية التي غادرت فرنسا نحو مستعمراتها وتلك التي جندت في الجيش لخوض الحرب القائمة، حيث بلغ عدد

المهاجرين الجزائريين حوال 100,000شخص اغلبهم اجبروا على دلك، وقد ساهمت هده النسبة في اعادة بناء وتشييد فرنسا بعد الخسائر البشرية والمادية التي تعرضت اليها[10]. (زروقي، 2020، صفحة 53)

- مرحلة ما بعد الاستقلال: بعد استرجاع السيادة الوطنية الجزائرية ومغادرة القوات الفرنسية، توجهت فئة كبيرة من الجزائريين للهجرة سواء من الحركى او من ابناء الشعب العادي الدي فر من الفقر والتشرد وسعى الى الاستقرار وتامين الرزق الدي صار صعبا نتيجة النمو الديموغرافي الكبير، لكن التزايد المستمر للهجرة الجزائرية نحو فرنسا دفعها الى اصدار قرار يمنع دخول اكثر من 12 الف مهاجر سنويا.

ولا زالت هجرة الجزائريين الى فرنسا مستمرة بحثا عن ظروف معيشية أفضل لا سيما في الفئات العلمية المثقفة التي وجدت امتيازات كثيرة في فرنسا، مما جعل الجزائر تخسر الكثير من علمائها وكفاءاتها.

2.7 السياق الثقافي والإعلامي:

استخدم الاعلام الفرنسي الكثير من الأساليب لاستفزاز الجالية المسلمة القاطنة في الأراضي الفرنسية، وذلك من خلال التطاول على مقدساتهم وأبرز مثال على ذلك هو الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد ﷺ، والتي تعد من أبرز اشكال ازمة الوجود الإسلامي في الغرب، وذلك لما تحمله هذه القضية من ابعاد ايديولوجية دائما ما تستغلها الأحزاب السياسية اليسارية والأحزاب اليمينية المتطرفة في فرنسا تحديدا وقت الانتخابات.

زد على ذلك يعتبر الوجود الإسلامي في فرنسا مادة مغرية لمفكريها وفلاسفتها، الذين يستشرفون سيناريوهات مرعبة؛ خاصة وان منظومة القيم الإسلامية

[10]: عالية زروقي. (08 ديسمبر, 2020). الهجرة الجزائرية نحو فرنسا: صورها في نمادج من الكتابات الادبية الجزائرية. افكار وافاق ، المجلد 08(العدد 02)، ص54.

تتعارض مع منظومة القيم الغربية، مما يجعل موقف المسلمين ضعيفا، ولا حلّ أمامهم سوى التعايش مع البلدان الغربية التي يقيمون فيها من خلال المساهمة في بناءها الحضاري[11].

وتؤكد المصادر التاريخية أن العلاقة بين المسلمين والحداثة في المجتمعات الغربية هي علاقة متوترة وغير مستقرة، لأنها تلغي كل الحدود بين المقدّس والمدنس بسبب هزالة المعتقدات الدّينية في المجتمع الغربي، حيث يقول الفيلسوف الفرنسي جاكوب روقوزنسكي Rogozinski (1953):

" نحن مقتنعون بأن الدّين ضرب من الوهم يصيب طفولة الإنسانية بالمرض، وهو محكوم بالتلاشي آجلا أم عاجلا، ثم إن استمرار الدّين لن يكون إلا باعتباره من بقايا الماضي وفلكلورا عفا عنه الزمن[12].

ويضيف:

" لقد نسينا أن الأجهزة العقائدية ومنذ قرون أعطت للبشر أسبابا للحياة والحب والنضال والأمل في الإبداع وأن الإيمان الّذي أسس الكاتدرائيات مازال ينبض في معزوفات باخ، ولوحات الرسام رفائيل، كما أن الثورات التي قامت ضدّ الظلم أخذت شكلا دينيا وحملها الاعتقاد بإله قادر على إسقاط الأقوياء من عروشهم.[13]"

ويرمي روقوزنسكي **Rogozinski** الى الاشارة بتحول العالم الغربي الى عالم عدمي ينظر لكل الممنوعات والمحرمات كقيود تضيق الخناق عليه، ولهدا صار فكرة الاستهزاء بكل شيء دون مراعاة مشاعر الاخرين امرا مبررا وشرعيا بالنسبة لهم، ودلك لان العدمية عند الغربي مرادف لغياب القدسية عن أي شيء وعن حق

---

[11]: عبد النور ثابت. (فيفري، 2021). الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين دعوى حرية التعبير والتوجهات الهوياتية في النقاشات الفلسفية الفرنسية الراهنة. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 8* (العدد 4)، ص113.

[12]: نفس المرجع، ص108.

[13]: نفس المرجع، نفس الصفحة.

تدنيسهم أيضا لكل شيء، وهذا راجع لأن نظرتهم للعالم أحادية ومختزلة في الإنتاج والتسلية والتجارة.

وهكذا يحاول روقوزنسكي **Rogozinski** تبرير نشر الرسوم الكاريكاتيرية الساخرة من النبي محمد ﷺ، في فرنسا بكون بأن طبيعة المجتمع الفرنسي وطغيان النزعة الفردية على أفراده في سياق مجتمع ألغى الحدود السياسية والجغرافية بفعل عولمة الإعلام والاقتصاد الرأسمالي الخاضع للشركات متعددة الجنسيات.[14] ولم ينتبه أغلب المدافعون عن الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لعواقب نشرها، خاصة وأن سرعة انتشارها وتلقي أشخاص متعصبين لها أدى إلى ردود أفعال قوية، وفي هذا السياق يقول اولييفييه مونقان وجون لويس شليغل:

"إنه لأمر مثالي أن نقول أننا لا نستهدف إلا الإسلاميين الراديكاليين، مجانين الله وليس الإسلام، قد تكون النية حسنة ولكن الفعل خطير، ذلك أن الإسلام يضم بعض الآلاف من الإسلاميين الّذين قرروا قتلنا باسم الله، وقادرين على التلاعب في صراعهم بعدد كبير من الأميين واشباه المثقفين الّذين لم يسمعوا أصلا بحرية التعبير[15].

في حين يرى الفيلسوف الفرنسي **ادغار موران** Edgar Morin أن الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد ليست سبقا فرنسيا بل هي تقليد للفعل الدانماركي، كما أشار إلى أن بعض الدول الليبرالية لم تعد نشر هذه الرسوم وإنتاجها على غرار الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، و إسبانيا أو إيطاليا وذلك لأن هذه الدول سنت قوانين تحظر شتم الأديان[16]، ويستنكر الفيلسوف ضرورة ترسيم فرنسا لقانون التجذيف، ويعارض التيار المدافع عن الرسوم لأنها صادمة

---

[14]: نفس المرجع، ص109.

[15]: نفس المرجع، نفس الصفحة.

[16]: عبد النور ثابت. (فيفري، 2021). الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين دعوى حرية التعبير والتوجهات الهوياتية في النقاشات الفلسفية الفرنسية الراهنة. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 8* (العدد 4)، ص110.

ومستفزة للمسلمين، وأدت إلى مظاهرات معادية لفرنسا في البلدان الاسلامية، لذى يجب على الإعلام الفرنسي أن يتحلى بمسؤولية أكبر أثناء نشر مثل هذه المواضيع التي تعتبر طابوهات عند الآخر المسلم.

فالمسألة بالنسبة لإدغار موران Edgar Morin هي مسألة أخلاقية، أي أن إعادة نشر هذه الرسوم عملٌ غير أخلاقي؛ خاصة لوجود فرق كبير بين الحرية وبين مسؤولية الكلمة والصورة، وأن تفضيل احداهما عن الاخرى يعد مجازفة كبيرة، لأنها تصدم المسلمين وتستفزهم وقد تؤدي إلى ردود فعل متطرفة من بعضهم. كما يقر أن عواقب الأمور غالبا ما تكون معاكسة للنوايا الحسنة، خاصة إذا ما ارتبطت باتخاذ قرارات في سياق تشكيكي وتصارعي، في هذه الحالة بالتحديد قد يسفر القرار عن نتائج سلبية وكارثية.

أي أن الحكم عن الرسوم الكاريكاتيرية لا علاقة له بالنوايا التحررية لناشريها، وفي هذه الحالة على من يؤمنون بحرية التعبير أن يضعوا في حسبانهم أن التطرف في استخدام هذه الحرية قد يؤدي في بعض الحالات إلى تصرفات اجرامية من طرف بعض من أذتهم هذه الحرية المطلقة وانتهكت مقدساتهم[17].

ومن كل ما سبق نفهم : أن أحداث شارلي ايبدو تدل على وجود أزمة كبيرة في فهم فرنسا للإسلام، وتؤكد ان الفهم الحقيقي والسليم لطبيعة العلاقة التي تربط المجتمع الفرنسي بالدين الإسلامي؛ سيؤدي حتما حسب جورج كورم Georges Corm إلى إحباط المخاوف الأوروبية منه، ودحض أطروحة ان العالم مقسم إلى نصفين او قطبين وهما الشرق المسلم في مقابل الغرب اليهودي والمسيحي، وبهذا يختفي الموقف الجيوسياسي والذّي يعد مادة إعلامية دسمة يطلق عليها توماس ديلتومب Thomas Deltombe " الإسلام المتخيل"[18]

[17]: نفس المرجع، ص111..

[18] :Gaertner, J. (2008, juillet 1). L'islame dans le cinéma français. *Cahiers de la Méditerranée*.p12

كما ان خطاب الكراهية الذّي تعج به وسائل الإعلام الفرنسية يعتبر تحريضا على وقوع جرائم كراهية ضد المسلمين في المجتمعات الغربية، والتي تعتبر اول خطوة في معالجتها هي الاعتراف بوجودها وبانها تشكل تهديدا على امن الضحايا وعلى استقرارهم، والاستعانة بالخبراء والأكاديميين لمناقشة مختلف مظاهر التعصب والعنصرية ضد المسلمين، مع فتح المجال للطرف المتضرر وهم المسلمون بالتعبير عن هواجسهم ومخاوفهم إعلاميا. (l'OSCE, 2021, p. 52)

3.7 السياق الديني:

يرجع الوجود الاسلامي والبارز في فرنسا الى الوجود الاستعماري التاريخي لفرنسا في الدول الاسلامية لا سيما منطقة المغرب العربي ، فهو الوجود الذي أثمر حضورا اسلاميا تراكم عبر عدة عقود ليجعل من الاسلام الديانة الثانية بعد المسيحية في فرنسا وبالتالي فمعركة الحجاب حسب فرانز فانون ترجع الى الفترة 1935/1930.[19]

فبالرغم من ان عدد المسلمين في فرنسا يتجاوز الخمسة ملايين مسلم، وبالرغم من ان فرنسا وافقت وبادرت بتشكيل المجلس الاسلامي الذي يمثل الجاليات المسلمة في فيها الا ان لديها مشكلا كبيرا مع الحجاب الدي جعل الاسلام حاضرا في الشارع الأوربي، حيث اكد حضوره على فشل سياسة الاندماج التي سعى من خلالها الغربيون الى منع قيام أي اثنية دينية في الخارطة الأوروبية، ولهدا تمت محاصرة الحجاب بسن مجموعة من القوانين التي تمنع ارتداءه في المؤسسات التربوية والتعليمية، وفي هدا المنع انتهاك صارخ لمتطلبات العيش المشترك تحت ظل العلمانية.

وهدا يؤكد على عجز فرنسا في تقبل التعددية الدينية بالرغم من كونها جزءا لا يتجزأ من مجتمعها، أي ان السبب الجدري لرفض الحجاب هو نفس السبب

---

[19]: حورية ساعو، و زهيرة مزارة. (01 جوان, 2022). اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا. *المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، المجلد 7* (العدد 01)، ص259.

الذي ادى الى وجود ما يعرف في التاريخ الغربي بالمشكلة اليهودية، أي ان مشكلة فرنسا مع الاسلام والحجاب هي مشكلة حضارية أكثر منها مشكلة قانونية، وهي نفس مشكلة اروبا مع أي دين سواء مسيحي او يهودي.

4.7 السياق القانوني والتشريعي:

تعتبر الهجرة عمل فردي اختياري حرّ، يتم بشكل إرادي ذاتي، وبنص القانون الدولي على حق كل شخص في الرحيل عن بلده، ولكن في المقابل لا يعطيه الحق في أن يدخل بلدا أخر لا يتمتع فيه بحق المواطن، أو حق الإقامة القانونية، لحكومة كل لد الحق السيادي الكامل، في تقرير الذين تسمح لهم بدخول أراضيها من غير مواطنيها، وتضع كل دولة سياسات ونظم الهجرة القانونية إليها، وبعضها يتسم بالليبرالية والشفافية، والأخرى بالتميز والانتقائية، وذلك وفقا لظروف وأوضاع كل دولة ووفقا لمدى حاجتها للوافدين، فسياسات الهجرة وقوانينها هي من أعمال السيادة الوطنية[20].

وعلى غرار كل الدول المستقبلة للمهاجرين سنت فرنسا العديد من القوانين الخاصة بتنظيم الهجرة اليها لكن ما يعنينا في هده القوانين هو مشروع اصلاح قانون الهجرة واللجوء والدي يتضمن مجموعة من البنود ندكر منها: (DW)

- يتعين على من يريدون الحصول على بطاقة إقامة متعددة السنوات أن يتقنوا الحد الأدنى من اللغة الفرنسية، الشرط الموجود أصلا لدى من يريدون الحصول على الجنسية، مع انه في الوقت الحالي، لا يترتب على من يريدون الحصول على هذه الإقامة سوى إثبات التواجد الدائم على الأراضي الفرنسية.
- يقترح القانون تشديد الرقابة على المؤسسات والشركات ومراقبة نسب توظيفها لأشخاص لا يملكون إقامات قانونية على الأراضي الفرنسية. وعدم تطبيق هذا

[20]: مصطفى عبد العزيز مرسي. (2007). تأثير الهجرة غير الشرعية الى اوروبا على صورة المغترب العربي. ندوة بعنوان "المغتربون العرب من شمال افريقيا في المهجر الأوروبي. ص1.

البند قد يعرض المؤسسة المخالفة لغرامة قد تبلغ أربعة آلاف يورو، عن كل حالة مخالفة يتم تسجيلها.

- يقترح القانون منح سلطات المحافظات صلاحيات اكبر لإصدار أوامر بمغادرة الأراضي الفرنسية، لمن رفضت طلبات لجوئهم من قبل المكتب الفرنسي لحماية اللاجئين وعديمي الجنسية. ومن المتوقع، وفقا للحكومة الفرنسية، أن يسهل هذا البند عمليات الترحيل بمجرد تأكيد المحكمة الوطنية للجوء عدم أهلية الأشخاص المعنيين للحصول على اللجوء.

هذه البنود وغيرها جاءت من اجل إصلاح قانون الهجرة والدي يعتبر أحد اهم مشاريع الفترة الرئاسية الثانية للرئيس ايمانويل ماكرون، حيث اكد وزير الداخلية الفرنسي بالتفصيل مع وزير العمل اوليفيه دوسبت في حوار مع صحيفة لوفيغاور ان بنوده الرئيسية تهدف الى ضبط الهجرة وتحسين ظروف الاندماج[21]، وبالرغم من دلك اثار هدا القانون قلق عدد من الجهات والهيئات المعنية بقضايا اللجوء، إذ اعتبرت أنه يهدف إلى تقليص حقوق الأجانب على الأراضي الفرنسية. فإضافة إلى شرط معرفة اللغة والالتزام بمبادئ الجمهورية، سيسعى القانون إلى رفع أعداد عمليات الترحيل من البلاد وطرد من يتم تصنيفهم "خطرا على النظام العام."

كما قد يؤدي هدا القانون الى نشوب ازمة سياسية تشبه التي تعرضت لها الحكومة عند المصادقة على قانون التقاعد بفضل المادة 49.3 من الدستور، إذ أعلن حزب التجمع الوطني اليميني المتطرف معارضته لجميع التصريحات التي أدلى بها

---

[21]:*https://www.france24.com/ar/%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88/20221221-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7* تم الاسترداد من .
https://www.france24.com/ar

ماكرون بخصوص قانون الهجرة .نفس الشيء أيضا بالنسبة لحزب "الجمهوريون" الذي يطالب بقانون أكثر صرامة وقوة.

8. التحليل النقدي للعينة ونتائجه:

مكننا اخضاع العينة للمربع الأيديولوجي من التوصل الى النتائج التالية:

- تعتبر الأيديولوجية البارزة في الخطاب السياسي الفرنسي بنية خطابية مكرسة للعنصرية وذلك من خلال وسم المهاجرين بأنهم اشخاص خارج الحداثة وغير قادرين على التأقلم مع قيم الجمهورية الفرنسية، ويبرز هدا بشكل جلي في تصريحات المرشح الرئاسي ايريك زمور الدي يتبنى نظرية الاستبدال الكبير، ويروج لها بشكل كبير.
- تؤكد الدراسة ان اغلب الأحزاب المرشحة للانتخابات الفرنسية كانت تنظر للسلوكيات الصادرة من الجزائريين كأقلية مسلمة كسلوكيات سلبية لا بد من التخلص منها مثل الحجاب واضحيات العيد والسلوك الشرائي للحم الحلال، أي ان مصطلح نحن/الفرنسيون الأوربيون هو دائما مصطلح إيجابي، في حين يشير مصطلح هم/المهاجرون الجزائريون الى كل ما هو سلبي.

وبناءا على هدا التصنيف تم رصد مجموعة من اشكال التعبير عن الكراهية من بينها العنف اللفظي البارز في تصريحات المرشحة مارين لوبان* التي قالت ان الاحياء التي يقطن بها المهاجرون هي اماكن ليست من فرنسا، كما قالت ان الصلاة الاسلامية عبارة عن احتلال نازي وشمولي، كما انها صرحت لأكثر من مرة خلال حملتها الانتخابية انها في حالة فوزها ستفرض غرامة مالية على كل محجبة او

* يضم اليمين المتطرف حوالي 4,5 مليون مواطن عنصري يؤيدون الحركة العنصرية التي يقودها جون ماري لوبان وابنته مارين لوبان يرون الاسلام حضارة دونية ، وان تغلغل المسلمين في المجتمع الفرنسي بسبب التحولات الديموغرافية يشكل تهديدا كبيرا للهوية الفرنسية، أي ان الفكر اليميني هو فكر استعلائي وفوقي على كل فكر يختلف عنه.

منقبة، وفي بعض الاحيان دعت الى حظره تماما واعربت عن نيتها الى الغاء طريقة الذبح الاسلامية، أي ان طرح ملف المهاجرين في البرنامج الانتخابي لماري لوبان تمحور حول التضييق على ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية، ودلك من خلال سن قوانين لإغلاق الجمعيات الاسلامية؛ والدعوة لتحييد الدين عن الحياة على اعتبار ان الاسلام ايديولوجية ايديولوجية تهدد الايديولوجية الفرنسية التي تدعي الديموقراطية.

- اوضحت المقالات المحللة ان اغلب المهاجرين المعنيين بالانتخابات مالوا الى ايمانويل ماكرون ليس لأنه الافضل بل لأنه الاقل سوءا، حيث حاول ان يكون وسطيا في طرحه، كما قدم بعض الوعود التي تعد بمثابة ضمانات للمهاجرين حول وضعهم القانوني والحقوقي في فرنسا.، والتي تعتبر دعوة للاندماج.
- تم التعامل مع حادثة مقتل الشاب نائل باستهتار كبير وتجاهل، حيث تم قلب الطاولة على المحتجين من خلال التركيز على اعمال الشغب التي قام بها المحتجون والمهمشون، ومن خلال مهاجمة مقار الشرطة والبلديات والمراكز التجارية، إذ رأى هؤلاء في الحادث حلقة جديدة في مسلسل جرائم فرنسا البيضاء ضد الضواحي المهمشة وسكانها، أي التركيز على ردة الفعل بدل معالجة الفعل الرئيسي، كما ورد في اخبار الجزيرة ان احد السياسيين الفرنسيين وهو جون مسيحة المستشار السابق لزعيمة اليمين المتطرف مارين لوبان، قام بالدعوة لجمع تبرعات لقاتل الشاب نائل، مما دفع اسرة الضحية برفع دعوة قضائية عليه.

خاتمة:

يعتبر ملف المهاجرين الجزائريين في فرنسا من الملفات التي تكتنفها الحساسية ولذلك يعد الخطاب السياسي الموجه للمهاجرين حقلا ملغما تتجاذب فيه السلطة والهيمنة بين أقنومي الخطاب واللغة، وهدا من خلال صناعة وعي بديل

يقوم على تعديل القناعات، والواضح في هده الدراسة ان هنالك سوء استخدام للسلطة وللخطاب المعبر عنها، حيث جاء خطابا عنصريا قائما على الهيمنة وعدم المساواة بين مختلف فئات المجتمع الفرنسي، غير مدافع لمصالح الاقليات المهمشة، اي ان الخطاب السياسي الفرنسي قدم الفرنسيين كذات ايجابية في حين تم تقديم المهاجر كآخر سلبي، بعبارة اخرى تم تقديس الذات/الفرنسيون الأوروبيون مقابل تحقير الاخر/المهاجرون الجزائريون، وكل هدا يؤكد ان الدعوة الى الاندماج هي مجرد تلاعب بالمصطلحات والالفاظ غير قابلة للتحقق على ارض الواقع الا اذا قام المهاجرون بالانسلاخ الكلي من هويتهم الجزائرية.

التوثيق:

1. cambridge dictionary. (n.d.). cambridge dictionary. Retrieved december 18, 2021, from https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/stereotype
2. bednarska-wnuk, i., & syper-jedrzejak, m. (2019, FEBRUARY 12). THE MEANING OF STEREOTYPES in the workplace in respect of employability. *journal of positive management*.
3. الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب. (الطبعة الثانية، 2003). *القاموس المحيط*. بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي. ص 460
4. علياء شكري، و أخرون. (بلا تاريخ). *دراسات في علم السكان*. مصر: مطبعة العمرانية للاوفيست. ص271.
5. :travaille, B. i. (2004). une aproche equitable pour les travaiiieures migrants dans une économie mondialisée . *Conférence internationale du BIT 92em session*(Rapport n°6).p15

6. مصطفى حميد كاظم الطائي. (22 ديسمبر, 2020). النظريات المفسرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الاعلام. *المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19* (العدد 02)، ص 41.
7. حورية ساعو، و زهيرة مزارة. (01 جوان, 2022). اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا. *المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، المجلد 7* (العدد 01)، ص256.
8. نزيهة وهابي. (1 ديسمبر, 2020). أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الاعلامي. جسور المعرفة ، المجلد 6(العدد 4)، ص68.
9. نفس المرجع، ص69.
10. عالية زروقي. (08 ديسمبر, 2020). الهجرة الجزائرية نحو فرنسا: صورها في نمادج من الكتابات الادبية الجزائرية. *افكار وافاق ، المجلد 08* (العدد 02)، ص54.
11. عبد النور ثابت. (فيفري, 2021). الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين دعوى حرية التعبير والتوجهات الهوياتية في النقاشات الفلسفية الفرنسية الراهنة. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 8* (العدد 4)، ص113.
12. نفس المرجع، ص108.
13. نفس المرجع، نفس الصفحة.
14. نفس المرجع، ص109.
15. نفس المرجع، نفس الصفحة.
16. عبد النور ثابت. (فيفري, 2021). الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين دعوى حرية التعبير والتوجهات الهوياتية في النقاشات

الفلسفية الفرنسية الراهنة. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 8*(العدد 4)، ص110.

17. نفس المرجع، ص111..

18. :Gaertner, J. (2008, juillet 1). L'islame dans le cinéma français. *Cahiers de la Méditerranée*.p12

19. حورية ساعو، و زهيرة مزارة. (01 جوان, 2022). اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا. *المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، المجلد 7*(العدد 01)، ص259.

20. مصطفى عبد العزيز مرسي. (2007). تأثير الهجرة غير الشرعية الى اوروبا على صورة المغترب العربي. ندوة بعنوان "المغتربون العرب من شمال افريقيا في المهجر الأوروبي. ص1.

21. *https://www.france24.com/ar/%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88/20221221-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7* . تم الاسترداد من https://www.france24.com/ar

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب. (الطبعة الثانية، 2003). *القاموس المحيط*. بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.

2. حورية ساعو، و زهيرة مزارة. (01 جوان, 2022). اشكالية الهجرة واندماج المهاجرين المغاربة في فرنسا. *المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية، المجلد 7* (العدد 01)، صفحة 263،245.
3. عالية زروقي. (08 ديسمبر, 2020). الهجرة الجزائرية نحو فرنسا: صورها في نمادج من الكتابات الادبية الجزائرية. *افكار وافاق ، المجلد 08* (العدد 02).
4. عبد النور ثابت. (فيفري, 2021). الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين دعوى حرية التعبير والتوجهات الهوياتية في النقاشات الفلسفية الفرنسية الراهنة. *مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 8* (العدد 4)، الصفحات 99-114.
5. مصطفى حميد كاظم الطائي. (22 ديسمبر, 2020). النظريات المفسرة للعنف وخطاب الكراهية في وسائل الاعلام. *المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 19* (العدد 02).
6. مصطفى عبد العزيز مرسي. (2007). تأثير الهجرة غير الشرعية الى اوروبا على صورة المغترب العربي. ندوة بعنوان "المغتربون العرب من شمال افريقيا في المهجر الأوروبي.
7. نزيهة وهابي. (1 ديسمبر, 2020). أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الاعلامي. جسور المعرفة ، المجلد 6(العدد 4).
8. علياء شكري، و أخرون. (بلا تاريخ). *دراسات في علم السكان*. مصر: مطبعة العمرانية للاوفيست.

المراجع الاجنبية:

9. bednarska-wnuk, i., & syper-jedrzejak, m. (2019, FEBRUARY 12). THE MEANING OF STEREOTYPES in the workplace in respect of employability. *journal of positive management*.

10. cambridge dictionary. (n.d.). cambridge dictionary. Retrieved december 18, 2021, from https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/stereotype
11. Dialmy, N. (2016, décembre). Cinéma et sacré: un pouvoir à double tranchant. *Cahiers d'Études sur la Représentation*(N 1).
12. .(بلا تاريخ) . *https://www.dw.com/ar/%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D8%AA%D8%AB%D9%8A%D8%B1-%D8%* . تاريخ الاسترداد 10 اوت, 2023، من https://www.dw.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9/s-9106.
13. Gaertner, J. (2008, juillet 1). L'islam dans le cinéma français. *Cahiers de la Méditerranée*.
14. l'OSCE, l. B. (2021). *Comprendre les crimes de haine contre les musulmans.*
15. travaille, B. i. (2004). une aproche equitable pour les travaiiieures migrants dans une économie mondialisée . *Conférence internationale du BIT 92em session*(Rapport n°6).
16. *https://www.france24.com/ar/%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88/20221221-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7* . تم الاسترداد من https://www.france24.com/ar

الآليات القانونية لمجابهة الكراهية في الجزائر
- دراسة تحليلية للقانون 05/20 من التشريع الجزائري

أ.د نفيسة نايلي – جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي –
ط. د لطيفة حاجي – جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي -

مقدّمة

خلق التطور التكنولوجي الهائل فضاء أوسع وأكثر حرية للتواصل الاجتماعي وتبادل الآراء والأفكار، غير أنه في المقابل خلق تحديات جديدة تواجه المجتمع الإنساني ككل تمثلت في العديد من الممارسات غير الأخلاقية على غرار انتشار خطاب الكراهية والتمييز بشكل أوسع، حيث تجاوز الحدود الجغرافية وتعدى كل الثقافات العالمية ليصبح بذلك خطرا يهدد التعايش السلمي ويمس بحقوق الانسان.

أمام التنامي الخطير والانتشار المتسارع لهذه الظاهرة السلبية أصبح من الضروري تفعيل التنسيق الدولي من أجل وضع آليات قانونية لمجابهة هذه الظاهرة، فعلى الصعيد الدولي سعت الجمعية العامة للأمم المتحدة لترسيم يوم 18 جوان من كل سنة يوما دوليا لمجابهة خطاب الكراهية تلته خطوات دولية هامة لإقرار العديد من الاتفاقيات والمعاهدات التي تسعى لمحاربة هذه الظاهرة وتجريم كل من يروج لخطاب التمييز والكراهية خاصة عبر الانترنت.

في السياق الجزائري سعت الدولة الجزائرية كغيرها من الدول لمحاربة وتجريم التمييز العنصري وخطاب الكراهية، فسنت القوانين وفعلت الآليات من أجل ضمان أمن المجتمع، وأكدت على ذلك في دستورها الذي منع التفرقة بين أفراد المجتمع الجزائري، وفي قانون العقوبات الجزائري جرمت العديد من الأفعال التي من شأنها التعدي والمساس بالغير، بل أن المشرع الجزائري سعى لمواكبة التطور

التكنولوجي الحاصل ومحاولة تكييف القوانين مع البيئة الرقمية الجديدة ومنح فرصة لكل شخص يتعرض لاعتداء عبر الفضاء السيبراني لتقديم شكوى رسمية ومعاقبة مرتكبيها. ويعتبر القانون 20-05 أحدث الأطر القانونية لمحاربة التمييز وخطاب الكراهية في الجزائر.

تمحورت إشكالية دراسة في التساؤل التالي: **ماهي الآليات القانونية لمجابهة الكراهية في الجزائر**

في ظل للقانون 05/20 من التشريع الجزائري؟

الكلمات المفتاحية: التمييز العنصري و خطاب الكراهية.

أولا: استقراء مفهوم خطاب الكراهية والتمييز حسب القانون 20-05:

01- خطاب الكراهية عرفه هذا القانون في مادته 02 بأنه: "جميع أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تبرر التمييز، وكذلك تلك التي تتضمن أسلوب الازدراء أو الإهانة أو العداء أو البغض أو الأعنف الموجه إلى شخص أو مجموعة أشخاص على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية" . (القانون 20-05، 2020، صفحة 05)

02- التمييز عرفته المادة 02 من نفس القانون بأنه:" كل تفرقة أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي أو الإعاقة أو الحالة الصحية، يستهدف أن يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الانسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي مجال آخر في مجالات الحياة العامة" (القانون 20-05، 2020، صفحة 05)

استقراء للتعريفات التي وضعها المشرع الجزائري بالقانون 20-05 سجلنا ما يلي:

- ✓ على اختلاف المواثيق والاتفاقيات الدولية نجد أن المشرع الجزائري استبعد من التعريف عنصر الدين باعتبار الإسلام دين الدولة، وأن الدستور يضمن حرية المعتقد.
- ✓ توسيع التعريف ليشمل التمييز في اللغة، الانتماء الجغرافي والحالة الصحية، وهي أسس وضعها المشرع الجزائري في ظل الظروف التي عاشتها الجزائر في فترة الحراك الشعبي. وارتفاع وتيرة خطاب التمييز والكراهية في تلك المرحلة مما استدعى اصدار قانون لمجابهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها.
- ✓ من الملاحظ كذلك أن التعريف يعتبر شاملا وعاما وغير موضح بدقة وهذا راجع لكونه نقل حرفيا من التعريف الذي وضعته الاتفاقية الدولية للقضاء، وهو خطأ وارد أثناء نقل المضامين الاتفاقيات الدولية دون التمحيص فيها.
- ✓ توظيف المشرع الجزائري لبعض المصطلحات التي تمتاز بالغموض الشمول وتحتاج هي في حد ذاتها لشرح وتوضيح، كما أنها تتقارب في المعني لكن لا تؤدي لنفس التفسير على غرار: الكراهية، العداء، البغض، الازدراء.
- ✓ يعاب في عملية عدم الضبط الدقيق للتعريفات في هذا القانون لإتاحة الفرصة للاجتهادات القضائية والفقهية بالتدخل.

ثانيا: الآليات الوقاية من خطاب الكراهية والتمييزحسب القانون 20-05:

وضع المشرع الجزائري بمحتوى القانون 20-05 جملة من الآليات والوسائل، التي يسعى من خلالها للوقاية من خطاب الكراهية والتمييز العنصري تتمثل أساسا في:

01- تدخل الدولة والإدارات والمؤسسات العمومية في الوقاية من التمييزوخطاب الكراهية: وهي النقطة التي أقرها المشرع الجزائري من خلال ما نصت عليه بمحتوى

المادة 05 منه ، مسندا بذلك المهمة للدولة في وضع استراتيجية وطنية للوقاية من هذه الظاهرة قصد أخلقة الحياة العامة و ونشر ثقافة التسامح والحوار في المجتمع.
من جانب آخر وضع المشرع الجزائري جملة من الخطوات والمهام التي تسند لمختلف مؤسسات الدولة خلال قيامها بهذه المهمة حددتها بدقة في نص المادة 06 من نفس القانون والمتمثلة في:

- ✓ وضع برامج تعليمية وتكوينية للتحسيس والتوعية.
- ✓ نشر ثقافة المساواة وحقوق الانسان.
- ✓ تكريس ثقافة الحوار والتسامح وقبول الآخر.
- ✓ اعتماد آليات لليقظة والكشف المبكر عن أسباب هذه الظاهرة.
- ✓ الاعلام والتحسيس حول مخاطر التمييز وخطاب الكراهية وآثار استعمال تكنولوجيات الاعلام والاتصال في نشرهما.

02- اشراك المجتمع الوطني والقطاع الخاص في الاستراتيجية الوطنية: وهو ما تطرقت له المادة 07 من القانون، حيث أن المشرع الجزائري لم يغفل الدور الهام الذي تلعبه فعاليات المجتمع المدني في المشاركة في وضع الخطط والاستراتيجيات ومساندة الدولة باعتبارها شريكا فعالا في وضع خطة واستراتيجية عمل وطنية فعالية من شأنها محاربة التمييز وخطاب الكراهية في المجتمع الجزائري ، وهذا اعتبارا من المشرع بأن المجتمع المدني هو الأقرب لمختلف الشرائح الاجتماعية.

03- اشراك وسائل الاعلام في محاربة التمييزوخطاب الكراهية: وهو ما جاء به نص المادة 08 من القانون، حيث أكدت على أن تتضمن وسائل الاعلام المختلفة على برامج تهدف لنشر ثقافة الوقاية من كل أشكال التمييز وخطاب الكراهية ، ونشر ثقافة التسامح والقيم الإنسانية.

لعل اهم ما يركز عليه المشرع الجزائري في هذه النقطة تحديدا محاولة الاعتماد على ممارسة إعلامية أخلاقية توازن من جهة بين حرية الاعلام كقيمة مضافة للمجتمع وضرورة تحصين وسائل الاعلام بكافة أشكالها من الوقوع في خطاب الكراهية ، هنا نشير الى مبادئ كامدن the cemden priciples لسنة 2009/2008 والتي تشكل تفسيرا تقدميا للقانون والمعايير الدولية ولممارسات الدولة حول حرية التعبير والمساواة، حيث يترتب على وسائل الاعلام حسب هذه المبادئ من باب المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية أن تلعب دورا مهما في مكافحة خطاب الكراهية وتعزيز التفاهم بين الثقافات مع الأخذ بعين الاعتبار:

- ✓ التنبه الى أهمية تغطية الحدث في سياقه الصحيح بكل موضوعية ودقة مع ضمان اعلام الجمهور بالممارسات التمييزية.
- ✓ التنبه لخطر الأراء المسبقة والتمييز ضد الأشخاص أو الجماعات المختلفة والتي تعززها وسائل الاعلام.
- ✓ تجنب الإشارة غير الضرورية الى العرق أو الدين أو النوع أو غيرها من الخصائص الجماعية التي تعزز التعصب.
- ✓ تغطية الاخبار والقضايا المتعلقة بمختلف المجموعات والمجتمعات وإعطاء أعضائها فرصة للتكلم واسماع صوتهم بطريقة تساهم في فهم قضاياهم وتعكس وجهات نظرهم.
- ✓ وضع ضوابط للمرافق الإعلامية العامة تحظر نشر صور نمطية سلبية للأفراد أو الجماعات على أن يلزمها نطاق عملها تشجيع التفاهم ما بين الثقافات وتعزيز فهم أفضل لمختلف المجموعات والقضايا التي يواجهونها. (هبري، 2023)

ثالثا: المرصد الوطني للوقاية من التمييزوخطاب الكراهية :

01- ماهيته: تعرفه المادة 09 من القانون بأنه: " هيئة وطنية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والاداري". (القانون 20-05، 2020، صفحة 06)

02- **تشكيلة المرصد:** الأعضاء المكونين للمرصد تم تحديدها بالمادة 11 من هذا القانون ، حيث يتشكل من 10 أعضاء ، ستة منهم يختارهم السيد رئيس الجمهورية أما الاربعة الباقيين ممثلين للجمعيات الناشطة في مجال تدخل المرصد، حيث يعين الاعضاء بموجب مرسوم رئاسي لعدة مدتها 05 سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة.

03- **صلاحياته:** حدد المشرع الجزائري جملة من الصلاحيات للمرصد الوطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية في المادة 10 من القانون محل الدراسة تمثلت باختصار في :

- ✓ رصد كل أشكال ومظاهر التمييز وخطاب الكراهية وتحليلها والكشف عن اسبابها واقتراح التدابير اللازمة للوقاية.
- ✓ اقتراح عناصر الاستراتيجية الوطنية والمساهمة في تنفيذها.
- ✓ تبليغ الجهات القضائية عن الأفعال التي يحتمل أنها تشكل جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون.
- ✓ تقديم الاراء أو التوصيات حول أي مسألة تتعلق بالتمييز وخطاب الكراهية.
- ✓ التقييم الدوري للأدوات القانونية والإجراءات الادارية في مجال الوقاية ومدى فعاليتها.
- ✓ وضع البرامج التحسيسية وتنشيط وتنسيق عمليات التوعية بمخاطر الظاهرة وأثرها على المجتمع.
- ✓ تطوير التعاون والتبادل مع مختلف المؤسسات الوطنية والأجنبية العاملة في هذا المجال.

استقراء لكيفية تشكيل أعضاء المرصد و للصلاحيات التي خولها المشرع الجز ائري بالقانون 20-05 له وسجلنا ما يلي:

❖ بالرغم من تغليب المشرع الجزائري للطابع الاستشاري على صلاحيات المرصد الوطني غير انه ومن خلال ما تم عرضه نلاحظ بروز الطابع السلطوي، اذ يملك المرصد صلاحية التقرير وإصدار القرارات خاصة التنظيمية منها رغم عدم افصاح المشرع عن ذلك صراحة وأشار لها بعبارة " **يتمتع المرصد بالشخصية المعنوية** " والتي من آثارها الاستقلال القانوني الذي لا يتأتى إلا من البث والفصل التي تتناولها بموجب قرارات لها قوة تنفيذية. لكن وفي ظل غياب النص الصريح في هذه النقطة فأغلب صلاحيات المرصد تميل نحو الطابع الاستشاري.

❖ فيما يخص طريقة اختيار وتعيين اعضاء المرصد ، كما أنه في حالة تعدد الجمعيات النشطة في مجال عمل المرصد لم يبين المشرع كيفية اختيار ممثلي هذه الجمعيات.

رابعا: أركان جريمة التمييز وخطاب الكراهية.

<u>أ- جريمة التمييز:</u> حسب المشرع الجزائري وبالرجوع لنص المادة 31 من هذا القانون ، حدد صفة الفاعل "موظف لدى الدولة أو مواطنا عاديا". حيث يمكن أن يتم ارتكاب جريمة التمييز من قبل أي شخص سواء كان طبيعي أو معنوي مركزا على حالتين يكون فيهما الجاني فاعلا أصليا أو محرضا .

01- الركن المادي:

أ-الفعل الاجرامي: يتمثل في كل فعل يقوم على التفرقة أو الاستثناء أو تقييد أو تفضيل، يمارس ضد شخص أو فئة معينة ويكون فعل يمس بالمساواة في ممارسة الحقوق والحريات فقد استخدم المشرع مصطلحات كالتفرقة والاستثناء والتفضيل واشترط عنصر العلنية.

يجب الإشارة الى المجالات التي يمارس فيها التمييز، حيث نصت المادة الثانية في فقرتها الثانية بأنها " كل تفرقة أو استثناء أو تقييد أو تفضيل .... في الميدان السياسي مثلا يمكن أن نجد هذا التصرف في تقلد شخص لمنصب ما أو منع شخص من الترشح أو

غيرها ، أما الاقتصادي فيكمن أما الاقتصادي فيمكن أن يكون منع فئة من الأشخاص فرد واحد من ممارسة التجارة. أو فرض ضريبة، أو إعفاء منها فقط. أما المجال الاجتماعي فنذكر أنه يمكن حرمه من الاستفادة من السكن ، وبالنسبة للمجال الثقافي هو منع من ممارسة الشخص عاداته وتقاليده أو منعه من التحدث بلهجته أو في أي مجال آخر من المجالات العامة. (شرون، 2016، صفحة 120)

ب- النتيجة الاجرامية في جريمة التمييز:

تتمثل النتيجة الإجرامية لجريمة التمييز. في عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية، أو التمتع بها وممارستها على قدم المساواة بين الأفراد. أي أن كل فعل فيه تفضيل، تفريق، استثناء، تقييد في شكل. عدم الاعتراف أصلا بوجود الحق، أو منع التمتع به أو ممارسته، فلا يكفي إذن القيام بأفعال التمييز دون أن تتحقق هذه النتيجة، ولا بد من وجود سلطة من وجود رابطة سببية بين الأفعال الإجرامية، وهذه هي النتيجة. ومن هنا نجد أنه من اللازم الوقوف على مفهوم الاعتراف بالحقوق والتمتع بها وممارستها، والفرق بينهما، حيث أن الاعتراف يشمل كل الحقوق المنصوص عليها قانونا، أما تمتع فيتعلق ببعض الحقوق التمتع بالجنسية مثلا، وتشكيل حزب سياسي وغيره. (مشري، 2010، الصفحات 41-42)

02- الركن المادي:

إن جريمة التمييز جريمة عمدية تتطلب لقيامها وجود قصد جنائي بداية القصد العام، والذي يرتكز على العلم والإرادة، ونقصد أن الجاني يعلم بأن العمل الذي يقوم به مجرم ومن شأنه المساس بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتتجه مع ذلك إرادته إلى القيام به.

القصد الخاص، ونقصد به تحقيق الهدف من وراء هذا الفعل، وهو التمييز بين الأفراد في التمتع بهذه الحقوق وممارستها حسب ما نصت عليه المادة 35 وحسب المادة الثانية الفقرة الثانية من تعريف المشرع للتمييز. مشيرا إلى أن يكون لإحدى

الأسباب التالية التمييز بسبب الجنس، العرق، اللون، النسب، الأصل القومي، الإثني، العرق الإعاقة. اللغة أو الانتماء الجغرافي. (شرون، 2016، صفحة 45)

ب_ جريمة خطاب الكراهية :

01-الركن المادي: يتشكل من العناصر التالية:

أ_ خصوصية السلوك الاجرامي في جر ائم خطاب الكراهية: جاء المشرع الجزائري محددا السلوك الإجرامي في أنه أي شكل من أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع التمييز، متضمنة أسلوب الازدراء، الإهانة، العداء، البغض أو العنف للشخص، استنادا للمادة الثانية من القانون. وضحا أشكال التعبير (القول، الكتابة، الرسم والتصوير، الغناء، التمثيل، أي شكل من أشكال التعبير. مهما كانت الوسيلة المستعملة، ومنه نجد أن المشرع قد وسع في نطاق التجريم مقارنة بما جاء به العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، الذي يراعى في نهجه الحذر والضيق في نطاقه، متضمنا صور أخرى من جرائم خطاب الكراهية. يتعلق الأمر بالعقاب على كل فعل يشجع أو يمول الدعوة إلى الكراهية.

عاقب المشرع كل من أنشأ أشرف أدار موقع أو حساب إلكتروني يخصص للنشر أو الترويج لأي أفكار، برامج، أخبار، رسوم وغيرها هادفة لإثارة وترويج إلى التمييز والكراهية في المجتمع، وكذا كل من أنتج صنع أو بيع أو تداول منتجا (بضائع، مطبوعات، تسجيلات، أفلام، أشرطة، إسطوانات، برامج إعلام آلي، أو أي وسيلة أخرى) تحمل أي شكل من أشكال التعبير التي من شأنها أن تؤدي إلى ارتكاب هذه الجرائم. وكذا أشار إلى إنشاء والمشاركة في اتفاقيات أو جمعيات تشكل أو تؤلف بغرض الإعداد لهذه الأخيرة، مشيرا إلى وسائل وأشكال للتعبير عن هذا الجرم الذي تناوله المشرع في الفقرة الثانية من المادة الثانية، كما يمكن. إضافة وسائل مستحدثة التي انتشرت وأصبحت طرقا للتعبير.

من ما سبق نجد أن المشرع الجزائري قد اتجه إلى العقاب على الشروع في ارتكاب هذه الجرائم بنفس العقوبات المقررة للجريمة ذاتها. فإن هذه المساواة من شأنها أن تختم ضحية خطاب الكراهية أكثر، بالنظر إلى خطورة هذه الجريمة على المجتمع ككل، ولم تقتصر على الفرد فقط، وقد نصت المادة 36 من القانون 20-05. التي عاقبت كل من يقوم بإنشاء أو المشاركة في جمعية أو اتفاق بغرض الإعداد لجرائم خطاب الكراهية، بل أن هذه الجريمة تقوم على حتى لمجرد التصميم المشترك على قيام الفعل ويعدها الوضع خروجا عن القواعد العامة التي تشترط لتوقيع العقاب و وقوع الجريمة كاملة أو توقفت في حالة الشروع فوقوع الضرر هو الأساس في التجريم.

ب_ النتيجة الاجرامية: مما سبق عرضه، نلاحظ أن المشرع الجزائري لم يشترط لتوقيع جزائر المقرر بارتكاب نتيجة إجرامية محددة، وإنما لتحققها مباشرة الجاني لأي شكل من أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تبرر الكراهية بناء على الأسس الواردة في نص المادة الثانية من هذا القانون، من ناحية أخرى نجد أن المشرع قد واجه خطاب الكراهية من خلال ربطها بالعنف، مما جعلها من جرائم الخطر التي يترتب على السلوك الإجرامي فيها احتمال العدوان على الحق أو المصلحة محل الحماية الجنائية ولم يلزم وقوع النتيجة الإجرامية. (سليماني، 2021، صفحة 1420) . أي أن العنف تكفي الدعوة له فقط. ورغم تعدد الآراء إلا أنه يجب الإشارة إلى اتجاه أحد الآراء الذي يدعو إلى الاكتفاء بتجريم التحريض على العنف فقط جنائيا. أما التحريض على الكراهية مهما اختلفت أسسه والذي لا يترتب عليه عنفا، يجب أن يتم التعامل معه بعيدا عن طريق الجنائي، أي بالتوعية الاجتماعية التي تهدف إلى الرفض الاجتماعي لهذا السلوك أو بالأحرى لهذا النوع من التعبير. ويتم اللجوء إما للقضاء المدني لضحاياه أو اللجوء إلى طريق التأديب الإداري بالنسبة للموظفين، مع إعطاء الحق في التصحيح والرد إذا تم التعبير بإحدى الوسائل العلنية. عادة، السياسة الجنائية بشكل عام تقوم عادة على الوقاية كخطوة

أساسية وأولية للقضاء على الجريمة، ثم السياسة الردعية القائمة على التجريم والعقاب. إلا أنه لا يكفي اشتراط العنف المادي فقط لتجريم الكراهية، حيث أن وجود وجوده بصفة مجردة من شأنه المساس بحقوق وحريات الأشخاص وإلحاق أذى معنوي، ولم يمكن جعل العنف المادي ظرف من الظروف الت شديدة، وإذا ما اعتمد المشرع الجزائري، حسب المادة 32 من القانون 20-05 أما كل من المواد 34 و35 من نفس القانون، فقد اعتبرها المشرع أيضا من جرائم الخطر.

02- الركن المعنوي : بما أن جرائم الكراهية هي جرائم عمدية، فإنها تظهر في توافر القصد الجنائي لدى الجاني أو المحرض، والذي يتمثل في علمه بالعناصر الوقائعية الجوهرية اللازمة للقيام بالجريمة وإرادته للقيام بإثارة الكراهية والإخلال بمبدأ المساواة. وتوفر نية تحقيق ذلك. أما التحريض فيك في علم المحرض بعناصر الجريمة التي يدفع الغير ال بارتكابها، كما يستوجب أن تتجه إرادته إلى زرع فكرة الجريمة لشخص آخر كأثر لنشاطه الإجرامي. إلا أن القصد العام فقط ليس كيف لقيام جريمة التحريض على ال خطاب الكراهية، بل يستلزم القصد الخاص لدى الجني، وذلك من خلال توجيه رسالة بخطابه إلى المحرضين أن الضحايا وحقوقهم لم تعد مصانة أو محمية، وأنها مشروعة للاستهداف. ولكن يبقى من الصعب الكشف عن ذلك، يجب على المحكمة موضوع أعمال سلطتها التقديرية، مستعينة بكل وسائل الإثبات ووقائع الظروف الموضوعة أمامها بالتأكيد من قيام الركن المعنوي. (شرون، 2016، صفحة 127)

خامسا: الاحكام الجزائية المترتبة على جريمتي التمييزوخطاب الكراهية :

01-جريمة التمييزوخطاب الكراهية أو التحريض عليه أو الدعوة إليه:

حسب المادة 30 من هذا القانون ، عاقب المشرع الجزائري على التمييز وخطاب الكراهية بالحبس من 06 أشهر الى 03 سنوات ، بغرامة مالية من 60000دج إلى 300000 دج وهو ما يجعل الجريمة محل الدراسة تدخل ضمن مصاف الجنح.

ويعاقب كل من يقوم بفعل التحريض علنا على ارتكاب هذه الجرائم أو ينظمها أو يقوم بالدعاية لها بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبغرامة من 100000 دج إلى 300000دج. من الملاحظ أن المشرع الجزائري شدد من العقوبات المفروضة على هذه الجرائم تصل لدرجة سلب الحرية .

03- جريمة التمييز وخطاب الكراهية الو اقع على الاطفال:

حسب المادة 31 يعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة من 200000دج إلى 500000 دج في الحالات التالية:

- ✓ اذا كان الضحية طفلا أو سهل ارتكاب الجريمة حالة الضحية الناتجة عن مرضها أو اعاقتها أو عجزها البدني أو العقلي.
- ✓ اذا كان لمرتكب الفعل سلطة قانونية أو فعلية على الضحية أو استغل نفوذ وظيفته في ارتكاب الجريمة.
- ✓ اذا صدر الفعل عن مجموعة أشخاص سواء كفاعلين أصليين أو كمشاركين.
- ✓ اذا ارتكبت الجريمة باستعمال تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

من الملاحظ أن المشرع أولى أهمية كبرى لهذه الفئة نظرا لحساسيتها وما تخلفه هذه الجرائم من آثار سلبية في بنا شخصيتها خاصة منهم ذو الإحتياجات الخاصة، وهو الامر الذي دفع بالمشرع الجزائري لضرورة تعزيز الحماية لهاته الفئة تحديدا.

03- جر ائم التمييز وخطاب الكراهية الالكترونية:

وهو ما اقره نص المادة 34 من هذا القانون ، حيث يعاقب بالحبس من خمس سنوات إلى عشرة سنوات و بغرامة مالية 500.000 دج إلى 10.000.000 دج كل من ينشئ أو يدير أو يشرف على موقع الكتروني أو حساب الكتروني يخصص لنشر معلومات للترويج لأي برنامج أو أفكار أو أخبار أو رسوم أو صور من شأنها اثارة التمييز أو الكراهية في المجتمع.

خاتمة:

تلعب الآليات القانونية التي نص عليها المشرع الجزائري في مضمون القانون 20-05 دورا هاما في مواجهة التمييز وخطاب الكراهية، فهي تسعى لحماية حقوق الافراد والجماعات المستهدفة ، وتعزز قيم العدالة والمساواة في المجتمع، وهذا في ظل الاطار القانوني الذي وضعه المشرع والذي يرسخ الحدود ويعاقب المخالفين. لكنه وبالإضافة لما نص عليه المشرع الجزائري من سياسة عقابية ردعية لا يمكننا في أي حال من الأحوال اغفال الدور الذي تلعبه عملية التحسيس والتوعية في تغيير الاسباب التي تؤدي إلى استفحال هذه الظاهرة في المجتمع، ان توجيه الجهود نحو نشر الوعي بأثر هذه الظاهرة الضارة وتعزيز قيم التعددية واحترام الآخر يمكن أن يساهم في تحقيق تغيير إيجابي في المجتمع.

وفي الختام يبقى من الضروري أن ندرك أن محاربة التمييز وخطاب الكراهية يتطلب تكاثف الجهود بين مختلف القطاعات في المجتمع، بما في ذلك المؤسسات والافراد، مع الالتزام بالقيم الإنسانية واحترام حقوق الانسان يعد أساسا لبناء مجتمع أكثر تسامحا وتقدم.

التوصيات:

- ✓ تفعيل دور الجامعات في التعاون مع المرصد الوطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية، من خلال تنظيم الملتقيات العلمية ، الدراسات والبحوث المشتركة بين الطرفين.
- ✓ على اعتبار أن هذه الظاهرة أقرب لكونها اجتماعية لابد على المشرع الجزائرية التركيز أكثر على السياسة الوقائية أكثر من التركيز على السياسة الردعية العقابية، لأنها أكثر علاقة بالوعي والأخلاق أكثر من الانضباط المدني.
- ✓ ضرورة التركيز على دور الأئمة في المساجد وتفعيله من أجل إرساء معالم الدين الإسلامي ومبادئه، الذي يسعى دائما لمحاربة هذه الظاهرة.

- ✓ إعطاء المرصد الوطني للوقاية من التمييز وخطاب الكراهية صلاحيات لتوقيع عقوبات إدارية ان لم تستجب أية هيئة للاستشارات المنبثقة عنه.
- ✓ يجب أ يكون المرصد الوطني نقطة انطلاق لتوعية الجمهور حول أثار التمييز وخطاب الكراهية من خلال تنظيم ورش عمل وندوات تثقيفية لتوضيح مفهوم هذه الظواهر وتسليط الضوء على أهمية مكافحتها.
- ✓ على المرصد الوطني أن يقدم برامج تدريب للمهنيين في مختلف المجالات والمؤسسات لتعزيز الوعي بقضايا التمييز والتصدي لها.
- ✓ لابد أن يكون المرصد الوطني منبرا علميا لتشجيع البحث الأكاديمي حول موضوع التمييز وخطاب الكراهية و نشر النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع والمصادر:

القوانين:

- ➢ القانون 20-05 ، المؤرخ في 2020/04/28 المتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتهما.

الكتب:

- ➢ بن مستوري عبد الحميد ، الحماية الجنائية لحقوق الانسان في ظل العولمة، دار الجامعة، الإسكندرية، سنة 2010.

المقالات:

- ➢ سليماني حياة، تجريم خطاب الكراهية في المواثيق الدولية لحقوق الانسان، المجلد 07.العدد 01 ، سنة 2021، الجزائر.
- ➢ حسينة شرون، أحكام جريمة التمييز المستحدثة في قانون العقوبات الجزائري، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد 12، سنة 2021.
- ➢ بن هبري عبد الحميد ، آليات مكافحة خطاب الكراهية في وسائل الاعلام في ظل القانون 20-05، المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي، 2023 .

عنوان المداخلة العلمية

المعالجة الإعلامية لانتشار خطاب الكراهية في الغرب من خلال البرامج الحوارية
في قناة الجزيرة الفضائية- برنامج للقصة بقية نموذجا-

مقدّمة إلى الملتقى الوطني متعدّد التخصصات:

"أمن المجتمعات بين نبذ الكراهية وتعزيز قيم التسامح"

يوم 11 أكتوبر 2023

إعداد:

د. نوال بومشطة

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية، جامعة أم البواقي

الملخص

تتناول الدراسة البحث في طريقة المعالجة الإعلامية لانتشار خطاب الكراهية في الغرب من خلال البرامج الحوارية في القنوات الفضائية الإخبارية، وكنموذج عن ذلك، تمت الدراسة حول برنامج "للقصة بقية" الذي يبث على قناة الجزيرة الفضائية، وتناول في أحد حلقاته موضوع خطاب الكراهية في الغرب وكيفية انتشاره وانعكاساته على المجتمعات الغربية والعربية، وتأتي هذه الدراسة في ظل الانتشار الكبير لخطاب الكراهية، وذلك عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما جعله محط اهتمام ومناقشة عبر البرامج الحوارية.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وأداة تحليل المحتوى، من خلال تحديد مجموعة من الفئات المتعلقة بالشكل والموضوع، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها أن الحوار حول "خطاب الكراهية في الغرب" الذي ناقشه برنامج "للقصة بقية" تناول الظاهرة من جوانب متعددة وكشف عن أسرارها للرأي العام العالمي، وأبرز المواضيع التي تطرق لها البرنامج هو الخوف من الشريعة الإسلامية في أمريكا والتحذير من الإسلام والمسلمين باعتباره دين عنف وإرهاب بالإضافة إلى الحملات المعادية للإسلام من تنظيم جهات متخصصة، أما مصادر المعلومات التي اعتمد عليها الحوار متعددة بين وسائل الإعلام والمصادر الرسمية التي تعزز صحة ومصداقية المعلومات التي يقدمها ويكشف عنها.

الكلمات المفتاحية: خطاب الكراهية-البرامج الحوارية-قناة الجزيرة-المعالجة الإعلامية-للقصة بقية.

Abstract

The study deals with the research on the way of media treatment of the spread of hate speech in the west through talk shows on satellite news channels.as an example of this, the study was conducted on the program "the rest of the story", which is broadcast on Al Jazeera satellite channel. in one of its episodes, it dealt with the topic of hate speech in the West and how it spreads and its repercussions on Western and Arab societies. this study comes in light of the large spread of hate speech, through the media and social networking sites, which made it the focus of attention and discussion on talk shows.

The study relies on the descriptive analytical approach and the Content Analysis tool, by identifying a set of categories related to the form and subject, and the study reached several results, most notably that the dialogue on "hate speech in the West" discussed by the program "for the rest of the story" addressed the phenomenon from multiple aspects and revealed its secrets to world public opinion, the most prominent topics addressed by the program is the fear of Islamic law in America and the warning of Islam and Muslims as a religion of violence and terrorism in addition to anti-Islam campaigns organized by specialized bodies, as the sources of information relied on by the dialogue are multiple media and official sources that promote the validity of credibility Information that he provides and discloses.

Keywords*: hate speech-talk shows-Al Jazeera - media processing-the rest of the story.*

1.مقدمة

أصبح الإعلام اليوم وسيلة هامة في حياة الأفراد، فمن خلاله يحصلون على المعلومات والأخبار، ويطلعون على الأحداث وتطوراتها، كما يلعب دورا كبيرا في تكوين الرأي والاتجاه والمواقف تجاه القضايا الراهنة.

وسائل الإعلام جعلت العالم وكأنه قرية صغيرة، نستطيع من خلالها مخاطبة الآخر والتأثير فيه بسهولة، وفي ظل هذا الانفتاح، تعددت صور الخطاب الموجهة عبر وسائل الإعلام، وانتقلت من خطاب عادي إلى خطاب الكراهية، سواء عبر الصحف و القنوات التلفزيونية أو الشبكات الاجتماعية كنوع جديد للإعلام عبر الوسائط المتعددة.

ويعد خطاب الكراهية شكلا من الخطاب الإعلامي الذي ينشر ويبرر الكراهية تجاه الأفراد أو الجماعات، ويحرض على معاداة الآخر والتعصب تجاهه، وقد يكون هذا الخطاب نصا أو كلمة أو صورة بأنواعها، وتعتبر الصورة الكاريكاتيرية أداة بارزة في تمرير خطاب الكراهية، فهي تتميز بالأسلوب الساخر واستخدام الرسوم التشكيلية التي تعبر عن مواقف وتمرر رسائل ضمنية أو صريحة تحمل من خلالها خطاب الكراهية والتعصب.

وعليه من خلال هذه الدراسة سنبحث عن مضمون البرامج الحوارية التي تتناول الحديث عن خطاب الكراهية في الغرب عن طريق طرح التساؤل الآتي:

- كيف عالج برنامج **برنامج "للقصة بقية"** ظاهرة انتشار خطاب الكراهية في الغرب؟

وتندرج تحته عدة أسئلة فرعية وهي:

- ما هي المواضيع المرتبطة بخطاب الكراهية والتي تناولها هذا البرنامج؟
- ما هي مصادر المعلومة التي اعتمد عليها؟

- من هم الفاعلون في هذا البرنامج؟
- ماذا قدم الفاعلون في هذا البرنامج؟
- ما هي الدعامات البصرية التي وظفها في ذلك؟
- ما هي الكلمات والعبارات الدالة على خطاب الكراهية والتي تعرض لها البرنامج؟
- ما هي أشكال خطاب الكراهية التي ركز عليها البرنامج؟

2-أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على البحث في معالجة وسائل الإعلام لظاهرة انتشار خطاب الكراهية في الغرب وبالضبط عن طريق البرامج الحوارية التلفزيونية، خاصة وأن هذه الأخيرة تبحث في الأسباب الخفية للظواهر الاجتماعية، عن طريق البحث وتقصي الحقائق ونقلها للجمهور، وعليه يمكن فك خيوط هذه الظاهرة وأبعادها المختلفة .

3- أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- التعرف على كيفية معالجة برنامج "للقصة بقية" لانتشار خطاب الكراهية في الغرب.
- الكشف عن المواضيع المرتبطة بخطاب الكراهية والتي تناولها هذا البرنامج.
- التعرف على مصادر المعلومة التي اعتمد عليها البرنامج في معالجة هذه الظاهرة.
- تبيان الفاعلين في هذا البرنامج.
- التعرف على نوع المعلومات التي يقدمها الفاعلون في هذا البرنامج

- الكشف عن الدعامات البصرية التي وظفها البرنامج في معالجته خطاب الكراهية.
- التعرف على أشكال إبراز الكراهية والعداء للإسلام من خلال هذا البرنامج.

4-مفاهيم الدراسة

- **المعالجة الإعلامية**

هي "عملية كشف اتجاهات وماديات وإستراتيجيات التغطية الإعلامية من قبل جهة ما باتجاه قضية معينة"[1]

المعالجة الإعلامي نقصد بها : التناول الإعلامي وطرق معالجة المواضيع والأحداث في مختلف وسائل الإعلام، وفق أطر خبرية معينة، عن طريق تقديم أفكار وآراء حول قضايا معينة في قوالب متنوعة بما يتماشى والسياسة التحريرية للوسيلة الإعلامية.

- تعريف البرنامج التلفزيوني

يستخدم البرنامج في التلفزيون للإشارة إلى شكل فني يشغل مساحة زمنية محددة وله اسم ثابت، ويقدم في مواعيد محددة ثابتة يوميا أو أسبوعيا أو شهريا، يعرض مادة فنية أو ثقافية أو علمية باستخدام الفنون الإذاعية من سرد وتعليق ومقابلات وحوار.[2]

وبصورة عامة، لكل برنامج أربعة أبعاد على الأقل وهي:[3]

- الهدف من البرنامج الذي يتراوح بين الإعلام والترفيه والتثقيف والتعليم وغيره.
- الشكل الذي يتراوح بين الدراما والمنوعات والبرنامج التسجيلي أو الوثائقي والحديث والتعليق إلى غير ذلك من الأشكال.
- المضمون أو محتوى البرنامج وما يحمله من قيم ومعلومات وأفكار.

- الجمهور المستهدف، حيث أن البرامج تستهدف التأثير في قطاعات مختلفة من الجمهور.

البرامج التلفزيونية تحتاج إلى عمل جماعي تتضافر فيه جهود كل العاملين في القطاع من أجل وضع خطة برامجية تتماشى مع السياسة الإعلامية للإذاعة وكذا الاحتياجات المختلفة للجمهور.

- **خطاب الكراهية**

هو "حالة هجاء للآخر، وهو كل كلام يثير مشاعر الكره نحو مكون أو أكثر من مكونات المجتمع، وينادي ضمنا بإقصاء أفراده بالطرد أو الإفناء أو بتقليص الحقوق"[4] ، وفي هذه الدراسة خطاب الكراهية يشمل كل ما يسيء للدين الإسلامي وللرسول –صلى الله عليه وسلم- من قذف واستهزاء وسخرية، وكل ما يرفض الآخر ويستغل مختلف الوسائل لتهميش أقليات معينة.

5-منهج الدراسة وأدواتها

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي ترتكز على وصف الظواهر عن طريق جمع وتحليل وتفسير البيانات، وتعتمد الدراسة في ذلك على منهج مسح المادة الإعلامية باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، باعتبار أنه بصدد البحث في محتوى برنامج "للقصة بقية " بقناة الجزيرة الفضائية وكيفية معالجته لظاهرة انتشار خطاب الكراهية في الغرب.

ولجمع البيانات اللازمة، تعتمد الدراسة على أداة تحليل المحتوى، التي تتكون من فئات الشكل والمضمون، والتي سيتم تحديدها وفقا لما تتطلبه أهداف الدراسة، كما استخدمت وحدة التحليل المتمثلة في الفكرة والموضوع لاستخراج البيانات من عينة الدراسة.

6-مجتمع البحث وعينة الدراسة

يتمثل مجتمع البحث في مجموع حلقات برنامج "للقصة بقية" التي تم بثها على قناة الجزيرة الإخبارية، وقد تم اختيار العدد عينة الدراسة بأسلوب قصدي حتى تتماشى مع مضمون الدراسة وهو البحث في معالجة هذا البرنامج لخطاب الكراهية، حيث تم اختيار حلقة بعنوان "خطاب الكراهية في الغرب" الذي تم بثه بتاريخ 31-08-2021، ، ومدته 50:08 دقيقة.

- **التعريف ببرنامج " تحقيقات الجزيرة"**

يمكن تعريف برنامج "للقصة بقية " حسب ما ورد في الموقع الالكتروني لقناة الجزيرة الفضائية (https://www.aljazeera.net/program/investigation)، على أنه " برنامج حواري أسبوعي يبحث في قضايا عامة تهم المشاهد العربي قد تكون ضمن الشأن الجاري أو ما زالت تداعياتها موجودة، البرنامج عبارة عن فيلم لنصف ساعة، يختصر القصة بشكل قصصي أو تحقيقي، أبطالها شهود عيان، بينما الجزء الثاني فهو حوار مع المختصين المعنيين بالقصة نفسها، على أن يكون لمنصات التواصل الاجتماعي دور في التفاعل بنشر آراء المشاهدين والرد عليها.

7-نظرية الدراسة

تعتمد الدراسة على نظرية التأطير الإعلامي أو الأطر الخبرية، " وتبلورت نظرية الأطر الإعلامية على يد عالم الاجتماع (Erving Goffman) في 1974، الذي طور مفهوم البناء الاجتماعي والتفاعل الرمزي من خلال مناقشته لقدرة الأفراد على تكوين مخزون من الخبرات يُحرك مدركاتهم ويحثهم على حسن استخدام خبراتهم الشخصية وذلك عن طريق أطر إعلامية مناسبة تضفي على المضمون معنى ومغزى[5].

ويرجع استخدام تطبيق نظرية الأطر الخبرية في المجال الإعلامي إلى كل من العالمين توشمان وجلتين، حيث استمدا المفهوم من(Goffman) الذي أكد على أن الأطر تساعد على تحديد القضايا في الدراسات الإعلامية وتعريفها وإطلاق المسميات

عليها، وتساهم نظرية الأطر الخبرية في تحليل أطر التغطية الإخبارية والمقارنة بينها في القضايا ووسائل الإعلام المختلفة[6].

وتفترض هذه النظرية أن الأحداث لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاها من خلال وضعها في إطار يحددها وينظمها ويضفي عليها قدرا من الاتساق من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع وإغفال جوانب أخرى، فالإطار الإعلامي هو تلك الفكرة المحورية التي تنتظم حولها الأحداث، كما يوضحها الشكل الآتي:[7]

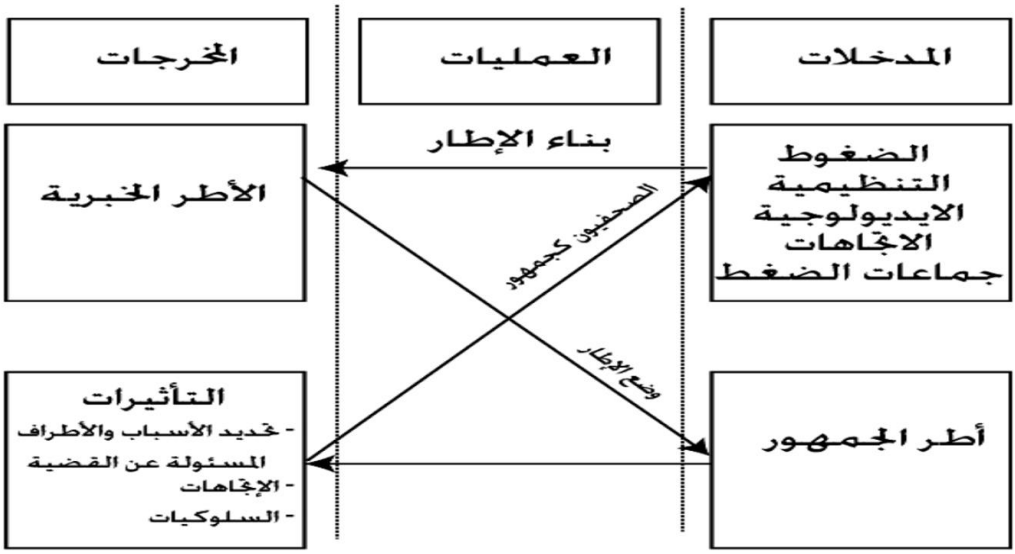

8- أهمية الحوار الإعلامي وسماته

8-1- تعريف الحوار الإعلامي

يعرف على أنه عنصر مشترك في العديد من الأشكال البرامجية وهو الأساس في الحصول على المعلومات من الضيوف،[8] والحوار نشاط ذهني يتعلق بوعي المحاور لإدراكه وتفكيره وقدراته ومستوى انتباهه، ويقيم مدى نجاحه في تغلب أطراف

الحوار على الصعوبات التي تعترض مهمتهم في كشف البيانات والأدلة وتوليد الأفكار، فالحوار يسعى إلى بين أطرافه ليولد علاقات بين عناصر الأفكار المطروحة للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الحلول التي تثري المستمع أو المشاهد.[9]

ومنه فالحوار شكل من أشكال الإنتاج الإعلامي الذي يقدم من خلاله أفكار ومعلومات يتم مناقشتها بين شخصيات أو ضيوف البرنامج لتحقيق أهداف معينة.

2-8-سمات الحوار الإعلامي

من خلال ما تقدم من تعريفات يمكن استخلاص سمات الحوار الإعلامي في النقاط الآتية:[10]

- الحوار عنصر يدخل في العديد من الأشكال البرامجية.
- يسعى للحصول على المعلومات.
- يعرض أفكار الناس وآرائهم.
- حديث منظم الغاية منه تطوير موضوع النقاش.
- الحوار فن له قواعده وأصوله.
- يهدف إلى تزويد المتلقي بالحقائق حول مواضيع معينة.

3-8-أهمية الحوار الإعلامي

الحوار له أهمية بالغة من حيث الدور الذي يقوم به في إثارة النقاش حول مواضيع تهم جمهور المتلقين، ويقدم فرصة لعرض الأفكار والمعلومات التي تهمهم، وتبرز الأهمية عموما في ما يلي:[11]

- الحوار من الوسائل التي تحقق صورا من التفاعل بين مع الأطراف المشاركة فيه.
- يعالج القضايا التي تثير اهتمام المتلقي وتزوده بمعلومات من شخصيات لها وزن وكفاءة عالية.

- يستند الحوار على مجموعة من الأفراد يبدون وجهات نظرهم حول القضايا المطروحة.
- يعمل على تقريب وجهات النظر عن طريق الحوار التفاعلي وتوجيهه الوجهة الصحيحة.
- وسيلة تواصل قوية بين الأطراف التي تناقش المواضيع الهامة للجمهور.

4-8-تصنيفات الحوار

يمكن تصنيف الحوار حسب عدة معايير، وسنذكر في ما يلي بعض التصنيفات.

✓ **حسب عدد الضيوف**، ينقسم إلى:[12]

- الحوار الفردي، وهو الحوار الذي يجرى مع شخص واحد.
- الحوار الثنائي، وهو الحوار الذي يكون مع شخصين.
- الندوة الحوارية، وهو وجود أكثر من شخصين في الحوار يتدخل كل واحد منهم في جوانب محددة من موضوع الندوة الحوارية.

✓ **حسب الهدف**، وتنقسم إلى:[13]

- حوار المعلومات، وهو الذي يهدف إلى تزويد الجمهور بالمعلومات حول موضوع معين.
- حوار الرأي، ويهدف إلى تقديم الآراء حول مسألة أو موضوع معين.
- حوار الشخصية، ويهدف إلى إبراز جوانب مهمة في شخصية معينة وحول سيرتها الذاتية.

✓ **حسب شكل التقديم**، وتنقسم إلى:[14]

- الندوة أو المناقشة، وهو الشكل الذي تلتقي فيه أكثر من شخص لمناقشة جوانب مختلفة لموضوع دون خلاف أو تعارض في وجهات النظر، أي كل منهم

يتناول شرح جانب معين.

- المائدة المستديرة، وهو الشكل الذي يلتقي فيه مجموعة من الضيوف يتبادلون الرأي ووجهت النظر في الموضوع.
- المناظرة، وهي المناقشة الثنائية حول موضوع يمثله طرفان يحمل كل واحد منهما وجهة نظر مختلفة.
- الندوات الجماهيرية، يتميز هذا الشكل بحضور جمهور من المستمعين أو المشاهدين لمناقشتها.

✓ **حسب طبيعة الموضوع**، وتنقسم إلى:

- الحوار البسيط، ويدور حول فكرة محدودة أو زاوية صغيرة من الموضوع ويكون قصير المدة.
- الحوار المركب، وفيه يتم التطرق إلى مختلف جوانب الموضوع.

✓ **حسب أسلوب التقديم**، وينقسم إلى:

- الحوار المسجل.
- الحوار الحي أو المباشر.
- الحوار المستقل، وهو الذي يمثل برنامجا بحد ذاته.
- الحوار التابع، وهو الذي يمثل جزء من برنامج معين.[15]

8-5-مهارات فن الحوار

عندما يريد المذيع إجراء أي حوار لا بد له من معرفة الموضوع وعناصره من كل تفاصيلها حتى يستطيع الوصول إلى غايته، وكي يتمكن من إيصال الغاية المرجوة لا بد من توافر العناصر التالية حتى يكون اللقاء ناجحا:[16]

- لا بد على المذيع استبعاد مصالحه ورأيه الشخصي والأحكام المسبقة.

- لا بد أن يدرك المذيع أن الحوار ليس أداة للتشهير أو الدعاية.
- أن يتذكر هدفه مصلحة الجمهور وخاصة في لقاء الرأي.
- أن يكون قد جمع ما يكفي من المعلومات عن موضوع الحوار وعن الضيف.
- التحلي بالصبر والقدرة على الاستماع حتى لو كان رأيه مخالفا للذي قال.
- أن يسعى للحصول على معلومات أكثر دون السعي لعرض آرائه وأفكاره ومواقفه.
- أن يتحلى بالصبر والقدرة على الاستماع رغم اختلاف الرأي مع ما يقال.
- أن يتذكر دائما في أثناء اللقاء أن يوجه الأسئلة التي يرغب الجمهور فيها ولا يخرج عن اهتماماته.
- أن تكون الأسئلة في صلب الموضوع وضمن تخصص الضيف وحدود صلاحياته.

9-نتائج الدراسة

في الأخير يمكن القول أن برنامج "للقصة بقية" الذي بثته قناة الجزيرة حول خطاب الكراهية في الغرب، كشف عن الكثير من الحقائق الخفية التي ساعدت في انتشار هذه الظاهرة وتفاقمها في الدول الغربية، وفي هذا الصدد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

- الحوار حول "خطاب الكراهية في الغرب" الذي ناقشه برنامج "للقصة بقية" تناول الظاهرة من جوانب متعددة وكشف عن أسرارها للرأي العام العالمي .
- أبرز المواضيع التي تطرق لها برنامج " للقصة بقية" هو الخوف من الشريعة الإسلامية في أمريكا والتحذير من الإسلام والمسلمين باعتباره دين

عنف وإرهاب بالإضافة إلى الحملات المعادية للإسلام من تنظيم جهات متخصصة.

- مصادر المعلومات التي اعتمد عليها التحقيق متعددة بين وسائل الإعلام والمصادر الرسمية التي تعزز صحة ومصداقية المعلومات التي يقدمها ويكشف عنها.
- الشخصيات الفاعلة في التحقيق متنوعة ومتعدد التخصصات والانتماءات الدينية، وذلك من أجل الإحاطة بمختلف جوانب خطاب الكراهية في الغرب والتعرف على الأطراف ذات العلاقة وتقديم الشرح والتفسير الوافي لذلك.
- نوع المعلومات التي تقدمها الشخصيات الفاعلة عبارة عن شرح وتفسير لأسباب الظاهرة وأبعادها المتعددة، بالإضافة إلى تقديم آراء المتخصصين والباحثين.
- البرنامج يوظف دعامات بصرية متعددة أبرزها الصورة بأنواعها وكذا الوثائق السرية التي تكشف عن بشاعة الغرب في صناعة الخوف من الإسلام.
- أشكال خطاب الكراهية في الغرب التي يبرزها البرنامج تنوعت بين الشعارات والمظاهرات والتجمعات الشعبية التي تعكس حقد الغرب وقدرته على حشد الجماهير المعادية للدين الإسلامي وبالتالي التأثير على أكبر عدد منهم، خاصة مع توظيف مواقع التواصل الاجتماعي لتضخيم الظاهرة ونشر المعلومات المضللة.

قائمة المراجع

- حسونة، نسرين محمد عبده (2015)، نظريات الإعلام والاتصال، شبكة الألوكة www.alukah.net
- طالب عبد المجيد علاوي، حيدر أحمد حلو: صناعة الأخبار في القنوات الفضائية العربية المتخصصة، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2015.
- طالب يعقوب، تقنيات الإعلام، دار صفحات، سوريا، 2014.
- طلعت عيسى عبد الحميد و منصور، محمد حسام، الأطر الخبرية لقضية حصار غزة في المواقع الإلكترونية للصحف الأمريكية-دراسة تحليلية مقارنة، مجلة جامعة الأزهر –غزة المجلد 20 العدد1.2018.
- عبد الدائم حسن، الحوار الإذاعي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008.
- عبد الكريم فهد الساري، تكنيك الحديث والمقابلات الصحفية، دار أسامة، الأردن، 2012.
- عبد الله محمد عبد الله أطبيقة ، الأطر الخبرية للتناول الإعلامي لجائحة كورونا" دراسة تطبيقية على الموقع الإلكتروني لقناة روسيا اليوم الفضائية الإخبارية، مجلة كلية الفنون والإعلام، السنة الخامسة، العدد 9. 2020.
- كامل الطراونة، مهارات الحوار التلفزيوني والإذاعي، دار أسامة، الأردن، 2014.
- محسن جلوب الكناني، تقنيات الحوار الإعلامي، دار أسامة، الأردن، 2012.
- محمد معوض إبراهيم و بركات عبد العزيز، إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2017.
- ناصر الرحامنة، خطاب الكراهية في شبكة الفيس بوك في الأردن-دراسة مسحية-رسالة ماجستير في الإعلام. جامعة الشرق الأوسط. الأردن. 2018..

- نجاة باسي. المعالجة الإعلامية لقضايا الأسرة في الإذاعة الجزائرية.مذكرة ماستر في العلوم الإسلامية.جامعة الوادي. الجزائر.2015.
- نعيمة واكد: البرمجة التلفزيونية وتحديات التكنولوجيا الحديثة-دراسة وصفية تحليلية للبرمجة بالتلفزيون الجزائري-، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2010-2011.

1- باسي نجاة (2015). المعالجة الإعلامية لقضايا الأسرة في الإذاعة الجزائرية.مذكرة ماستر في العلوم الإسلامية.جامعة الوادي. الجزائر، ص6.

2-نعيمة واكد: البرمجة التلفزيونية وتحديات التكنولوجيا الحديثة-دراسة وصفية تحليلية للبرمجة بالتلفزيون الجزائري-، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2010-2011، ص 26.

3-طالب عبد المجيد علاوي، حيدر أحمد حلو: صناعة الأخبار في القنوات الفضائية العربية المتخصصة، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2015، ص ص 28،27.

4- ناصر الرحامنة، خطاب الكراهية في شبكة الفيس بوك في الأردن-دراسة مسحية- رسالة ماجستير في الإعلام. جامعة الشرق الأوسط. الأردن. 2018، ص 8.

5- حسونة، نسرين محمد عبده (2015)، نظريات الإعلام والاتصال، شبكة الألوكة www.alukah.net

6- عيسى ، طلعت عبد الحميد و منصور، محمد حسام (2018)، الأطر الخبرية لقضية حصار غزة في المواقع الإلكترونية للصحف الأمريكية-دراسة تحليلية مقارنة، مجلة جامعة الأزهر –غزة المجلد 20 العدد1، ص 161.

7- أطبيقة، عبد الله محمد عبد الله (2020). الأطر الخبرية للتناول الإعلامي لجائحة كورونا" دراسة تطبيقية على الموقع الإلكتروني لقناة روسيا اليوم الفضائية الإخبارية، مجلة كلية الفنون والإعلام، السنة الخامسة، العدد 9، ص168.

8-محسن جلوب الكناني، تقنيات الحوار الإعلامي، دار أسامة، الأردن، 2012، ص 78.

9-كامل الطراونة، مهارات الحوار التلفزيوني والإذاعي، دار أسامة، الأردن، 2014، ص 11.

10- محسن جلوب الكناني، مرجع سابق، ص 79.

11- كامل الطراونة، مرجع سابق، ص ص 12-14.

12-عبد الكريم فهد الساري، تكنيك الحديث والمقابلات الصحفية، دار أسامة، الأردن، 2012، ص 209.

13-عبد الدائم حسن، الحوار الإذاعي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008، ص ص 114-117.

14-كامل الطراونة، مرجع سابق، ص ص 172-175.

15-محمد معوض إبراهيم و بركات عبد العزيز، إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2017، ص 267.

16- طالب يعقوب، تقنيات الإعلام، دار صفحات، سوريا، 2014، ص ص 307-309.

أمن المجتمعات، الرؤية الدينية والتاريخية

المنهج الإسلامي في معاملة المخالف وتعزيز قيم المواطنة
وتجدده في فقه العلامة بن بيه
حلف الفضول ودستور المدينة نموذجا

The islamic approach in dealing with opponents and enchancing citizenship values and its renexzel in the understanding of scholar BinBayyah
The alliance of fudul and the constitution of medina exemples

دنفير مصطفى
كلية العلوم الاقتصادية والسياسية وعلوم التسيير، جامعة سطيف 1

ملخص: يهدف هذا البحث إلى تأصيل القيم الكونية المطلقة في التسامح والتعايش على المشتركات ببيان الهدي النبوي في معاملة غير المسلمين بالعدل والإحسان، واستدعاء القواسم المشتركة، من خلال قراءة في حلف الفضول الذي حضره الرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وأشاد به بعدها، بما حواه من قيم الانتصاف لصاحب الحق، والانتصار للمظلوم، ووثيقة المدينة بحسبانها أول دستور للمواطنة، بما تضمنته من قيم الأخوة الإنسانية، والعدل والمساواة، وحرية العقيدة والعبادة، وحرمة الأنفس والأموال، والتكافل والتعاون على الخير، والتعاضد على رد العدوان، بما يوجب استدعاء هاتين المفخرتين، لاسيما في زمن العصبية الدينية أو القومية، لتفكيك الأزمات المتراكبة.

وقد أوفى مشروع تعزيز السلم الذي خطه العلامة عبد الله بن بيه وشيد بنيانه ، بهذه الواجب الكفائي بتجديد الخلق العربي المرشد، والمنهاج النبوي المؤيد، بدعوة العلماء وأهل الرأي المسلمين إلى إعلان البراءة من العنف باسم الإسلام، وصياغة ميثاق لحماية الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين، كما دعاهم ورجال الدين من العائلة الإبراهيمية، وأولي بقية من الملل والنحل والطوائف المختلفة إلى حلف فضول جديد، ينتصر فيه للمستضعفين، وتعلى فيه قيم السلم والتسامح والعيش

المشترك، وقد توجت المبادرتان، في سياق تراكم العمل الإيجابي البناء، بوثيقة الأخوة الإنسانية بين الأزهر الشريف والكنيسة الكاثوليكية، ضمنت مخرجتاهما.

الكلمات المفتاحية: عبد الله بن بيه. تعزيز السلم. إعلان مراكش. حلف الفضول الجديد. وثيقة الأخوة الإنسانية.

Abstract:

This research aims at rooting universal and absolute values in tolerance and coexistence, focusing on the commonalities by illustrating the Prophetic guidance in treating non-Muslims with fairness and benevolence. It highlights common denominators, citing the pre-Islamic alliance of virtue 'Hilf al-Fudul,' which Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) attended and praised later for its values of standing up forthe oppressed and championing justice. The research also references the 'Constitution of Medina', viewed as the first charter of citizenship, embodying values of human fraternity, justice, equality, freedom of belief and worship, sanctity of life and property, cooperation for good, and mutual defense against aggression. These two documents are imperative, especially in times marked by religious or nationalistic tensions, offering solutions to compounded crises.

Furthermore, the peace-promotion project conceptualised by the scholar Abdullah bin Bayyah meets the collective duty of reviving the guiding Arab ethos and the Prophetic path. It advocates for Muslim scholars and thought leaders to publicly renounce violence in Islam's name, and to formulate a pact for safeguarding non-Muslim minorities within Muslim territories. Additionally, they are encouraged to align with religious leaders from the

Abrahamic traditions and other various sects and groups to establish a new 'Hilf al-Fudul', championing the rights of the marginalized and upholding values of peace, tolerance, and shared living. These endeavors have culminated in the 'Document on Human Fraternity' between Al-Azhar Al-Sharif and the Catholic Church, encapsulating their collective resolutions.

Kaywords: *Abdullah bin Bayyah. Promoting peace. New fudul alliance. Marrakesh Declaration Constitution of Medina. Document on Human Fraternity*

مقدمة:

كان الإسلام في ميلاده المشرق ونشأته الأولى ملاذا وسيعا آمنا للبشرية من ضيق الجهل والعصبية والعدوان، وعنوانا للمدنية المؤمنة التي لم يعرف عرب ولا عجم مثلها إلا قشورا من مادية صماء، أو أولي بقية من العقلاء المتألهين، فأصبحت الشريعة المحمدية بذلك مثالا للعلم، والعدل، والرحمة، ورفع العنت عن الناس.

وكان جهاد المسلمين الأول إخراج الناس من الجهل إلى العلم، ومن الجور إلى العدل، ومن العصبية إلى الإنصاف، ومن ضيق العبودية الآسرة للعقول والأجسام إلى سعة حرية الانتساب إلى الله الحكيم الرحيم، وأخذت تعاليم الإسلام تتمدد في بقاع الأرض بهذه الروح المتوثبة إلى نفض غبار التيه عن العقول، وتجلية رونق الفطرة التي انسدلت عليها حجب الغفلة، فلا تكاد تعرف معروفا أو تنكر منكرا.

ثم انعطف منحنى الدورة الحضارية إلى سفل، وتولت جحافل الفتح الإسلامي عن الزحف على معاقل الظلم والسفاهة، وأجدبت أرض الإسلام، وانتكست راية التوحيد في كثير من قلاعه، بعد أن تعطل جهاد الحياة والمدافعة في ميادين التحضر والقيم الكونية التي أعلاها الإسلام فانفتحت له بها القلوب والعقول قبل القلاع والحصون؛ وبرز فكر مأزوم تقحم معركة المفاهيم بلا عقل أو علم، وأدلف في وحل

المشكلات بلا تشمير، فحرف الدين وأفسد الدنيا، وعلت منه صيحات جهاد الموت، ونشر الخوف، وإرهاب الناس وفتنتهم عن دين الله.

لقد بادر العلامة عبد الله بن بيه في لفيف من أضرابه إلى هذه الملحمة العلمية مبكرا ، وقد انقدح شررها، ولم يشتد أوراها بعد، بصناعة المفاهيم الموطئة للمواطنة، المعززة للسلم؛ متذرعا، إضافة إلى النصوص الجزئية والقواعد الكلية والفهم الصحيح لكلي الزمان والمكان، بما احتواه المنبع الثر المغفول عنه في استمداد الحكم الشرعي؛ سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين من أبي بكر إلى الحسن السبط رضي عنهم أجمعين، وهو الجانب المشرق المنسي من ماضينا الإسلامي الرشيد.

وقد أطلق في سبيل ذلك مبادرتي إعلان مراكش لحماية الأقليات غير المسلمة، وحلف الفضول الجديد للدعوة إلى القيم الكونية الإنسانية لتكون فضاءات لقاء وحوار، وبدائل عن التهارج والاحتراب، وفرصا للتواطن والتعايش. وقد توسطت المبادرتين، في سياق تراكم العمل الإيجابي البناء، وثيقة الأخوة الإنسانية بين الأزهر الشريف والكنيسة الكاثوليكية، لتكون جسرا يربط بين المبادرتين، يستمد من الأولى، ويمهد للثانية.

الهدف من الورقة :

يأتي هذا البحث في سياق الهبة الرشيدة لإحياء جهاد المفاهيم بتجديد فقه الدين فهما وتنزيلا، ورده إلى معينه الأول، من طريق الركام الضخم للتراث الفقهي الذي تظافرت على نخله جهود كبيرة من الأذكياء المخلصين للعلم والحقيقة، واستخراج الدرر الكامنة فيه التي تعلي قيم الرحمة والتسامح وإيثار الحوار والتعاون على الخير، وحل المشكلات العلمية التي ظاهرها معارضة هذه القيم، مع ضميمة اعتبار الواقع وتغيراته السلبية والإيجابية، والعوامل المؤثرة فيه الداخلية والخارجية.

إشكالية البحث:

ما المدى الذي وسعه المنهج الإسلامي في استيعاب الاختلاف والمعاملة مع المختلف، وهل أوفى مشروع تعزيز السلم بهذه المهمة؟.

ويتفرع عن سؤال الإشكالية أسئلة فرعية تخدم تسلسل البحث فيه: ما المبادئ التي تتأسس عليها قيم التعايش والتسامح والمواطنة؟، وهل أوفت المبادرات التي أطلقها الشيخ عبد الله بن بيه أو مهد لها بهذا الهدي النبوي؟.

منهج البحث:

تجيب الدراسة عن سؤال الإشكالية وأسئلته الفرعية، من خلال العرض والتحليل للنصوص الشرعية، والمواقف العملية في السيرة النبوية الشريفة والمبادرات الثلاث: إعلان مراكش، ووثيقة الأخوة الإنسانية، وحلف الفضول الجديد، وما انبثق عنها من مبادئ، وما أكدت عليه من قيم مشتركة تعلي من قيمة الإنسان وتقطع السبيل على نزوع التطرف والعنف والكراهية، وتبرئ الدين مما ألصق به زورا وبهتانا في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة :

الأول: في المبادئ التأسيسية للتعايش وقيم المواطنة؛

الثاني: في فقه المواطنة من دستور المدينة إلى إعلان مراكش؛

الثالث: في حلف الفضول القديم والجديد؛

الرابع: في وثيقة الأخوة الإنسانية ... جسر بين المبادرتين؛

المبحث الأول: المبادئ التأسيسية للتعايش وقيم المواطنة.

إن منهج الشمول في التعامل مع المدارك الشرعية نصوصا جزئية، وقواعد كلية، وواقعا عمليا يصلح لأن يتخذ مسالك لفهم أحكام الشرع وتنزيلها، هو الكفيل بأن يدفع الغلو في الفهم الدين ، والانتحال في تأويل نصوصه، والاعتساف في تنزيل أحكامه على واقع الناس، وبذلك يرفع التعارض الذي قد يظهر للمتعجلين بين

النصوص الشرعية، فيخرجوا من رحم الدين مسوخا، ومن أوعيته أحكاما تناقض مقاصده القطعية.

ولقد تظافرت نصوص الشرع الجزئية، وتعاضدت مقاصده الكلية، وترجمتها في السنة الفعلية للنبي صلى الله عليه وسلم، والممارسة الإسلامية الرشيدة في التاريخ الإسلامي؛ على ترسيخ مبادئ التعايش، والتسامح، واستدامة السلم في مجتمع يعلي قيمة الإنسان بحفظ الكرامة التي أنعم الله بها عليه، ولا يضيق بالاختلاف في الدين، أو العرق، أو اللغة، أو الطائفة، ولا يبخس المخالف حقه، ويتحرى فيه العدل، ويمد له يد العون، ويبذل البر والإحسان، ونجمع هذه المبادئ فيما يأتي.

المطلب الأول: الكرامة الإنسانية.

تكريم الله للإنسان، من حيث كونه نفخة من روح الله، هو النعمة الثانية بعد نعمة الإيجاد، فأول ما أنعم الله به على بني آدم أن أخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود، ذلك أن العدم شر محض، وبعد ذلك بالقابليات واللطائف، فحباه بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وبتسليطه على ما في الأرض وتسخيرهه له[1].

وفي التكريم معنى التشريف بأن جعله " نفيسا غير مبذول، ولا ذليل في صورته، ولا في حركة مشيه، وفي بشرته؛ فإن جميع الحيوانات لا يعرف النظافة، ولا اللباس، ولا ترفيه المضجع والمأكل، ولا حسن كيفية تناول الطعام والشراب، ولا الاستعداد لما ينفعه، ودفع ما يضره، ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعها"[2]

ولا ينفك معنى التكريم بالتشريف عن معنى التكريم بالتكليف، فعلى قدر الأول يكون الثاني، لأن التكليف مناط الترقي بما ركب الله في الانسان من قابليات، واستعدادات ولطائف، وما حباه به من السمو في الكمالات، ليضطلع بالأمانة التي حمل، ويقوم بواجبات العمران والخلافة في الأرض، فجعل منه أولياءه وأنبياءه

ورسله، وهم أشرف الخلق طرا، وأشرفهم فخر الكائنات قاطبة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله سلم.

ومن مظاهر التكريم أن متعه بالعقل الذي هو مناط التكليف ليهتدي به إلى الرشد، وأعطاه الحرية في الاختيار بين أن يشكر نعمة ربه عليه، أو يكفر بها، وحمله مسؤولية اختياره، وجعله حسيبا على نفسه، رهينا لكسبه، رقيبا على أقواله وأفعاله، فجعل تعبده بمحض إرادته مخيرا في اهتدائه غير مسير، ولم يقبل منه الدين بإكراه، ومنع أن يجبر على الإيمان" لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ" البَقَرَة : ، بل جعل إظهاره للإيمان مع إبطان الكفر نفاقا وزندقة يهوي به في الدرك الأسفل من النار.

ومن مقتضيات التكريم أن أوجب الشرع الحرمة لروح الإنسان وبدنه، والصيانة لماله وعرضه، وقرر العقوبات والزواجر على من يعتدي عليه،: "وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠" البَقَرَة : ، والمسلم وغير المسلم في حرمة النفس والعرض والمال سواء، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة "، بل إن النهي فيما دون الاعتداء المادي ممنوع، قال القرافي في من له ذمة من غير المسلمين: " من اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الله "[3].

ولم يكتف الشرع بكف الأذى عن غير المحارب بل رغب في بره ووصله، ورتب الثواب على الإحسان إليه، وأوجب على بره مقام المحبوبية، وليس فوق المحبوبية مقام: "لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨" المُمْتَحنَة: ، والسيرة النبوية، وتاريخ الإسلام من عصر الراشدين، ومن بعدهم من أهل الهداية طافحة بمفاخر في

التعامل مع غير المسلمين من الذميين أو المعاهدين، وكل مسالم لم يبادر بعداوة أو يسبق إلى عدوان.

المطلب الثاني: سنة الاختلاف وفضيلة الانصاف

الاختلاف من سنن الله في الأنفس والآفاق، فقد خلق الله الآفاق بين شموس وكواكب، والكواكب بين آهلة وخواء، وجعل الشمس دليلا تفرق بين الليل والنهار، والظل والحرور، ونوع الفصول إلى أربعة، لكل فصل تصاريف؛ وجعل الأرض يابسة وماء، وبقاعها سهولا وجبالا، وغابات وأحراشا، ولها من خصوبة الأرض أنواع كثيرة بين أرض سواد معشبة، ومفاوز قفار مجدبة.

كما جعل الأنفس من غير اختيار نساء ورجالا، صغارا وكبارا، أغنياء وفقراء، وجعلهم ألوانا وألسنة مختلفة، وجعل النفس الواحدة أطوارا مختلفة، بين ضعف النشأة وقوة الشباب ووهن الشيوخ، وجعل لها أحوالا متقابلة بين بسط وقبض، وأنس ووحشة ، وحزن وفرح، وضحك وبكاء، وحركة وسكون، ونشطة وخمول، وجعل كل حال من أحوالها مراتب، فحزن دون حزن، وفرح فوق فرح، وضحك كالبكاء، والبكاء صنوف من بكاء اهتمام إلى بكاء انتعام، والحركة بين حركة رشد، وحركة عبث، وحركة حمق، والسكون أضراب سكون كسل، وسكون راحة، وسكون تأمل.

والاختلاف اختيارا فرع التكريم بالتعقل وتحرير الإرادة، وهو كالاختلاف اضطرارا تجل من تجليات الإرادة التكوينية في التنوع الذي فطر الله عليه الإنسان، فالناس بما ركب فيهم من الاستعدادات المختلفة، وما أهلوا له من التميز، ليسوا على قدم واحدة في النظر والاعتبار، ولأجل ذلك اختلفت سبلهم: "لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ" المَائِدَة : ، أي شاء لكم الاختلاف والتنوع، ليمتحن اختياركم، ولو شاء جل وعز لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد[4].

وقد مال إلى هذا التفسير بعض أهل التأويل، منهم: الحسن وعطاء ومقاتل، كما نقله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن وارتضاه عند تفسير قوله تعالى: "لَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ" هُود- أي للاختلاف خلقهم وهو معنى لطيف يحتمله النص، وتزكيه تجليات الحكمة في جعل الإنسان خليفة على الخلق، وتكليفه بمعرفة الخالق[5].

وفي الاختلاف امتحان للإنسان كيف يصنع مع المخالف إن أحسن أو أساء، وكان صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم يحمد القيم النبيلة من أي وعاء صدرت، فأثنى على حلف الفضول، وقال " لو دعيت به في الإسلام لأجبت"، وأثنى على ملك الحبشة لعدله وهو على نصرانيته فقال " اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد"، ومدح لبيد بن ربيعة في جاهليته فقال صلى الله عليه وآله وسلم " أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد " ألا كل شيئ ما خلا الله باطل"[6]، وفي رواية الترمذي: " أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ..." الحديث[7].

ومما نقل عنه صلى الله عليه وسلم تمثله ببعض شعر طرفة بن العبد، ، وكان طرفة شابا، فقد قضى ولم يدرك العقد الثالث، حكيما متفرسا ثاقب النظر، وكان شعره حمالا للمعاني العالية، قيل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيئ من الشعر، فقالت: يتثمل ويقول:" ويأتيك بالأخبار من لم تزود"[8]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عن هذا البيت: إنه مثل كلام الأنبياء؛ يجمع الحكمة والمثل.

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بني شيبان بعد أن عرض عليهم الإسلام واستحسنوه وعاملوه بالأدب والحسنى، ولم يمنعه من مدحهم أن آثروا السلامة لخوفهم من بطش الفرس وكانوا في حلفهم، فقال صلى الله عليه وسلم " ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم،

أتسبحون الله وتقدسونه؟ "، فقال النعمان بن بشير: اللهم لك ذا، فتلا رسول الله " إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذير وداعيا إلى بإذنه وسراجا منيرا "، ثم نهض فأخذ بيد أبي بكر، فقال " يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها؛ يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم"[9].

وروى مسلم وغيره: " قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تقوم الساعة والروم أكثر الناس"، فقال له عمرو أبصر ما تقول، قال أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لئن قلت ذلك " إن فيهم لخصالا أربعا : إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك "[10]

المطلب الثالث: التعارف والائتلاف

من حكم الاختلاف، التعارف " "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣" الحُجُرَات :، والتعارف طريق الائتلاف، وبإضدادها تتمايز الأشياء، ومن كلام علي بن أبي الطالب: " يا مالك؛ الناس إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق" وقد استشهد بهذه الكلمة الذهبية كوفي عنان الأمين العام السابق للأمم المتحدة، وعلق قائلا: " هذه العبارة يجب أن تعلق على كل المنظمات، وهي عبارة يجب أن تنشدها البشرية" وبعد أشهر من نشرها اقترح عنان أن تكون هناك مداولة قانونية حول كتاب علي إلى مالك الأشتر

والاختلاف مناط التكليف والامتحان للناس في إدارة شؤونهم العامة والخاصة، ولولاه لتعطلت حركة العمران، إذ إنها تقوم على التداول والتدافع، وهما من أكبر سنن الاجتماع البشري، ولا يكونان إلا بالاختلاف "... وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ... " البَقَرَة:".

وقد رغب الشرع في الائتلاف، وفتح الذرائع لطلب أسبابه، وحث على البحث عما يجمع الناس ويوحد كلمتهم، وعلى الجهد في تجميله وتعظيمه، والعمل على تفكيك أسباب النزاع وتصغيرها؛ وهل كانت دعوة الإسلام إلا إفراد الخالق بالوحدانية، وتوحيد الخلق على كلمة الحق؟ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ آل عِمْرَان: □□□

المطلب الرابع :التعاون والتسخير.

من آثار الاختلاف الجبري التكويني في القابليات والاستعدادات الفطرية والملكات الكسبية ضرورة التعاون واستخدام الناس بعضهم في شؤون الحياة، فالمرأة والرجل لا يمكن لكل واحد منهما أن يكون سببا في استمرار النوع الإنساني، بل بالتزاوج والسكن، وأهل الحرف والصناعات وفلح الأرض؛ يحتاج بعضهم إلى بعض. نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ الزُّخْرُف:

قال أهل التفسير في معنى الآية أن الله خلق الناس مسيرين في أمورهم على نحو ما هيأ لهم من نظام الحياة، وكان تدبير ذلك لله تعالى ببالغ حكمته، فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحاويج، ومنتجين ومستهلكين، وفلاحين وصناع وأهل تجارة، فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة الحياة، ليتعمل بعضهم بعضا في شؤون معاشهم، فإن الإنسان جبل على الاجتماع، يعلم ويتعلم، ويبيع ويشتري، ويخدم ويستخدم[11].

المطلب الخامس: فريضة العدل وفضيلة الإحسان.

العدل من القيم الكونية الكبرى التي قررتها الشرائع ولم تتخالف فيها العقول، وقد أخبر الله أنه العدل، ومن أسمائه الحسنى العدل، وحرم على نفسه الظلم، ففي الحديث: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"[12].

وقد تواترت النصوص في القرآن والسنة وتظافرت في إعلاء قيمة العدل، وتقرر في القواعد أن الشريعة المحمدية عدل كلها، قال ابن القيم " الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليس من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[13]

والعدل قيمة مطلقة، لا تميز المؤمن عن الكافر، ولا تفرق بين الصديق والعدو، ولا تبذل للموافق وتمنع عن المخالف، وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تأمر بالعدل وتنهى عن الجور ولو مع العدو يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ المَائِدَة

والإحسان أخو العدل وصنوه، وقد قرنه الله إليه في قوله تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... النَّحْل ، ليس مع الموافق فحسب، بل والمخالف كذلك إن لم يعلن العداوة ويبادر بالحرب، فرغب في بره ووصله، ورتب الثواب على الإحسان إليه: لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ المُمْتَحنَة:

وفي تعليق الحافظ ابن حجر على حديث الرجل الذي سقى كلبا فشكر الله له وغفر ذنبه قال: "وفيه الحث على الإحسان إلى الناس، لأنه إن حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقي المسلم أعظم أجرا، واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركين"، لعموم قوله " في كل كبد رطبة صدقة"[14].

لقد أحسن الصحابة التلقي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأورثوا للمسلمين من بعدهم هذا الهدي النبوي، فقد روى مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وغلامه يسلخ شاة، فقال يا غلام؛ إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله؟، قال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار، حتى خشينا أو رأينا أنه سيورثه. وعند القرطبي في

تفسيره " الأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة حتى الكافر كما بينا... قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة عند تفريق لحم الأضحية " ابدئي بجارنا اليهودي"[15].

ومن الإحسان إليهم، عيادة مريضهم، والتعزية في ميتهم، وتهنئتهم بأفراحهم وأعيادهم، إشعارا لهم بالتضامن والشعور بالمواساة والمآزرة، فالمسلم صادق لا يظهر إلا ما في سريرته، واختلف العلماء في الأعياد التي لها علاقة بدينهم، فذهب بعض العلماء إلى عدم الجواز، وذهب بعضهم إلى الجواز مطلقا، وبعضهم مع الكراهة، وقد ناقش العلامة ابن بيه دعوى الإجماع، ونقل كلام المرداوي من فقهاء الحنابلة في الاختلاف في هذه المسألة، ومال الشيخ ابن بيه إلى القول بالجواز لأن المسألة ليس فيها نص التحريم أولا، ولأنه القول بالجواز هو الأقرب إلى تحقيق مقصد الإحسان ونشر المحبة بين الناس وهي من مقاصد الشرع، مع ضميمة أن المسلم لا يقرهم بالتهنئة على دين لا يعتقده، وإنما يظهر الفرح بفرحهم، كما يظهر الحزن بحزنهم من أجل دوام الوصل[16].

المبحث الثاني : فقه المواطنة ... من دستور المدينة إلى إعلان مراكش.

تعددت أسماء هذه الوثيقة في كتب التاريخ القديم والمعاصر، فسماها المتقدمون صحيفة المدينة، أو العهد النبوي، أو كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويميل المعاصرون إلى تسميتها دستور المدينة لتقريب المعنى للواقع القانوني المعاصر، والمعنى واحد؛ أول وثيقة قانونية متكاملة في التاريخ أرست قواعد المواطنة، وثبتت أركان العدل بين مكونات المجتمع وطوائفه، ونظمت العلاقات ليسود التسامح والمحبة والسلم بين الناس، وقد نسج على منوالها إعلان مراكش لحماية الأقليات غير المسلمة.

المطلب الأول : وثيقة المدينة ... دستور المواطنة الأول.

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا إليها من ظلم قريش، وجد فيها قبائل من العرب منهم المسلمون ومنهم من بقي على الشرك، ووجد في كل قبيلة بطنا من بطون اليهود، وبينهم توافق أحيانا وخصومات في أحايين أخرى، فآخى أولا بين المسلمين، المهاجرين والأنصار، وأذهب ما بين قبائل الأنصار من عصبيات الجاهلية وضغائن التنازع، ثم انعطف إلى باقي مكونات المجتمع المدني الفتي، من مشركين ويهود، فجمعهم والمسلمين على دستور للمواطنة يؤسس للمبادئ الكلية، ويحدد الحقوق والالتزامات، ويضع القواعد الناظمة للعلاقات.

لقد تضمنت وثيقة المدينة المبادئ الأساسية التي تقوم عليها دولة الحق والقانون والمواطنة، وتحفظ السلم والتعايش بين الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم، وتعدد مذاهبهم ومشاربهم، وتعارض مصالحهم؛ بما يجعلها الوثيقة القانونية الأولى في العالم التي أسست للقاعدة الدستورية.

وقد جاءت الوثيقة في نحو خمسين بندا أو مادة تزيد أو تنقص بحسب اختلاف الروايات، ويمكن أن نجمعها في ثلاثة مبادئ كلية، يشكل كل مبدإ محورا يمكن أن تتفرع عنه بنود غير التي ذكرت تفصل ما أجمل فيه بحسب ما يقتضيه الزمان والمكان.

أما المبدأ الأول ففي تحديد مكونات المجتمع الجديد: المؤمنين واليهود والمشركين، واعتبرت الوثيقة المؤمنين جسدا واحدا يوالي بعضهم بعضا، كما اعتبرت المؤمنين أمة مع اليهود يتناصحون ويتناصرون، ويبر بعضهم بعضا في غير إثم، وأبقت على ما يصلح من الأوضاع القانونية، كالجوار والديات والأحلاف.

وحافظت الوثيقة على تركيب المجتمع المدني في نظامه القبلي، فجعلت المهاجرين قبيلة، والأنصار قبيلتين: الأوس والخزرج، أما الأوس فقبيلتان بنو أوس، وبنو النبيت، ولكل منهما بطونه من العرب وأحلافهم من اليهود والمشركين، وأما

الخزرج فست قبائل: عوف والحارث، وساعدة، وجشم، والنجار، وعمرو، وفيهم أحلافهم من اليهود والمشركين.

هذا، وتضمن المبدأ الثاني للوثيقة الحقوق والحريات العامة، بتحديد الهوية الدينية لمكونات المجتمع الجديد؛ فالمؤمنون ملة، واليهود ملة، والمشركون ملة، وكفلت حرية العقيدة والعبادة لغير المسلمين، مع حرمة دمائهم وأموالهم، وإرساء قواعد المساواة والعدالة الاجتماعية، ومنع الظلم دفعا ورفعا، وألا يأخذ منهم شيء إلا بعدل فذممهم محفوظة لهم يستقلون بأموالهم دون المسلمين، وأنهم لا يبخسون حقا إلا من ظلم، فإنه اجتلب لنفسه وأهله ما يضر " وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم".

وقد وضعت الوثيقة حدا في البند السابع والثلاثين للعصبية الجاهلية التي تنتصر للقريب والحليف ولو كان ظالما، فقررت أن الانتصاف لا يكون إلا للمظلوم من غير تقييد بدين أو انتماء أو حمية للظالم أو المظلوم، كما قرر في البند السادس والأربعين في المسؤولية القانونية الشخصية والجماعية، فنصت على أن مقترف الفعل الجرمي مسؤول عما اجترح، وأنه لا يآخذ أحد بجرم لم يرتكبه، وإن من حليف و" لا يكسب كاسب إلا على نفسه"، إلا فيما يقضي ميزان العدالة أن يشرك قبيلته أو أهله فيه، لأنهم عاقلته ويتحملون بعض آثار جنوحه " فإنه لا يوتغ إلا أهله".

ومن المبادئ التي أسست لها الوثيقة التزامات المواطنة الإيجابية الفعالة بالمشاركة في المجتمع بالاقتراح "النصح والنصيحة والبر دون الإثم" "، والحث على التكافل بين أفراد المجتمع في مراتبه المختلفة، ، والمشاركة في الدفاع عن الدولة النائشئة " وأن بينهم النصر على من دهم يثرب' ، و"أنه لا تجار قريش ومن نصرها" بحسبانها معادية لدولة المدينة, "وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محرابين".

المطلب الثاني: إعلان مراكش ... نسج على المنوال العتيق.

إعلان مراكش من مبادرات العلامة عبد الله بن بيه لتفكيك ألغام التطرف من الجهتين: الإسلامية والغربية، فهو وإن حمل في ظاهره معنى حماية الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمة وهو كذلك، ففيه أيضا خطة للتخفيف من غلواء ظاهرة الإسلاموفوبيا المتنامية في بلاد الغرب لأسباب كثيرة، منها ما يشاع وينشر في التقارير الدورية التي ترفعها المنظمات غير الحكومية المعنية بحقوق الإنسان عموما، وحقوق الأقليات على وجه الخصوص.

إن التحفظات التي تصدر عن المؤسسات الدولية التابعة للأمم المتحدة، أو الاتحاد الأوربي عن التضييق على الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين من مجموعات متطرفة، وما تتعرض له من اعتداءات منظمة وغير منظمة بعنوان الدين غالبا، واقع لا ينكر، والحكمة تقتضي تفكيك الأسباب وإبطالها سببا إثر سبب، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

وقد صدر إعلان مراكش عن المؤتمر الذي عقد في المملكة المغربية في مدينة مراكش، وإليها نسب، بالتعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة، ومنتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة من دولة الإمارات العربية المتحدة، وبمبادرة منه، بين 25-27 يناير 2016، بوسم: " حقوق الأقليات الدينية في الديار الإسلامية، الإطار الشرعي والدعوة إلى المبادرة "، وشارك فيه كوكبة من العلماء والباحثين ورجال الدين من مختلف الديانات والطوائف والأعراق والجنسيات، وحضره ممثلون عن مؤسسات دولية حكومية وغير حكومية[17].

وهدف المؤتمر المعلن في بيانه هو رفع رداء الشرعية عن العنف ضد الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين، وتمكينهم من أداء شعائرهم الدينية التي كفلتها لهم الشريعة المحمدية، وتبرئة ساحة الإسلام مما يلصق به من أبنائه المتطرفين المتنكبين لسبيل الرشد، أو ينسب إليه من خصومه المغرضين، ومحو الصورة النمطية التي

تلقى من هذا الطرف أو ذاك إلى المسالمين غير المسلمين الباحثين عن الحقيقة، الراغبين في العيش المشترك.

وفي ديباجة الإعلان إشارة إلى حماية المسلمين من رد الفعل الذي قد يحدثه الفكر المتطرف عندنا لدى الفكر المتطرف في البلاد الغربية، وقد اتخذ المؤتمر وثيقة المواطنة التي حررها الرسول صلى الله عليه وسلم دستورا للدولة الفتية من غير ميز بين مسلم وغير مسلم، وعرفت بوثيقة المدينة.

لقد جاء الإعلان في ثلاثة محاور رئيسة في كل محور جملة من البنود يجمعها عنوان المحور، فكان المحور الأول في التذكير بالمبادئ الكلية والقيم الجامعة التي جاء بها الإسلام، في ثمانية بنود، مدارها على التكريم الإلهي للإنسان من حيث كونه نفخة من روح الله، وأن من مقتضيات هذا التكريم أن حرر إرادته في الاختيار، ورفع عنه الإكراه في الاعتقاد، وحمله مسؤولية اختياره.

إن اختلاف الناس في ما أجبروا عليه بالجبلة أو ما نزعوا إليه بالإرادة الحرة، كما ورد به الإعلان، لا يقطع أواصر الأخوة التي بينهم بالرحم الأولى، ولا يخسر ميزان العدل الذي أمروا به، وقرر بأن السلم مقصد شرعي معتبر، وأنه شعار الإسلام، وأنه الأصل في علاقة المسلم بغيره، لأن في دين الله سعة، وما أرسل نبيه إلا رحمة للعالمين، وذلك يوجب على المسلم أن يكون وفيا بعهوده ومواثيقه، وألا ينكث أو ينكل.

وتضمن المحور الثاني من الإعلام التأكيد على أن مرجعية الإعلان هي وثيقة المدينة المنورة المؤسسة للمدنية الإسلامية، والكافلة للحقوق والحريات الأساسية ومنها حق المواطنة للجميع بصرف النظر عن أديانهم أو أعراقهم، فقد "ضمنت بنودها كثيرا من مبادئ المواطنة التعاقدية كحرية التدين، وحرية التنقل والتملك، ومبدأ التكافل العام، ومبدأ الدفاع المشترك، ومبدأ العدالة والمساواة أمام القانون.

والوثيقة بهذا العمق حقيق بأن ترشح في السياق الحضاري المعاصر لتقدم للمسلمين الأساس المرجعي المبدئي للمواطنة؛ إنها، بحق، صيغة مواطنة تعاقدية،

ودستور عادل لمجتمع تعددي أعراقا وديانة ولغة، متضامن، يتمتع أفراده بنفس الحقوق، ويتحملون نفس الواجبات، وينتمون، برغم اختلافهم، إلى أمة واحدة".

هذا، وقد جاء المحور الثالث من الإعلان " لتصحيح المفاهيم، وبيان الأسس المنهجية للموقف الشرعي من حقوق الأقليات"، على وفق منهج النظر الفقهي الذي جدد معالمه العلامة ابن بيه في باكورات إنتاجه العلمي، واستمر في النضال من أجله، معالجا القضايا الإشكالية الحالة ومفترضا الحلول للقضايا المتوقعة، ومن هذه الأسس أن الشريعة مبناها على الحكمة والرحمة والعدل والمصلحة، وتحكيم النظر الكلي الذي يربط النصوص الشرعية بعضها ببعض ولا يغفل عن النصوص الجزئية، واعتبار خطاب الوضع ضابطا لخطاب التكليف، وأن لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، فما كان من الأحكام مبنيا على واقع معين، فإنه يتغير بتغير ذلك الواقع، ومن ذلك العلاقات بين أهل الأديان والطوائف.

وفي الأخير خرج الإعلان بجملة من التوصيات، منها دعوة " مختلف الطوائف الدينية التي يجمعها نسيج وطني واحد إلى معالجة صدمات الذاكرة الناشئة من التركيز على وقائع انتقائية متبادلة، ونسيان قرون من العيش المشترك على أرض واحدة، وإلى إعادة بناء الماضي بإحياء تراث العيش المشترك، ومد جسور الثقة بعيدا عن الجور والإقصاء والعنف". وحث " ممثلي مختلف الملل والديانات والطوائف على التصدي لكافة أشكال ازدراء الأديان وإهانة المقدسات وكل خطابات التحريض على الكراهية والعنصرية".

وقد دعا الإعلان في توصياته " المثقفين والمبدعين وهيآت المجتمع المدني إلى تأسيس تيار مجتمعي عريض لإنصاف الأقليات الدينية في المجتمعات المسلمة ونشر الوعي بحقوقها، وتهييئ التربة الفكرية والثقافية والتربوية والإعلامية الحاضنة لهذا التيار"، كما دعا " المؤسسات العلمية والمرجعيات الدينية إلى القيام بمراجعات شجاعة

ومسؤولة للمناهج الدراسية للتصدي لأخلال الثقافة المأزومة التي تولد التطرف والعدوانية، وتغذي الحروب والفتن، وتمزق وحدة المجتمعات".

وناشد الإعلان " الساسة وصناع القرار إلى اتخاذ التدابير السياسية والقانونية اللازمة لتحقيق المواطنة التعاقدية، وإلى دعم الصيغ والمبادرات الهادفة إلى توطيد أواصر التفاهم والتعايش بين الطوائف الدينية في الديار الإسلامية"، ويبقى الدور الأكبر للعلماء في تأصيل " مبدأ المواطنة الذي يستوعب مختلف الانتماءات، بالفهم الصحيح، والتقويم السليم للموروث الفقهي، والممارسات التاريخية، وباستيعاب المتغيرات التي حدثت في العالم".

المبحث الثالث: حلف الفضول ... بين القديم والجديد.

إن في أيام عرب الجاهلية أحداث تاريخية مظلمة بالجور والعدوان، والإغارة والسلب، وأخرى مشرقة بالكرم والنجدة، والإجارة ورد العدوان عن الضعيف، ومن أيامهم المظلمة حرب الفجار، وطرفاها قريش وأحلافهم من كنانة، وقيس بن عيلان، وسميت حرب الفجار لانتهاكها مكة وهي حرم، والأشهر الحرم، وكانت المكان والزمان معظمين عند العرب يمتنعون فيهما عن الاحتراب، وقد أعقب هذه الحرب اعتداء وظلم يؤذنان بتفاني العرب، فأسرع بعض عقلائهم إلى حلف الفضول لإقامة ميزان العدل، فكان من مفاخر العرب في الجاهلية وبعد الإسلام، يستدعى في كل المضايق الحرجة للتاريخ، ومنها مضايق التاريخ الحديث والمعاصر، لينسج على منواله[18].

المطلب الأول: حلف الفضول القديم

حلف الفضول مفخرة من مفاخر العرب، وخلق من مكارم الأخلاق التي كانوا عليها في الجاهلية، بها تأهلوا لحمل الرسالة العالمية الخاتمة، وقد جاء الإسلام لترسيخها والبناء عليها، وفي الحديث: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقد حضره سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم مع عمومته قبل بعثته، وأشاد به بعدها. فقال: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى

به في الإسلام لأجبت"، وفي رواية الطبري " شهدت حلف المطيبين ما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه، زاد يعقوب عن ابن علية، قال : قال الزهري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولم يصب الإسلام حلفا إلا زاده شدة "[19].

وفي إشادة سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم بحلف الفضول دليل على أن الإسلام ليس مسلكا يصفر التاريخ كما يزعم الفكر المأزوم والفقه الملغوم، بل هو منهج بناء تراكمي لا يبخس الناس، ولا يغمط الحق؛ يقول للمحسن أحسنت، ولمن أساء أسأت، وهذا من أعظم ميزات الشريعة المحمدية بين الشرائع، وميزات منهج الوسطية والاعتدال بين المناهج، والأفكار ، والأيديلوجيات.

قال ابن كثير: " وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلا غريبا قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الغريب أهل الفضل في مكة، فخذله فريق، ونصره الآخر، ثم كان من أمرهم ما ذكرناه، وقد تحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة، وعلى التأسي في المعاش، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه مال الغريب، فدفعوها إليه"[20].

المطلب الثاني: حلف الفضول الجديد ... شهامة عربية موروثة

مبادرة حلف الفضول الجديد، بما تبشر به من إعلاء لقيم التسامح، وما تدعو إليه من صيانة للكرامة الإنسانية، وما تنبذه من الكراهية، والظلم والاعتداء؛ استدعاء للتراث الرشيد، واقتفاء لأثر النبوة في معرفة الخير وإنمائه، وإنكار الشر وإقصائه، وهكذا فكر العلامة ابن بيه، وهكذا تحرك، فأجرى مياها راكدة، وأحيا أرضا مواتا، ما كانت لتحيا بفكر ينادي بالموت ويدعو بالثبور.

وقد جرى الميثاق على سنن الصنعة التشريعية في صياغة التوصيات، والعهود، والمواثيق الدولية، فتضمن ديباجة وخمسة فصول رئيسة، وفصل ختامي، في سبع عشرة مادة؛ أكد في الديباجة على اعتبار القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان، ولاسيما أديان العائلة الإبراهيمية، مجمعا للإتلاف، والتحالف لإطفاء نار الحرب، وتثمين التعاون، على الرغم من الاختلاف، على أسباب التعايش والتسامح والاحترام المتبادل، التي تضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية، وعززته الجهود التي بادر بها دعاة السلم وعلى رأسها التي أطلقها منتدى تعزيز السلم، والكنيسة الكاثوليكية، وكل الطوائف الدينية الأخرى.

وجاء الفصل الأول، كما جرت عليه عادة الصياغة في نصوص المواثيق والعهود الدولية، في التعريفات ونطاق سريان الميثاق، في مادتين: الأولى في معنى المصطلحات الواردة في الميثاق، وهي ستة مصطلحات: حلف الفضول، وحلف الفضول الجديد، وأديان العائلة الإبراهيمية، وأولو بقية في العالم، والحقوق، والقيم، وقد تضمنت هذه المصطلحات حمولة قيمية تنطلق من حقل دلالي واحد مداره على السلم، والتعايش، والعدل، والإنصاف، وقد حددت المادة الثانية نطاق سريان توصيات هذا الميثاق بالملتزمين بما ورد فيه، مع عدم الافتئات على سيادة الدول وفق المنصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة، لاسيما المادة التاسعة والعشرون منه.

وأما الفصل الثاني: فتضمن البواعث على هذه المبادرة، وهي ما رصده العقلاء من تحالف بين الفكر المتطرف، والممارسة العنيفة، وفلسفة التشييئ المادية لطمس اللطائف الإيمانية، والقيم الروحية، واجتلاب التهمة للدين بالإرهاب المدمر للبشرية، فكان فرضا على من وعى الأزمة، أن ينتهض إلى نزع الشرعية الدينية عن الفكر المتطرف، والممارسة العنيفة، وتخليص الإنسان من قبضة العولمة المادية، ورده إلى العالمية الأخلاقية، وإشاعة القيم الكونية المتعالية على المكان والزمان.

وانتهاضا لهده البواعث صيغت الفصول الثلاثة التالية، لتقرير المبادئ التي ينبني عليه الحلف أولا، وهي مبدأ الكرامة الإنسانية، ومبدأ حرية الاختيار وحرية ممارسة الدين، ومبدأ التسامح، ومبدأ العدالة، ومبدأ السلم، ومبدأ الرحمة، ومبدأ البر بالآخرين، ومبدأ الوفاء بالعهود والمواثيق، والأخير : مبدأ التضامن.

وهي مبادئ جامعة مانعة، لم تترك استدراكا لموافق، ولا تعقبا لمخالف، وعليها رسمت الأهداف الإجرائية، بالتحضيض على انخراط رجال الدين في حركية السلم، وتعزيز المواطنة الإيجابية المسؤولة، وتشجيع المختلفين من أهل الأديان على تبادل الاحترام، ومن ذلك حماية حقوق الأقليات، التي كفلتها المواثيق الدولية، التي يجب احترامها، والعمل على إشاعة ما تضمنته من مبادئ وأحكام.

وتفعيل هذه الأهداف يفتقر إلى أدوات تجسيدها في الواقع، من خلال تعيين مجالات الحركة، ورصد المكن والوسائل، وقد حاول الميثاق الإحاطة بها في ثلاثة عناوين، يندرج تحتها نشاط كثير: الأول لربط التعليم بالتربية، وعدم عزله عن الواقع؛ والثاني في العمل الإنساني، لتجسيد مبادئ الرحمة والتضامن والبر بالآخرين المقررة في الميثاق، وإشاعة أخلاق الشهامة والفروسية في إغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، وإيواء المشرد؛ والمجال الثالث: التنمية المستدامة، وفي النصوص الدولية غنية عن تكرارها، وقد أحال الميثاق على الأهداف السبعة عشر للتنمية المستدامة للأمم المتحدة[21].

المبحث الرابع: وثيقة الأخوة الإنسانية... جسر بين المبادرتين

وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك قطاف شجرة ابتدر بذرها العلامة عبد الله بن بيه بتأسيس مشروع تعزيز السلم، ومجلس حكماء المسلمين كأحد مخرجاته وبمبادرة منه وسعي إلى أن خرج من أرض الخمول؛ وأنضجتها سواعد الخير في إعلان مراكش والأعمال التمهيدية لحلف الفضول الجديد، ليكون جسرا يربط بين المبادرتين، و تثمر الجهود بجمع أكبر مؤسستين

دينيتين في العالم، الأزهر الشريف، والكنيسة الكاثوليكية الفاتيكان، على صياغة ميثاق يجمع أهل الديانتين على كلمة واحدة تعلي القيم الكونية الكبرى.

هذا، وقد وقع الوثيقة من الطرف الإسلامي الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور أحمد الطيب رئيس مجلس حكماء المسلمين، ومن الطرف المسيحي قداسة البابا فرانسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية، وقد احتفت بها المؤسسات الدولية: الرسمية وغير الرسمية؛ بسبب القيمة المعنوية للمؤسستين العريقتين في الديانتين الإسلامية والمسيحية، وللقيم الكونية الكبرى التي حملتها.

إن وثيقة الأخوة الإنسانية تجسد خلاصة التعاليم الدينية الإسلامية والمسيحية، وما يتفق عليه العقلاء في كل الملل والنحل من المبادئ الكونية المطلقة، ولاسيما القيم الروحية والأخلاقية التي طغت عليها الفلسفة المادية الفوضوية، الجانحة إلى عولمة الإلحاد والإباحية وتمزيق النسيج الاجتماعي، وتيسير أسباب العنف والكراهية. وتهدف لأن تكون إعلانا مشتركا على الصدق في النية والعزم في العمل على جمع المؤمنين بالله وبالإخوة الإنسانية وتوحيد جهودهم لجعل القيم الإنسانية النبيلة التي ضمنت في الوثيقة دليلا للأجيال القادمة على الاحترام والتعايش ورعاية حق الأخوة.

وافتتح نص الوثيقة بمقدمة عن وحدة الرؤية في توصيف الواقع بإيجابياته وسلبياته؛ في الوثبة التي حققها الإنسان في العلاج والرقمنة ووسائط التواصل، وما صاحب هذه الوثبة من تغول الفلسفة المادية وعولمة قيمها المدمرة للطائف الإنسانية، بسبب منطق القوة والأثرة، الذي أنتج الفقر، والفساد، والظلم الاجتماعي، وعدم المساواة، والتدهور الأخلاقي، والإرهاب والعنصرية والتطرف، والتسابق المحموم للتسلح والحروب والآلام التي يعاني منها كثير من بقاع العالم.

وجددت الوثيقة في ديباجتها التذكير بأن الناس كلهم خلق الله من نفس واحدة، تجمع بينهم رابطتا المخلوقية والآدمية، وهذا سبب كاف لوجوب التآخي، وما

تستدعيه من الحب والتآزر، والتكافل مع المستضعفين، والاعتناء بالكون؛ في إشارة إلى ما تعانيه الطبيعة من اعتداء يهدد الحياة على الأرض بالزوال

لقد صدر متن الوثيقة بعد المقدمة بتطريز جميل مبنى، وفيه من عمق المعاني ما يصلح لأن يكون قطعة أدبية تدرس للطلاب في المدارس والجامعة، ابتدئ "باسم الله الذي خلق البشر جميعا متساوين في الحقوق والواجبات والكرامة، ودعاهم للعيش فيما بينهم ليعمروا الأرض، وينشروا فيها قيم الخير والمحبة والسلام"، وقد أحسن من صاغ الوثيقة بهذا الافتتاح، الذي فيه من إعلان العبودية والعجز والافتقار، كما فيه إشعار بالتوكل وطلب العون من الله رب العالمين.

ومضت الوثيقة في الكشف عن مقاصدها من خلال الإشارات التي تضمنها هذا التطريز البديع، باسم النفس البشرية الطاهرة... باسم الفقراء والبؤساء والمحرومين والمهمشين ... باسم الأيتام والأرامل والمهجرين والنازحين من أوطانهم وديارهم، وضحايا الحروب والاضطهاد والظلم، والمستضعفين والخائفين والأسرى والمعذبين في الأرض دون إقصاء أو تمييز.

وباسم الشعوب التي فقدت الأمن والسلام والتعايش، وحل بها الدمار والخراب والتناحر، باسم الأخوة الإنسانية التي تجمع البشر جميعا، وتوحدهم وتسوي بينهم... الأخوة التي أرهقتها سياسات التعصب والفرقة ... باسمِ العَدْلِ والرَّحمةِ، أساسِ المُلْكِ وجَوْهَرِ الصَّلاحِ ... باسم ذوي الإرادة الصالحة في كل بقاع الأرض".

باسم الله الذي هو مبتدأ كل أمر ذي بال ومنتهاه، والسلم والعدل والتعايش أمر ذو بال، ختم هذا التطريز الجميل، لتعلن الوثيقة على لسان موقعيها ومن يمثلون من شعوب الأرض من مسلمين ومسيحيين ومن لف لفهم وآمن بالقيم التي اجتمعوا عليها على العزم لاتخاذ ثقافة الحوار دربا والتعاون المشترك سبيلا، والتعارف نهجا.

ثم مضى بيان الوثيقة في تشخيص أزمة الحضارة الحديثة، بعد التنويه بالنجاحات التي حققتها في العلم والتقنية والطب والصناعة والرفاهية لاسيما في

الدول المتقدمة، فأرجع أسبابها إلى تراجع الأخلاق الضابطة للتصرفات الدولية، وتراجع القيم الروحية والشعور بالمسؤولية، الظلم واستئثار القلة بالثروات الطبيعية، التي أنتجت الشعور بالإحباط والعزلة واليأس، ودفعت إلى الجنوح إلى التطرف بمتقابليه: الديني المتعصب، واللاديني الملحد، وإلى إدمان التدمير الفردي والجماعي.

إن دواء أمراض الحضارة الحديثة، كما تقرر في نص البيان، يبدأ بالرجوع إلى الفطرة، والإيمان بالله خالق الكون ومدبر شؤونه، وإيقاظ الوازع الديني في النفوس، من طريق التربية السليمة، لمواجهة النزعة الفردية، والأنانية، والأثرة، والنزوع إلى المشاعر السلبية والسلوك المدمر كالتعصب والكراهية والتطرف والعنف اللفظي والجسدي؛ فالتعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى السلام والتعارف، والأخوة والتعايش، والحكمة والعدل والإحسان، واتخاذ الحوار سبيلا لحل النزاعات، والتخفيف من غلواء الفكر المادي وفلسفة القوة.

وأكدت الوثيقة على حرية الإنسان في الاعتقاد والفكر والتعبير، وواجب حماية دور العبادة، واحترام المقدسات، وتجريم الإكراه على الدين والثقافة، وإنكار فرض نمط حضاري معين، والتنديد بالعنف والتطرف والإرهاب، وإرساء قيم المواطنة على أساس العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والاندماج الكامل لمكونات المجتمع بلا تمييز بسبب الدين أو العرق أو الجنس، ولا بين أكثرية وأقلية، وذكر وأنثى وصغير وكبير، مع احترام الخصوصيات الثقافية للجميع، وتمكين كل من التعبير عن دينه وثقافته بلا تحجير.

وفي الأخير تعهد الموقعون على الوثيقة بالعمل على إيصال القيم النبيلة التي احتوتها إلى صناع القرار العالمي، والقيادات المؤثرة، ورجال الدين في العالم، والمنظمات الإقليمية والدولية المؤثرة، ومنظمات المجتمع الدولي، والمؤسسات الدينية وقادة الفكر والرأي، لتقرر في سياسات وقرارات ونصوص قانونية، ومناهج

تعليمية، ولتكون موضع تأمل في المدارس والجامعات، من أجل إنشاء أجيال تؤمن بالسلام وتحمل الخير، وتدافع عن المظلومين والبؤساء في كل مكان.

الخاتمة :

إن عسكرة الإسلام، قيما وتاريخا ومشروع استئناف حضاري، في غير رد العدوان ودفع الصائل، التي ضربت خمر الغفلة على العقل المسلم، بالتضييق الشائن للمفاهيم الواسعة، ومنها الجهاد، وحصرته في الإغارة والسلب بدل الحجة والبيان والمطارحة العلمية ومد جسور التلاقي على المشتركات، توجب على العلماء والباحثين وأهل الرأي في الأمة الانتهاض إلى استرجاع الألفاظ التي سطا عليها الفكر المأزوم فأفرغها من حمولاتها القيمية الأصيلة، وحملها بقيم دخيلة على الفقه الإسلامي، تهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع، وتسعى بالناس إلى المهالك.

وسبيل الانتهاض إلى هذه الأمر الجلل تأصيل القيم الكونية المطلقة في التسامح، والتعايش على المشتركات؛ ببيان المنهج القرآني، والهدي النبوي في معاملة المخالف بالعدل والإحسان، واستدعاء القواسم المشتركة من خلال تجديد القراءة في السيرة النبوية الشريفة، وإحياء المفاخر الإسلامية الكبرى، واستدعاء للتاريخ الحضاري للأمة في المشرق والمغرب وبلاد الأندلس.

وحلف الفضول الذي حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، وأشاد به بعدها بما حواه من قيم الانتصاف لصاحب الحق، والانتصار للمظلوم؛ ووثيقة المدينة بحسبانها أول دستور للمواطنة بما تضمنته من قيم الأخوة الإنسانية، والعدل والمساواة، وحرية العقيدة والعبادة، وحرمة الأنفس والأموال، والتكافل والتعاون على الخير، والتعاضد على رد العدوان؛ يوجب على الباحثين والمهتمين بالحوار الحضاري استدعاء هاتين المفخرتين، لاسيما في زمن العصبية الدينية، أو القومية لتفكيك الأزمات المتراكبة.

وقد أوفت المبادرات الثلاث بهذا الواجب الكفائي المتعين بما حملت من هموم الإنسان وآلامه، وأسمعت أنينه وآهاته، وعبرت عن آماله وطموحاته، ونقلت إلى الأقوياء، والأغنياء، والمترفين عتب الضعفاء، والفقراء، والمساكين، وأسمعتهم صرخات فجاج الأرض الموجوعة من اعتداء الإنسان على ما تدخره للأجيال، واستبداد القلة المتخمة بها، وصيحات أبراج السماء المنبهة إلى بوادر الأفول؛ بسبب الأثرة، والظلم، والتسابق إلى مهاوي الخراب.

إن هذه الوثائق التاريخية بما تضمنته من معان عالية جامعة، تبعث الأمل في أن الفطرة في المسيحية كما هي في الإسلام لم تدنسها أوضار المادية، وأن الحنيفية السمحة التي ابتعث بها النبيون محفوظة في القيم العليا التي يتفق عليها المتألهون في كافة الأديان، وأن العقول إذا تمحضت للحق، وأخلصت للحقيقة لا مناص لها من أن ترجع إلى رشدها؛ ورشدها في توحيد الخالق، ووحدة الخلق، فالقيم السامية لا تصدر إلا من واجب الوجود المتحقق بالكمال المطلق؛ خلقا وأمرا.

إن من واجبات الوقت، كما يستديم العلامة بن بيه التذكير له، السعي لأن يكون السلم والتعايش تيارا عاما يدافع منزع التطرف والصدام الذي يعشش في الأقبية المظلمة، ويتعاظم شره ويتطاير شرره في العالم كله، ولكل في بيئته وبحسب ظروف المكان والزمان، وفي رأسها الخيارات الاستراتيجية للدولة لاسيما في علاقاتها الخارجية، وتقديرها لمصالحها الحيوية وأمنها القومي، وبما يتوافق مع نظامها القانوني؛ أن يؤسس المؤسسات والمراكز، والمنتديات والنوادي، ويضع البرامج التدريبية على ثقافة السلم والتعايش وقبول الاختلاف، ويعقد حلقات النقاش، لاسيما في دور الشباب والمراكز الثقافية والرياضية، ولطلاب المدارس والمعاهد، وفي المؤسسات الجامعية وإقامات الطلبة؛ وحتى السجون ومراكز تأهيل الجانحين؛ لأن تفكيك ألغام التطرف والنزوع إلى العنف لا يثمر فيه البحث والتأصيل، حتى يشفع

بحراك مجتمعي ينزل مخرجاته إلى الساحات العامة، ووسائل الإعلام والوسائط الاجتماعية.

ومن وسائل ذلك توأمات التبادل الثقافي مع المختلفين ثقافة أو عرقا أو ديانة، ولو عن طريق التفاعل الرقمي إذا عزت إمكانات التنقل، وإحياء نوع من السياحة الثقافية في بيئات أخلاقية نظيفة هو (سياحة التعايش)، أو (القوافل الثقافية للعيش المشترك)، لتطبيع العلاقات والتعود على رؤية المختلف، وتعزيز اللقاءات الثقافية لاسيما بين الروحانيين من الطوائف والأديان المختلفة، مثل التي تحدث كل سنة في السابع عشر من ديسمبر في قونيا بتركيا بمناسبة ذكرى مولانا جلال الدين الرومي.

ولا يصح التعلل بأن في ذلك خطرا يتهدد عقيدة الشاب المسلم، وثقافته، والأخلاق التي نشأ عليها؛ فإنه تعلل ساذج يعيش صاحبه خارج التاريخ والجغرافيا، ذلك أن الرقمنة والوسائط الاجتماعية اقتحمت على النساك معابدهم، وعلى الرهبان صوامعهم، ودخلت على الدروايش التكايا والزوايا، وقطعت على المتألهين تأملهم، وشوشت على المصلين لحظات الوصل بربهم، فكيف بشبان اليوم المراهقين؟، إنهم يعرفون من شؤون الدنيا ما لا يعرفه من هرم، ويصلهم من أسباب الفساد ما الله به عليم، فلم يبق غير التوجيه من وجيه، والترشيد من رشيد، وما عرضناه في هذه الورقة من مسالك التوجيه والترشيد دلالة عليه، وما ختمنا به غرف من بحره ... وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 501

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص

[3]- القرافي، الفروق، ج 3، ص 14

[4]- الطبري، ج 15، ص 531

[5]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 11.

[6]- ابن عبد البر، الاستيعاب، ج 3، ص 392.

[7]- الترمذي، ، الجامع الكبير، باب ما جاء في إنشاد الشعر ،ص 122.

[8]- الترمذي، المرجع نفسه، ص 121.

[9]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 164، 165.

[10]- مسلم، الصحيح، الحديث 1955، ج 4، ص 222.

[11]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 201.

[12]- مسلم، المرجع السابق، ج4، ص 1995.

[13]- ابن القيم، إعلام الموقعين، المجلد الرابع، ص 337.

[14]- ابن حجر، فتح الباري، ج 5، ص 50.

[15]- القرطبي، المرجع السابق، ج 5، ص 188 .

- انظر: حكم تهنئة الكفار بأعيادهم على الموقع الرسمي للعلامة عبد الله بن بيه على [16] الشابكة.

https://binbayyah.net/arabic/archives/1393

[17]- المروقع الرسمي لوزارة الأوقاف للملكة المغربية، إعلان مراكش، 2016.

[18]- المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 12 .

[19]- ابن هشام، السيرة، ج1، ص 134.

[20]- ابن كثير، السيرة النبوية، ج 1، ص 110.

- وكالة أنباء الإمارات، **ميثاق حلف الفضول الجديد** 2019

المراجع

- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري؛

1- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل؛

2-السيرة النبوية، دار المعرفة، القاهرة، 1976.

3-البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، دت.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى؛

4- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، ط 1 ، مركز البحوث بدار التأصيل، جامع الكتب الإسلامية، المجلد الرابع، 2014.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو؛

5- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت 1407.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير؛

6- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (دت)

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد؛

7- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.

- ابن عاشور، محمد الطاهر؛

8- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله؛

9- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل: بيروت، 1992.

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك؛

10- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، دار الصحابة للتراث، طنطا

- **ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني؛**

11- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، مصر، 1986.

- **القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس؛**

12- الفروق، عالم الكتب،

- **ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن ابي بكر؛**

13- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423

- **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية؛**

14- إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، الموقع الرسمي للوزارة،

https://www.habous.gov.ma

- **وكالة أنباء الإمارات، الموقع الرسمي (10-12-2019)،**

15- ميثاق حلف الفضول الجديد، تاريخ الاطلاع: 09-08-2023.

https://wam.ae/ar/details/1395302809483

أمن المجتمع في الإسلام

- دراسة تأصيلية في قواعد الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية

إعداد: د/ إبراهيم ريغي.

مخبر الدراسات والبحوث الإسلامية والقانونية والاقتصاد الإسلامي- جامعة محمد بوضياف/ المسيلة (الجزائر).

مقدمة:

يحتاج المجتمع إلى مجموعة معقدة من العوامل ليكون مجتمعاً راقياً ينعم بالكرامة والاستقرار، لكن هذه العوامل تبقى مرهونة بأمر واحد وهو الأمن، فالأمن هو الأساس ومن دونه لن يحقق المجتمع أي رقي، ويبقى مهددابالفناء أو على الأقل الاضطراب الذي يتركه غارقاً في التخلف والانحراف.

ومن هنا تظهر جلياً ضرورة الأمن الاجتماعي وأهمية البحث فيه من مختلف الجوانب والتخصصات، لفهم ماهيته ودراسة وسائل الحفاظ عليه، ومن هذه الوسائل ما يتعلق بالتشريع الذي يضبط العلاقات بين أفراد المجتمع، وهو الغرض الذي جاءت أحكام الشريعة من أجله أي من أجل ضبط العلاقات بين الناس وحفظ حقوقهم.

لذلك كانت إشكالية هذه المداخلة تتمحور حول التأصيل للأمن الاجتماعي في الإسلام من خلال دراسة قواعده ومقاصده الكبرى، فما في أهم المرتكزات الفقهية والمقاصدية التي تثبت وتؤكد اهتمام الشريعة الإسلامية بالمحافظة على الأمن الاجتماعي؟ وكيف تجلت العلاقة بين هذه القواعد والمقاصد وبين تحقيق الأمن الاجتماعي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية يتطلب الأمر دراسة استقرائية تحليلية على مستوى قواعد الفقه الإسلامي وأصوله ومقاصد الشريعة الإسلامية، وهذا يستوجب تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: مفهوم الأمن الاجتماعي في الإسلام.

المطلب الثاني: القواعد الفقهية والأصولية المتعلقة بحفظ أمن المجتمع.

المطلب الثالث: مقاصد الشريعة الكبرى المتعلقة بحفظ أمن المجتمع.

والتفصيل كما يلي:

المطلب الأول: مفهوم الأمن الاجتماعي في الإسلام.

لمعرفة مفهوم الأمن الاجتماعي في الإسلام لابد من البحث عن معنى الأمن في معاجم اللغة والقرآن الكريم، ثم تحديد المعنى العام للأمن الاجتماعي -باعتباره مركباً إضافياً- في مجال علم الاجتماع والشريعة الإسلامية.

أولاً- معنى الأمن في اللغة:

الأمن في اللغة من جذر "أ م ن" والذي يشمل عدة معانٍ لخصّها اللغوي ابن فارس في معنيين رئيسيين متقاربين فقال: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان" (ابن فارس، ج1 ،ص133)

ويُفهم من هذا أن كلمة الأمن في اللغة العربية تشمل معاني السكون والتصديق وعكس الخوف والخيانة.

ثانياً- معنى الأمن في القرآن الكريم:

لقد ورد الأمن في القرآن الكريم بمعناه العام الذي هو اطمئنان النفس وسلامتها مما تخافه.(ابن عاشور، 1984، ص122/3)

وجاءت الآيات القرآنية تؤكد قيمة الأمن بمختلف أنواعه وسياقاته من أمن نفسي اجتماعي اقتصادي دنيوي أخروي وغيرها من أنواع الأمن، وهذا التنوع يؤكد كون الأمن مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية.

ولا يسع المقام هنا لتتبع كل أنواع الأمن الواردة في القرآن وإنما الذي يهمنا في سياق هذه المداخلة هو الأمن الاجتماعي المتعلق بالمجتمع والذي ورد في القرآن الكريم

باعتباره نعمة عظيمة وضرورة وجودية، فقد ذَكَّر القرآن أهل مكة بنعمة الأمن بقوله:" **"فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ"** (سورة قريش:3-4)، وهذه الآية تدل على أهمية الأمن القومي والاجتماعي والاقتصادي والغذائي، وأنها من أعظم النعم الإلهية الربانية على العباد، التي عليهم أن يعرفوا قيمتها ويحافظوا عليها. (فضل،2016، ص 455/1)

وقد تأكد هذا في آيات أخرى مثل قوله تعالى:" **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا"** (سورة القصص:57)، وقوله أيضاً:**"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا"** (سورة البقرة: 125)، وقوله**"وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ"** (سورة التين: 03) معناه البلد الآمن. (الطبري،2001، ص 508/24)

ومن خلال ما سبق يمكن تلخيص منظور القرآن الكريم للأمن في أمرين:

- الشمول: الأمن في القرآن الكريم معنى شامل للجانب المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي، العقلي والجسدي، الفردي والمجتمعي.
- وجوب السعي لتحقيق الأمن وإقامة مقوماته. (هناء، 2018، ص314-316)

ثالثاً- مفهوم الأمن الاجتماعي في مجال علم الاجتماع والشريعة الإسلامية:

من منظور علم الاجتماع يشمل الأمن الاجتماعي شقين: الأول هو نقيض الخوف والثاني نقيض التوحد والفردانية، والمجتمع الآمن هو المجتمع الذي ينتفي فيه الخوف بشتى صوره، ويتعايش أفراده وينتظمون في علاقات وصلات تحكمها قواعد ومعايير تمكن من ممارسة نشاطه وتلبية احتياجاته المتنوعة. (عطوات، 2020، ص232) (بركات، 2010، ص7)

وهذا المفهوم تبلور جلياً في العصر الحديث لأن المدارس الأمنية التقليدية تجعل الدولة المرجع الوحيد للأمن دون الاهتمام بالجانب المجتمعي. (عطوات، 2020، ص232)

ورغم ذلك إلا أن فكرة الأمن الاجتماعي كانت موجودة عند المسلمين منذ القديم، فقد عرف المسلمون عن طريق القرآن والسنة النبوية أن المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً ويحمي بعضه بعضاً وهذا من الأمن المجتمعي، ويظهر هذا المعنى واضحاً في الحديث النبوي:"مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". (البخاري، 1993، ص2238/5)

وقد أمر الله المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان.

يقول الله تعالى:"**وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَقْوَى ولَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ**" (سورة المائدة: 2) ويقول أيضاً: "**إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**" (سورة الحجرات:10)

ويظهر هذا في تشريعات الإسلام وتعاليمه التي تؤكد هذا المقصد مثل الزكاة الهدف منها تحقيق تماسك المجتمع، والوصية بالإحسان إلى الوالدين والجيران والأرامل والأيتام وغيرها من الفضائل الاجتماعية التي تحقق وتعزز الأمن الاجتماعي. (التركي، د.ت، ص 62-66)

كما أن من وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي وتعزيزه التركيز على تربية النشء بقيم الدين الإسلامي الحقيقية، فالإسلام قائم على منظومة أخلاقية إذا تحلى بها الإنسان فستبعده من الانحراف والجريمة، فقد رغّب الإسلام في فضائل الأخلاق من صدق وصبر واحترام وتعاون وغيرها، كما أكد الإسلام تلك الحرمة والقداسة التي تحيط بحقوق الآخرين وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم، فهي خطيرة لا يجوز الاقتراب منها فضلاً عن انتهاكها.

وبما أن النفس البشرية قد تتغلب عيها غرائزها ونزعاتها وأنانيتها، فقد ركزت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على تربية النفس وتزكيتها وإخراجها من وحل

الأنانية والحسد إلى نظام الجماعة واحترام الآخر وعدم التعدي عليه والرضا. (هاشم،د.ت، ص69-73)

وسأحاول أن أُأَصل لمرتكزات الأمن الاجتماعي في الإسلام من خلال دراسة أهم القواعد الفقهية ومقاصد الشريعة الإسلامية المتعلقة به.

المطلب الثاني: القواعد الفقهية والأصولية المتعلقة بحفظ أمن المجتمع.

القواعد الفقهية والأصولية هي المفاهيم الكبرى للشريعة الإسلامية والتي من خلالها يمكن تصور أحكام الشريعة تصوراً شاملاً أفضل من تتبع الفروع، وقد دلت قواعد الفقه الإسلامي على عناية الشريعة الإسلامية بالأمن.

ومن يدرس هذه القواعد سيجد نوعاً منها يمكن تسميته بالقواعد الأمنية لتعلقها الكلي أو الجزئي بالأمن وحماية النفس والمجتمع من الخطر، كالقواعد التي تتناول الأمن على النفوس والأعضاء والأموال والأعراض والأخلاق والثوابت. (منصور، 2021، ص2204)

وهذه أهم هذه القواعد:

أولاً- قاعدة حرمة ترويع الآمنين:

وهي قاعدة تتعلق بالأمن مباشرة، وردت في نصوص عديدة من السنة النبوية تنهى عن تهديد الناس وتخويفهم ولو على سبيل المزاح أو عدم القصد، ومن هذه النصوص قوله صلى الله عليه وسلم:" من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي" (مسلم، 2012، ص33/8)، وقوله أيضاً:" إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء". (البخاري، 1993، ص2592/6)

وهذا الترويع يهدد الأمن والسكينة والطمأنينة والاستقرار لذلك حرمته الشريعة الإسلامية. (عمر، 2017، ص116)

ثانياً- قاعدة سد الذرائع:

الذرائع هي الوسائل، وإذا كانت الوسائل تؤدي إلى المفسدة فإن الشريعة تمنعها وتسدها، وهذا من شأنه أن يحقق الأمن للفرد والمجتمع فالمفسدة مهما كان نوعها يجب منعها وغلق الطريق المؤدية إليها، خاصة المفسدة التي تهدد الأمن.

وفي المقابل إذا كانت الذريعة مؤدية إلى المصلحة فإنها تُفتح، مثل فتح الجامعات والمدارس ذريعة لطلب العلم والقضاء على الجهل فوجب فتحها ودعمها. (القرافي، 1994، ص1/152-153)

ورغم اختلاف الفقهاء في حجية الذرائع إلا أنه في الحقيقة خلاف نظري مبثوث في كتب أصول الفقه، لكن إذا توجهنا إلى الجانب التطبيقي فلن نجد لهذا الخلاف أثراً كبيراً سوى الخلاف في درجة فتح الذريعة وغلقها وهذا يختلف من جزئية لأخرى.

لذلك ذكر القرافي بأن قسطاً كبيراً من مسائل سد الذرائع اتفق حوله العلماء مثل تحريم حفر الحفر في الطرقات لئلاً يقع الناس فيها، وتحريم إلقاء السم في الأطعمة (القرافي، 1994، ص1/152)، إذن سد الذريعة كأصل هم متفقون حوله لأنه يرجع لأصل متفق عليه وهو دفع المفسدة، وهذا ما دفع بأبي بكر ابن العربي بالقول بأن هذه المسألة اختلف فيها الناس بظنهم رغم أن العلماء اتفقوا عليها عملياً(ابن العربي، 1992، ص866) ، وقال القرطبي:"وسد الذرائع ذهب إليه مالك وأصحابه وخالفه أكثر الناس تأصيلاً، وعملوا عليه في أكثر فروعهم تفصيلاً" (الزركشي، 1994،ص 1/321).

ومبدأ سد الذريعة يحقق الأمان للمجتمع لأنه يعني غلق كل أبواب الفساد وانتهاك حقوق الناس.

ثالثاً- قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح:

المقصد العام من أحكام الشريعة الإسلامية هو جلب المصالح ودرء المفاسد، لكن كثيراً ما يتعارض هذا الجلب مع الدرء، فيقع الإنسان في موقف يجعله يحتار بين جلب المصلحة وتحصيلها وبين دفع المفسدة واجتنابها، فيكون اجتناب المفسدة أولى، ومن هنا كانت القاعدة أن دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة، والأصل تقديم درء المفسدة على جلب المصلحة عند التعارض والتساوي، فالشرع حريص على دفع المفاسد ورفعها أكثر من جلب المصالح.

ومن أدلة هذه القاعدة الحديث النبوي:" إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"(البخاري، 1993، ص2658/6). فقد شدد في النهي وأمر باجتنابه بينما خفف في الواجب فقال "أتوا منه ما استطعتم" حيث كثيراً ما تسقط الواجبات بأقل المشاق(السيوطي، 1990، ص87. و ابن نجيم، 1999، ص78).

كما جاء في القرآن:"**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**" (سورة الأنعام: 108)، وهذه الآية تدل على حرص شديد واحتياط لدفع المفسدة، كما يقوي هذه القاعدة أيضاً أن الشرع سمح بترك كثير من الواجبات بأدنى المشاق، بينما لم يسامح في المنهيات إلا قليلاً خاصة الكبائر منها. (السيوطي، 1990، ص87. و ابن نجيم، 1999، ص78. و الهيتمي، 2008، ص274)

لكن هذه القاعدة لا تُطبق إلا بتحقق شرط وهو وجود التساوي بين جلب المصلحة ودرء المفسدة وأن لا يكون جلب المصلحة راجحاً في المسألة فلا كلام عن الترجيح بينهما إلا عندما يستويان. (السبكي، 1993، ص105/1)

وهذه القاعدة تتعلق بالأمن، لأن الأمن فيه دفع للمفاسد عن الفرد والمجتمع، ويتفرع عن هذه القاعدة وقواعد أخرى مثل قاعدة إذا تعارضت مفسدات

روعيت أدناهم، يعني أن وقوع المفسدة الصغيرة أولى من الكبيرة عند تعارضهما. (منصور، 2021، ص2205)

رابعاً- قاعدة رفع الحرج والضرورات تبيح المحظورات:

وهذه القواعد المتقاربة هي أصل كبير من أصول الشريعة، فقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن والسنة تؤكد أن المشقة عذر وأن الضرورة تجعل الحرام حلالاً حماية للنفس.

وهذه القواعد عبر عنها الفقهاء بصيغ مختلفة مثل "الضرورات تبيح المحظورات" "المشقة تجلب التيسير" "الحرج مرفوع" "إذا ضاق الأمر اتسع" وغيرها، وسأشرح بعض تفاصيلها هنا.

أحدد أولاً معنى الحرج والمشقة، إذ لهما عدة معانٍ مقاربة عند الفقهاء والأصوليين، أبرزها:

- الحرج هو الضِيق المغير للأحكام الشرعية. (حاج،1983، ص148/3)
- الحرج هو الإثم، فعندما يُقال لا حرج في الفعل الفلاني معناه لا إثم فيه. (العطار، د.ت، ص226/1)
- الحرج هو الضغط المانع من العمل بما أباحه الشرع. (الأشقر، 2003، ص196/1)

هذه المعاني ليست متعارض ومصطلح الحرج يشملها جميعاً، أما المشقة فهي الشدة والجهد وقد تكون معتادة يتحملها الإنسان مثل مشقة الصيام، وقد تكون غير معتادة لا يتحملها الإنسان فتضعه في حرج، وهذه هي التي تجلب الرخصة والإباحة.

وباستقراء مصادر الفقه والأصول نلاحظ أن الفقهاء يرادفون بين الحرج والمشقة ولا يفرّقون بينهما غالباً ويستعملونهما بنفس المعنى.

إذن في الشريعة الإسلامية إذا وقعت المشقة أو خاف الإنسان من وقوعها فيجب عليه تجنبها، والمشقة تُسقط الواجبات فالمريض لا يصوم إذا كان المرض

مؤثراً في الصوم، وصلاة الجمعة تسقط على من خاف على نفسه أو ماله او كان في مكان فيه غير مستقر أمنياً، وهذا ما يجعل قاعدة رفع الحرج من القواعد الأمنية.

والقاعدة السابقة يُعبر عنها بـ "إذا ضاق الأمر اتسع" وهذه العبارة من إبداعات الإمام الشافعي (الخطابي، 1988، ص276/1)، وصفها الزركشي بأنها من عبارات الشافعي الرشيقة (الزركشي، 1995، ص120/1-122)

ومن أدلة هذه القاعدة:

- **من القرآن الكريم:** وفيه آيات كثيرة تدل على يسر الشريعة ورفعها للحرج والضيق، ومن هذه الآيات قول الله تعالى:"**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حرج**" (سورة الحج: 78).

وقوله تعالى:" **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**" (سورة البقرة:185).

وقال أيضاً:" **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**" (سورة البقرة:173)، فإن حالة الضرورة تحول الحكم إلى الإباحة، وقوله تعالى:" **لَيْسَ عَلَيْكُمْ ولا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ** " (سورة النور:58) وغيرها من الآيات القرآنية.

وكذلك الآيات التي تتضمن رخصاً شرعية مثل قوله تعالى:" **وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**" (سورة البقرة :185) وهي رخصة تؤكد على أن الأمر إذا ضاق اتسع حكمه.

- **من السنة النبوية:** وكذلك من السنة أحاديث كثيرة تدل على اليسر منها قوله صلى الله عليه وسلم:" إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" (البخاري،1993، ص89/1).

أما قاعدة "الضرورات تبيح المحظورات" فهي من أشهر القواعد الفقهية، جرت على ألسنة الفقهاء من مختلف المذاهب والأعصار، وأقدم من ذكرها –فيما عندي من المصادر- هو الإمام مالك في الموطأ لكن بصيغة مختلفة قليلاً فقال:" إذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر"(مالك، 2004، ص864/4).

أما الصياغة المشهورة للقاعدة فتأتي على صياغتين بالجمع أو المفرد، "الضرورات تبيح المحظورات" أو "الضرورة تبيح المحظورة".

ومعنى هذه القاعدة أن الشريعة اعتبرت حالة الضرورة وخصتها بأحكام تلائمها، فهناك مصالح ضرورية أو حاجية إذا انتُهكت تعرض الإنسان للحرج، فجاءت أحكام الضرورة الاستثنائية للوقاية من هذا الحرج والهلاك، لكن هذه القاعدة مقيدة بقاعدة أخرى وهي "الضرورة تقدر بقدرها" فلا يتوسع فيها الإنسان وإنما يباح له مقدار الخروج من الحرج والهلاك.

وبالنظر في فروع هذه القاعدة يتبين أن المقصود بالضرورة هنا ليس المعنى الذي يذكره علماء المقاصد ويريدون به الضرورة التي يؤدي فقدانها إلى الهلاك وفوات الحياة، بل الضرورة هنا –في هذه القاعدة- تشمل ذلك المعنى وما أدنى منه، فقد تكون بمرتبة الحاجة وهي أدنى من الضرورة، وقد تكون بمرتب الضرورة المهلكة، المهم أن تكون هي الأرجح.

ولتطبيق هذه القاعدة لابد من مراعاة ثلاثة شروط، وهي:

أ- أن تكون الضرورة أقوى وأشد خطراً من المحظور: وبتعبير آخر أن تكون الضرورة راجحة، فلا يجوز إرتكاب المحظور الأكبر من الضرورة (ابن نجيم، 1999، ص73).

ب- أن تقدر الضرورة بقدرها: فإذا اضطر الإنسان فإنه يستعمل المحظور بمقدار ما يخرجه عن حالة الضرورة والحاجة في الحاضر والمستقبل، ولا يتوسع فيه. فمن اضطر جوعاً فإنه يأكل من المحرم مقدار ما يحتاج. (الزركشي، 1995، ص317/2. و السيوطي، 1990، ص84).

جـ- الضرورة تقدر وفق أصول الشريعة وأدلتها لا بالأهواء: تقدير الضرورة لابد أن يستند إلى الشرع وأصوله لا إلى الهوى، فإذا استند الإنسان للهوى في هذا الباب فإنه متتبع للرخص مستبيح للمحرمات بمجرد الظن الواهم والهوى، وقد يدفعه ذلك إلى استحلال الفعل حتى بعد زوال الظن بالضرورة. (الشاطبي، 1997، ص99-100)

إذن هذه القواعد المتقاربة تدل على أن الشريعة الإسلامية تتوخى دائما رفع الحرج عن الناس، وليس في أحكامها ما يجاوز استطاعة الإنسان، وهذا من شأنه أن يبعث في النفوس الطمأنينة والأمن النفسي. (عمر، 2017، ص142)

كما أن تطبيق هذه القواعد على مستوى المجتمع يؤدي إلى أمن المجتمع لأن مقتضى هذه القواعد أن كل ما يؤدي إلى المفسدة والأذى والمشقة وجب منعه وحماية الناس منه.

خامساً- قاعدة الضرر يُزال:

ويُعبر عنها كذلك بـ"لا ضرر ولا ضِرار" وهو نص الحديث النبوي، وكذلك يُعبر عنها بـ"الأصل في المضار المنع"، وهي قاعدة معروفة مشهورة في مقررات الفقه وأصوله، ومعناها أن الضرر بالنفس أو الغير ممنوع ولا يجوز أن يقع، وإذا وقع وجبت إزالته فوراً.

ولابد أولاً من تحديد مفهوم الضرر بالضبط، فقد عرفه فخر الدين الرازي بأنه: " ألم القلب وتفويت منفعة الإنسان" (الرازي، 1997، ص105/6).

وهو تعريف جيد لكن يمكن انتقاده بأن الضرر قد لا يتضمن ألماً مثل سرقة المال الذي يجهل صاحبه أنه ملك له، فقد تعرض للإضرار لكنه لا يدري ولا أحس بالألم.

كما عرّف الطوفي الضرر بأنه:" إلحاق مفسدة بالغير مطلقاً" (الطوفي، 1998، ص236).

والمعنى المتفق عليه من هذين التعريفين وغيرهما أن الضرر مفسدة تصيب النفس أو الغير، وهذا هو الضرر المقصود والذي جاءت الشريعة بمنعه.

ومن أدلة هذه القاعدة الحديث النبوي "لا ضرر ولا ضرار"، قيل الضرر والضرار مترادفان ذكرهما على سبيل التأكيد، وقيل الضرر خاص بالنفس والضرار

بالغير، وعلى كلا القولين يعتبر هذا الحديث أصلاً في أن الضرر ممنوع في الشريعة. (الرازي، 1997، ص108/6).

وهذه القاعدة تضمن الحصانات التي تحفظ أمن الإنسان فهي تمنع كل ضرر يهدد هذا الأمن، فهي قاعدة أمنية تصلح أن تكون دستوراً لتنظيم العلاقات بين الناس بكل أمان وحفظ للحقوق. (عمر، 2017، ص136-137)

المطلب الثالث: مقاصد الشريعة الكبرى المتعلقة بحفظ أمن المجتمع.

مقصد حفظ الأمن الاجتماعي لم تؤكده القواعد الفقهية وحدها، بل تؤكده أيضاً مقاصد الشريعة الكبرى خاصة المقاصد الكلية الخمسة (حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال) فكل هذه المقاصد تصب في هدف واحد وهو حماية أمن الإنسان فرداً ومجتمعاً، لكن بعضها يتعلق مباشرة بالأمن الاجتماعي وأقصد بالذات حفظ النفس والنسل (العِرض) والمال، لذا كان لابد من دراسة هذه المقاصد الثلاثة وبيان علاقتها بتحقيق الأمن للمجتمع.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الكليات لابد من نبذة تاريخية لمعرفة من لهم السبق في التنظير لهذه الكليات، ورغم أنه لا يُعرف بالتحديد من هو أول من تطرق للكلام عن الكليات الخمس، إلا أن أصولها ترجع إلى أبي الحسن العامري (توفي سنة 381هـ=992م) لكنه ذكرها مختلفة نسبياً وكان ذكره لها في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام" وهو كتاب يتحدث عن محاسن الشريعة الإسلامية وهو من الدراسات المبكرة في مقارنة الأديان، حيث قارن بين ما سماها بالأديان الستة وهي الأديان المنتشرة في زمنه وهي الإسلام واليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية والصابئة، ولما تكلم عن الحدود والعقوبات تطرق للكليات الخمس وهي حسبه حفظ النفس والمال والستر والعرض وخلع البيضة، ويقصد بخلع البيضة مخالفة النظام العام بتعبيرنا المعاصر. (العامري، 1988، ص123)

ويُلاحظ أن الكليات التي ذكرها العامري مختلفة نسبياً عن الكليات الخمس المشهورة في كتب أصول الفقه ومقاصد الشريعة والتي هي حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وهذه الكليات مستنبطة من نصوص القرآن والسنة النبوية بالاستقراء، فبعد الاستقراء وجدوا أن أحكام الشريعة جاءت لحفظ هذه الكليات الخمس، وكما ذكرت سابقاً سأكتفي بدراسة ثلاثة منها حفظ النفس والنسل (العِرض) والمال وهي التي لها علاقة مباشرة بأمن المجتمع، وأدرس نموذجاً واحداً عن غيرها وأقصد بالضبط مقصد إصلاح ذات البين وحسم النزاع، رغم أنه توجد مقاصد أخرى تتعلق بتحقيق أمن المجتمع مثل مقصد حفظ الدين والعقل والعدل، إلا أن المقام لا يسع لدراستها كلها لأن ذلك يتطلب تأليف كتاب مطول لا تستوعبه مداخلة ملتقى.

أولاً- مقصد حفظ النفس:

والمقصود بحفظ النفس: حفظ الأرواح من التلف والخوف أفراداً وعموماً، بمراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة والأمان. (ابن عاشور، 2004، ص236/3. والخادمي، 2001، ص81)

فأحكام الشريعة تحفظ النفس من الهلاك، وإذا كان التصرف يؤدي إلى الهلاك فإنه يتحول إلى الحرمة.

ومن خلال المفهوم أعلاه نعرف أن حفظ النفس له علاقة مباشرة بالأمن الاجتماعي، لأن المقصود به حفظ النفوس أفراداً ومجتمعات، كما أن الشريعة حفظت النفس بالترغيب في كل ما يحيي النفس ويقويها " **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**" (سورة المائدة:32)

ويتحقق حفظ النفس بالوقاية والعلاج وتوفير الغذاء وتربية النفس على الفضائل، وتحريم الاعتداء على النفس، ووجود توفير الأمن والسلامة وتطبيق العقوبات على المجرمين. (عمر، 2017، ص73-75)

ثانياً- مقصد حفظ النسل:

يُسمى حفظ النسل والنسب والعرض، وهذه العناصر الثلاثة متداخلة، لكني اخترت النسل لأنه يشمل البقية، ومفهوم هذا المقصد أن أحكام الشريعة تهدف إلى حفظ النسل البشري وحمايته من التعطيل لأن ذلك يؤدي إلى اضمحلال النوع البشري أو تناقصه، وحفظ إنتساب النسل إلى أصله ونسبة الابن إلى أبيه، وحفظ كرامة وعِرض هذا النسل، هذه هي المعاني التي يشملها مقصد حفظ النسل. (ابن عاشور، 2004، ص239/3)

ومن أجل حفظ هذا المقصد دعت الشريعة إلى الزواج وحرمت الزنا والقذف والتشهير وسوء الظن والتجسس على الناس والنميمة، وكل ما فيه مساس بأعراض الناس وشرفهم. (هاشم،د.ت، ص78)

وهذه كلها من وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي، فالشريعة الإسلامية أولت اهتمامها بالنسل والنسب والعِرض وهي أمور لها قيمة عند البشر بفطرتهم، وحمايتها من شأنه أن يرسي دعائم الأمن الاجتماعي ويثبت قواعده. (عمر، 2017، ص83)

ثالثاً- مقصد حفظ المال:

للمال قيمة كبيرة في الشريعة الإسلامية، فقد وردت فيه عشرات النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، نظراً لأهميته، فكانت أطول آية في القرآن الكريم هي آية الدين في سورة البقرة، وهي آية تدعوا إلى توثيق العقود المالية بالكتابة والشهود، فآيات القرآن دعت إلى حفظ المال وحمايته ونوهت بأهميته وقداسته، فحرمت الاعتداء عليه بالسرقة والاحتيال. فالمقصود بحفظ المال: تنميته وإثراؤه وصيانته من التلف والضياع.(الخادمي، 2001، ص84)

وقد درست هذا المقصد لأن الاعتداء على المال يُعدُّ تهديداً للأمن الاجتماعي، فإن حفظ المال يحفظ للناس أمنهم والاعتداء عليه فيه إخلال بالأمن والطمأنينة، وما

شرعت العقوبات الرادعة لمن يعتدي على المال إلا دليلاً على مدى حرص الإسلام على أن ينعم الإنسان في الأمن. (عمر، 2017، ص89)

رابعاً- مقصد إصلاح ذات البين وحسم النزاع:

من مقاصد الشريعة إصلاح ذات البين وحسم النزاع، فالشريعة تهدف إلى زرع المحبة والأخوة والإصلاح بين الناس ونبذ كل ما يؤدي إلى البغضاء والحقد والكراهية، فشرعت لأجل ذلك أحكاماً كثيرةً تؤكد هذ المقصد، مثل تحريم البيع على البيع وبيع السلعة المجهولة وغيرها مما قد يؤدي إلى النزاع. (المقري، 2014، ص402)

ومن أدلة هذا المقصد ما جاء في القرآن الكريم:" **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**" (سورة الحجرات: 10)، ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". (مسلم، 2012، ص53/1)

وكذلك رتبت السنة النبوية فضائل كبيرة على إصلاح ذات البَيْن، فهو أفضل من نوافل الصلوات والصيام والصدقة، قال صلى الله عليه وسلم:" ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟" قالوا: بلى، يا رسول الله قال: "إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة" (أبو داود، 2009، ص280/7)

ومن أجل حفظ هذا المقصد حرمت الشريعة كل ما يؤدي إلى النزاع، مثل تحريم بيع ما فيه جهالة، ومنع تعدد صلاة الجماعة في المسجد الواحد والصلاة الواحدة لأن ذلك يفضي إلى النزاع والفرقة. كما أمرت الشريعة بتوثيق العقود بالكتابة والشهود لسد باب النزاعات، ولا يقتصر هذا على العقود فقط بل حتى في غيرها مثل دفع المال لليتيم عندما يبلغ فقد أمرت الشريعة بالإشهاد عند ذلك كي لا يحدث النزاع بين الولي واليتيم، قال تعالى:"**فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ**

حَسِيبًا" (سورة النساء:6)، والمقصد هنا صرح به المفسرون فقالوا بأن المقصد هو حسم مادة النزاع. (الأندلسي، 1999، ص523/3)

وهذه القاعدة تساعد على حفظ الأمن الاجتماعي وحمايته مما يعكره من النزاعات والكراهية.

الخاتمة:

وأختم هذه المداخلة بأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أ- النتائج:

أولاً- ورد الأمن في القرآن الكريم بمعنى شامل لمختلف أنواعه وجوانبه، خاصة الجانب المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي، العقلي والجسدي، الفردي والمجتمعي.

ثانياً- نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية تدعو إلى وجوب السعي لتحقيق الأمن وإقامة مقوماته ودفع الضرر عن الناس أفراداً وجماعات.

ثالثاً- فكرة الأمن الاجتماعي كانت موجودة عند المسلمين منذ القديم، فقد عرف المسلمون عن طريق القرآن والسنة النبوية أن المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً ويحمي بعضه بعضاً.

رابعاً- أمرت الشريعة الإسلامية بالكثير من الواجبات والفضائل الاجتماعية التي تحقق وتعزز الأمن الاجتماعي مثل الإحسان إلى الوالدين والجيران والأرامل والأيتام ودفع الصدقات وغيرها.

خامساً- ركزت الشريعة الإسلامية على تربية النفس لأنها من مفاتيح صلاح المجتمع وتحقق أمنه.

سادساً- توجد الكثير من القواعد الفقهية والأصولية التي تتعلق بتحقيق الأمن الاجتماعي، وتجلت علاقتها به كما يلي:

1- بعض القواعد الفقهية لها صلة خاصة بالأمن لأنها تتعلق بموضوع أمني، لذا تصلح تسميتها بالقواعد الأمنية، مثل قاعدة حرمة ترويع الآمنين.

2- بعض القواعد الفقهية والأصولية لها صلة عموم بالأمن الاجتماعي، يعني هي تؤدي إلى تحقيق الأمن الاجتماعي وغيره، مثل:

- قاعدة الضرر يزال هذه القاعدة تأمر بإزالة الضرر كيفما كان وهذا يشمل الضرر الذي يهدد أمن المجتمع وغيره.

-قاعدة سد الذرائع مفادها منع وغلق كل طريق يؤدي إلى المفسدة، وهذا يشمل كل مفسدة تمس أمن المجتمع وغيره.

.- قاعدة دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، فيها تقديم لدفع المفاسد عن الفرد والمجتمع.

3- بعض القواعد الفقهية والأصولية لها علاقة غير مباشرة بالأمن الاجتماعي، مثل قاعدة رفع الحرج.

سابعاً- مقاصد الشريعة الكبرى كلها تصب في هدف واحد وهو حماية أمن الإنسان فرداً ومجتمعاً، خاصة المقاصد الكلية الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وقد ركزت في دراستي هذه على ثلاثة منها وهي النفس والنسل (العِرض) والمال.

ثامناً- كل مقصد من مقاصد الشريعة الكبرى يحمي أمن المجتمع بطريق معينة، كما يلي:

1- مقصد حفظ النفس يشمل حفظ أمن النفس البشرية أفراداً وجماعات، من خلال تشريع ما يحمي النفس ويقويها وتحريم كل ما يضرها ويهلكها.

2- مقصد حفظ النسل يُعد وسيلة من وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي، لأن النسل والنسب والعِرض هي أمور لها قيمة عند البشر بفطرتهم، وحمايتها من شأنه أن يرسي دعائم الأمن الاجتماعي ويثبت قواعده.

3- مقصد حفظ المال يحقق أمن المجتمع لأنه يتعلق بعنصر ضروري في المجتمع وهو المال، والاعتداء على المال يُعدُّ تهديداً للأمن الاجتماعي، فإن حفظ المال يحفظ للناس

أمنهم والاعتداء عليه فيه إخلال بالأمن والطمأنينة، لذلك شُرِّعت العقوبات الرادعة لمن يعتدي على لينعم الإنسان.

4- بعض المقاصد تتعلق مباشرة بالأمن الاجتماعي مثل مقصد إصلاح ذات البين وحسم النزاع، لأن الإصلاح بين الناس وغلق أبواب الخلاف بينهم يحقق أمن المجتمع، لذلك حرمت الشريعة كل ما يؤدي للفرقة والنزاع مثل البيع على البيع وبيع السلعة المجهولة وغيرها.

ب- التوصيات:

- الدعوة إلى إجراء المزيد من البحوث في موضوع أمن المجتمع في الإسلام لأن البحوث الموجودة لا تكفي، فهو يحتاج إلى فعاليات علمية تنظر للقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة في مجال الأمن الاجتماعي، وتسهل تفعيلها وتطبيقها.

- الاستفادة تشريعياً من هذه القواعد وفروعها لأنها تحتوي على خزان ثري من المادة الفقهية التي يحتاجها المشرع.

- ضرورة تنمية الوعي والوازع الديني ضد الانحرافات التي تهدد أمن المجتمع كالمخدرات، لأن الوازع الديني من شأنه أن يمنع الناس من الوقوع في هذه الانحرافات.

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن العربي، أبو بكر، (1992)، القبس في شرح موطأ الإمام مالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
2) ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
3) ابن عاشور، محمد الطاهر، (2004)، مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
4) ابن فارس، أحمد، (1979)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق.
5) ابن نجيم، زين الدين، (1999)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت.
6) أبو داود، سليمان بن الأشعث، (2009)، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، بيروت.
7) البخاري، محمد بن إسماعيل، (1993)، صحيح البخاري، دار اليمامة، دمشق.
8) بركات، علي أسعد، (2010)، الأمن الاجتماعي دراسة حالة جامعة دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.
9) التركي، عبد الله، (د.ت)، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، وزارة الأوقاف السعودية.
10) حاج، ابن أمير، (1983)، التقرير والتحبير على تحرير بن الهمام، دار الكتب العلمية، بيروت.
11) الخادمي، نور الدين، (2001)، علم مقاصد الشريعة، مكتبة العبيكان، الرياض.
12) الخطابي، أبو سليمان،(1988)، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، جامعة أم القرى، مكة.
13) الرازي، فخر الدين، (1997)، المحصول، مؤسسة الرسالة، بيروت.

14) الزركشي، بدر الدين، (1985)، المنثور في القواعد الفقهية، وزارة الأوقاف، الكويت.
15) الزركشي، بدر الدين، (1994)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، القاهرة.
16) السبكي، تاج الدين، (1993)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت.
17) السيوطي، جلال الدين، (1990)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت.
18) الشاطبي، (1997)، الموافقات، دار ابن عفان، القاهرة.
19) الطبري، محمد بن جرير، (2001)، جامع البيان (تفسير الطبري)، دار هجر، السعودية.
20) الطوفي، نجم الدين، (1998)، التعيين في شرح الأربعين، مؤسسة الريان، بيروت.
21) العامري، أبو الحسن، (1988)، الإعلام بمناقب الإسلام، دار الأصالة، الرياض.
22) عطوات عبد النور، و شنين محمد المهدي، (2020)، بناء الأمن في المجتمع المتعدد: قراءة معرفية في مفهوم الأمن المجتمعي وتجلياته على ضوء صحيفة المدينة، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة – الأغواط، المجلد 04، العدد 02، الصفحات 225-249.
23) عمر، محمود عمر أحمد، (2017)، القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس.
24) فضل، بن عبد الله، (2016)، المقدمة في فقه العصر، دار الجيل الجديد، صنعاء.
25) القرافي، شهاب الدين، (1994)، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
26) مالك، بن أنس، (2004)، الموطأ، مؤسسة زايد، أبو ظبي.
27) مسلم، بن الحجاج، (2012)، صحيح مسلم، دار طوق النجاة، بيروت.
28) المقري، أبو عبد الله، (2014) قواعد الفقه، دار ابن حزم، بيروت.

29) منصور، خميس منصور رسلان، (2021)، الأمن الجمعي دراسة في مقاصد التشريع الإسلامي، مجلة الزهراء، العدد 31، الصفحات 2179-2258.
30) هاشم، أحمد عمر، (د.ت)، الأمن في الإسلام، دار المنار، القاهرة.
31) هناء، أحمد محمود، (2018)، الوحدة الوطنية ودورها في دعم أمن المجتمع المسلم، مجلة الذخيرة، جامعة غرداية، المجلد 02، العدد 01، الصفحات 307-330.
32) الهيتمي، ابن حجر، (2008)، الفتح المبين بشرح الأربعين، دار المنهاج، جدة.

الحوار بين الأديان من التسامح إلى العيش المشترك من أجل الأمن المجتمعي

ط د فاضلي إيمان دكتوراه علوم تخصص مقارنة الأديان وحوار الأديان والحضارات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة-

البريد الإلكتروني : i.fadeli@univ-emir.dz

الملخص :

سنجيب في هذه الورقة عن مجموعة تساؤلات تصب كلها في موضوع (قدرة الأديان والحوار بينها على نشر قيم التسامح والعيش وفق المشترك الإنساني من أجل تحقيق الأمن المجتمعي في أبعاده الفكرية والثقافية والهوياتية) نظريا، ثم محاولة تحديد وسائل فعل ذلك عمليا مثل استغلال وسائل الإعلام والإتصال الحديثة ، بالإضافة إلى إنشاء مبادرات ومؤسسات متخصصة في الحوار بين الأديان والتي ينحصر عملها في البحث واستكشاف تلك المشتركات القيمية بين الأديان وتثمينها ثم تفعيلها وكذا استصدار قرارات بخصوص نبذ خطاب الكراهية والتمييز والتعصب ، وإبراز قدرة الأديان على التعليم والتربية على التسامح و التفاهم والعيش المشترك من خلال حفظ الحريات الشخصية والحقوق الفردية للآخر المخالف دينيا ونبذ التمييز على أساس الهوية، وكيف يمكن للحوار بين الأديان أن يحفظ ويصون الأمن المجتمعي من الناحية الفكرية والثقافية والهوياتية داخل المجتمع الواحد وكذا بين المجتمعات، وهل نجحت مبادرات الحوار بين الأديان عبر تاريخها الطويل في تفعيل قيم التسامح والعيش المشترك وتكريم الإنسان على أرض الواقع ؟.

الكلمات المفتاحية : الحوار بين الأديان - التسامح الديني – العيش المشترك – الأمن المجتمعي .

The Abstract :

this paper aims to answer a bunch of questions that related to the interfaith dialogue and the religions' ability to spread peace , tolerance and prevent hate speech affections between peoples in the whole world and help them , or rather , teach them to coexist together for the sake of societal security especially that of identity dimensions .

One of the most significant methods to do that is to use the social media materials and the best way is to make it a global issue by setting up roles and lows , so, we can prove that religions as it have the reasons to break down the humanity it have also the power to build it up in a beautiful images of diversity , for these, there are many centers all around the world that conducting researches and holding conferences to discuss different challenges of interfaith dialogue and religious tolerance in order to explain the causes of hate speech then prevent them or ,at least, decrease its destructive results on modern societies .

Key words: Interfaith dialogue – Religious Tolerance – Coexistence – Societal Security**.**

1) **مقدمة :**

تواجه البشرية اليوم وتشهد موجات نشر للتمييز والعنف والتطرف لم تشهد مثلها من قبل ولا حتى في أشد الأوقات همجية وتطرفا، إذ نلحظ حملات منظمة وممنهجة لنشر التفرقة واللاتسامح والعنصرية بين الجماعات البشرية وتحت مسميات قد تبدو بريئة ولكنها في حقيقتها ليست إلا وسائل لنشر الفرقة والكراهية وتهديد أمن المجتمعات، وأهمها على الإطلاق ما حدث بعد الحرب الباردة من إثارة للإثنيات والقوميات الدقيقة المندثرة والأقليات داخل المجتمعات تحت غطاء حقوق الإنسان وحقوق الأقليات ونبذ التمييز العنصري وحرية التعبير والثورة من أجل تهديم نظريات التمركز حول الإنسان الغربي التي سيطرت طيلة الفترة الإستعمارية وما بعدها إلى غاية نهاية الحرب الباردة ، فكانت هذه من أخبث الممارسات وأخطرها على الأمن المجتمعي في أنحاء العالم مستفيدين في ذلك من التقنية والتقدم التكنولوجي في مجال وسائل الإعلام ووسائط الإتصال الحديثة لخلق حالة من التشظي والإضطراب داخل المجتمعات ، وفي المقابل نلحظ توجها دوليا لمحاربة تلك المظاهر التي تهدد الأمن المجتمعي العالمي وتهدد الحياة البشرية ككل، إذ تعمل هذه المساعي الدولية على كشف النقاب عن هذه الممارسات وعلى عدة أصعدة وتستهدف فئات متنوعة في المجتمع ومن بينها الصعيد الأكثر تأثيرا وفتكا وخصوصية ؛ (الأديان) وما يتعلق بها من دعوات (الحوار بين أتباع الأديان) التي انطلقت رسميا بعد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م) فأصبح القرن العشرين قرن الحوار بين الأديان بامتياز، وقد شهد هذا المجال تطورات كثيرة على مستوى منطلقاته وأهدافه ووسائله : فإلى أي مدى يمكن للحوار بين أتباع الأديان أن يساهم بحل الإشكالات المتعلقة بالأمن المجتمعي اليوم خاصة ما تعلق منها بنبذ خطابات

الكراهية ونشر قيم التسامح ؟ ،سنجيب عن هذا السؤال ببحث التساؤلات الفرعية التالية :

- ما الأمن المجتمعي (Societal Security = Community Safety) وما متطلباته في المجتمع ؟ وكيف يؤثر خطاب الكراهية بكل وسائله على الأمن المجتمعي ؟
- و ما الحوار بين الأديان في مفهومه العميق ؟
- ماذا يمكن أن يقدم مشروع (الحوار بين الأديان) للمجتمعات البشرية اليوم من حلول بخصوص نبذ خطابات الكراهية وتفعيل قيم التسامح و تكريم الإنسان بغض النظر عن انتمائه الديني ؟
- ما هي أهم نظريات العيش وفق المشترك الإنساني المعاصرة الناتجة عن الحوار بين الأديان ؟ وتحليلها و نقدها ؟ .

2) **الأمن المجتمعي وتهديداته** :

تدور مفاهيم الأمن المجتمعي الحديثة حول حماية الهويات والإنتماءات المختلفة ضد التهديدات الثقافية المختلفة إذ لاحظ الدراسون للأوضاع الأمنية العالمية وعلى رأسهم البريطاني (باري بوزان Barry Busan) أن التهديدات الأمنية التي تواجهها المجتمعات الحديثة بعد الحرب الباردة (تسعينات القرن الماضي) من نوع جديد ولكنه أكثر فتكا من التهديدات العسكرية والإقتصادية التي كانت سائدة من قبل، وتتلخص هذه التهديدات في مهاجمة الهويات والقوميات والأديان واللغات لإفناء بعضها وإعلاء وسيطرة أخرى، وهذا ما يُصطلح عليه ب (صدام الحضارات) الذي نظّر له الأمريكي (صموئيل هنتنغتون) في كتابه (The Clash of Civilisations and the Remaking of World Order , 1996) الذي تُرجم إلى اللغة العربية (صموئيل، 1999) ، والتي قال فيها أن الحضارات القائمة اليوم في حالة صراع خفية وسوف يُفني بعضها بعضا قريبا وستتحول مراكز القوى في العالم لتسيطر الحضارة الغربية

وتفنى غيرها من الحضارات، وكانت قد سبقتها نظرية (نهاية التاريخ) لليباني الأمريكي(فرنسيس فوكوياما) في كتابه الذي يحمل ذات العنوان (نهاية التاريخ والإنسان الأخير، 1993) والتي قال فيها بأن الحضارة الغربية في نسختها الأمريكية هي أقصى ما يمكن أن تصل إليه البشرية من تقدم وعلى جميع الحضارات أن تتبع النموذج الأمريكي لتضمن بقاءها ، وفي مقابل هذه النظريات جاءت نظريات (حوار الحضارات) و(تعارف الحضارات) التي تؤكد على إمكانية التعايش المشترك بين جميع الحضارات وقدرتها معا على الإبقاء على هوية وخصوصية كل منها محفوظة ومحمية في ظل عالم يسوده الحوار والإحترام المتبادل والقبول بالتنوع والإختلاف ومن منظريها (روجي جارودي) و في العالم العربي (زكي الميلاد) ؛ فالأولى تنذر بتهديدات مرتقبة على الهويات والخصوصيات والأمن المجتمعي للشعوب في إطار العولمة الغربية والنظام الدولي الجديد، والأخرى تبشر بإمكانية حمايتها وحفظها وفق شروط التعايش المشترك والتعددية والتنوع وبالتالي " لم يعد التهديد موجها إلى بقاء واستقلال الدول وإنما إلى الجماعات الإجتماعية والمهاجرين واللاجئين وغيرهم من الفواعل حيث أدى ظهور الصراعات العرقية والدينية إلى تزايد الضغوط المجتمعية التي يسببها التدفق المستمر للمهاجرين وانتشار الإرهاب مما أدى إلى صعود خطاب مختلف يركز على أمن المجتمع وهذا ما قدمته المدارس النقدية الجديدة في الدراسات الأمنية وعلى رأسهم ؛ بوزان وأولي ويفر ومدرسة كوبنهاجن (The Copenhagen Institute For Peace Studies) " (عطوات، 2020، صفحة 231)، كما أن (باري بوزان) قسم الأمن إلى خمسة قطاعات أمنية في كتابه (**الناس ،الدول والخوف :الأمن القومي في العلاقات الدولية** - : People ,State and Fear The National Security Problem in International Relations , 1984) وهذه القطاعات تؤثر على المجموعات البشرية ككل وهي : الأمن العسكري – الأمن السياسي – الأمن الإقتصادي - الأمن البيئي والأمن المجتمعي(Societal Security) ؛

والذي يتعلق باستدامة الأنماط التقليدية للغة والثقافة والدين والهوية والعادات الوطنية، ونقيضه المأزق المجتمعي (Societal Security Dilemma) حيث مع تصاعد حدة المأزق المجتمعي يتحول التنافس على الموارد والسلطة إلى محاولة إزالة للأطراف الأخرى عبر التصفية الإثنية والإبادة العرقية وقد فصلت الدكتورة جميلة علاق في موضوع المعضلة أو المأزق المجتمعي في مقالة لها بعنوان (الأمن المجتمعي :مقاربة في المفهوم والعناصر) (علاق، 2017) وو قد ركزت دراستها على مشكلة الهجرة ومعضلة الأمن المجتمعي التي تسببها وشبكات الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة العابرة للقارات، أي أن الطرح الحديث لمعنى الأمن يدور حول حماية هوية الجماعات ومنظومة قيمها وثقافتها ، وبالتالي يكون تعزيز الأمن المجتمعي من خلال ضمان إستمرار هوية الجماعات وبقائها صلبة ثابتة غير مهددة في ظل التغيرات المتسارعة و زوال الحدود والإنفتاح بين الدول وكذا الطروحات الحديثة التي تقصد إلى زعزعة تلك الثوابت والذوبان في الآخر أو حتى في اللاشيء وبالتالي " يكون الأمن المجتمعي هو قدرة الجماعات على الحفاظ على هويتها ونسيجها المجتمعي وتحررها من القيود المادية والمعنوية التي قد تقوض حريتها أو تهدد خصائصها الهوياتية من لغة ودين وعادات وتقاليد وكذا تمتعها بثقافتها الخاصة وضمان بقائها وإستمرارها في ظل تعايشها مع جماعات أخرى بغض النظر عن إنتماءاتها " (هاشمي مليكة ، 2023، صفحة 166) ، وتضيف الدكتورة هاشمي في ذات الصفحة قولها : " وعلى ضوء ما تقدم فإن الأمن المجتمعي يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز الأمن الثقافي والديني والهوياتي للمجتمعات بالإضافة إلى رفض خطابات الكراهية ومشاعر العداء ضد الجماعات الأخرى ونبذ التمييز بين مختلف الجماعات بغض النظر عن إنتمائها وهويتها وأخيرا العمل على إحتواء وإدارة مصادر التهديد سواء المادية منها أو المعنوية " ، وتقصد بالتهديدات المادية الإقتصادية منها والسياسية والبيئية أما التهديدات المعنوية فهي كل ما يتعلق بالهوية والدين والثقافة واللغة والتقاليد

والعادات، وبالتالي تكون التهديدات التي يمكن أن يتعرض لها الأمن المجتمعي من مسببات تتلخص في (هاشمي مليكة ، 2023، الصفحات 171 - 172) :

- **العولمة** :التي تحاول توحيد العالم تحت لواء نظام عالمي جديد ثم الحركات الإرتدادية التي سببتها في المجتمعات غير الغربية كرد فعل على هذا التوجه بعودة هذه الأخيرة إلى القوميات و إحياء الإنتماءات الإثنية والدينية مما أدى إلى تشظي وحدة الدول وزرع البلبلة وسط الأمة الواحدة .
- **الهجرة**: سواء السرية أو الشرعية تليها حركات اللجوء الكبيرة لسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية و التي أدت إلى تغير النسيج المجتمعي داخل المجتمعات المستقبلة وكذا تغير البيئة الثقافية بالنسبة للجماعات الوافدة وهذه العوامل مجتمعة ذبذبت الإنتماءات والهويات .
- **النزاعات الإثنية** : إما لسبب التركيبة غير المتجانسة داخل المجتمع وتناقص الولاء للدولة مقابل الولاءات الداخلية للجماعة الإثنية ، وإما الولاء لجهات خارجية تستخدم البعد الإثني كوسيلة ضغط على الدول، لذلك فإن تعرض الفرد في إطار الجماعة للتهميش والإضطهاد يطرح قضايا الهوية وإشكالية التمييز ضد الأقليات كما ينمي مشاعر العداء والكراهية بين الجماعات حتى تتطور النزاعات الإثنية إلى نزاعات عسكرية قد تؤدي إلى التصفية العرقية مما يهدد الأمن المجتمعي .

إذا، توسع مفهوم الأمن بعد الحرب الباردة أفقيا ليشمل قطاعات جديدة غير القطاع العسكري ونعني القطاع السياسي، الإقتصادي، البيئي والإجتماعي، وتوسع عموديا باتجاه المجتمع والجماعات والأفراد، كما أن التهديدات أخذت طابع وصفة (العابرة للقارات) بسبب شدة الترابط بين دول العالم اليوم خاصة في النقل وشبكة الأنترنت لذلك نجد الدراسات الأمنية الحديثة تركز على تأثير متغيرات الهوية والهجرة والجوانب الثقافية ، ومن هنا " فمفهوم الأمن المجتمعي سيكون ذو

شقين : أنه نقيض الخوف، وأنه نقيض التوحد والفردانية فالمجتمع الآمن ؛ هو ذلك المجتمع الذي ينتفي فيه الخوف بشتى صوره ويتعايش أفراده وينتظمون في علاقات وصلات تحكمها قواعد ومعايير تمكن الفرد من ممارسة نشاطه وتلبية احتياجاته" (عطوات، 2020، صفحة 232) .

و من هنا تم بحث ماهية خطاب الكراهية وتأثيره على الأمن المجتمعي والجهود المبذولة لتعريفه وسن القوانين لتجنبه والإبتعاد عنه، جاء في استراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشأن خطاب الكراهية الصادر سنة 2019 (إستراتيجية الأمم المتحدة و خطة عملها بشأن خطاب الكراهية ، 2019) :

- <u>تعريف الأمم المتحدة لخطاب الكراهية :</u> لا يوجد تعريف دقيق لخطاب الكراهية من حيث حقوق الإنسان لذا يُشار إلى مفهوم خطاب الكراهية في هذه الوثيقة على أنه **أي نوع من التواصل ؛ الشفهي أو الكتابي أو السلوكي، الذي يستخدم لغة إزدرائية أو تمييزية بالإشارة إلى شخص أو مجموعة على أساس الهوية، وبعبارة أخرى، على أساس الدين أو الإنتماء الإثني أو الجنسية أو العرق أو اللون أو الأصل أو نوع الجنس أو أحد العوامل الأخرى المحددة للهوية** ، وهذا الخطاب كثيرا ما يستمد جذوره من مشاعر التعصب والكراهية التي يغذيها في الوقت نفسه، ويمكن في بعض السياقات أن ينطوي على الإذلال ويؤدي إلى الإنقسامات، كما أن الوثيقة تشير إلى أنه بدل حضر خطاب الكراهية في حد ذاته فإن القانون الدولي يحضر **التحريض** على التمييز والعداء والعنف، لأنها ترى فيه نوعا من حرية التعبير .
- <u>الرؤية الاستراتيجية للأمم المتحدة بشأن خطاب الكراهية وأهدافها المتوخاة</u>

تنقسم الرؤية إلى شقين : أولا تعزيز جهود الأمم المتحدة في التصدي **للأسباب الجذرية والعوامل المحركة لخطاب الكراهية** ثم **تمكين الأمم المتحدة من صوغ إستجابات فعالة** لأثر خطاب الكراهية على المجتمعات .

أما بعض إلتزامات الأمم المتحدة في رؤيتها هذه والمتعلقة بموضوعنا (الأديان) فهي

- معالجة الأسباب الجذرية الكامنة وراء خطاب الكراهية والوقوف على عوامله المحركة والجهات الفاعلة فيه لمعالجة أثره أو التخفيف منه، ومن أهمها التعصب الديني .
- العمل مع وسائل الإعلام التقليدية والحديثة من أجل التصدي للسرد الذي يقوم عليه خطاب الكراهية وتعزيز قيم التسامح وعدم التمييز والتعددية وحرية الرأي والتعبير ، وخاصة حماية الحرية الدينية داخل المجتمع .
- استخدام التعليم كأداة في مواجهة خطاب الكراهية والتصدي له بالتربية على المشترك الإنساني والتعددية الدينية والعرقية ،و ذلك .
- ينبغي لمنظومة الأمم المتحدة إذكاء الوعي بشأن إحترام حقوق الإنسان وعدم التمييز والتسامح والتفاهم إزاء الثقافات والأديان الأخرى فضلا عن المساواة بين الجنسين وينبغي لها أن تعزز الحوار والتفاهم بين الثقافات والعقائد والأديان .

ومن خلال النقاط السابقة المتعلقة بمفهوم الأمن المجتمعي وكذا بمفهوم خطابات الكراهية القائمة على التمييز والتعصب وسبل نبذها أو على الأقل التخفيف منها نجد أن الأديان أيضا مطالبة بالإدلاء بدلوها في الموضوع لتكشف ما في جعبتها بخصوص كرامة الإنسان وحريته وحقوقه ، فنجد أن الإسلام هو أفضل من كرّم الإنسان وحافظ على كل ما يتعلق به ويخصه آمنا بعيدا عن المساس والأذى بعيدا عن مراعاة المصالح وإرضاء الأطراف المختلفة، وذلك مبثوث في نصوصه المقدسة (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) المتعلقة بتوفير الأمن وضرورته للفرد والجماعة ؛ فالأمنة والأمن في المصطلح القرآني يدور معناه حول الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان، أفرادا وجماعات، في سائر ميادين العمران الدنيوي بل في المعاد والآخرة، وكما يكون الأمن في الضرورات والحاجات المادية يكون أيضا في

الأمور المعنوية والنفسية والروحية، وكما يكون للفرد يكون للمجتمع والجماعة الإنسانية ، كما أن أهميته لا تخفى إذ نجد في الحديث المرفوع عن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال:" **من أصبح منكم آمنا في سربه، مُعافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** "، (في سربه) أي في نفسه وقيل في قومه، وعنده ما يحتاجه من طعام وشراب وهذا هو الأمن الغذائي، (فقد حيزت له الدنيا) أي جُمعت له كل نعم الدنيا فحاجة المؤمن في الحياة الدنيا تتلخص في الأمن والكفاية (حديث : من أصبح منكم آمنا في سربه ..، 2023) كما أن وثيقة المدينة تعتبر إلى اليوم أهم ميثاق ونموذج للعيش المشترك على مر التاريخ إذ ضمن لكل الجماعات والأفراد الساكنين في المدينة النورة حقوقهم الأساسية (الأمن –الحرية) ووضع بينهم حدودا تضمن حقوقهم وتوضح واجباتهم وهذا هو التعايش المشترك في مفهومه المعاصر ، وكذا ورد في سور القرآن الكريم مثلا في سورة قريش : (لإيلاف قريش{1} إيلافهم رحلة الشتاء والصيف{2} فليعبدو رب هذا البيت {3}الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف{4}) أساس الحياة الدنيا العيش دون خوف والأمن الغذائي .

من هنا جاءت فكرة الحوار بين الأديان للكشف عن النقاط المشتركة بينها والمتعلقة بتكريم الإنسان وبقيمة الأمن المجتمعي للفرد وللجماعة في نصوصها المقدسة ، وكذا لبحث قضية إقتصار التكريم والتأمين على المنتمي إلى الجماعة الدينية وحدها أم إشتماله على المخالف دينيا أيضا باعتباره إنسانا، لأن التمييز والتعصب الدينيين هما من أهم وأعمق الأسباب لانتشار الكراهية وتفشيها في المجتمعات عبر التاريخ، لذا كان الحوار بين أتباع الأديان محاولة للتخفيف من حدة هذا التمييز والتعصب بل والحد منهما إن أمكن، لأنه قد ترسخ في الأذهان أن التعصب والتطرف ملازمان للإنتماء الديني ؛ وهنا نطرح التساؤل هل من الطبيعي للمتدين أن يتعصب وينبذ ويكره المخالف له في دينه غير المعتنق لعقيدته ؟ وأن هذا

متعلق بالنصوص المقدسة وتوجهاتها للمؤمنين بها أم ان الامر متعلق بالتفسيرات والتاويلات البشرية على تلك النصوص ؛ أي متعلق بما يُصطلح عليه اليوم (التربية الدينية) و(التحريض على الكراهية) ؛ في مقالة للأستاذ عماد عطية عبد الرازق بعنوان (خطاب الكراهية وعلاقته بالأديان) يشير إلى أن خطاب الكراهية يرمي إلى إقصاء الآخر المرفوض دينيا وإظهار سلبياته قصد القضاء عليه ثم تصفيته أخيرا ، لذا فمن أهم أسباب خطاب الكراهية والمتعلقة بالدين التعصب الديني أو العنصرية خاصة إن كانت مطلقة وغير مقيدة بحدود مُلزمة، والعنصرية هي " نوع من الإستعلاء النابع من شعور فئة معينة بأنها عنصر سيد، ثم ترجمة هذا الشعور إلى واقع سياسي واقتصادي واجتماعي " (كتاب جماعي ، 2021، صفحة 50) ، وإن كان مصدر هذا الإستعلاء هو نصوص مقدسة فهنا تكون الكارثة الكبرى ؛ ومثالها العنصرية في الهندوسية والتي تنبني على النظام الطبقي الذي أحدثته الآلهة بنفسها ؛ فمن جعلته الآلهة من طبقة الأسياد (البراهمة) فسيبقى سيدا إلى الأبد ومن جعلته من طبقة العبيد (الشودرا) فسيبقى عبدا إلى الأبد ، و العنصرية اليهودية لا تخفى على أحد فهم وحدهم (شعب الله المختار) وباقي البشر هم (الأمم) الذين سيصبحون عبيدا لهم في آخر الزمان وهذه تسمى (عقدة الإختيار أو التفضيل) حسب الدكتور حسن ظاظا في كتابه (الفكر الديني اليهودي)، ففي سفر اللاويين (إصحاح 20 : 24-26) ورد : " أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب ..و تكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي "، أما العنصرية في المسيحية فهي نابعة من أصولها اليهودية رغم أن المسيح حاول في نصوص كثيرة تجاوزها وتعليم التلاميذ أن لا أحد أفضل من أحد إلا بالتقوى والصلاح إلا أن تلاميذه من اليهود كانوا يراجعونه في أمر تصرفات كثيرة كان يفعلها مثل غفرانه ذنب السامرية الزانية وكذا سماعه طلب الكنعانية ولمس المرضى والشفقة عليهم ، رغم وجود نصوص تدل أيضا على العنصرية أو التفضيل للمؤمنين بالمسيح عن غيرهم

والتي أصبحت أساس العقيدة المسيحية اليوم ونظرتها للآخرين غير المؤمنين بها والذين لا خلاص لهم إلا بالإيمان بالمسيح، ومنها ما ورد في إنجيل متى قول المسيح نفسه (الإصحاح 15: 21 – 27) : " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " ويضيف :" ليس حسنا أن يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب "، أما الإسلام فجاءت نصوصه متحيزة للمؤمن بالله مهما كان عنصره وانتماؤه فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، رغم أن التاريخ الإسلامي مورس فيه نوع من التفضيل للمسلمين على غيرهم في المجتمع الإسلامي الأمر الذي سماه المنتقدون (الصّغار أو استصغار غير المسلم في المجتمع الإسلامي حتى يضطر لاعتناق الإسلام) خاصة فيما يتعلق بتطبيق قانون أهل الذمة، لذا وجب معالجة هذه الإنحرافات الفكرية النابعة من الأديان وتصحيح مسار منظومة القيم والتصورات عن الذات وعن الآخر المخالف من أجل تحقيق الأمن في المجتمع ، وبالإضافة إلى التربية الدينية غير السليمة نجد أيضا أن وسائل الإعلام تقوم بترسيخ العنصرية والانحرافات الفكرية والتربوية وسط الجماهير وبشتى الوسائل (الافلام –الكرتون – البرامج -..) فتعمل بذلك على تغيير الأفكار وشحن العقول بالسموم الفكرية والتجاوزات العقدية، وقد نهت خطط العمل واستراتيجيات مكافحة خطاب الكراهية ووسائله إلى هذه النقاط كلها ، لذلك فمن أهم وسائل التصدي لخطاب الكراهية الحصانة الفكرية بالتعليم السليم للأجيال ضد الشرور والسموم التي تبث وتنتشر بالغزو الثقافي الذي يمتد في فراغنا الذي لم نشغله ، كما أن الحوار بين الأديان بخصوص هذه النقاط (التميز العنصري – رفض المختلف – التعصب الأعمى -..) سيكون من أهم وسائل نبذ خطاب الكراهية خاصة إذا اتفق المتحاورون على أرضية واحدة يقف عليها الجميع وهي (مراعاة المصلحة الإنسانية المشتركة) .

3) حوار الأديان في مفهومه العميق :

إن مشروع حوار الأديان في -مفهومه النظري - جزء من استراتيجية عالمية متكاملة تدفع نحو إعادة صياغة علاقات حضارية بين الدول تبتعد في قواعدها ومعاييرها عن الحسابات الدولية المجحفة ؛ فهي حركة لتفعيل الدين خاصة في جانبه الروحي في الحياة لإنقاذ البشرية مما وصلت إليه من حيف وظلم ومادية متوحشة، فمنذ ستينات القرن الماضي أصبح الحوار بين الأديان ظاهرة لها منظروها وقضاياها ومؤسساتها وأهدافها وتعددت مستوياتها وأشكالها وكثرت اللقاءات حولها والمؤتمرات والكتابات ومختلف النشاطات الداعمة لها حتى عدها البعض ميزة النصف الثاني من القرن العشرين (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 10)، وبالتالي فمشروع الحوار بين أتباع الأديان هو تعريف بالذات وتعرف على الآخر (العليان ، 2004، صفحة 177) ؛ بمعنى أنه في أحد أبعاده تحريض على إعادة قراءة ومعرفة الذات قبل معرفة الآخر، فالآخر المختلف هو أهم الطرق لمعرفة الذات واستكشافها، كما أنه محاولة لإحياء التدين في صفوف الأتباع وقبول التنوع داخل النسيج الواحد قبل الإطلاع العميق على الآخر المختلف والمخالف أيضا و قبول وجوده ومعرفته ثم التنسيق والعمل معه في إطار المشتركات وتعميق روح التفاهم والإحترام المتبادل من أجل العيش في أمن وسلام وذلك من خلال مبادرات فردية أو مؤسسات دينية رسمية أو غير رسمية، و كذا عن طريق وسائط الإتصال ووسائل الإعلام المختلفة التي كانت هي ذاتها ناشرة الفرقة واللاتسامح ومروّجة خطابات الكراهية والتعصب بين البشر ، فالحوار هو الإنفتاح على الآخر مما يفتح آفاقا للإبداع الخلاق والتنوع ، وضده الإنغلاق على الذات والإنكفاء عليها مما يزيد التوتر ويضخم المخاوف من كل ما هو غير الذات وخارجها مما يعجل بالدمار والزوال .

إلا أن الحوار بين الأديان وكأي قضية إنسانية يجب أن يتميز وخاصة اليوم بمميزات لم تكن فيه من قبل ؛ ونقصد من ناحية المواضيع والأساليب إذ يقسمه الباحثون

إلى نوعين ؛ **حوار ديني عقدي أو لاهوتي** (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 95) وهذا لا طائل منه نظرا لطبيعة كل الأديان المعيارية التفضيلية ؛ يقول محمد الطالبي في مقالة له بعنوان (الإسلام والحوار): " علينا أن نتخلى نهائيا عن أن نجعل غاية الحوار –في السر أو العلانية – جعل الطرف المقابل يعتنق ديننا فإذا فهمنا الحوار على أنه مجرد منهج جديد لنشر الديانات وطريقة لاستئصال عقائد الغير وجعله يتقهقر فإننا سنجد أنفسنا في الموقف حيث وجد أسلافنا أنفسهم فيه خلال القرون الوسطى " (كتاب جماعي ، وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسلمين و المسيحيين، 1978 -1985، صفحة 51) ويعني هنا المسيحيين كما المسلمين على حد سواء ؛ فطبيعة المسيحية التبشير بالمسيح وطبيعة الإسلام الدعوة إلى الله، وهذه الطبائع كانت واضحة وعلنية لكلا الطرفين فقد أشار السيد محمد حسين فضل الله في كتابه (الحوار في القرآن) إلى أن طبيعة الأسلوب الذي طرحته الدعوة الإسلامية في إطار الحوار في كل المجالات كان للإستفادة منه من جهتين (فضل الله، د ت، الصفحات ج1 - 18) ؛ جهة الدفاع ضد الفهم الخاطيء للإسلام عبر تاريخه الطويل، وكذا جهة الدفاع ضد التحديات المعاصرة حول نظرة الإسلام إلى الواقع المعاش والحلول المقترحة على أساسه ،كما كشف فيه تميز الحوار المأمور به في القرآن الكريم والبعيد كل البعد عن الترف الفكري الذي تدعوا إليه الفلسفات القديمة ؛ التي تعتبر الحوار نوعا من فنون الجدل والمراء الذي قد لا يكون من ورائه طائل إلا استعراض القدرات على الجدال والتفوق العقلي، وكذا الفلسفات الحديثة المؤدلجة التي تُبقي على الدراسات وتوصيات الملتقيات والندوات حبيسة أدراج المكتبات الجامعية لا تغادرها إلا لتكتب على أوراق أخرى ولا ترى التطبيق على أرض الواقع إلا بقدر الحاجة إليها خاصة أمام وسائل الإعلام، فهدف الإسلام الأساسي من الحوار هو الوصول إلى الحق بالطريقة التي تعمق الإيمان في النفوس وتشرح به الصدور ولذا فإن وسائله العملية تتجه إلى هذا الهدف وحسب (فضل

الله، د ت، الصفحات ج1 - 23) ، أما عن المسيحية فقد صرح البابا بولس يوحنا الثاني في خطابه (رسالة الفادي :01/22 / 1991) أن الحوار بين الديانات هو جزء من رسالة الكنيسة التبشيرية ، وكذلك من أهم أهداف المسيحية من الحوار بين الأديان عموما ومع الإسلام خصوصا هو تقنين العمل التبشيري واستمرار عمل البعثات التنصيرية في العالم دون إزعاج وكذا إيقاف زحف الخطر الأخضر (الإسلام) على مناطق نفوذها وذلك باستمالته وصداقته للقيادات الإسلامية، بالإضافة إلى التمكين السياسي للأقليات المسيحية في العالم الإسلامي خاصة وفي العالم (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 313)، أي أن الأمر لا يعدو أن يكون تحقيقا للمصالح الدينية بطريقة متحضرة نوعا ما، كما أن الإطلاع على وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني وقراراته يؤكد هذا التوجه الخبيث من الفاتيكان ومثالها وثيقة المجمع عن الكرامة الإنسانية بعنوان (**حق الفرد والجماعات في الحرية الدينية، الإجتماعية والمدنية فيما يتعلق بالشؤون الدينية**) (المجمع الفاتيكاني الثاني ، 2013).

ولذلك يجب العمل على إنجاح النوع الثاني من الحوار بين الأديان وهو **الحوار الواقعي** (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 102)الذي نجد أيضا الدكتور اللافي يشير إليه في كتابه (تأصيل الحوار الديني) يقول : "من أهم ما يجب أن يتميز به الحوار الديني اليوم هو طرق القضايا المهمة وترك القضايا الجدلية والتفكير الجاد في رؤى المستقبل ، أما أن نظل نجتر عبارات فضفاضة مثل أن تعاليم الأديان الكبرى تمجد مبدأ التسامح أو أن جميع الأديان لها في جوهرها فكرة الأخوة العالمية ورسالة مشتركة من الرحمة والمحبة، أو أن المصدر الرئيسي للتسامح يوجد في التعاليم الدينية التي تبشر بعدم التمييز والإخاء والإحترام المتبادل بين البشر، فإن ذلك لا يكفي ولا يؤدي إلى حلول عملية ، إنما يكمن الحل العملي في مواجهة صريحة لواقع حرج، كما أن الحوار لا يتم فقط في إطار العقل والفكر والنصوص القانونية وإنما يتم على أرض الواقع وفي مواجهة التحديات " (اللافي، 2004، الصفحات 354 - 355)

ومن بين القضايا الواقعية التي يجب ان تتضمنها أجندات ملتقيات ومؤتمرات الحوار بين الأديان اليوم مثلا التعايش من أجل الإستقرار السياسي وحقوق الأقليات والمواطنة وكذا العلمانية والهويات وذلك يكون بالسهر على تطبيق الإتفاقيات المتوصل إليها بين أتباع الأديان من أجل التعايش السلمي بين الطوائف الدينية المختلفة سواء في إقليم واحد مثل المسيحيين العرب والمسلمين في الدول العربية (لبنان – مصر) أو في شكل أقليات حول العالم (كالمهاجرين المسلمين في الغرب) أو الأقليات في الدول ذات الأغلبية غير المسلمة (الإيغور في الصين –الروهينغا في بورما -..) وهذا لا يعني أن القضية تخص هذه الفئات وحسب وإنما هي قضايا تخص كل جماعة بشرية لها هوية ومنظومة فكرية وعقدية تعتز بها وتريد حمايتها ، كما أن الحوار بين الأديان لا يقتصر على الحوار المسيحي الإسلامي وإن استأثر هذا الأخير بهذه القضية حتى أصبحا مترادفين (حوار بين الأديان= الحوار المسيحي –الإسلامي) وذلك لعدة اعتبارات ليس هذا موضع التفصيل فيها، ولذا يجب التركيز على ماهو أكثر عملية ونجاعة للحياة اليومية في ظل ما يعانيه الإنسان المعاصر من أزمات تفوق الوصف والإحتمال و هي أيضا من المتفق عليه بين قادات الاديان حول العالم مثل الإلحاد والإنحلال الخلقي والمادية وغياب الروحانية في العالم المعاصر التي تعمل جميعافي إطار (مشكلة اللأمن المجتمعي) ، فالأجدى أن تتوصل هذه الأديان إلى حلول عملية آنية بحيث تثبت صلاحها لكل زمان ومكان ، بالإضافة إلى تأكيد الباحثين على أن الحوار بين الأديان يجب أن يبدأ بالقيم والمشتركات المتفق عليها في المعاملات والأخلاق والقضايا التي ذكرناها من قبل ثم استعمالها كأرضيات تقف عليها مبادرات الحوار والتفاهم بين أتباع الأديان المختلفة حول العالم من أجل إيجاد الحلول العملية والناجعة للإنسان المتدين المعاصر، حيث أشار الماجدي في كتابه (علم الأديان) ، في فصل مستقبل الأديان بقوله :" أن الأديان بذاتها لا تتحاور لأنها أنظمة مغلقة يتزمت أهلها في الدفاع عن أساسياتها والأمر المتيسر بينها

هو الحوار ابتداءا من المشتركات الدنيا وصولا إلى نبذ العنف والتطرف ثم الإحترام المتبادل، والمستقبل سيوسع هذا النمط من الحوار المقتصر على أمور محددة وصغيرة، والمجتمعات المختلفة دينيا هي الأجدر بتوسيع هذا الحوار(أي وفق القضايا المشتركة) ،أما الحوار العابر للدول والقارات فيجب أن يتم من خلال المؤسسات المرجعية الدينية الكبرى للأديان مثل الفاتيكان، الأزهر، النجف وقُم " (الماجدي، 2016، صفحة 556)و هذا ما يحدث اليوم إذ تنتشر حول العالم مراكز مختصة في دراسة الأديان ومراكز تخصصت في الحوار بين الأديان وغرضها الأول التعريف بالأديان حول العالم ونشر ثقافة التسامح والقبول بالآخر المختلف دينيا ونبذ خطابات الكراهية و ذلك للتخفيف من حدة التطرف والتعصب واللاتسامح تجاه المخالف دينيا والذي يعتبر من أهم مصادر العنف واللاأمن في المجتمعات حول العالم، ولكن هذا لم يمنع من دخول المصالح الخاصة من جديد في قضية الحوار بين الأديان مما يهدد الأهداف التي أُسس عليها في البداية يقول الدكتور اللافي (اللافي، 2004، صفحة 353) :" لقد تعددت الهيئات الإقليمية والدولية الراعية للحوارات الدينية تنظيما ومشاركة ودعوة إلا أنها وإن اتفقت جميعا على مبدأ الحوار فإنها تختلف كثيرا من حيث طبيعتها وأهدافها تبعا للإنتماء والولاء والتخصص، لذلك يجب التعرف على مجموع هذه المؤسسات أو أشهرها فأفضل مكان لدس السم هو العسل، فقد بدأ الجميع يشعرون بتحد كبير سببه الخيار العلماني الليبيرالي الدافع إلى فرض قيم واخلاق تهدد الثوابت الدينية ومكونات المجتمع كالأسرة وإشاعة الشذوذ والعلاقات المحرمة والترويج للمخدرات والجريمة ونشر قيم الإلحاد والإنفلات من كل القيود والضوابط إضافة إلى انكشاف العقلية التآمرية التحريضية الساعية إلى فتح معارك جديدة قديمة بجعل الإسلام خاصة العدو الاول للغرب وللبشرية وتنشيط بؤر الصراعات المحلية ذات الطابع المذهبي او الديني او العرقي كما بدأت تبرز مؤثرات أخرى تسعى لتغيير مجرى الحوار " ، وقد رصد

الباحثون **هذه الإشكالات في الحوار الديني الحديث** من خلال تحليلهم ونقدهم لمشروع الحوار بين الأديان والمستجدات التي طرأت عليه منذ طرحته الفاتيكان لأول مرة ومنها :

- **تسييس الحوار الديني**: وذلك بإدخال مواضيع سياسية وقتية آنية ضمن مواضيع الحوار الديني مثل مسألة التطبيع مع إسرائيل التي شغلت طويلا الحوار المسيحي- الإسلامي خاصة مع الأزهر، واليوم مع قطر والمملكة السعودية، وهذا ما يفقد الحوار مصداقيته ويبعده عن مقاصده الاولى والمتعلقة بالصلاح لكل الأطراف، وفي ذات الوقت يجب التأكيد على أن المواضيع السياسية لا تستبعد تماما وخاصة منها الملحة مثل (قضايا الأقليات – المواطنة – حقوق الإنسان –تقرير المصير -..) إذا كان الغرض منها رفع الظلم والإستكبار (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 552).
- **الدعوة للتمييع أو وحدة الأديان** (آيت أمجوض ، 2012، صفحة 355) : وهي دعوة تنطلق من الرغبة في إزالة الفوارق بين الاديان او نقاط الإختلاف خاصة الكبرى منها والتي سببت وتسبب الشقاق بينها نهائيا ثم التوفيق بين المشتركات وابتداع دين جديد متفق عليه حيث يتساوى فيه جميع المؤمنين ، وهذا من اكبر العبث ، إذ وفي الطريق إلى الحوار للوصول إلى الإتفاق يفقد الجميع هوياتهم وخصوصياتهم الدينية ، ومثل هذه الدعوات ليست جديدة تماما في تاريخ البشرية إذ سبق إليها رجال الدين والكهان في الحضارات البائدة من قبل في العراق ومصر ومثالها ايضا ما قام به قسطنطين في المسيحية وقال بها مشركوا مكة إذ دعوا النبي ﷺ إلى عبادة آلهتهم على ان يعبدوا إلهه وهكذا يقام السلام والعيش المشترك بينهم وهذا من أسباب نزول (سورة الكافرون:السورة 109) ،و في العصر الحديث كان أساسها خاصة بين الاديان التوحيدية الكبرى أن أصلها واحد (الجذر الإبراهيمي)، وهي أحد أركان

الماسونية أيضا، كما ان نشرها جاء تحت مسميات كثيرة منها (حوار الحضارات) خاصة في فكر الفرنسي (روجيه جارودي)، ولكن لا سبيل إلى الوحدة بين الاديان إلا باعتناق إحداها للأخرى ان يصبح الجميع مسلما او مسيحيا او يهوديا .

أما في فترة التسعينات والفترة الحالية اصطبغ الحوار بين الأديان بصبغة الفترة وهي (**الدعوة إلى التعددية الثقافية والدينية**) تحت مسمى (حوار الثقافات) والدعوة إلى قبول التنوع الثقافي في المجتمعات الإنسانية بل وتربية الأجيال القادمة عليها من أجل العيش المشترك والتعددية والتنوع الحضاري واعتبار تلك الخصوصيات مميزات ومحفزات للإبداع والنمو والحضارة و حمايتها والحفاظ عليها لضمان (الأمن المجتمعي)، بدل النظر إليها كمسببات للفرقة و التعصب والتمييز العنصري المفضي للصراعات ومحاولات الإبادة والتصفية ، فما حقيقة الدعوة إلى التعددية الدينية والثقافية المطروحة على الساحة اليوم ؟ أصبحت ميزة الدعوات الحديثة إلى الحوار بين أتباع الأديان في جوهرها دعوات إلى الإيمان بالتعددية الدينية والتعددية الثقافية للجماعات البشرية وحماية ذلك التنوع والذي يعني في عمقه المفاهيمي (قبول تعدد الحقيقة الدينية ومصادرها) ورفض احتكار الحقيقة والرحمة الإلهية و اقتصارها على دين واحد وأتباعه فبدل أن نصب الأديان كلها في قالب واحد مقبول لدى الجميع، نقوم بقبول مصداقية وموثوقية كل الأديان على أنها حاملة للحقيقة الإلهية وبالتالي تلغى كل الفروق والتفاضل بين الأديان، وفتح الباب واسعا هكذا باسم التنوع والإختلاف أدخل في الدائرة مللا ونحلا مبتكرة وأخرى شاذة وخطيرة ، فبدل العمل على تحقيق الامن المجتمعي والهوياتي للجماعات أصبح الامر أكثر سوءا ؛ وهذا ما عملت عليه دعوات حقوق الإنسان والتعددية وقبول المخالف والمختلف والمهمش حتى ضمت المعادلة نماذج لا يقبل بها عقل ولا منطق ليصلوا تحت مسميات التسامح والعيش المشترك ونبذ

التمييز العنصري، فهذه الدعوات تستهدف تجريد الأديان من أخص خصائصها وهي الإعتقاد في امتلاك الحقيقة وضرورة دعوة الآخر إليها، وبالتالي تزول كل الفروقات المفضية للكراهية واللاتسامح والعنف فيها ، وهذا بالذات جوهر الدعوات الحديثة للتعددية الدينية مثل (حركة العصر الجديد) ذائعة الصيت عالميا اليوم ، وهذا يعني أن الفاتيكان وغيرها من المؤسسات الدينية الكبرى في العالم التي وقعت على الوثائق والمقررات خلال المجمع (1962-1965) وأعلنت تجاوزها لموضوع نشر دعواتها وإرغام الناس على إعتناقها قسرا ، وإعترافها بالآخر وحرية إرادته وإحترامه مهما كان إنتماؤه الديني في محاولة لمواجهة الإلحاد والإنحلال والكفر، أصبحت اليوم تروج لانقسام الحقيقة الدينية وتعددها مدعية محاربة التمييز والتعصب الديني واللاتسامح الديني وخطابات الكراهية بسبب التمييز والتعصب الدينيين على أساس التسامح الديني، فهل التسامح الديني يحفظ الخصوصيات الدينية للأنا وللآخر على حد سواء، ويوفر مجالا أوسع للحرية الدينية للأفراد داخل المجتمع الواحد و بين المجتمعات مما يحقق الأمن المجتمعي في المجال الفكري والهوياتي ؟ أم أن التسامح الديني في حقيقته يدعو و يسمح بمحو الخصوصيات والهويات وإذابتها في بوتقة الأقوى المسيطر بدعوى الإندماج ؟ فما هو التسامح الديني وما حدوده ؟ وما منابع اللاتسامح اليوم ؟

التسامح الديني : وهنا يجب تجلية المصطلحات وشرحها حسب الأرضيات التي أنتجتها وتستعمل فيها ؛ فالتسامح كمصطلح نشأ في الغرب في ظل ظروف تاريخية معينة خلال الحروب الدينية في أوروبا بين الكاثوليك والبروتيستانت (حرب الثلاثين عاما في القرن 16م) وقد أشار إليه جون لوك في كتابه (محاولة في التسامح) سنة 1572م ، وقد أخذ منذ ذلك الحين إلى اليوم أبعادا جديدة وتشبع بمعاني كثيرة لم يحملها المصطلح في بداياته ؛ حيث كان يعني السماح بوجود مذاهب دينية مسيحية غير المذهب الكاثوليكي في المجتمع المسيحي الواحد ، ولكنه اليوم بعد ظهور العقلانية

الغربية وظهور مقولات العقل والفهم أصبح الحديث عن (التفاهم)، ثم إن مفهومه خرج من المجال الديني ليقتحم مجال الفلسفة ليدور الحديث فيه عن الحرية الشخصية ومدى القدرة على تحمل بعض الأشخاص والتصرفات دون إبداء الإنزعاج أي أصبح مسألة اخلاقية متعلقة بالليبيرالية، هذا من جهة، او ان يكون مطلبا تنظيميا ضروريا لإدارة الشؤون العامة، الإستعمالين فيهما درجة كبيرة من السيولة و الميوعة في قضية الأخلاق والسياسة ، وإن طبقنا المعنى الجديد على الأديان يصبح معناه القبول بالتعددية الدينية واجبا لأنه (حرية شخصية) و(ضرورة تنظيمية سياسية) مما يعود بالوبال على القيم والأخلاق التي تنبني عليها الأديان، وكل قيمة داخلية للأفراد والجماعات متعدية بذلك على الهويات الدينية والفكرية للجماعات لأنها ترى أنها سبب اللاتسامح وخطابات الكراهية للمخالف والمختلف، فهل سنسمح بفقدان ذواتنا في طريقنا للقبول بقيم التسماح وحقوق الإنسان بمفهومها المعاصر ؟ وما هو المقابل الذي يمكن أن نقول به؟ .

فما يجب أن يدركه الناس أن الأديان كلها تدعي تكريم الإنسان –كل حسب مفهومه – وحفظ حياته وسلامته وفق المفهوم التقليدي للأمن، ولكن رؤيتها لحفظ الأمن الهوياتي العقائدي أو الديني تتعلق بقيم التسامح الديني فيها تجاه المختلف وكذا المخالف، وتختلف هذه القيم حسب رؤيتها الكونية من دين إلى دين، والحوار بينها يهدف فيما يهدف إلى الكشف عن هذه القيم والمقارنة بينها وتثمينها لنشر التسامح الديني الذي هو حق من الحقوق المكفولة للآخر المخالف دينيا باعتبار إنسانا له الحق في الامن والحياة وهذا يكون بالتربية على القبول بالتنوع والإختلاف ضمن المجتمعات دون تهديد أحدهما للآخر، كما يجب تهذيب تلك المشاعر الطبيعية من (رفض المخالف عقديا) و(الرغبة في العنف ضده) إضافة إلى التربية الدينية على القبول بالتنوع والإختلاف الذي هو سنة إلهية في خلقه باستعمال قوة القانون ففي إطار القانون تحفظ الحدود والحقوق للطرفين فلا يتعدى أحدهما

على الآخر، لذلك فحفظ الحقوق والحريات الدينية والحدود بين المختلفين دينيا يمكن للقانون وحده ونصوصه الصارمة إثباتها وتطبيقها على أرض الواقع بالتالي تحقيق الأ من المجتمعي ورد في كتاب (التسامح ومنابع اللاتسامح) للدكتور ماجد الغرباوي فيما يخص حديثه عن أسس التسامح يقول :" لما كان التسامح نسقا قيميا تتوقف فاعليته على وجود أرضية صالحة وأجواء سليمة تساعد على تفاعل قيمه لذا يشترط أولا إيقاف نزيف الكراهية والحقد وقطع مصادر العنف والإحتراب وتجفيف منابع اللاتسامح والإرهاب لا على مستوى الممارسة فقط وإنما إجتثاثها كثقافة وعقل ومنهج للتوفر على فرد ومجتمع يتقبل قيم التسامح ويعمل على تبنيها وتفعيلها " (الغرباوي، 2008، صفحة 69) وإضافة إلى الأسس السابقة يضيف الدكتور شرطا ثانيا تتوقف عليه فاعلية التسامح وهو **أسس عملية لتفعيل التسامح في المجتمع** اختصرناها في نقاط محدودة وهي (الغرباوي، 2008، الصفحات 75 - 121):

- **حقوق المواطنة** : إذا كان الشعب غير مُهيّئ نفسيا وفكريا وثقافيا للاعتراف بالآخر، لأي سبب كان، فإنّ قبول الآخر وقبول التعايش معه أمر تفرضه وحدة الوطن، من أجل استتباب الأوضاع واستقرار الأمن والسلام. من هنا تكون حقوق المواطنة أحد الأسس الكفيلة بإرساء دعائم التسامح داخل المجتمع ولو بشكل مرحلي ؛ أي أنّ جميع الأفراد، وفقا لحقوق المواطنة، متساوون بالحقوق والواجبات على أساس التساوي في انتمائهم للوطن الواحد . مما يعني أنّ مقتضى حقوق المواطنة هو تقديم ولاء الوطن والدولة على غيره من الولاءات .
- **سيادة القانون** : مثلما أنّ حقوق المواطنة هي الأساس الأول لإرساء قيم التسامح في المجتمع، فإنّ القانون وسيادته هو الأساس الثاني لها، فلا يمكن للتسامح الاستمرار في تأثيره الاجتماعي ما لم يكن هناك قانون يستند

إليه ويدافع عن قيمه، سيما إذا لم يتمثل الشعب بُعد التسامح إلى درجة الاعتراف بالآخر اعترافا حقيقيا، لذلك فإنّ وجود القانون ضروري وفي هذا الباب يقول المؤلّف: "مهما كان المستوى الثقافي للمواطن جيّدا غير أنّ نوازعه النفسية وطموحاته السياسية وقراءته المتباينة للأديان والحقوق القومية والطائفية، جميعها تساعد على زعزعة الأوضاع، وتخلق فراغا كبيرا إذا ما تفاقمت الحالة وتعذّرت السيطرة عليها، غير أنّ القانون سيلعب دورا أكبر، إذا توافر على قوة ردع عالية، مرتكزة إلى حرص السلطات التنفيذية والقضائية على تطبيقه، إضافة إلى حجم الحماية التي يمدّه بها الشعب" .

- **إعادة تشكيل قيم التفاضل** : إنّ الناس في نظر الإسلام ؛إمّا أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق ومن ثم لا تفاضل بين الناس إلاّ بالتّقوى، فالإنسان التقيّ من يخشى الله، سيما في موضوع استباحة الدماء، خصوصا مع المخالفين دينيا أو مذهبيا، فإنّ حرمة الإنسان عند الله كبيرة، فكيف إذا كان أخ لك في الدين والعقيدة ولا يعدو خلافه معك إلا في أشياء اجتهادية أو موطن لك يعيش معك في إقليم واحد لا يشاركك معتقداتك الدينية .
- **إطلاق الحريات العامة :** الحريات العامة بدورها تلعب دورا كبيرا وفاعلا في ترسيخ قيم التسامح بين أبناء الوطن الواحد، وتعدّ حرية الرأي والعقيدة من وجهة نظر الكاتب إشكالية ملتبسة في الفكر الإسلامي، فالطريقة المثلى حسب الكاتب ليست قتل المرتد وإنّما الانفتاح عليه بأساليب أخرى لتفهّم إشكالاته وشبهاته .

و بالتالي فإن ما نشاهده اليوم من صراع بين القوميات والاديان والمذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم مفهوم التسامح او غيابه تماما في المجتمعات ،فهو في

نظر الاوساط المتصارعة لا يعدو أن يكون قيمة اخلاقية تتحكم بها المؤثرات الإجتماعية والسياسية وهو في رأيها منة وتفضل مشروط قد ينقلب إلى ضده إذا فقد رصيده الأخلاقي، مما يستوجب تكريس مفهوم التسامح وفق حاجاته الإجتماعية بعيدا عن المنة والتفضل، فالتسامح حق لجميع الأفراد على أساس الإعتراف بالآخر وحماية حقوقه لذلك فالتسامح بمفهومه المعاصر لا يتحقق بسهولة وتتوقف فاعليته على حجم استجابة الأوساط الإجتماعية والدينية لضروراته .

4) **محاولات التأصيل للعيش وفق المشترك الانساني بالحوار بين الأديان** :

لا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك ومحاولة صهر الجميع في بوتقته ، كما لا يعني التنازل عن الحق وتوزيعه على المتعايشين بنسب متساوية وفقا لمفهوم التعددية الغربية بل يعني " أن يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص ويمارس نشاطه الديني والفكري والسياسي في إطار الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والتي لا تسمح لأي طرف بسلب حقوق الآخرين أو الإخلال بأمن المجتمع " (العليان ، 2004، صفحة 184) ، لذلك فمفهوم التعايش والعيش المشترك تتضمن داخلها تحقق التسامح الديني والقبول بالآخر المختلف و كذا نبذ خطابات الكراهية والتغلب على تأثيرها على عقول المختلفين دينيا والقبول بالتنوع والتعددية الدينية لكن بحدود ومعايير مقبولة وأفضلها المعايير الإسلامية ، وقد تناول العديد من الباحثين المسلمين كما المسيحيين موضوع التعددية الدينية وخطورتها على الأديان والهويات الدينية خاصة في قالبها الغربي المطروح في الساحة العلمية اليوم، وقد قدم البعض النموذج الإسلامي القرآني المقبول للتعددية الدينية وحدودها في عدد من الأعمال والبحوث العلمية الرصينة ومنها ما يتضمنه العدد الخاص من مجلة (الإستغراب ،عدد 25) والمخصص لموضوع التعددية الدينية وجاء في احد المقالات بعد شرح القول الاسلامي بالتعدد والذي يعني أن دين الله واحد وإن تعددت الرسالات والشرائع فاولها دعوة سيدنا آدم

وآخرها دعوة سيدنا محمدﷺ، ولكن الدين الأحق بالإتباع واحد وهو دعوة سيدنا محمد ﷺ يقول الباحث : " لا يتنافى التعايش السلمي للأديان مع حقانية دين بعينه، ولا يلزم من حقانية دين خاص الحرب الدائمة بين الناس وسفك الدماء كما رأينا هذه الحقيقة بجلاء في مدينة الرسول ﷺ " (معلمي، خريف 2021، صفحة 125) .

أما بخصوص خطاب الكراهية ومبادرات نبذه ومحاربته فإن من بين المؤسسات الدينية الراعية للحوار بين الأديان في العالم الإسلامي مؤسسة (**KAICIID**) (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات) التي اهتمت في بيانها بخصوص مناهضة خطاب الكراهية بسبل مواجهته وذلك بإظهار الدور الفعال للأديان وقوتها في مكافحة خطاب الكراهية والقضاء على التمييز على أساس الدين ؛ فقد ورد في الدليل السريع عن مكافحة خطاب الكراهية الصادر عن المركز والذي اعتمد في تعريفه لخطاب الكراهية على تعريف الأمم المتحدة ثم ركز اكثر على (المقصود بالتحريض على العنف) ثم اقل :"مع ان كل اعمال التحريض على التمييز او العداوة او العنف هي خطاب يحض على الكراهية فانه لا يمكن ان تعد كل خطابات الكراهية تحريضا " (Kaiciid.quick guide to hate speech prevention، صفحة 6)نلاحظ هنا نوعا من التحديد الكبير لمفهوم خطاب الكراهية حتى لا يشمل المنع ويتعدى على حرية التعبير واعتناق الآراء دون مضايقة ، ثم بين دور القيادات الدينية في الحرب ضد خطاب الكراهية يقول " من الاهمية بمكان ان تعمل القيادات الدينية كافة على اظهار قدراتها القيادية وان تكون مثالا قويا لاتباعهم وذلك للعمل كآليات انظار وتنبيه للسلطات إلى تصاعد التوترات بين الطوائف " (Kaiciid.quick guide to hate speech prevention، صفحة 10) وهذا يعني الخضوع للسلطة القانونية للدولة والعمل تحت إمرتها فيما يخص شؤون الطوائف والأقليات الدينية مما يحفظ النظام العام ويحافظ على الحقوق

والحريات بين الأفراد ، يليه وتحت عنوان : (نزع فتيل خطاب الكراهية وتبديده بالحوار بين أتباع الأديان والثقافات) (Kaiciid.quick guide to hate speech prevention، صفحة 20) جاء فيه : (يشكل الحوار بين أتباع الأديان والثقافات أداة مهمة لمنع خطاب الكراهية والتحريض على العنف وأكبر مساعد للمجتمعات على التفاعل مع الآخر وفهمه ..مما يسمح بالتعايش السلمي على الرغم من الاختلافات ويسمح الحوار أيضا بالإنتقال إلى مرحلة إتخاذ القرارات الشاملة من أجل المصلحة العامة المستدامة) أي ان العمل يجب ان يتم دائما وفق الصالح العام ورعاية مصالح الجميع حتى لا يكون هناك تمييز على أي أساس كان مما يقلل كثيرا من مشاعر الإضطهاد والقهر التي قد تحرض على العنف .

أما مركز الدوحة (**DICID**) (مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان) فكان رأيه بخصوص خطاب الكراهية وعلاقته بالأديان والفروقات بين خطاب الكراهية وحرية التعبير مبثوثا في ثنايا بحوث محكمة تم تقديمها في الإصدار (13) من (**مجلة أديان**) التي أصدرها المركز لعام 2020 تحت عنوان (**الأديان وخطاب الكراهية**) والتي أكدت كلها على القوة التي يملكها الإسلام في نصوصه التأسيسية الداعمة للسلام والعيش المشترك والقبول بالتنوع والتعدد في حدود معينة مسطرة مسبقا ، كما نظم ملتقى دولي مؤخرا كان موسوما ب(**من الدعوة الى التعددية الثقافية الى التعددية الدينية**) .

ومن جملة ما تهدف إليه هذه المراكز أيضا الدعوة إلى (التربية الدينية على العيش المشترك في المجتمعات ذات التعددية الدينية) مع الإحترام المتبادل وحفظ الهويات والخصوصيات ونبذ خطاب الكراهية والتمييز القائم على أي أساس من أسس الهوية (الدين –لغة –جنس –عرق ..) وكشف ما تضمنته الأديان من نصوص مقدسة وتجارب تاريخية متعلقة بالموضوع ، ومن بين هذه المؤسسات الإقليمية التي تتخذ من الأديان مداخل لترسيخ قيم السلام والمحبة والتعايش في ظل

التعددية الدينية والمذهبية (**مؤسسة أديان**) اللبنانية تحت رئاسة الدكتورة نايلا طبارة وزوجها الأب فادي الضو، والتي تعمل منذ تأسيسها سنة (2008) على مواضيع المواطنة وإدراة التنوع في المجتمع اللبناني كنموذج خاص، مبادئها الأساسية (الكرامة الإنسانية –التضامن – التربية على التنوع - المواطنة الحاضنة للتنوع – المسؤولية الإجتماعية الدينية –التضامن الروحي)، ومن إصداراتها العلمية كتاب (**التربية على العيش المشترك، إصدارات مؤسسة أديان اللبنانية ،2012)**

كما نجد محاولات فردية في مجال التنظير للسلام والتأصيل للعيش المشترك الدكتور وليم سليمان في كتابه (**الحوار بين الأديان، سنة 1976**) الذي حاول فيه التأسيس لمعنى (المواطنة) في المجتمع المصري كنموذج للعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين هناك والذين يجمعهم وطن واحد مما يحقق الأمن المجتمعي للطرفين، والذي يمكن ان يكون نموذجا دراسيا لحالات التعايش بين المسيحيين والمسلمين المنتمين إلى بلد واحد يحكمه قانون واحد يحفظ للجميع حقوقه وحرياته، وكذا للعيش بسلام وفق المشترك الإنساني والقانون الوضعي للمواطنة بين دول العالم بعيدا عن التعصب للإنتماءات والولاءات الدينية والعرقية والمذهبية ، وكذا دون تهديدها أو الرغبة في إزالتها ومحوها .

5) **النتائج والتوصيات :**

- يواجه الإنسان المعاصر أزمة أساسية في علاقته بغيره المختلف عنه، وذلك أن دائرة علاقاته توسعت وسلسلة إنتماءاته تضخمت فأصبح لزاما عليه أن يعرف ذاته ويدرك إنتماءاته المختلفة وتصنيفها من الأهم فالمهم ليستطيع إقامة علاقات بالآخر المختلف .
- القبول بدعوات الحوار بين الأديان يجب أن يتم وفق شروط ونقاط واضحة لا تمس بالثوابت العقدية ولا بالخصوصيات الهوياتية للأفراد (الهوية الذاتية) وكذا للجماعة كما ينطوي في المقابل على شرط احترام الآخر في إختلافه

والتعامل معه على أساس الندية وإلا كانت هذه الدعوات هي الأشد فتكا وخطرا على الأمن المجتمعي لأنها سوف تهدد الهوية الدينية للأفراد والجماعات ؛ إما بتأجيج الصراعات وخطابات الكراهية أكثر أو بتقديم التنازلات التي ترضي بعض الأطراف في الحوار ، فيكون كلا النوعين وبالا على الأمن المجتمعي في بعده الهوياتي والفكري .

- يجب أن يتجاوز المتحاورون المسائل الجدلية (العقدية واللاهوتية) ويلتفتوا إلى القضايا الآنية الأكثر إلحاحا وأن يتميز الحوار بينهم بالجدية والإلتزام و الخروج من دائرة الترف الفكري ؛ وذلك برعاية المصالح العامة للأفراد في حياتهم الدنيا فيما اتفق عليه من حلول للمشاكل العالقة في عصرنا .
- يجب أن يتجاوز المتحاورون المسائل الجدلية (العقدية واللاهوتية) ويلتفتوا إلى القضايا الآنية الأكثر إلحاحا وأن يتميز الحوار بينهم بالجدية والإلتزام و الخروج من دائرة الترف الفكري ؛ وذلك برعاية المصالح العامة للأفراد في حياتهم الدنيا فيما اتفق عليه من حلول للمشاكل العالقة في عصرنا .
- تجفيف منابع اللاتسامح والكراهية داخل المجتمعات ونشر ثقافة التسامح تجاه المخالف وكذا المختلف بنشر الإحترام المتبادل للأفراد والهيئات .
- تثمين مبادرات الحوار بين اتباع الاديان حول العالم وتقييمها كي لا تكون وبالا على البلاد والعباد لان بعضها ملغوم ومفخخ بدعوات هدامة للاديان والهويات في حقيقتها .
- دعم وسائل الاتصال الحديثة واستغلالها لنشر محتوى مضاد ومقاوم لخطابات الكراهية والتعصب بين اتباع الاديان المختلفة .
- العمل على حماية وصيانة الهوية والانتماء الديني والفكري والثقافي للافراد وذلك بتقويتها وبنائها ووضع حدود واضحة لها والاعتزاز بها مع الانفتاح على الآخر والتعرف عليه واحترامه .

- اليوم الدولي للعيش معا في سلام (16 ماي)
- التوعية ونشر ثقافة التعرف على الآخر وقبوله والتعايش معه رغم اختلاف انتماءاته الدينية او الاثنية .
- أداء واجب الدعوة بالتي هي أحسن وعدم فرض أو انتظار الإستجابة فقد تكفل الله بها ولنا في رسولنا الكريم ﷺ الأسوة الحسنة .
- الحفاظ على الخصوصيات والثوابت أي حماية الذات و الهوية الشخصية مع القبول بوجود الآخر المخالف والمختلف وفق عقيدة الولاء والبراء بالنسبة للمسلمين مثلا، واعتباره نعمة من ناحية أنه سبب لتقويم حدود الذات وتحديدها ، فلا يجب ان نكون على شاكلة واحدة حتى نعيش في أمن وسلام .

قائمة المصادروالمراجع :

- عبد الحليم آيت أمجوض . (2012). *حوار الأديان* (الإصدار ط1). الرباط، المغرب : دار الأمان.
- ECRI. (2018 - 2021). *مكافحة خطاب الكراهية*.
- *Kaiciid.quick guide to hate speech prevention*. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من KAICIID.ar.org.
- *إستراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشأن خطاب الكراهية* . (2019). تم الاسترداد من www.UN.org/action plan on hate speech .AR.Pdf.
- المجمع الفاتيكاني الثاني . (19 ماي, 2013). *بيان في الكرامة الإنسانية*. تم الاسترداد من coptcatholic.net.
- جميلة علاق. (جوان, 2017). الأمن المجتمعي : مقاربة في المفهوم والعناصر. *مجلة البحوث السياسية والإدارية* (عدد 10)، الصفحات 102 -119.

- حديث : من أصبح منكم آمنا في سربه .. (1 أوت, 2023). تم الاسترداد من www.HadeethEnc.com (موسوعة الأحاديث النبوية).
- حسن معلمي. (خريف 2021). التعددية الدينية برؤية عقلانية قرآنية. *الإستغراب* (عدد 25)، الصفحات 111 - 128.
- خزعل الماجدي. (2016). *علم الأديان* (الإصدار ط1). المغرب : مؤسسة مؤمنون بلا حدود .
- عبد الله العليان . (2004). *حوار الحضارات رؤية إسلامية* (الإصدار ط1). الأردن : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد النور عطوات. (ديسمبر , 2020). الأمن في المجتمع المتعدد. *مجلة دراسات إجتماعية، مج 4* (عد 2)، الصفحات 225-249.
- كتاب جماعي . (1978 -1985). *وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين*. لبنان : المكتبة البولسية.
- كتاب جماعي . (2021). *خطاب الكراهية* (الإصدار ط1). مستغانم -الجزائر : جامعة عبد الحميد بن باديس.
- ماجد الغرباوي. (2008). *التسامح ومنابع اللاتسامح* (الإصدار ط1). العراق : الحضارية .
- محمد الفاضل اللافي. (2004). *تأصيل الحوار الديني* (الإصدار 1). المنصورة، مصر : دار الكلمة.
- محمد حسين فضل فضل الله. (د ت). *الحوار في القرآن* (الإصدار د ط، المجلد ج1). قسنطينة، الجزائر : دار المنصوري.
- هاشمي مليكة . (جانفي, 2023). الأمن المجتمعي دراسة في المفهوم ،النظرية والتهديدات. *المجلة الجزائرية للامن والتنمية، مج 12* (عد 1)، الصفحات 163 - 175.

- هيتنجتون صموئيل. (1999). *صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي الجديد* (الإصدار ط2). (طلعت الشايب، المترجمون)

سيرة ذاتية :

البيانات الشخصية:

- **الاسم واللقب**: **فاضلي إيمان**.
- **تاريخ ومكان الميلاد** : 1988/02/16، **دائرة ششار ولاية خنشلة** .
- **البريد الإلكتروني** :interfaith35dialogue2023@gmail.com
- **رقم الهاتف** : 0669206369

المؤهلات العلمية:

- **شهادة ليسانس** 2009 –**جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة**
- **شهادة ماجستير** 2013 **جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة**

- **طالبة دكتوراه علوم منذ** 2015 –**تخصص مقارنة الأديان وحوار الحضارات –جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية** .

مؤهلات وإهتمامات أخرى :

- **مستوى** C **لغة إنجليزية**
- **إعلام آلي** (**برنامج** Word)
- **باحثة في تاريخ الأديان وحوار الحضارات وفلسفة الأديان** .

دور الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمعات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية.

The role of religious media in enhancing the security of societies from the perspective of the objectives of Islamic Sharia.

الدكتور: سمير دحيري.

مخبر الدراسات والبحوث الإسلامية والقانونية والاقتصاد الإسلامي

جامعة محمّد بوضياف-المسيلة (الجزائر)

dehirisamir3434@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية أمن المجتمع باعتباره مقصدا من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد جاءت العديد من النصوص والتشريعات تحث على تحقيقه والمحافظة عليه، كما يأتي للكشف عن مفهوم الإعلام الديني، و محاولة إبراز أهميته في نشر وتعزيز الأمن المجتمعي خاصة في ظل واقعنا المعاصر، حيث صار الإعلام بصفة عامة، والإعلام الديني بصفة خاصة هو الأداة التي تلعب دورا كبيرا في توجيه أفراد المجتمع، وله تأثيرات سياسية واجتماعية، كما جاءت الدراسة للتأكيد على الدور الهام للإعلام الديني في معالجة ونبذ خطاب الكراهية، ونشر قيم التسامح والحوار، وتحصين أفراد المجتمع فكريا من محاولات المساس بأمنهم المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الديني؛ أمن المجتمعات؛ مقاصد الشريعة.

Abstract :

This research addresses the issue of societal security as one of the greatest objectives of Islamic Sharia. Numerous texts and legislations emphasize achieving and maintaining it. It also seeks to uncover the

concept of religious media and highlight its importance in disseminating and promoting societal security, especially in our contemporary reality. General media, and religious media in particular, have become tools that play a significant role in guiding individuals in society, with political and social implications. Also This study underscores the significant role of religious media in addressing and rejecting hate speech, promoting tolerance and dialogue, and intellectually fortifying individuals in society against attempts to undermine their societal security.

Keywords :Religious media; Societal security; Objectives of Islamic Sharia.

مقدمة.

تعد قضية أمن المجتمعات في واقعنا المعاصر من أهم القضايا والموضوعات التي أولتها الدول والأنظمة عناية خاصة، وقد ملأ الحديث عن أهمية وضرورة إيجاد أمن مجتمعي والمحافظة عليه المؤلفات والكتابات المعاصرة، وهذا نتيجة زيادة معدلات خطاب الكراهية في أوساط المجتمعات، وذلك في ظل التطور التكنولوجي المذهل لوسائل الاتصال الحديثة، و أيضا في ظل موجة الغلو والتطرف الديني التي يعرفها العالم المعاصر، والتي يعد فيها عدم التقبل للآخر ولقيمه، والسعي إلى إقصائه اجتماعيا من أبرز مظاهرها، كما اتجهت أنظار وجهود الكثير من الباحثين في مختلف التخصصات إلى محاولة تقديم مجموعة من القراءات التحليلية لظاهرة انتشار وزيادة معدلات خطاب الكراهية في المجتمع، ومن ثم تقديم العلاجات والحلول للحدّ من انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية، أو التخفيف من آثارها على أمن المجتمع بكل أنواعه.

وباعتبار الإعلام إحدى أهم وأبرز وسائل التأثير على أفراد المجتمع، كما يعد في العصر الحاضر من أهم وأخطر الوسائل في تقدّم الأمم أو تخلّفها، والحفاظ على

أمنها، فإن الإعلام الديني يأتي في مقدمة الأسباب والوسائل التي تؤدي إلى تغذية خطاب الكراهية، وعدم تقبل الآخر إذا تم استغلاله وتقديم مضامينه الإعلامية بالشكل الخاطئ، وذلك خدمة لتوجهات فكرية منحرفة، أو نتيجة الغفلة عن مقاصد ومرامي الخطاب، وفي المقابل يعتبر من أهم وسائل معالجة ونبذ خطاب الكراهية، ونشر قيم التسامح والحوار إذا تم استغلاله بالشكل الصحيح؛ لأن مضمون الخطاب الديني فيه استثارة المشاعر والعواطف الإنسانية، والتي تلعب دورا مهما في تشكيل قناعات الفرد الدينية والفكرية، ومن ثم تصبح عبارة عن ممارسات سلوكية وأخلاقية في الواقع تحكمها مجموعة من القيم الدينية والاجتماعية، والتي يساهم مضمون الخطاب الإعلامي الديني في إيجادها و تمثلها واقعا عمليا.

من هنا فإن مضمون هذه الدراسة المقتضبة سنحاول من خلاله الوقوف على حقيقة ومفهوم الإعلام الديني، والدور الواجب أن يلعبه في المحافظة على أمن المجتمع، ثم الإشارة إلى بعض مضامين الخلل في مضمون الخطاب الإعلامي الديني نتيجة الغفلة عن استحضار البعد المقاصدي، وبعد ذلك نخصص حيزا لبيان مجموعة من الأليات الني نرى بأنها كفيلة بأن يلعب من خلالها الإعلام الديني دوره في تعزيز الأمن المجتمعي.

أوّلا-إشكالية البحث:

وتتمثل إشكالية البحث في تساؤل رئيسي: إلى أي مدى يمكن أن يساهم الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمعات، ومعالجة خطاب الكراهية من منظور مقاصد الشريعة؟ وماهي الآليات الخاصة بدور الإعلام الديني في معالجة خطاب الكراهية، ونشر قيم التسامح والحوار؟، وتساؤلات فرعية: ما مفهوم وماهية الإعلام الديني؟ ما أهمية استحضار البعد المقاصدي في الخطاب الديني بصفة عامة، والإعلامي بصفة خاصة؟

ثانيا. أهداف البحث:

-بيان علاقة مقاصد الشريعة بتعزيز أمن المجتمعات والمحافظة عليه.

-محاولة الكشف عن دور ووظيفة الإعلام الديني في المحافظة على أمن المجتمع، ومعالجة خطاب الكراهية، ونشر قيم التسامح والحوار.

-التنويه بضرورة استحضار البعد المقاصدي في مضامين الخطاب الإعلامي الديني، خاصة في ظل حاجة أفراد المجتمع اليوم إلى الفهم والتصور الصحيح للمفاهيم والتعاليم الدينية.

-محاولة تقديم مجموعة من الأليات التي نرى بأنها كفيلة بإيجاد خطاب إعلامي ديني يساهم في تعزيز أمن المجتمع.

ثالثا-المنهج المتبع في البحث:

اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمنا على محاولة وصف وتحليل علاقة مقاصد الشريعة بتعزيز أمن المجتمعات من خلال مضمون الإعلام الديني، وبيان دور ووظيفة الخطاب الديني في نبذ خطاب الكراهية.

رابعا-خطة البحث.

وقد اعتمدنا لبلوغ هذه الأهداف تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة احتوت على أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة.

المطلب الأوّل: تحديد المفاهيم والمصطلحات.

المطلب الثاني: أهمية استحضار البعد المقاصدي في خطاب الإعلام الديني.

المطلب الثالث: أليات وسبل الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمعات من منظور مقاصد الشريعة.

الخاتمة. وتحوي أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات.

لما كان موضوع البحث يدور حول دور الإعلام الديني ووظيفته في تعزيز أمن المجتمع، ونشر قيم التسامح والحوار، ونبذ خطاب الكراهية، فإن الحاجة تدعو إلى تسليط الضوء ولو بشكل مختصر على جملة من المفاهيم المتعلقة بالبحث.

الفرع الأوّل: مفهوم الإعلام الديني:

حاول البعض من المختصّين أن يعطي لمصطلح الإعلام الديني، أو كما يعبر عنه البعض بالإعلام الإسلامي، أو الإعلام الملتزم مفهوما دقيقا يعبّر عن ماهيته؛ لذا نجد جملة من التعريفات، منها:

-تعريف محيي الدين عبد الحليم:" تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصّصة أو عامّة"(محي الدين، 1979، ص. 154).

-كما عرفه منير حجاب بقوله:" هو جهد فني علمي مدروس ومخطط ومستمر وصادق من قبل قائم بالاتصال هيئة كانت أم جماعة أم فرداً لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها ويستهدف الاتصال بالجمهور العام وهيئاته النوعية وأفراد، بكافة إمكانيّات وسائل الإعلام والاقتناع وذلك بغرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته" (حجاب، 1982، ص.135).

- و يعني في تصور ميسر سهيل:" هو الإعلام الذي يخاطب الجماهير عامة من خلال العمليات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية عبر مختلف وسائل الإعلام ومستجدّاته المتطورة ضمن منهج قواعد التقويم للإعلام الإسلامي" (سهيل، د.س).

الفرع الثاني: مفهوم الأمن المجتمعي.

أوّلا-تعريف الأمن:

لغة:

ورد لفظ الأمن في اللغة بعدة معان، ولعل كلها تشترك في معنى عدم الخوف، وفي المفردات" أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف"(الأصفهاني، د.س، ص. 25)، وجاء في لسان العرب" الأمن والأمان والأمانة والأمنة: نقيض الخوف، ولذا يقال أمن فلان يأمن، آمنا وأمنا، إذا لم يخف"(ابن منظور، 1414، ص.21).

-اصطلاحا:

تباينت تعريفات العلماء من المعاصرين لمصطلح الأمن، وسنقتصر على ذكر بعضها فقط؛ لكن قبل ذلك نشير إلى تعريف الأمن عند المتقدمين:

-عند المتقدمين: هو" عدم توقع مكروه في الزمن الآتي"(الجرجاني، 1985، ص. 37)، ويلاحظ من خلال التعريف قصر الأمن على الأمن المستقبلي.

-كما جاء تعريف الأمن في الموسوعة الفقهية الكويتية:" الأمن ما به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم" (مجموعة من المؤلفين، د.س، ص. 271).

ثانيا-تعريف المجتمع.

يقصد بالمجتمع:" مجموعة من الأفراد، يربط بينهم رابط مشترك، يجعلهم يعيشون عيشة مشتركة وتنتظم حياتهم في علاقات معترف بها فيما بينهم" (قلعجي وقنيبي، 1988، ص.64)، ولعل من التعريفات أيضا التي هي الأقرب إلى موضوعنا تعريف المجتمع أنه:" عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها" (شاهين، 1991، ص.43).

ثالثا-مفهوم الأمن المجتمعي باعتباره مركبا إضافيا.

من خلال التعرض لمعاني التركيب الإفرادي لمصطلح "أمن المجتمع" نورد بعض التعريفات باعتبار مدلوله التركيبي، منها:

-" الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان، فردا أو جماعة في سائر ميادين العمران الدنيوي، بل وأيضا في المعاد الأخروي فيما وراء هذه الدنيا" (عمارة، 1998، ص.14).

- وعرفه الخادمي:" هو اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الوقت الحالي أو في الزمن الآتي، في داخل بلاده أو من خارجها، ومن العدو وغيره، ويكون ذلك على وفق توجيه الإسلام وهدي الوحي، ومراعاة الأخلاق والأعراف والمواثيق والعهود"(الخادمي، د.س، ص.21).

-وتعريفه أيضا: "بأنه حالة من الطمأنينة بين أفراد المجتمع تحقق الشعور بالاستقرار، مشبعة لغرائزه الروحية والبدنية والجبلية وعواطفه وفقا لشريعة الله تعالى." (لواص والبلوشي، د.س، ص.49).

- كما يعني في تصور خالد كاظم أبو دوح:" هو حماية المجتمع من كافة التهديدات التي تمسّ الهُويّة والقيم الأساسية المشتركة، والدين، واللغة، والثقافة، والعادات" (أبو دوح، د.س، ص.2).

ومما تقدم يمكن القول إنّ التعريفات أكدت على " أن هناك ارتباطا وثيقا بين الأمن بمفهومه الشامل ومقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الكليات الخمس وما يخدمها ويكملها؛ لذا فإن أي خلل يطرأ على أي من الضروريات الخمس يحدث نوعا من الإخلال بالأمن" (حوامدي، 2017-2018، ص. 28).

الفرع الثالث: تعريف مقاصد الشريعة.

1-**لغة:** المقاصد جمع مقصد، وهو مشتق من الفعل قصد يقصد قصدا (ابن منظور، 1414، ص.353).

وقد تنوعت المعاني اللغوية للفظة "المقصد" حسب الاستعمال والسياق، وسنركز على ذكر ماله ارتباط وثيق بالمعنى الاصطلاحي للمقاصد.

-استقامة الطريق:

منه قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ (القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 9)، أَي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاءُ إِليه بالحجج والبراهين الواضحة ومنها جائر أَي ومنها طريق غير قاصد وطريقٌ قاصد سهل مستقيم (ابن منظور، 1414، ص. 353).

-القرب: و (الْقَاصِدُ) الْقَرِيبُ يُقَالُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ لَيْلَةٌ (قَاصِدَةٌ) أَيْ هَيِّنَةُ السَّيْرِ لَا تعَبَ فِيهَا وَلَا بُطْءَ (الرازي، 1995، ص.254)،

ومنه قوله تعالى:﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا**﴾ (القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 42) وقاصدا أي وَسطاً في المسافة غير بعيد (ابن عاشور، 1997م، ص 208).

-إتيان الشيء والأمَ والتَوجَه والاعتماد: (الْقَصْدُ) إِتْيَانُ الشَّيْءِ، تَقُولُ: (قَصَدَهُ) وَقَصَدَ لَهُ وَقَصَدَ إِلَيْهِ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَ (قَصَدَ) قَصْدَهُ أَيْ نَحَا نَحْوَه (الرازي، 1995، ص.254)، والقَصْدُ الاعتمادُ والأَمُّ قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ له وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ وهو قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك (ابن منظور، 1414ه، ص335).

- التوسَط والاعتدال: فالقَصْد في الشيء خلافُ الإِفراطِ وهو ما بين الإِسراف والتقتير والقصد في المعيشة أَن لا يُسْرِفَ، يقال فلان مُقْتِصدٌ في النفقة واقْصِدْ في مشيك واقْصِدْ بذرعك أي أربع على نفسك والقَصْدُ العدل ومنه قوله تعالى﴿ **وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾(القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية 19).

2-تعريف المقاصد اصطلاحا:

ذكر أكثر الدارسين والباحثين أنهم لم يعثروا على تعريف للمقاصد عند المتقدمين، ويعنون بذلك التعريف الحدّي لبيان الحقيقة والماهية. ولقد حاول

المعاصرون من العلماء تجاوز هذه الإشكالية المعرفية من خلال إيراد جملة من التعريفات لضبط الحدّ والماهية لمصطلح المقاصد، وسنقتصر على تعريفي الإمام الطاهر بن عاشور والشيخ علال الفاسي لأن أكثر التعريفات تدور حولهما ولا تخرج عنهما.

-تعريف الإمام الطاهر بن عاشور:

"المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة التي لا يخل التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"(ابن عاشور، 2001م، ص. 251).

-تعريف الشيخ علال الفاسي:" الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" (الفاسي، 1979، ص. 3).

المطلب الثاني: أهمية استحضار البعد المقاصدي في خطاب الإعلام الديني.

إنّ مقاصد الشريعة الإسلامية لها دور هام في تحقيق الصلاح العام والاستقرار للمجتمعات، والحدّ من مظاهر الانحراف الفكري الناتجة عن القصور في الفهم لغايات وأسرار وحكم التكليف الشرعي، والتي منها زيادة معدلات خطاب الكراهية في المجتمع، يقول الإمام الطاهر بن عاشور تقريرا لهذا المعنى" أنَ استقراء أدلَة كثيرة من القرآن والسنَة الصحيحة يوجب لنا اليقين بأنَ أحكام الشريعة منوطة بحكم وعلل راجعة للصلاح العامَ للمجتمع والأفراد"(ابن عاشور،2001، ص.134). وكذلك يعتبر " المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع"(الفاسي،1993، ص.ص 45،46).

كما يتبيّن حاجة الأمة إلى معرفة مقاصد شريعتها من خلال الآثار المترتبة على عدم وجود هذه المعرفة، فإنك إذا نظرت إلى مجتمع افتقر أفراده إلى معرفة هذه المقاصد والغايات والأهداف لوجدت مجتمعا ممزقا تسوده الفوضى والاضطراب وتشيع فيه الفاحشة والآثام، ويعمه الخوف والقلق، تطغى على أفراده الأنانية وحبُّ الذات، يضعف فيه الوازع الدّيني، فيأكل فيه القويّ الضعيف، وتضيع فيه الحقوق، وتنتهك فيه الحرمات ولا يأمن فيه الجار جاره (اليماني، 2006، ص. 440).

ولعل الحاجة تدعو إلى إعادة تشكيل العقل المسلم مقاصديا، حيث "إن بناء العقل المقاصدي يحدث تغييرا استراتيجيا في الثقافة، ونقلة فكرية نوعية في الحياة العقلية والذهنية، ويعيد للوحي عطاءه المتجدد على يد البشر، وإعادة النظر فيما وضعوا من آليات مجردة للتعامل معه وتنزيله على الواقع، بعيدا عن مصالح الناس"(الحسني، 1998، ص.17).

من هنا كان من الانعكاسات السلبية الواضحة للخطاب الإعلامي الديني نتيجة الغفلة عن اعتبار مقاصد الشريعة افتقاده لمحددات ومعالم منهجية يقوم عليها، فنجد عدم تشبع الكثير من القائمين بوظيفة الإعلام الديني بثقافة مقاصدية أدى في حالات كثيرة إلى الجهل بفقه الأولويات في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يتصور إصلاح من غير معرفة بواقع المكلفين وأحوال بيئتهم الفكرية والاجتماعية، وكذلك فهم واستيعاب مقاصدي لمضامين الخطاب، وفقه لأولوياته واعتبار لمآلاته، ففقه الأولويات يقتضي منا بأن نحرص على تحقيق مقصد الوحدة والاجتماع؛ إذ المجتمعات الإسلامية اليوم بحاجة إلى اجتماع كلمتها، وإشاعة مقصد الحب والألفة بين أفراد المجتمع؛ لأن " مشاعر الحب والمودة أصبحت إطاراتها ضيقة جدا، ربما لا تتجاوز حب الفرد لنفسه أو خواصه المقربين، في حين أن إخواننا في الدين –وضمن دائرة المجتمع- قد فترت المشاعر نحوهم إما بسبب الاختلاف في القبيلة أو اللون أو المنزلة الاجتماعية وغيرها؛ بينما نجد الخطاب القرآني يدعو

الجميع إلى كسر هذا الطوق الوهمي في قوله تعالى:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير**" (القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13) (القحطاني، 2008، ص. 166).

ومن هذا المنطلق كان من الواجب على القائمين برسالة الإعلام الديني استحضار البعد المقاصدي في مضامين الخطاب الإعلامي الديني؛ إذ يعد ضرورة لا بد منها، خاصة مع الانفتاح الإعلامي الذي يشهده الواقع المعاصر، وهذا الذي أدى إلى عدم ضبط التدين المجتمعي، ومن ثم كان من أبرز مظاهر الأزمة الفكرية التي ساهمت في تغذية خطاب الكراهية في المجتمع، ولأن الوعي المقاصدي ينتج عنه الفهم الصحيح للتدين الذي يقوم على قيم التسامح والحوار، والوسطية والاعتدال، ونبذ الكراهية، ويحصن المسلم من دواعي وأسباب الغلو والتطرف الديني، والتعصب المذموم، ويعطي التصور الصحيح لعلاقة المسلم بالآخر، كما يقدم الرؤية الحقيقية لقيم الإسلام بعيدا عن محاولات التشويه التي يتعرض لها.

ومن ثم فإن إشاعة الإعلام الديني لثقافة مقاصدية في المجتمع تقوم على قيم التسامح الديني، والحوار كفيل بأن يكون مدخلا وعلاجا ناجعا للحدّ من خطاب الكراهية، وتعزيز الأمن المجتمعي.

المطلب الثالث: أليات وسبل الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمعات من منظور مقاصد الشريعة.

لقد سبقت الإشارة إلى أهمية استحضار البعد المقاصدي في خطاب الإعلام الديني، وسنحاول من خلال هذا المطلب التقديم لبعض الأليات والسبل التي نرى أنها كفيلة ببيان دور ووظيفة الإعلام الديني في تعزيز أمن المجتمع.

الفرع الأول: المساهمة في نشر الوعي بأهمية المحافظة على الكلّيات الخمس.

الكلّيات الضرورية هي التي حصرها عامة الأصوليين في المقاصد الضرورية الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهي على حدّ تعبير الإمام الشاطبي: "أصول الدين، وقواعد الشريعة، وكليات الملة"(الشاطبي، 1997، ص43)، والمقصود بالضروريات هي:" الأمور التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين" (الشاطبي، 1997، ص.ص 17، 18).

وحفظ هذه الضروريات الخمس يكون بأمرين؛ يقول الإمام الشاطبي:" أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عن عبارة مراعاتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلاف الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم" (الشاطبي، 1997، ص. 18).

وترتبط كلٍّ من هذه المقاصد الخمس بعدد من الجوانب ذات الطبيعة الاجتماعيَّة، فحفظ الدّين يرتبط بإقامة شعائر الله تعالى وتعاليمه، بما فيها مكارم الأخلاق والمعاملات، وهي الضمانة الأساسيَّة لاستقرار أيّ مجتمعٍ وصيرورته بشكلٍ سويّ، والحفاظ على النسل يرتبط بالحفاظ على النسب والعرض، بما يضمن أيضًا استقرار المجتمع الإنساني، كذلك الحفاظ على المال يرتبط بالكسب الحلال والإنفاق الرشيد، وما يرتبط به ذلك من تكافل مجتمعي."(الأمن المجتمعي في الإسلام .. رؤية سياسيّة،).

وإن الشريعة الإسلامية تتجه في كل أحكامها إلى تحقيق هذه الأهداف الاجتماعية، وهي المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، فقد جاءت لتكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها، قاصيها ودانيها، وابتدأت فاتجهت إلى تربية المسلم ليكون عضوا في مجتمع، والعبادات الإسلامية، والفضائل التي دعا إليها الإسلام تتجه نحو تحقيق هذه الأهداف، وتوجيهه إليها. (أبو زهرة، د.س، ص. 20).

ومن هنا يتبين "أن هناك ارتباطا وثيقا بين الأمن بمفهومه الشامل ومقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الكليات الخمس وما يخدمها ويكملها؛ لذا فإن أي خلل يطرأ على أي من الضروريات الخمس يحدث نوعا من الإخلال بالأمن" (حوامدي، 2017-2018، ص. 28).

وعليه نرى أنه من الضروري أن يوضع نصب أعين القائمين برسالة الإعلام الديني المساهمة في تعزيز وتنمية الوعي المقاصدي لدى أفراد المجتمع بمرتبة ومنزلة هذه المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية، وبيان أثر المحافظة عليها في حفظ أمن المجتمع والأفراد، وأيضا من خلال تحويل نظرة المكلف للتكاليف الشرعية المتعلقة بها على مستوى الممارسة العملية، وعلى مستوى الفهم والوعي لأحكامها.

الفرع الثاني: المساهمة في بث وترسيخ روح الانتماء للوطن.

إنّ من القضايا التي ساهمت بدرجة كبيرة في غياب الأمن الاجتماعي في بعض المجتمعات الإنسانية، وخصوصا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ضعف الإحساس بالانتماء للوطن، ومن ثم غياب مظاهر المواطنة عند الكثيرين من أبنائه، وبروز خطاب الكراهية على أساس التمييز الديني، والعرقي، وحتى في بعض الحالات على أساس الاختلاف المذهبي والحزبي؛ لأن عدم شعور الشخص بأن الوطن يتسع لجميع أبناء المجتمع جميعا على اختلاف أطيافهم العرقيّة وتوجهاتهم الفكرية، وطبقاتهم الاجتماعية يدفعه إلى محاولة إقصاء المخالف له دينيا وعقديا، وحتى عرقيا وفكريا،" فالانتماء مسألة ضرورية لتكوين العلاقات الحميمية بين أبناء المجتمع الواحد. وينشأ من الانتماء للوطن شعور غامر بأن الوطن هو بيته وداره وأنه مسؤول عن سلامته وأمنه ورفاهيته وديمومته، عندما يتولد هذا الانتماء يصبح الفرد جزءا من الكل، وأنه لبنة في بناء كبير ويترتب على هذه المشاعر مسؤوليات إزاء الوطن ومن يعيش على أرضه" (القزويني، د.س، ص.17)، ولعل صناعة المناخ الذي يسود فيه الأمن المجتمعي، وقيم الحوار والتسامح، ونبذ خطاب الكراهية" يتطلّب

استعدادا حقيقيّا من كل الفئات العرقيّة، والطبقات الاجتماعية، وأصحاب الأفكار والثقافات للتنازل عن جزء من خصوصيّاتهم الفكرية والاجتماعية؛ لصالح الإطار الوطني العام الذي يراد للجميع الاندماج فيه. وهذا الإحساس بالآخرين والتّضحية من أجلهم أهم درجات الرّقي في الحياة المدنّية." (القحطاني، 2008، ص.164).

ولذا الواجب على القائمين بمسؤولية الإعلام الديني إحياء الوعي بمقاصدية الانتماء للوطن، وتعميق ذلك في النفوس، وكذلك من أوكد واجبات الإعلامي الوعي والمعرفة بمقامات الخطاب، وكيفية التوظيف لها عند الحديث عن الخصوصيات الفكرية والاجتماعية لبعض فئات المجتمع.

الفرع الثالث: تعزيز قيم التسامح الديني والإخاء الإنساني في المجتمع.

إنّ الناظر في آيات وسور القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد تركيزهما على تقرير القيم ذات المشترك الإنساني بغض النظر عن الانتماء الديني أو العقدي للشخص، كما يلحظ أن من السّمات والخصائص البارزة للشريعة الإسلامية التأكيد على الإطار الشمولي العام للدين الإسلامي، وأن رسالة الإسلام عالمية إنسانية تتجه إلى الناس كافة، كما دل على ذلك قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَ أُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير"** {سورة الحجرات، الآية 13} يقول الإمام أبو زهرة –رحمه الله-:" فهذا الاختلاف للتعارف لا للتناكر، ولا ليستحقر بعض الشعوب غيرها. وإن التعارف ليس المعرفة المجردة، بل المعرفة المثمرة التي تتلاقى فيها كلّ القوى الإنسانية لخير الإنسان". (أبو زهرة، 1436، ص.ص 5، 6).

ولعل منح الإسلام حرية المعتقد لغير المسلمين، وإباحته لهم ممارسة شعائرهم، والحفاظ على أماكن عبادتهم من أبرز مظاهر التسامح الديني، فهي تتأسس على دعائم إيمانية عقدية، كما تمثل عبادة وقربة يتقرب بها المسلم إلى ربه، يقول الإمام القرطبي: "فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا

يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية" (القرطبي، 1964، ص.64).

وبناء على هذا التصور القائم على عدم الإكراه نجد أيضا أن الإسلام في القرآن الكريم حض أتباعه على الحوار مع المخالف بأسلوب هادئ، وبالطريقة الحسنة، يقول الله تعالى:" **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**" (القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 46)، وليس هذا فحسب فإنه يمكن اعتبار السيرة النبوية النموذج العملي لكيفية التعامل مع الآخر على وجه الخصوص، حيث نجد من هدي النبي .صلى الله عليه وسلم .في التعايش والتسامح الديني مع الآخر، صورا كثيرة تبلورت في عهود ومواثيق منها: صحيفة المدينة المنورة التي وضعها النبي -صلى الله عليه وسلم – والتي كان من أهم بنودها ما تعلق بتقوية العلاقات الاجتماعية، والتسامح الديني والإخاء الإنساني، وتقرير التعددية الدينية في ظل الدولة الواحدة، كما اعتبرت الصحيفة المخالف في الدين من اليهود جزءا من الوطن، حيث جاء في الصحيفة:" وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم"(ابن هشام، 1955، ص.503)، وهكذا يمكن أن تعتبر وثيقة المدينة قد رسمت معالم طريق رئيسية للمسلم في تعامله مع المخالف له دينيا وعقديا؛ إذ هي بالنظر في مضمون ما احتوته من بنود تتعلق بتنظيم وتقنين علاقة المسلم بالآخر "أول عقد "اجتماعي وسياسي ديني"-حقيقي وليس مفترضا ومتوهما- يكتفي بالاعتراف بالآخر، وإنما يجعل الآخر جزءا من الرعية والأمة والدولة-أي جزءا من الذات- له كل الحقوق، وعليك كل الواجبات، وذلك في زمن لم يكن فيه طرف يعترف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق" (عمارة، 2007، ص.144)، و ميثاقه .صلى الله عليه وسلم .مع نصارى نجران وهو ذلك العهد الذي أبرمه الرسول .صلى الله عليه وسلم .حين قدومهم عليه عقب غزوة تبوك عام 9 هـ، حيث

فتح لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أبواب مسجده بالمدينة المنورة، "فصلوا فيه صلاتهم، مولّين وجوههم قبل المشرق، ثم تركهم و ما يدينون، وذلك مبدأ أساس في ديننا الحنيف الذي يدعو إلى التسامح الديني والسلام العالمي والسلم الأهلي بين فئات الوطن بمختلف عقائدها وأجناسها وأصولها"(كُهُوس، 2020، ص.537)؛ لذا فمن الواجب استثمار هذه المواثيق والعهود التي حفلت بها أحداث السيرة النبوية.

كما جاء تأكيد النبي –صلى الله عليه وسلم – على قيم التسامح الديني، والإخاء الإنساني، والتعايش مع الآخر بالنهي عن ظلم المخالف دينيا في أحاديثه النبوية الشريفة، والتي منها: ما رواه عنه عبد الله بن عمرو-رضي الله عنه-أنه -صلى الله عليه وسلم-قال:**" من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما**"(البخاري، 2002، ص.1710)، كما روي عنه –صلى الله عليه وسلم- مرت به جنازة فقام لها، فقيل له إنها جنازة يهودي، فقال: **"أليست نفسا"**(البخاري، 2002، ص.317، رقم 1312، مسلم، 1426، ص.426، رقم 961)،" وهذه الجملة التي نطق بها من أوتي جوامع الكلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى –صلى الله عليه وسلم-، في كلمة جامعة: "أليست نفسا" تختزل منهج التعامل مع الناس جميعا، مهما كان دينهم أو اتجاههم أو لغتهم أو جنسهم .. جملة تلغي الكراهية والعنصرية والتكبر والسخرية والتعصب وحمية الجاهلية والتمييز الديني والعرقي والطائفي" (كُهوس، 2020، ص.529).

ومن هذا المنطلق فإنه من الضروري أن يكون هناك تنمية وتعميق للوعي بضرورة تمثل هذه القيم في الواقع الإنساني، وربط هذه القيم والمثل بالواقع، كما أنه من الواجب تصحيح التصورات والمفاهيم عن علاقة المسلم بالآخر، وذلك من خلال إعطاء مساحة أكبر في البرامج الإعلامية والدينية لهذا النوع من الخطاب الإعلامي الديني مع التركيز على الأبعاد المقاصدية المتضمنة لها.

الفـرع الرابـع: تصـحيح الفهـم والتصـورلـبعض المفـاهيم والمصـطلحات الدينية.

إنّ تحديد المصطلح يولد صفاء الرؤية والفكر، فيجعل الخطاب ذو طابع رسالي، ولا رسالة بهذا المستوى دون وضوح الخطاب، ولا وضوح في الخطاب إذا ظلت ألفاظها ومصطلحاتها مبهمة ومضببه ومن هنا تظهر أهمية تحديد المفاهيم وأثر ذلك في زيادة الفهم والوضوح من جهة، وسبل التواصل المعرفي بين المتخاطبين من جهة، وعليه تحديد المفاهيم والمصطلحات في مجال الإعلام الإسلامي يكون بالعودة إلى المنابع الأصلية للإسلام؛ إذ تستمد تلك المفاهيم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. (بن هنية، 2022، ص. 24).

ولعل من أهم أليات تعزيز أمن المجتمع عناية الإعلام بصفة عامة، والإعلام الديني بصفة خاصة، بتصحيح التصور والفهم لبعض المفاهيم والمصطلحات الدينية، وذلك نتيجة التوظيف الخاطئ لها من بعض من يقوم بوظيفة الإعلام الديني، حيث نجد طبيعة خطابه" تهييجي غرائزي هدفه الهجوم على عقائد الأديان والمذاهب الأخرى بأساليب غير علمية وغير عقلانية ومصحوبة غالبا بسيل من الأوهام والأساطير التي يتم تداولها حول الآخر"(بن هنية، 2022، ص.20)، والتي كان لها الأثر السيء على أمن المجتمع، حيث ساهمت في تغذية موجة الغلو والتطرف الديني، وزيادة معدلات الكراهية بين أفراد المجتمع، وهذا كله باسم الإسلام، بل في كثير من الأحيان تحت ذريعة الإصلاح الديني والاجتماعي، ومن هذه المفاهيم والمصطلحات التي نرى أن الواجب على القائمين بوظيفة الإعلام الديني تصحيح التصورات والمفاهيم المرتبطة بها لدى الفرد، منها: الجهاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهل الذمة، الفرقة الناجية، دار الإسلام ....؛ لأن عدم تبصر الكثيرين من أفراد المجتمع بحقيقة هذه المصطلحات والمقاصد الكامنة من وراء تشريع أحكامها

أنتج فتاوى تضمنت تكفير المجتمعات الإسلامية، واستباحة دماء المجتمعات الإسلامية بتأويلات خاطئة، وغيرها من مظاهر الانحراف الفكري.

والخلاصة أن عدم الفهم والاستيعاب لمقاصدية هذه المصلحات الدينية عند التقديم لها في الخطاب الإعلامي الديني المعاصر ساهم في التسويق لخطاب الكراهية بشكل مباشر، كما تعتبر سيطرة المذهبية الفكرية أو الفقهية، وحتى الحزبية على عقل الداعية الإعلامي أدت إلى الغلو وتجاوز ما هو وارد في النصوص الشرعية، واحتباسه في إطار تعاليم توجهه الفكري أو العقدي، ومن ثم تحول خطاب الداعية الإعلامي من خطاب يحمل قيم التسامح والحوار، والوسطية والاعتدال إلى خطاب إقصائي يغذي الكراهية.

الفرع الخامس: تنمية الوعي بقيمة التكافل الاجتماعي والقيام بالواجبات الكفائية.

من مقومات الأمن الاجتماعي أن تسود في المجتمع مظاهر التكافل الاجتماعي بين أفراده؛ إذ الجماعة مطالبة بتوفير كفاية عيش الفئات المحرومة من أفراد المجتمع بسبب الفقر، أو العجز، وقد أوجب الله تعالى على المؤمنين التكافل والتآزر، والتعاون الذي يقوم بين أفراد المجتمع الواحد، وهذه صفة المجتمع الصالح في تواده وتراحمه كالجسد الواحد، قال رسول الله ﷺ:" **ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**"(البخاري، 2002، ص.1508، مسلم، 1426، ص.1201) ، وقوله ﷺ: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ثم شبّك بين أصابعه**(البخاري، 2002، ص. 1512، مسلم،1426، ص.1201)، وهذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير اثم ولا مكروه.(النّووي، 1349هـ-1930م، ص 139).

ولعل من أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي التي تساهم في تحقيق الأمن المجتمعي فريضة الزكاة، قال الله تعالى:" **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖإِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗوَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "(القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 103)، وقوله تعالى:" وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " (القرآن الكريم، سورة المعارج، الآيتان 24و25)**، "فالعامل الأهم لترسيخ الأمن الاجتماعي هو الاقتصاد، الذي يؤسس لاستقرار المجتمع، فالمحتاج يرى أن له حقا في مال الغني، ويعلم أن حصوله على هذا الحق سيكون بواسطة الدولة، وبذلك يشعر بالاطمئنان، ولا يفكر في اختراق الأمن المجتمعي، ولا يدور في باله أي نشاط سلبي للحصول على حقه، أما إذا تعذر لك فيضطر الفرد بالوصول إلى حقّه بأي وسيلة."(عواودة، 2022، ص.161).

كما أن الواجبات الكفائية تعد من أهم وسائل التكافل الاجتماعي، وهي لا تقل أهمية عن غيرها من الوسائل في تعزيز وحفظ الأمن المجتمعي؛ إذ هي في حقيقتها واجبات اجتماعية ذات أبعاد اجتماعية وأخلاقية، وهي من حيث المصالح المترتبة عنها كتوثيق رابطة الأخوة بين أفراد المجتمع، وبث روح الجماعة، وتطهير النفس، ونزع الكراهية والغل من النفوس.. من الضروريات.

ومن هذا المنطلق فمن الواجب على وسائل الإعلام الديني بمختلف أشكالها وقوالبها أن تساهم أن تساهم من خلال البرامج والحوارات الدينية في إشاعة تنمية الوعي بمقاصدية التكافل الاجتماعي، ومقاصدية الواجبات الكفائية، وأيضا تصحيح تصور ونظرة الفرد لحقيقة ومفهوم الواجب الكفائي؛ إذ من الغلط التقديم لمفهوم الواجب الكفائي بالصورة الحالية على أساس أنه الخطاب الذي يتوجه فيه طلب الفعل إلى مجموع المكلفين، فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين، والغفلة عن أنها ترمي إلى تحقيق مقاصد اجتماعية، تهتم بتحقيق المصالح الجماعية لعموم

الأفراد، والتي تؤدي بدورها إلى المساهمة في بناء الكيان الاجتماعي للمجتمع، وتعزيز أمنه المجتمعي.

الخاتمة.

النتائج والتوصيات.

توصل الباحث من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها:

-الأمن المجتمعي يأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والخطورة، وتصرفات النّاس تنطلق من قناعتهم التي تستند إلى أرصدتهم الفكرية والاعتقادية، والتي يساهم الإعلام اليوم بدرجة كبيرة في تشكيلها.

- إشاعة الإعلام الديني لثقافة مقاصدية في المجتمع تقوم على قيم التسامح الديني، والحوار كفيل بأن يكون مدخلا وعلاجا ناجعا للحدّ من خطاب الكراهية

-أمن المجتمع له ارتباط وثيق بحفظ مقاصد الشريعة الضرورية، كما أن مقاصد الشريعة الإسلامية لها دور هام في تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

- من أهم مقومات الأمن المجتمعي: حفظ الضروريات الخمس، وترسيخ روح الانتماء للوطن، وتعزيز قيم التسامح الديني في المجتمع، وتصحيح التصور للمصطلحات الدينية في فكر أفراد المجتمع، والتكافل الاجتماعي.

-من أوكد واجبات الإعلامي الذي يقوم بوظيفة الإعلام الديني التشبع بثقافة مقاصدية، وكذا المعرفة بمقامات الخطاب، وسياقاته، واعتبار مآلاته.

- الحلول الأمنية ليست وحدها الكفيلة بحفظ أمن المجتمع، بل يجب تفعيل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية بمختلف أطيافها للمساهمة بكل السبل المتاحة لتحقيق الأمن الاجتماعي.

<u>المصادر والمراجع:</u>

- أبو دوح خالد كاظم، د.س، الأمن الاجتماعي، أوراق السياسات الأمنية، مركز البحوث الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

-أبو زهرة محمّد، د.س، تنظيم الإسلام للمجتمع، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي.
-أبو زهرة محمّد، 1436هـ، العلاقات الدولية في الإسلام، د.ط، مصر، مطابع دار الجمهورية للصحافة، منشورات مجلة الأزهر.
- الأصفهاني الراغب، د.س، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمّد سيد الكيلاني، د.ط، بيروت-لبنان، دار المعرفة.
- الأمن الاجتماعي في الإسلام ..رؤية سياسية، 2011م، بصائر الفكر، https://basaer-online.com/2011/09/2011-09-21-20-49-35/
-البخاري أبو عبد الله محمّد إسماعيل البخاري، 1423هـ-2002م، صحيح البخاري، ط1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير.
- ابن عاشور محمد الطاهر، 2001 م، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط2، تحقيق: الطاهر ميساوي، الأردن، دار النفائس.
- ابن عاشور محمد الطاهر، (1997م)، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية. تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج 10.
- ابن منظور محمّد بن مكرم، 1414هـ، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، ج3.
- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، 1375هـ-1955م، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- بن هنية خضرة، 2022م، دور الإعلام الديني في مناهضة خطاب الكراهية "الواقع والآفاق"، المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 18، عدد خاص.
- الجرجاني علي بن محمد الشريف، 1985م، التعريفات، بيروت -مكتبة لبنان.
- حجاب منير، 1982م، مبادىء الإعلام الإسلامي –المطبعة العصرية –الإسكندرية.

- الحسني إسماعيل ،1426هـ-2005م، نظريَة المقاصد عند الإمام محمَد الطَاهر بن عاشور، ط2، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- حوامدي حميدة (رسالة دكتوراه)، 2017-2018م، القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي تخصص الفقه وأصوله، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 01، الجزائر.
- الخادمي نور الدين مختار، د.س، القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 21، العدد 42.
- الرازي فخر الدين، (1415هـ-1995م)، مختار الصحاح، الطبعة طبعة جديدة، تح: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان –ناشرون، ج 1.
- سهيل ميسر، مقال تعريف الإعلام الإسلامي، معهد الفتح.
http://www.alfatihonline.com/articles/e3lam.htm
- الشاطبي ،1417هـ-1997م، الموافقات، ط1، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- شاهين مصطفى، 1411هـ-1991م، علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، ط 1.
- عمارة محمّد، 1418هـ-1998م، الإسلام والأمن المجتمعي، ط1، القاهرة -دار الشروق.
- عمارة محمّد، 1417هـ-2007م، في فقه الحضارة الإسلاميّة، ط2، مكتبة الشروق الدولية.
- عواودة سمير محمّد جمعة، 1444هـ-2022م، حفظ الأمن في ضوء مقاصد التشريع الإسلامي الضرورية، (أطروحة دكتوراه)، جامعة القدس، فلسطين.
- الفاسي علال، 1993م، مقاصد ومكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي.

- القحطاني مسفر بن علي، 2008م، الوعي المقاصدي –قراءة معاصرة للعمل بمقاصد الشريعة في مناحي الحياة، ط1 بيروت، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، 1384هـ1964م، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة-دار الكتب المصرية.
- القزويني محسن باقر، د.س، مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام وأليات تحقيقه، جامعة آل البيت -عليهم السلام-، العدد السابع.
- قلعجي رواس، محمّد قنيبي، حامد الصادق، 1988م، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- كّهوس رشيد، جوان 2020م، قيم التسامح الديني والإنساني وأثرها في مواجهة خطاب الكراهية، دراسة في نصوص الإسلام والممارسة النبوية، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 09، العدد 01.
- لواص إسماعيل كاظم، محمد سليمان مراد البلوشي، د.س، مقومات الأمن الاجتماعي ووسائله، دراسة تأصيلية فقهية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الحادي عشر.
- محيي الدين عبد الحليم، 1404هـ-1984م، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، القاهرة. ودار الرفاعي بالرياض.
- مسلم أبو الحسين بن الحجّاج القشيري النّيسابوري، 1427هـ-2006م، صحيح مسلم، ط1، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، د.س، مجموعة من المؤلفين، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت: دار السلاسل، ج 6.

- النّووي أبو زكريا يحيى بن شرف، 1349هـ-1930م، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، ج16.
- اليماني أحمد بن محمّد، (1427هـ-2006م)، حاجة الأمّة إلى فهم مقاصد الشريعة الإسلامية، الندوة العالمية عن الفقه الإسلامي وأصوله: مقاصد الشريعة الإسلامية وسبل تحقيقها في المجتمعات المعاصرة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أوراق العمل باللغة العربية، المجلد الأول.

مداخلة بعنوان العنف والتسامح في و اقع القبائل الحدودية الجز ائرية والتونسية خلال القرن التاسع عشر (معطياته وتجسيداته)

للدكتورة كوثر العايب أستاذ محاضر "ب" بجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

الملخص

العنف سلوك اجتماعي وجدت له تجسيدات واضحة في واقع حياة القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية التي لم يكن واقع الحياة الاجتماعية فيها استثناءا عن الواقع المعاشي لمختلف القبائل المنتشرة في شتى أصقاع المعمورة، والذي أملته عليها عوامل عديدة تراوحت معطياتها ما بين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مع ذلك فإن سلوك التسامح لم يكن غائبا عنها، أين وضعت فيه القبائل الحدودية أحقادها على جنب وهبت لنصرة ومؤازرة بعضها البعض كلما دعت الحاجة والضرورة، في مظهر اجتماعي تعاوني يجسد مدى توثق أواصر الأخوة واللحمة بين القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية .

Summary

Violence is a social behavior for which there were clear embodiments in the reality of the life of the Algerian and Tunisian border tribes, in which the reality of social life was no exception to the living reality of the various tribes scattered in various parts of the world, which was dictated by many factors whose factors ranged from political, economic and social. Tolerance was not absent from it, where the border tribes put their hatreds on one side and gave to support each other whenever the need and necessity arose, in a cooperative social manifestation that embodies the extent of the bonds of brotherhood between the border Algerian and Tunisian tribes.

المقدمة :

أملت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على القبائل الحدودية خلال القرن التاسع عشر سلوك مسلك العنف والذي وجدت تجسيداته الجلية في واقع القبائل الحدودية عن طريق النشاط الإغاري الذي ازدادات وتيرته حدة إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية لما لهذا الأخير من يد في تأجيج نيرانه ، مع ذلك فإن سلوك التسامح وجد له حيزا هو الآخر في واقع الاجتماعي للقبائل الحدودية عن طريق المآزرة والنصرة إلى درجة جعلت المستعمر يستهجن السلوك الأول ويستغرب الثاني في دهشة تترجم كيف لنقيضين أن يجتمعا في واقع حياة قبائل بمثل حجم القبائل الحدودية ومنه نطرح الإشكال التالي : **إلى أي مدى تجسدت قيم العنف والتسامح في و اقع القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية خلال القرن التاسع عشر؟**

أولا العنف القبلي بين الجبلة الاجتماعية وحتمية الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية

العنف لدى القبائل بصفة عامة يعتبر جبلة في سلوك هؤلاء ترسخ عندهم بسبب :

- ✓ كون هذه القبائل تسكن الأطراف من البلاد أي بمعني بعدها عن مركز السلطة ويد السلطة وهو الشيء الذي سمح له بممارسة أنشطتها المختلفة بنوع من الاستقلالية. (الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، 2007)
- ✓ طابع التمرد والعصيان عن السلطة والذي لا يأت إلا من خلال امتلاكها للقوة العددية والمقدرة القتالية .
- ✓ حالة العنف التي تعيشها هذه القبائل مع القبائل المجاورة لاعتبارات اقتصادية النزاع عن الأرض والمرعى مما يملي عليها حالة تأهب مستمر .
- ✓ ترسخ قيم الشجاعة والغلظة والبأس في نفوس هؤلاء لأنها السبيل لتوفير لقمة العيش وتنمية الموارد، فالتدرب على السلاح وفنون الصيد والمصارعة

وكل ما يتعلق بقيم الشجاعة البدوية كانت تمثل الوسائل الأكثر اعتمادا في عملية التنشئة الاجتماعية (بوطالب، 2002)

وهو الشيء الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله:" والغلظة في سلوك القبائل أمر طبيعي" ومرد ذلك عند ابن خلدون يرجع "لتفردهم عن المجتمع توحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجاوفون عن الهجوع إلا غرار في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب ويتوجسون للنبات والهيعات ويتفردون في القفر والبيداء مدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استفزهم صارخ". (خلدون، 2004)

ويضيف أبن خلدون قائلا فيما يتعلق بطبع العنف أو ما سمية هو بالعدوان والظلم بالنسبة لخلال البشر بأنه خصلة موجودة مع طابع الخير ولكن الشر مغلب على الخير ما لم يوجهه وازع ديني، ويرى بأنه البشر كلما امتدت أعينهم لنعم من جاورهم امتدت له أيديهم جورا وظلما أعلم أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الآية 10 من سورة البلد وقال ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ الآية 8 من سورة الشمس والشر أقرب الخلال إليه اذا أُهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجم الغفير إلا من وفقه الله.

ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدت يده إلى أخذ ، إلا أن يصده وازع كما قال الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

(خلدون، 2004).

وعليه فهذه العوامل مجتمعة ساهمت في تكريس حتمية هذه السلوك الذي تجسد في مظهر النشاط الإغاري بين القبائل الحدودية

1/ تعريف الإغارة :

لغة :أغار على القوم وغارة دفع عليهم الخيل وقيل الإغارة مصدر والغارة اسم من الإغارة على العدو وقال ابن سيده وهو الصحيح (منظور، د س ن).

اصطلاحا : هي كل هجوم تقوم به قبيلة أو أفراد من قبيلة على قبيلة أخرى وهي نوعان إغارة داخلية إذا كانت داخل البلد الواحد ، وإغارة خارجية إذا كانت على قبيلة بلد آخر، و تنقسم الإغارات إلى قسمين: القسم الأول: إغاراة قصيرة المدى إذا قام فيها عدد من الأفراد بالترصد لقافلة آتية من بعيد فيفاجئونها وخلال دقائق يجمعون سلاحها ومؤنتها وحيواناتها ثم يلذون بالفرار بسرعة، وهذه الإغارات محدودة ولا تصل إلى مستوى النشاط النظامي للقبيلة وإنما تكون على مستوى الأفراد، أما القسم الثاني وهي الإغارة بعيدة المدى: فتحتل مكانة في التنظيم الاجتماعي للمجتمع القبلي ويشارك فيها أكثر من خمسين محارب (سويدي، 1986).

فظاهرة العنف القبلي المجسدة في عملية الإغارة تعتبر أحد أهم وسائل توفير لقمة العيش وتنمية الموارد لذلك فالتنشئة الاجتماعية لهؤلاء فرضت عليهم حتمية امتلاك حس البأس و الشجاعة والتدرب على فنون السلاح والصيد والمصارعة، وهي تقاليد متوارثة تجلب للقبيلة الحظوة والمهابة والاحترام عن طريق امتلاك القوة العددية والمالية، فالحاجة الملحة لمختلف الموارد الضرورية للعيش الكريم قد دفعت بهم لممارسة هذا العنف الذي كان يتم بصورة مستمرة ودائمة ولكن وفق ضوابط تحددها الأعراف الاجتماعية (سويدي، 1986).

صحيح أن عملية العنف القبلي المجسد في النشاط الإغاري قد كانت سابقة للفترة الاستعمارية للجزائر كالهجوم الذي شنته أحد فرق النّمامشة على حجيج "فاس" عام 1164هـ/1750-1751م بعد امتناعهم من أداء ما عليهم من رسوم للسلطة

التُّونسيَّة لترددهم المستمرَّة على أسواق الجريد، الشَّيء الذي دفع بحاكم تونس "علي التُّركي" لتسيير حملة انتقاميَّة على هؤلاء نزولاً عند طلب الحجاج، ولكي يسترجع لهم ما سلبه النّمامشة من خيل وابل وأحمال وأموال (سعيدوني، 2000م)،لكن مؤشر سريان هذه الأعمال الإغارية أرتفع فور الاحتلال الفرنسي للجزائر ولعل مرد ذلك يعود لـ:

- ✓ رغبة المستعمر في إحداث فجوة شقاق وكراهية وحقد بين قبائل الحدودية للبلدين ليمكن له تجنب إقامة تحالفات وتكتلات بين القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية من شأنها أن تهدد بزوال وجوده هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تمكنه من حماية مناطق نفوذه من تدخلات القبائل الحدودية التونسية بمعنى تحقيق سيادته على الأراضي التي استولى عليها والتي هي بحوزته ،من هنا تحرك في سبيل تعزيز سبل الخلاف والشقاق بين القبائل عن طريق حث القبائل على انتهاج هذا السلوك العنيف وهو ما عبر عنه كاستيل في قوله : " ... وكثيرا ما كان هذا الوضع سببا في نزاعات مؤسفة بين الطرفين مرات عديدة وتكونت الأحقاد والنزعة للثأر وعوض أن يسود السلم بين البلدين المتجاورين سادت الكراهية التي تغذي الروح العدوانية للطرفين وتحولت إلى أعمال سطو ونهب واقتتال (بياركاستيل، 2010م).

رغم أنَّه مع بدايات وجوده في الجزائر استهجن الظَّاهرة واعتبرها من البدائيَّة والتَّخلف وغياب الرَّقابة الحدوديَّة للسلطات، بل وكانت من أبرز المحاور للضغط على السُّلطات التُّونسيَّة لقبول بمخطط ترسيم الحدود في سبيل القضاء على هذه الضَّوضاء التي تهدِّد أمن وسلامة المنطقة الحدوديَّة، لكننا نتساءل هنا عن سبب ممارسته لها إنْ كانت من قبل مُستهجنة ومُحتقرة لديه، بل وأرجع فاعليها إلى مراحل البدائيَّة والهمجيَّة؟!!!، إنْ لم يكن له يد من ورائها بل أن اِغارات قبائل الحدود الجزائريَّة سجلت حضور الطَّرف الفرنسي كطرف فاعل وبقوة فيها، فهو من كان

على رأس القيام بهذا الأعمال، بهدف التَّوسع على حساب المجال الحدودي التُّونسي باستخدام القبائل الجزائريَّة، وضمِّ المناطق الهامة إلى نفوذه (بياركاستيل، 2010م).

كما كان للمستعمر يد في تأجيج فجوة الشقاق والعنف بين القبائل الحدودية بل المسؤولية مجملة تقع على عاتقه لولوج القبائل لأخطر مرحلة في تاريخها وهي مرحلة لم تراع فيها أياً من الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للقبائل بإقدام المستعمر على إجراء تحديد الحدود بين البلدين وعمله على إرساء مبدأ الحدود الحاجزة (**barrière**)الفاصلة بين كيانين، لكل منهما هويته وذلك من خلال إحلال مبدأ التَّجاور(**contiguïté**) بدل مبدأ التَّواصل (**continuité**) الذي كان سائدا في المجال الحدودي، وبهذا تمكن من إخضاع جلُّ الشَّبكات التَّبادليَّة للمراقبة، مما تسبب في خلخلة التوازنات القبليَّة التي كان قائمة، وأضر كثيرا بنمط عيشها القبلي، الشيء الذي دفع بها لمقاومة هذا الوضع بأشكال مختلفة، وما السَّطو على القوافل التِّجاريَّة وتواصل الأعمال الإغاريَّة إلَّا أحد صوره (سليمان، الأرض والهويَّة. (نشأة الدَّولة التُّرابيَّة في تونس1574 - 1881م)، 2009م).

2/تجليات العنف الإغاري بين القبائل الحدودية :

يعتبر النشاط الإغاري سجية وعادة متأصلة في واقع القبائل الحدودية خلال القرن التاسع عشر، كان الهدف من ورائه تحصيل الرِّبح السَّريع عن طريق افتكاك سلع وحمولات تلك القوافل خاصة أثناء فترة الضَّنك التي تجتاحها، في فترة ندرة المحاصيل وتراجع أعداد الأغنام بفعل الجوائح (رائسي، 2016م)، فقبائل الحدود التُّونسيَّة على غرار القبائل الحدود الجزائريَّة عانت الأمرين في منتصف القرن التَّاسع عشر نظراً للأزمة الاقتصاديَّة التي عصفت بتراب الإيالة التُّونسيَّة، والتي أثَّرت سلباً على مردوديتها في مختلف النَّواحي، هذه الأزمة التي جاءت بفعل ازدياد الهجمة الأوروبيَّة من النَّاحيتين الاقتصاديَّة والعسكريَّة للقضاء على القرصنة وبهدف الحصول على امتيازات تجاريَّة أفضل لرعياها الأوربيين (هنية، 2013).

ولهذا السبب فقد تعرضت القوافل التِّجاريَّة للقبائل الحدوديَّة الجزائريَّة المارة بالحدود التُّونسيَّة للإغارة من طرف القبائل الحدوديَّة التُّونسيَّة، خاصة من طرف قبائل الفراشيش إبَّانَ مرورهم بمجالهم الأمر أدى إلى نشوب خلافات بين القبائل الحدوديَّة، ورغم تدخل سلطة البايلك في فرض عقوبات زجريَّة وماليَّة قاسية على القبائل المغيرة بهدف تأمين الطُّرق التِّجاريَّة، إلَّا أنَّ ذلك لم يجدِ نفعاً بحكم محدوديَّة نفوذ السُّلطة في المجموعات القبليَّة، خصوصاً وأن القياد كانوا متواطئين أيضاً فيما يحدث من عمليات إغاريَّة (رائسي، 2016م).

بدورها قوافل وادي سوف تعرَّضت للنهب هي الأخرى من طرف "الهمامة" خلال مرورهم في الصَّحراء الممتدة بين سوف والجريد، والتي أسفرت على سقوط قتلى من أفراد القافلة السُّوفية حسب ما هو مبّين في نص مراسلة القنصل للوزير الأكبر التُّونسي والتي جاء فيها:

«الحمد لله. تعريب مكتوب من قنصل فرانسا لجناب الوزير الأكبر، مؤرخ في 3يناير 1881م.

أمَّا بعد فإنَّ حاكم عموم الجزاير قد دعاني للتنسيق فيما هو واقع الآن من الحالة المذكورة بالحدود التُّونسيَّة القبليَّة...هاته المدَّة جيوش من الهمامة بخيول، دخلوا الصَّحراء بين سوف والجريد وقتلوا زوج انفار مسافرين بشك كميلة والحاصل أنَّ الرَّاحة تلك الجهة مفقودة وفي هاته المدة الأخيرة 14 عدة أنفار من "أولاد رشايش" قد ذهبوا لشراء التَّمر من الجريد وعند سفرهم تعطلوا خمسة أيام حتى يسيروا مع قافلة سوف ومدَّة سيرهم في خيل توانسة تتبع أمرهم وكان قصدهم الفساد ولم يحلوا عنهم إلَّا بقرب الحدادة الجزايرية ورجائي من جنابكم يعلم في قرار محلَّة الدَّولة الحضارة العليَّة في انقطاع هاته الحالة المودية لوقوع الخطر المستمر لبعض عروشنا إلخ معهم رستان يكتب لعامل الجريد أعامل الهمامة. جناب القنصل» (الوثيقة81).

وعلى هذه الشَّاكلة أيضا كانت القوافل التُّونسيَّة عُرضة هي الأخرى للإغارات من طرف القبائل المارة بحدودها،كتعرض قافلة "أولاد علي" المارة على الطُّرق القريبة من الحدود في اتجاه بلاد الجريد للإغارة من طرف قايد النّمامشة سنة 1278هـ، وتعرَّض بدورهم عرش "أولاد وزاز" من قبيلة الفراشيش لإغارة من "سليمان بن عبيد" من عمالة الجزائر، ونهبوا لهم فيها نحو سبعة جمال مع ثور محمَّلٍ بالطَّعام، أمَّا في الإغارة الأولى المشار إليها سلفاً فتمَّ نهب اثنين وأربعين 42بعيراً محمَّلين بالطَّعام من قمح وشعير، وقتلوا لهم إحدى عشر 11 رجلاً، لأن الإغارة تحوَّلت إلى مواجهة قِتاليَّة بين الطَّرفين الجزائري والتُّونسي (رائسي، 2016م).

مما سبق يَتبيَّن أنَّ النَّشاط الإغاري كان متواترا بين القبائل الحدوديَّة فتارة تغير القبائل الجزائريَّة على القوافل التُّونسيَّة وتارة أخرى يكون العكس، أين تغير القبائل الحدوديَّة التُّونسيَّة على القوافل الجزائريَّة المارة بمجالات تلك القبائل، وهو ما تسبب في إحداث فوضى ولا استقرار على طول الشَّريط الحدودي، وأضحت القوافل فيه مُهدَّدة بانتهاك حمولاتها، وأحيانا أخرى بانتهاك أرواح أفرادها الذين كثيراً ما كانوا يدخلون في مجابهات قتاليَّة مع المغيرين للدفاع والذَّود عن ممتلكاتهم وأرزاقهم، ولعل هذا ما يفسر القلق الذي كانت تبديه السُّلطتين الاستعماريَّة والتُّونسيَّة حيال تفشي هذه الظَّاهرة التي صعب عليهم وضع حدٍّ نهائي لها، في ظل استمرار القبائل الحدوديَّة بالرَّغم من كلِّ التَّهديدات بحكم طبيعة القبائل المحاربة المجبولة على هذا النَّشاط الحربي الذي تُحقِّقُ من ورائه أغراضاً شَتَّى، تتراوح بين السَّيطرة على المسالك التِّجاريَّة وحماية القطيع أثناء التِّرحال واسترجاع ما اغتصب منها من قبائل أخرى، وللإغارة ضد قبيلة معادية لها وغيرها من الأنشطة الحربيَّة التي تكفل الحماية لها (هنية، 2013).

تَترجمَ تراجع الوضع الاقتصادي الذي ألت إليه حالة البلدين والذي أضحى يشكِّل خطراً على علاقات القبائل الحدوديَّة، من خلال تلك الأعمال الإغاريَّة الضَّاربة في

عمق القبائل، والمستمرَّة عبر الزَّمن، رغم كلِّ محاولات السُّلطتين لكفِّ القبائل عنها، مما يعطي دلالة واضحة على حالة التَّصدع العام الذي ضرب عمق الاقتصاد والمجتمع الجزائري والتُّونسي آنذاك،فراحت القبائل تغير عن بعضها البعض، بل وتنهب بعضها البعض في سبيل تحصيل موارد اقتصاديَّة في ظلِّ فقدان التَّوازن الاقتصادي الذي تراجعت أُسسه بفعل السَّيطرة الاستعماريَّة، وأصبحت الحدود منتهكة وعصابات النَّهب لا تكف عن غاراتها المستمرة والدَّائمة (رائسي، 2016م)، والمسروقات من القبائل من جراءِ هذه الأعمال الإغاريَّة توضح لنا حجم الانحطاط الاقتصادي الذي وصلت إليه حالة القبائل الحدوديَّة، فأثناء استقرائنا لبعض الوثائق تبيَّن أنَّ جلَّ المسروقات المثبتة هي عبارة عن محاصيل زراعيَّة كالقمح والشَّعير والتَّمر،و كذا الحيوانات بمختلف أصنافها، كالأغنام والأبقار والبغال والخيول والجياد، وأدوات منزلية، وخيام وأثاث وحلي وملابس ونقود؛ فالقبائل كانت تفتكُّ كلما تفتقره وما هي في حاجة ماسة إليه (الوثائق201-203-204).

و أعمال النَّهب لم تقتصر على القبائل الحدوديَّة، بل طالت حتى أملاك المعمِّرين (رائسي، 2016م) مما يؤكد أنَّ الهدف الأساس من العمليات الإغاريَّة هو النَّهب وجني مردود المنهوبات من ورائه، بحيث لم يُفرِّق المغيرين بينما هو ملك خاص بالقبائل، وبين ما هي أملاك خاصة بالمعمِّرين هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبيَّن لنا أهمية هذا النَّشاط لكونه أحد بؤر الضَّغط على السُّلطات وأحد بؤر توتر وتصدع العلاقات بينهما، أين خُصِّصت له السلطات الحاكمة في كلتا البلدين خليَّة خاصة مكلَّفة بتدوين مراسلات نوازل الحدود في الإيالة التُّونسيَّة والمسماة بـِ"الجمعيَّة المكلَّفة بنوازل الحدود"بحسب النص المقتطع من الوثيقة 89 من أ.و.ت الحافظة 213 ، الملف 245 والتي جاء فيها « ،...في التَّعريف بأهمية هاته النَّازلة التي أخبروني بها، ولا شك في كون جنابكم يبادر بصدور الإذن إلى الموظف التُّونسي الموجود الأن في **الجمعيَّة المكلَّفة بنوزال الحدود** حتى يعمل غاية البحث في هاته النَّازلة الصَّادرة في

قطاع الطَّريق الخ»، مما يعطي لنا دلالة واضحة بكثرة هذه النَّوازل وبضخامة هذه المراسلات التي تطرقت لهذا الشَّأن، ومن الغريب في الأمر أنْ تؤدي الزَّوايا دوراً هاماً في مثل هكذا أنشطة عبر حمايتها وإيوائها للمتمردين والسُّراق، كالدَّور الذي قامت به زاوية نفطة في إيواء الجناة، لأنَّ كل من يحتمي بحرم الزَّوايا يمنع من ملاحقة السُّلطات بسبب احتمائه بها (رائسي، 2016م)، وعن دور الزَّوايا يذكر "كاستيل" في هذا الشَّأن قصة أولاد "سيدي عبيد"واحتمائهم بضريح الولي الصَّالح"سيدي عبيد" الذي كفل لهم الحماية الكاملة من الغارات المتكررة للنمامشة والهمامة في قوله:«وعلى ضفاف "واد قنتيس" وقد احتمى الجميع بالطَّبيعة وبضريح الولي الصالح "سيدي عبيد" من غارات الفراشيش والنّمامشة والهمامة وعاشت قرية "سيدي عبيد" في سلم دائم مما يجسد لنا مدى تعلق القبائل بالأضرحة واعتقادهم في دفعها الضرر عنهم حتى وان كانت غارات شديدة الوطأة بحجم غارات الهمامة» (بياركاستيل، 2010م).

3/ انعكاسات الإغارات على سلطتي البلدين والإجراءات المتخذة من قبلها للحد منها:

لقد تسببت الإغارات في عرقلة مشاريع المحتل الفرنسي الرَّامية لإقرار الأمن وتثبيت وجوده على الشَّريط الحدودي الشَّرقي في الجزائر، خاصة في فترة كانت تمرُّ بها الجزائر بحركات تمرُّدٍ وانتفاضات شعبية من طرف القبائل ضدَّ وجودها، وعليه فمن منطلق إخضاع القبائل الحدوديَّة لنفوذها وسلطانها (رائسي، 2016م)، تحركت سلطة بسرعة وكثَّفت من نشاطها وتدخلاتها وسَخَّرت كافة الوسائل في سبيل القضاء على هذه الأعمال من خلال :

إرسال حملات تأديبيَّة على هؤلاء كحملة الرَّائد "**فلوني -Coan Flogny**" في 24 ماي 1862م، الذي قام بالهجوم رفقة فرق لموشية على "أولاد وزاس" من "الفراشيش" حيث اقتحم دواويرهم بالقرب من جبل الشَّبيكة وسلب منهم عشرة آلاف رأس من

الضَّأن، وخمسمائة من الإبل، وقتل حوالي 12من رجالهم، و ضمن الوسائل المتخذة من طرف المستعمر قيامه بتدعيم الخطوط الدِّفاعيَّة كاستقدامه لستة وخمسون 56عائلة من سوق أهراس من عرش "أولاد خيار" وتوطينهم في "بحيرة الأرنب" وفي جنوب "فج تنوكلة" لتعمير وحماية المنطقة بمراقبة كافة المنافذ المؤدية إلى تبسة، (بياركاستيل، 2010م)و العمل على إنشاء شبكة ثكنات عسكريَّة على طول حدود "الفراشيش" و"أولاد بوغانم"كثكنة تبسة التي تتوفر على حامية عسكريَّة و"برج حيدرة" العسكري قرب "ونزة" وغرب "قلعة سنان" سنة 1863م (الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، 2007م.) و من خلال أيضا إيراد مراسلات في شكل مواثيق وبيانات تضمُّ مطالب القبائل الحدوديَّة الجزائريَّة المنهوبة من طرف قبائل الحدود التُّونسيَّة .

وتحركت السلطة التونسية هي الأخرى في سبيل إيقاف حالة العنف المستفحلة على الشريط الحدودي والتي كانت تتوجس خيفة منها من تتحول إلى أحد منغصات العلاقات مع السلطات الفرنسية وهو ما كان بالفعل ومن جملة الإجراءات المتخذة نجد:

- ✓ <u>وضع الحاميات وتدشين المنشآت العسكريَّة والأبراج لردع هذه الظَّاهرة المستشرية بين القبائل الحدوديَّة</u> (رائسي، 2016م)
- ✓ تشييد أبراج مراقبة (الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، 2007)داخل مجال الفراشيش،كـَ:"برج حيدرة"و"الطّباقة" بأرض "الحوافظ"، و"برج بودرياس" بأولاد ناجي، (رائسي، 2016م).

ثانيا : التسامح عند القبائل الحدودية مسبباته وتجلياته

تداعيات التسامح بين القبائل الحدودية ومظاهره:

العلاقات الاجتماعيَّة بين القبائل الحدوديَّة لم ينحصر التفاعل والتواصل فيها على مظهر العنف وإنَّما وَجدت أيضاً تفاعلات واحتكاكات أخويَّة، أمدتنا بصور جميلة من صور التسامح الذي نجد له تجسيدا في قيم في التَّعاون والتَّآزر والجوار والاحتماء ونصرة المظلوم بين قبائل البلدين، خاصة في ظلِّ الأزمات المختلفة التي كانت تعصف بهم، هذه المعطى الإيجابي وهو التسامح المجسد بصور عديدة يعد من القِيمُ الفاضلة وجدت منذ القدم وغذَّتها ونمَّتها الشَّريعة الإسلامية أكثر، حيث أنَّ مسلسل العنف المستمر عن طريق الغورة لم يكن ليمنع من ظهور هذه النَّماذج المشرقة والمشرِّفة بين القبائل الحدوديَّة.

1/ الاحتماء والمؤازرة :

فالقبائل الحدوديَّة الجزائريَّة عانت الويلات على غرار بقية أطياف الشعب الجزائري من هذا المستعمر الفرنسي الذي لم يرقب فيهم إلا ولا ذمة، الشيء الذي دفع بهم لمقاومته مما جعلها عرضة لملاحقات سلطة الاحتلال الفرنسية فلم تجد القبائل الجزائريَّة الملاذ من هذه الملاحقة إلا في الاحتماء بقبائل الحدود التُّونسيَّة التي كانت فتحت لها الباب عن مصرعيه ولم تغلقه في وجهها أبدا (الوثيقة144)، بل وأكثر من ذلك جابهت معها الخطر غير مكترثة بتبعات هذه النُّصرة التي لطالما عادت عليها بتبعات عقابيَّة من طرف السُّلطة التُّونسيَّة والسُّلطات الفرنسيَّة التي لا تتأخر في إرسال تعزيزات ومراسلات اقتصاصا لحقها.

كمؤازرة "أولاد بوغانم"لِـ"أولاد يحي" بل قاموا بمقاتلة فلول الجند الفرنسي المتتبع لأثار "أولاد يحي"، الأمر الذي أثار حفيظة الجنرال "راندون" وقام بمراسلة السُّلطات التُّونسيَّة ويوضح لها فيها أن هكذا أعمال من شأنها أن تنثر بذور العدواة والحرب

بين البلدين في حال تغاظي الطرف التونسي عن هذه التصرفات المشينة للقبائل الحدودية التونسية (الوثيقة162).

لقد استفزَّت هذه التصرفات السُّلطات الفرنسيَّة وجعلتها لا تتأخر في الضَّغط على السُّلطات التُّونسية من أجل طرد الفارين من القبائل الحدوديَّة الجزائرية من أرضها والمحتمين طبعا بقبائل الحدود التُّونسيَّة (الوثيقتين 170 و171.).

ورغم كل هذه التهديد والوعيد فإن دعم القبائل الحدوديَّة التُّونسيَّة ظلَّ مستمراً لأنَّ هناك مُعطيات عديدة تفرضها، كالجوار والأخوَّة في الإسلام والقرابة التي ترتبط القبائل الحدوديَّة ببعضها البعض، ومن صور دعم القبائل الحدوديَّة التُّونسيَّة للقبائل الحدوديَّة الجزائريَّة هذا النموذج الذي استهجنه الاستعمار ووسمه بالتَّخلف والجهل والغيرة (الوثيقة 144) و محتمل في الحقيقة أنَّهم لا يدركون مغزى هذه التَّصرفات وأهميتها في حياة هؤلاء، إذ أنَّها تعتبر من الطَّبائع والقيم والأعراف والتَّقاليد المترسخة عندهم والمتأصِّلة فيهم،كما هو مبين في نص الوثيقة التَّالية:

«الحمد لله. تعريب من الجنرال "سيريكوه" حاكم عنابة تاريخه 24 أكتوبر برسم حضرة قنصل جنرال دولة"فرنسا" في "تونس".

إنَّ في 18 من الشَّهر الحاضر كتبت لحضرتكم بخصوص الحرابة التي وقعت بين جيشي وبين العرب الذين هربوا من الحدادة والذين هم ساندين دعوة "أولاد مومن" الذين احتموا في أرضهم وهذه الحرابة وقعت في ترابنا ... وليست في عمالة تونس لأنَّهم ارادوا يسندوا دعوتهم بالقوة في أرضنا فما عندي شرح ازيده على ذلك وهو غاية كلام الحق ولولا أنَّهم افادوا سعادة الباي بكلام كاذب لما كان تظن أنْ يطيب خاطري ومن غير داعي غرت على رعياه وقتلت منهم ونهبت من أموالهم إلخ، فبالتَّحقيق أفعال نظير هذه هي مخالفة للمحبَّة والأمان الموجود بين العمالتين والتي عندي وصاية أنَّي لا أفسدها فأرجوكم إذن تخبروا سعادة الباي أنَّ بعدما صدموا عليّ نهارين بالتَّبعية قدام القياد التَّوانسة الذين هم عند اللزوم أطلب شهادتهم حتى

أنّي اعتمدت أمانع عن نفسي من غير اتجاوز حدود الجزاير محل القتال الذي هو بين نبع الواد رول ومجردة هو معلوم للجميع ويبين كذب التَّقرير الذي أرسله إلى سعادة الباي ففي هذه المرة أنّي سلكت بكلِّ هدوء واعطيت سعادة الباي برهان في محبَّة دولة فرنسا له ومحبتي أنا الشَّخصيَّة وهذه النَّازلة ما هي إلَّا قصاص إلى أشخاص عاصين الحكم ألقوا بأرواحهم في هذا الخطر لداعي جهلهم وزيادة غيرتهم وأخيراً أقدر أقول أن من ذلك نتج خير من سعادة لأنَّ المذكورين كانوا مقيمين في جبال عالية وعسكره لا يقدر يوصل لهم لذلك كانوا عاصيين عليه وإنَّما من بعد الحرابة الأشد فهم نزل من محله مطاع إلى السَّيد الصَّادق متفكرين أنَّه واقع اتفاق بين عسكر الفرانسيس وعسكر تونس في شأن ذلك كله قروا أنَّهم يستاهلوا ما جرى فيهم لأنَّهم هم الظَّالمين ثمَّ عندي بعض أسرى إذا أردتم أنْ أرسلهم من غير شرط مع أنّي كنت قاصد أطلب بمقابلتهم سبعة أحصنة مسروقين ومن الصّبايحية متوعنا ومطبوعين بطابع البايلك وهم في الخلَّة والورغة» (الوثيقة144).

2/ الإيواء:

من مظاهر الدعم الذي بادرت به الحدودية التونسية نظيرتها القبائل الحدودية الجزائرية ، ايوائها للاجئين من الملاحقات الاستعمارية فاضطراب الأوضاع الأمنيَّة في الحدود الشَّرقيَّة عقب ثورة المقراني 1870م قد أسهم في تدفق أعداد هائلة من قبائل الحدود الجزائريَّة نحو تونس أين أوت أراضي "الفراشيش" و"ماجر" عِدَّة فرق من "الحنانشة"و"النّمامشة" و"أولاد يحي" وفي فيفري 1871م تحصَّنت فرق من "أولاد يحي"بِـ"الحوافظ" وفرق من "الحنانشة" بجهة "الكاف"، وفي الشَّهر الذي يليه مارس 1871م فرَّ "الكبلوتي" ومن معه إلى تراب "أولاد بوغانم"بِـ"عين عنان" حول "قلعة سنان"، وبدورها كانت القبائل التُّونسيَّة تلجأ إلى القبائل الحدوديَّة الجزائريَّة كلما اشتدت عليها تضييقات السُّلطة وملاحقاتها فتلجأ هي الأخرى إلى قبائل الحدود الجزائريَّة التي تجد فيها الملاذ والمأوى (الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال

القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، 2007م.)، كلجوء "الهمامة" إلى "واد سوف" فراراً من ملاحقات السُّلطة التُّونسيَّة لهم، فرغم العداوة الكائنة بين"أهل سوف" و"الهمامة" إلَّا أنَّهم لما استجاروا بهم فتحوا لهم الباب وذلك لأن "أهل سوف" قد جبلوا على عادة نجدة من استجار بهم ولو كان قاتل أباهم (العوامر)؛ وحول حيثيات هذه المؤازرة يقول صاحب كتاب (الصُّروف):«..تعاصى للهمامة بعض منهم على الباي وفعلوا أفعالًا قبيحة مع قائدهم قيل أنَّهم أرادوا قتله واتاه جماعة منهم فلما رآهم وعرفهم فلبس ملحفة إمرأة وخرج مسترا بذلك ولم يعرفوه حتى خلص إلى منجاته فوجه لهم الباي قوماً أشداء تسلطوا عليهم فقتلوا هنالك منهم أناسا كثيرين وفرّ الباقون إلى سوف فتبعتهم المحلَّة تقتل وتنهب إلى أنْ أوصلتهم إلى صحن الطِّريفاوي الشَّرقي وصحن الزُّقم الشَّرقي ثمَّ رجعت فاشتغل المنكوبون بدفن أمواتهم التي ماتت هناك وحمل الجرحى على الإبل ودخلوا قرى سوف وطردوهم ولما وصلوا إلى الوادي أراد بعض النَّاس طردهم فمنعهم البعض الأخر قائلا أنتم أتيتم مستاجرين بنا ولا نخيب المستاجير فإنَّنا إنْ عملناهم بفعلهم تساوينا في اللوم فنزلوا بالصَّحن الغربي القبلي من ناحية "أولاد أحمد" الذي به الجبَّانة الفرنساوية» (العوامر).

كما أدَّت قبيلة "أولاد سيدي عبيد" هذا الدَّور هي الأخرى عبر إيوائها لمختلف القبائل الحدوديَّة الفارة من ملاحقات السُّلطة لها وهو ما جعل السُّلطة الاستعماريَّة تحقد على هذه القبيلة جراء دورها هذا، كما كانت لا تتردد في إيواء المقاومين وتزويدهم بمختلف ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد (الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، 2007م.).

3/ الهجرة :

ومن المؤازة واللحمة إلى فتح الأبواب للهجرة، هذه الأخيرة تباينت فيها الظُّروف التي عصفت وألمَّت بالقبائل الحدودية الجزائرية وجعلت من الهجرة مآلاً للخروج من

المأزق الذي تتخبط فيه، فنجد على سبيل المثال أنَّه من دائرة "عنابة" هاجرت قبيلة "بني صالح" بمعدل خيمتين واستقروا في مدينة "تونس" بفعل المتابعة القضائيَّة التي تعرضت لها القبيلة منذ سنة 1840م، ومن دائرة "سوق أهراس" هاجرت أعداد كبيرة من الخيم من قبائل مختلفة، حيث هاجر من قبيلة "أولاد تليل" حوالي مئتي(200) خيمة استقرت بناحية "شارن" بتونس، وهجرتهم هذه جاءت هروباً من المتابعة القضائيَّة والاضطهاد الذي تعرَّضت له، ومن نفس الدَّائرة أيضا فرَّت قبيلة "شمانة" بكاملها بحوالي سبعين(70) خيمة استقرت بناحية "شارن"، وهذا بسبب تشديد الخناق عليها من جراء مقاومتها (جابو، 2011م)

لتسهم الأوضاع السياسية كملاحقة القوات الفرنسية لبعض القبائل الحدودية مثلا كـ"أولاد يحي" للهجرة إلى "تونس"، هذه الأخيرة لجأت إلى "تونس" واحتموا بِـ"أولاد بوغانم" الذين قدَّموا لهم كافة السَّند والمؤازرة في صَدِّهم لهجمات القوات الفرنسيَّة المتكوِّنة من فرق الصَّبايحيَّة، (الوثيقة162) .

لتدلي الأوضاع الاقتصادية بدلوها في رفع مؤشر هجرة القبائل الحدوديَّة زرافات إلى "تونس"،فقد أحصت الإدارة الاستعماريَّة فرار 63 بيتا من سكان الحدود الجزائريَّة (الوثيقة 108)بفعل التَّهرب من الضَّرائب، وهو ما يؤكد على ثقل هاته الضَّرائب التي لا تتوافق مع محدوديَّة دخل هؤلاء، وأن الأوضاع الاقتصاديَّة التي آلت إليها حياة هؤلاء قد دفعتهم للهجرة نحو تونس (Roger، 1954).

لتسهم الأوضاع الاجتماعية التي تتخبط فيها القبائل الحدودية الجزائرية في دفع القبائل الحدوديَّة للهجرة نحو "تونس"، مما يؤكد على أهمية ودور الحالة الاجتماعيَّة في تثبيت دعائم الاستقرار أو زعزعته بالنِّسبة للقبائل الحدوديَّة فمن دائرة "سوق أهراس" هاجرت قبيلة "أولاد مؤمن" بعدد خيام بلغ حوالي مئة وخمسة(105) خيمة استقروا بناحية "ورغة" عقب الاضطرابات الاجتماعيَّة التي أعقبت مقتل شيخ القبيلة سنة1852 (مديني، 2015م.)لتسهم انتشار الفقر والمجاعات التي عصفت

بالمجتمع الجزائري في هجرة العديد من الأسر والقبائل، كمنطقة "وادي سوف" و"بسكرة" و"تبسة" و"ورقلة" إلى الأراضي التُّونسيَّة (زروال، 2017)، بالإضافة إلى قبيلة "أولاد عبيد" التي رحلت وفود منها إلى "تونس" وهي خالية الوفاض بفعل افتقارهم المادي ومعاناتهم النَّفسيَّة والاجتماعيَّة (الماجري، القبيلة الولائيَّة والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، 2013م.)

صحيح أن تردي الأوضاع والاجتماعية والسياسية التي كانت تمر بها القبائل الحدودية الجزائرية والجزائر المحتلة بشكل عام قد جعل من منطقة الحدود ومن الجزائر لا تكون منطقة جذب لافتقارها للمحفزات التي تدفع بجاليات عربية للاستقرار فيها ، مع كل ذلك فقد وجدت عينات لأفراد من القبائل الحدودية التونسية التي قصدت المناطق الحدودية فرارا من عقبات المتابعة السياسية من السلطة بمثل ما حصل عقب ثورة "علي بن غذاهم"عام 1867م أين لجأت عدد من القبائل التُّونسيَّة المساندة له للهجرة للمناطق الحدوديَّة في "الجزائر" بحوز"تبسة" على وجه على الخصوص، حيث تمَّ إحصاء 96رجلاً و21 إمرأةً و95طفلاً، لكن مصيرهم كان فضيع بحكم تردي الأوضاع الاقتصاديَّة والصِّحيَّة التي ضربت إقليم حوز "تبسة" مما تسبب في هلاك هؤلاء ما بين شهري أكتوبر وديسمبر، كما نزح للجزائر عدد من الثَّائرين في مقاومة "ابن غذاهم" إلى جهة "تبسة" (بياركاستيل، 2010م).

ختاما :

تمكن ظاهرة العنف في واقع حياة القبائل الحدودية الجزائرية والتونسية خلال القرن التاسع والذي كان وراء ممارسته عديد العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أملت على القبائل حتمية هذه الظاهرة والمجسدة في النشاط الإغاري الذي عد بمثابة وسيلة ضرورية لتوفير مستلزمات القبائل دون أن ننسى ما للاحتلال الفرنسي من دور أيضا في تأجيج نيران الشقاق عن طريق الإجراءات التي لم

تراع خصائص القبائل الاقتصادية والاجتماعية ومبتغاه في ذلك إحداث قطيعة نهائية بينهما، فلم ليحدث إلا العكس تماما أين تولدت بينهما عرى التلاحم والنصرة في تجسيد واضح لقيم التسامح أثناء الجوائح والأزمات والذي توطد أكثر عن طريق التحالف و المصاهرة وروابط الدم.

قائمة المراجع

1/ المصادر باللغة العربية

ا و ت ، الحافظة 213 ، الملف 245، الوثيقة162.

ا و ت ،الحافظة 213،الملف 245، الوثائق201-203-204.

ا و ت. (بلا تاريخ). الحافظة 213 ، الملف 245، الوثيقة 201. -203-204.

أ. و. ت: الحافظة 213 ، الملف 245، الوثيقة 201. والحافظة 213،الملف 245، الوثيقة 203 – 204.

أ. و. ت: الحافظة 213، الملف 245، الوثيقة144.

أ. و. ت: الحافظة 213، الملف245 الوثيقة 108.

أ. و. ت: الحافظة 213، الملف245 الوثيقة 144.

الوثيقة 162، ا و ت ، الحافظة213 ، الملف245.

أ. و. ت: الحافظة 213، الملف245 الوثيقتين 170 و171.

أ. و. ت: الحافظة 213،الملف 245 الوثيقة81.

أ. و. ت: الحافظة 213،الملف 245 الوثيقة89.

2 إبراهيم العوامر. الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. تأليف *الصروف في تاريخ الصحراء وسوف* (بلدية تغزوت ولاية الوادي: مخطوط بالمكتبة المنزلية لعمار عوادي .

بياركاستيل. (2010م). تأليف بيار كاستيل، *حوز تبسة، دراسة وصفيَّة جغرافيَّة تاريخيَّة لإقليم تبسة وأعراشه من فجر التَّاريخ إلى بداية القرن العشرين* (محمد العربي العقون، المترجمون، المجلد ط1،). الجزائر: مطبعة بغيجة حسام.

/ المصادر باللغة الأجنبية

Roger ,Leonard (Gouverneur Général de l'Algérie), territoire du sud l'Algérie, compte rendu de l'oeuvre accompli de (1947 - 1952) , imprimerie officiel, Alger, 1954

ابن منظور. (د س ن). تأليف *لسان العرب* (صفحة 3314.). د م ن ،.

إدريس رائسي. (2016م). القبائل الحدوديَّة التُّونسية الجزائريَّة بين الإجارة والإغارة (1830–1881م)،. تأليف دريس رائسي، *القبائل الحدوديَّة التُّونسية الجزائريَّة بين الإجارة والإغارة (1830–1881م)*، (المجلد ط1، الصفحات ص ص. تونس،: دار المتوسطية للنشر.

الأزهر الماجري. (2013م.). القبيلة الولائيَّة والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس. تأليف *القبيلة الولائيَّة والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس* (المجلد ، ط1). تونس،: المغاربيَّة للطباعة والنَّشر،.

الأزهر الماجري. (2007). قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي. جامعة منوبة ، تونس: منشورات كلية الأداب والفنون والإنسانيات.

الأزهر الماجري. (2007م.). *قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثَّامن عشر والتَّاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي*. تونس: منشورات كلِّيَّة الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة.

عبد الحميد هنية. (2013). تونس العثمانيَّة ، بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج في خلال الفترة الحديثة ما بين القرنين17و19، دراسة مقاربة . تأليف عبد الحميد هنية، *تونس العثمانيَّة ، بناء الدولة المجالية في البلاد التونسية والمغرب الأقصى وآليات الاندماج في خلال الفترة الحديثة ما بين القرنين17و19 ، دراسة مقاربة* . قطر : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

عبد الرحمن بن خلدون. (2004). مقدمة ابن خلدون. تأليف عبد الرحمن بن خلدون، و عبد الله محمد الدرويش (المحرر)، *مقدمة ابن خلدون* دمشق -سوريا: دار يعرب.

فاطمة بن سليمان. (2009م). الأرض والهويَّة. (نشأة الدَّولة التُّرابيَّة في تونس1574 - 1881م). تأليف فاطمة بن سليمان، *الأرض والهويَّة. (نشأة الدَّولة التُّرابيَّة في تونس1574 - 1881م)* (المجلد ط1، تونس: نشورات كلَّيَّة العلوم الإنسانيَّة و الاجتماعيَّة.

محمد سويدي. (1986). تأليف محمد سويدي، *بدو الطوارق بين الثبات والتغير ، دراسة سيوسيو-انثبرولوجية في التغير الاجتماعي* ، الجزائر: ، المؤسسة الوطنية للكتاب .

مُحمَّد نجيب بوطالب. (2002). سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي. تأليف مُحمَّد نجيب بوطالب. بيروت: ،مركز دراسات الوحدة العربية.

ناصر الدِّين سعيدوني. (2000م). ورقات جزائريَّة. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. تأليف ناصر الدِّين سعيدوني، *ورقات جزائريَّة. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني* (المجلد ط1،). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المجلات والدوريات

جمعة بن زروال. (2017). «هجرة زعماء الطُّرق الصُّوفيَّة التُّونسيَّة نحو الجزائر ونشاطهم السِّياسي والدِّيني الشَّيخ سيدي علي النَّفطي والحاج مُحمَّد لخضر السِّهيلي أنموذجاً»، ،. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، كلَّيَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، جامعة مُحمَّد خيضر بسكرة* .

أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير

أحمد بن جابو. (2011م). المهاجرون ونشاطهم في تونس 1830 – 1954م. تأليف أحمد بن جابو، *طروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه (غ.م)، تخ: التَّاريخ الحديث والمعاصر، قسم التَّاريخ والآثار*. تلمسان - الجزائر: كلَّيَّة العلوم الإنسانيَّة والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة أبي بكر بلقايد -.

بشير مديني. (2015م.). إسهامات الجالية الجزائريَّة بتونس في الحياة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة 1830–1962م،. الجزائر: جامعة الجزائر .2.

جـامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية

أعمال الملتقى الوطني

متعدد التخصصات

11 أكـتوبر 2023

أمن المجتمعات بين

نبذ الكراهية

وتعزيز قيم التسامح

MESDIME

صفحة المخبر على الفيسبوك

موقع المخبر